

الحياة السياسية في العراق

في عهد السيطرة الفولية

الدكتور
محمد صالح داود القزاز

مدرس التاريخ الاسلامي
كلية الآداب / جامعة بغداد

ساعدت جامعة بغداد على طبعه

مطبعة القضاء في النجف الأشرف تلفون ٣٧٤٨

١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

للصبر

أبي . لم يكن يدور في خلدي انني سأحرم من لقياك الى الأبد في وقت كان أعز ما أتمناه وقد حقق الله لي أمنيتك هو لقياك .

لقد فجمت وأنا في غربتي بفقدك ، وكان علي أن أكرم ذلك عن شركائي في الغربة ، أهل بيتي ، وان أداري أمري مع الكثير من أصحابي وزملائي للتلايين علي ما أخفيه من حزن ، فكنت أستعين على مقاساة ذلك بظلام الليل أخلو الى نفسي وأفرغ ما في عيني لكي أستعد ليوم جديد .

أي أبتاه . لقد كانت تعزيتك لي قبل ثلاث سنوات في ولدي ماجد خير عون لي على تحمل المصيبة بصبر واجتياز المحنة بهزم ، فمن يعزيني فيك الآن ؟ .

غفر الله لك حياً ، ورحمك ميتاً ، فقد كنت لي مثلاً للمؤمن الصابر الزاهد فمن صمتك تعلمت الصبر على مكاره الحياة ، ومن قناعتك وزهدك تعلمت عزة النفس وعفة اللسان ، ومن تقواك تعلمت الايمان بالله والرضى بحكمه . فالحمد لله علي قضائه . وإنا لله وإنا اليه راجعون .

ولذلك

المقدمة

كتبها الأستاذ الدكتور حسن حبشي

المشرف على إعداد هذه الرسالة

حين طلب إلي الصديق الدكتور محمد صالح القزاز أن اكتب مقدمة لمؤلفه الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية (تنازعني عاملان متناقضان هما أحجام والاقدام ، أما الاحجام فمبعثه أني - وقد سمعت بالاشراف على موضوعه إن عمله للدكتوراه - كنت أختلف معه أحياناً من مواضع معينة حسب استقراء ل منا للنصوص المطروحة أمامنا ، ولكن تحركنا لا شعورياً فكرة استكمال الموضوع ن شتى جوانبه ، وتدفعني أنا - على الخصوص - في أن يخرج البحث بالصورة التي كفاها وبراعة الصديق القزاز ومقدرته الايجابية التي تجلت لي فيما قام به من بحوث ريحية جانبية في الموضوع ذاته أريد بها تأييد رأي ما او دحضه ، واذا كانت جهات نظر كلينا قد أثارَت مناقشات وجدلا عنيفين في بعض الأحيان بيني وبينه ، مجالس طالت بالقاهرة ، فانها كانت في اعتقادي كوى وواقد نطل منها على هذا لوضوح الدقيق من زوايا مختلفة وملتقى عليه أضواء تنير بعض ما فيه من غموض .

أما الاقدام على تلبية طلب الدكتور القزاز فكانت تدفعني اليه عواهل مختلفة لها ما أحسه من الاعتراز باشرافي على هذا الموضوع وإعجابي بمجهد المؤلف وصبره عمله المتواصل المثمر خلال سنوات اضطلاع به في صمت المؤمن بواجبه المستشعر سؤ وليته أمام ضميره وقراءه ، الراغب في أن يخرج في غير ذي عوج متجنباً ما وسعه لجهود مزالت الخبطاً وإن لم يضره ما يوجه اليه من نقد بناء هادف .

ولست أستمع في هذه الكلمات فصول البحث ومواضيعها فما كان ذلك في اعتقادي قط هدف المقدمات وإلا كانت بديلاً عن الكتاب ذاته ومحاولة - وإن تكن عفوية غير مقصودة لصرف القارئ عن مطالعته ، ثم إنها لا ينبغي أن تكون دراسة وبحثاً إلا إذا أحس مقدم الكتاب نقصاً ينبغي تداركه ومن ثم فلا داعي لهذا الأمر ذلك لأن الكتاب يحدث عن نفسه وما تضمنه سواء أكان ذلك من الناحية الموضوعية او المنهجية ، وقد يختلف قراؤه - حسب ميولهم - حتى لو كانوا من أهل فن واحد من حيث طريقة العرض والتناول بالبسط والايجاز وتبويب فصوله وتقديم بعضها على البعض الآخر ، ثم أسلوب الكاتب من معالجة الآراء من حيث النقد او الاستصواب او الحيرة من جانبه ، على اني أحسب انهم سيتفقون معي على ان هذا الكتاب الذي بين ايديهم الساعة قد تضمن دراسة عميقة لموضوع شائك ذي مزالق قل أن يتجنب معظمها إلا من توفرت لهم خلفية تاريخية وإصالة قوم عودها اطلاق عميق ، وكذلك كان دأب صديقنا الدكتور القزاز على مداومة النظر في كتب التاريخ والرحلات والمذكرات واطلاع مشكور على الوثائق ما بين عربية وغير عربية استوعبها ثم استلهمها خفاياها فأنت أكلها هذه الثمرة الفكرية الشهية .

ولا يسعني في ختام هذه الكلمات إلا أن أرجو لمدرسة التاريخ الاسلامي الكثيرين من امثال الدكتور القزاز الدؤوبين على العمل ، البارعين في استكناه الأحداث لاجراج دراسات جديدة ، العاملين في تودة وصبر وصمت .

حسن حبشي

القاهرة

استاذ التاريخ الاسلامي في كلية الآداب

جامعة عين شمس

مقدمة المؤلف

كان سقوط بغداد على يد المغول في منتصف القرن السابع الهجري حداً فاصلاً بين عهدين حضاريين عهد سابق وصلت فيه الحضارة العربية الاسلامية درجة متقدمة من النضوج الفكري والرقى العلمي ، وعهد لاحق زالت فيه الخلافة العباسية منها بما ثله من قيم دنيوية التف حولها الناس وخضعوا لسلطانها الروحي ، وتعرضت فيه لضارة الى الضياع بسبب ما رافق عملية الاستيلاء المغولي من نهب وحرق وتخريب ، ما اصاب سكان البلاد من قتل وتشريد .

ونشأ عن الاحتلال المغولي للبلاد الاسلامية عامة ، وللعراق مركز الخلافة خاصة وهذه الحضارة على الصورة التي قد بلغت من قبل ، وتوقف الحركة الفكرية ، ضعفها كثيراً واقتصرها على التكرار والهواش فقط ، وخلوها من عنصر الابداع الابتكار الذي كان مميزاً لها ، والذي لا ينمو ويزدهر إلا في ظلال حرية الفكر ، حتى اصبحت الفترة التي أعقبت السقوط تعرف بالفترة المظلمة كناية عن توقف الفكر بلة الفترة التي استغرقتها الاحتلال الأجنبي لبلادنا العربية والاسلامية ، والتي لا زلنا حتى الآن نعاني الكثير من آثارها المتمثل في تخلفنا الحضاري وتأخرنا العلمي بالنسبة وصلت اليه الحضارة العالمية .

ولم يقتصر تأثير هذا الغزو على الفترة التي أعقبت وقوعه ، وإنما كان أثره جلياً لعدة عقود من السنين قبل حدوثه ، يدل على ذلك فقداننا لأكثر تراثنا العلمي

الذي أُلّف خلال العصر العباسي الأخير والذي أُنّف أو أُحرق خلال حركة الغزو ، ولولا أن بعض هذا التراث كان قد انتشر في أرجاء العالم الإسلامي ، فحفظته لنا خزائن دمشق والقاهرة خاصة التي نجت من البطش المغولي لكننا فقدنا كل أثر له . شأنه في هذا شأن الكثير من المؤلفات التي نقرأ عنها ولا نجد أثرها .

لقد أحسست بهذا الضياع منذ أن كنت احضر لموضوعي السابق عن الحياة السياسية للعراق في العصر العباسي الأخير الذي كنت تقدمت به لنيل درجة الماجستير فراعني هذا النقص الذي أفقد المكتبة العربية الكثير من جواهرها الفكرية ، وأوجد حلقة ناقصة في دراسة التأريخ العربي الأمر الذي أثار فيّ العزم على محاولة دراسة هذا النقص وسد بعض فراغه قدر الامكان .

واستأنست بأراء أساتذتي ، فكانوا جميعاً بين مشجع ومشفق ، شجعني جميعهم على ارتياد عملية البحث في هذه الفترة واكدوا حاجتنا الى كشفها وإبراز معالمها ، ولكنهم لم يفسوا أن يذهبوني الى الصعاب والمشاق التي ستواجهني والتي قد يغلب اليأس خلالها على النفس فيؤدي بي الى الفشل . واستخرت الله واستعنت برحمته وعزمت على العمل مشجعاً بتشجيع اساتذتي الذين ساعدوني على تذليل الكثير من صعابها وتحديد ملامحها .

وقضيت أكثر من شهرين اتنقل خلالها بين فهارس الكتب ودورها ، قديمها وحديثها ، مطبوعها ومخطوطها ، ظاهرها ومدفونها . حتى امتلأت رئتاي من عبير ترابها وغاصت عيناي من نعيم غبارها .

وتفتحت أمامي آفاق البحث وتعددت سبله ، ووجدت ان ما بقي من تراثنا الحضاري على قيد الحياة بعد النكبة ، قد سطت عليه ايدي الجهلاء وباعوه بشمن بنحس فإذا هو موزع بين متاحف ومكتبات لندن وباريس وبرلين وفيينا . والقليل منه بقي في بعض مكتباتنا الاسلامية في القسطنطينية خاصة . وأقل منه الذي بقي في بعض الخزائن

الخاصة التي يضمن اصحابها بها ان ترى النور . ووجدت ان دار الكتب والوثائق القومية في ج ع م . وقسم المخطوطات وإحياء التراث في الجامعة العربية قد بذلا وافر الجهد في ملاحقة وتصوير ما تيسر لهم العثور عليه من هذا التراث المبعثر ، ويسرره لطلاب البحث بأسهل السبل وأقل التكاليف ، وسميت بدوري لملاحقة بعثتي من هذا التراث ، واستعنت بالكثير من الاخوة والاصدقاء الذين يسروالي بعض حاجتي وخاصة من مكاتب بغداد والشام وبيروت .

لقد رجعت في إعداد هذا البحث الى اقدم المراجع التي تيسر لي العثور عليها ، من ذلك المراجع الفارسية التي عاصر مؤلفوها احداث الغزو المغولي والذي ساهم بعضهم في تثبيت اركانه .

وفي هذا المجال يأتي مؤلف الجويني المسمى جهانكشاي في مقدمتها جميعاً ، ذلك ان مؤلفه عطا ملك كان قد نشأ في قدوم المغول ورافق حملاتهم على الخلافة خاصة ثم تولى مسؤولية الحكم في بغداد لأكثر من عشرين سنة بعد سقوطها . لذلك جاء مؤلفه الذي تنتهي احداثه قبيل سقوط بغداد شاملاً لاحداث الغزو مفصلاً لأحوال الامارات الاسلامية التي تعرضت لهم ويمكن القول انه اصبح مرجعاً لكل بحث عن المغول ، وان اغلب الذين كتبوا عنهم كانوا عالة عليه .

ويأتي الجوزجاني بالدرجة الثانية في مؤلفيه طبقات ناصري ، وتاريخ آل جنكيز . ويمتاز مؤلف رشيد الدين . جامع التواريخ بقسميه المخطوط والمطبوع بأهمية خاصة في التاريخ المغولي ، فانه بالرغم من تأخره الزمني عن سابقيه فقد تيسرت له كل عوامل المساعدة التي جعلت من مؤلفه اوثق مرجع عنهم .

ويأتي تاريخ وصال . لعبدالله فضل الشيرازي تالياً لهم في الاهمية بالرغم من غلبة السجع والصناعة على اسلوبه ، وقد قدمه مؤلفه لاولجايتو .

وكذلك مؤلفا حمد الله مستوفي القزويني تاريخ كزبده ، ونزهة القلوب ، لهما

الهمية في هذا المجال . اذ ان المؤلف عاصر ايام ابي سعيد واشغل بعض الوظائف المالية في ايامه الاخيرة .

وهناك مؤلفات فارسية اخرى اقل اهمية مما سبق ، منها مؤلفات ميرخوند روضة الصفا ، وخواندمير . حبيب السير وذيل جامع النوارىخ لابرو ، اما المراجع التركية فقد استعنت ببعض اخواني الذين يحسنون لغتها ، فترجموا لي منها صحائف الاخبار لمنجم باشي ، وتاريخ شجرة تورك لابي الغازي بهادور . واعتمدت في المدونات الصينية على ترجمات بريتشنايدر الى الانكليزية في مؤلفه بحوث عن العصور الوسطى مستمدة من المراجع الشرقية . وقد وجدت انها بالرغم من احتوائها على بعض التفصيلات عن زحف جنكيز إلا انها لا تخرج في معانيها عما اوردته المراجع الفارسية المعاصرة .

اما المراجع الافرنجية فيأتي في مقدمتها مؤلفا دوسون وهورث عن تأريخ المغول . وقد رأيت انهما اعتمدا كلياً على المراجع الفارسية وبعض العربية المعاصرة ولا حظت ان دوسون خاصة استفاد من المدونات الصينية ، بينما استفاد هورث بالرغم من اعتماده كثيراً على دوسون ، فانه استفاد ايضاً من الاصل السرياني لتأريخ ابن العبري (تأريخ مختصر الدول) بالاضافة إلى استعانهه بمؤلفات مؤرخي جورجيا وارمينيا المعاصرين لقيام الايلخانية المغولية .

واستفدت كذلك من بارنولد في مؤلفيه تركستان حتى الغزو المغولي ، ومحاضراته عن الترك في آسيا الوسطى - بالاضافة الى عشرات المقالات الاخرى التي تفرقت في بطون الكتب .

ولم اغفل دوائر المعارف الاسلامية ، والبريطانية ، وتاريخ كبرج للعصور الوسطى والمجلات الاخرى . وأعتقد أنني لم أنرك مقالة لها علاقة بموضوع البحث إلا واطلمت عليها .

اما كتب النقود فيأتي في مقدمتها كتاب ليذبول عن النقود الموجودة في المتحف البريطاني بحزأيه السادس والعاشر .
وكذلك مؤلفات احمد ضيا ومحمد مبارك عن المسكوكات الاسلامية ، بالاضافة الى ما ورد عن المسكوكات في المتحف الاسلامي بالقاهرة ، والعراقي ببغداد مما اشارت اليه مجلة سومر العراقية .

اما المراجع العربية . فقسمان : الاول منها ، المؤلفات التي عاش اصحابها في العراق تحت ظلال الاحتلال المغولي ، وهنا تظهر بشاعة الاحتلال وتأثيره على الحركة العلمية ، إذ ليس لدينا سوى مؤرخ عربي واحد وصلتنا بمض اجزاء مؤلفاته ، ذلك هو ابن الفوطي الذي وصلنا من مؤلفه القيم تلمخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب جزوه الرابع فقط ، بالاضافة الى كتاب ينسب اليه هو الحوادث الجامعة الذي يمتاز ببعض التفصيل عن احداث العراق الادارية خاصة .

بينما ضاعت مؤلفات ابن الساعي والكاكزوني التي ألفها خلال الاحتلال والتي فقدنا بفقدانها الكثير من تفصيلات الحياة العامة في العراق .

وهناك مؤلف عراقي آخر هو ابن العبري في تأريخه (مختصر الدول) الذي يمتاز بأهمية خاصة في التأريخ للمغول فهو يمثل وجهة نظر المسيحية نحو المغول وتعاطفهم معهم ، كما يشير الى الرعاية الخاصة التي لقيها المسيحيون لدى الابلخانيين .

ويبدو ان الاصل السرياني لهذا التاريخ يضم معلومات مفصلة عن الاحتلال المغولي للعراق اكثر مما عرضها المؤلف في ترجمته العربية لمؤلفه وقد اشارت الى ان هورث اعتمد على الاصل السرياني في تأريخه للمغول ، كما اعتمد عليه ايضاً القس سليمان الصائغ في تأريخه للموصل .

اما القسم الثاني من المراجع العربية فهي التي عاصر مؤلفوها الاحداث المغولية من موطنهم في الشام ومصر ، وهؤلاء اعتمدوا في بحوثهم على ما نقله اليهم اللاجئون

والتجار والحجاج ، بالإضافة الى المراسلات الرسمية المتبادلة بين الايلخانية والمماليك وبالرغم من افتقار هذه المعلومات الى الدقة ، إلا انها رغم المبالغاة كانت لا تخلو من تفصيلات مفيدة في كثير من الأحيان .

ومن هذه المراجع ذيل الروضتين لأبي شامة ، وذيل المرأة لليونيني ومؤلفات ابن عبد الظاهر في سيرته للمنصور قلاوون وابنه الاشرف ، والاعلاق الخطيرة لابن شداد ، ومفرج الكرب لابن واصل ، والنهج السديد لابن ابي الفضائل ونهاية الارب للنويري ، وتأريخ ابن الجزري الدمشقي ، وتأريخ ابي الفداء ، وذيله لابن الوردي وغيرهم كثيرون .

وغطى موضوع البحث فترة لا تقل عن قرن ونصف من الزمان بدأته مع بداية القرن السابع الهجري ، ولكن التفصيل فيه جاء بعد سقوط بغداد ، ويعتبر هذا الموضوع جديداً بحد ذاته في ميدان البحث العلمي ، اذ قلما تصدى احد من الباحثين لمعالجته تفصيلاً ، على اني ارى بالرغم من ذلك ثبوت الملاحظات التالية كظاهرة مميزة للحكم المغولي . وهي :

١ - تردد القول عن تعاليم الياسا كقوانين متقدمة نسبت لجنكيز خان ، والذي اراه انها مجموعة من العادات والنقايد التي سادت المجتمع القبلي قبل ظهوره ، وفضل جنكيز في ذلك انه نظمها واعطاها قوة التنفيذ لحماية مجتمعه الجديد من الفوضى التي كانت قبل ذلك .

٢ - لم يكن الحكم المغولي الايلخاني الذي خضع العراق له مستقلاً بحد ذاته وانما كان تابعاً للدولة المغولية الأم التي كان مركزها في قراقورم ثم في خان بالق على حدود الصين . ويعتبر الايلخان غازان اول من اعلن انفصاله عن طاعتها .

٣ - اعتنق غازان الاسلام وجعله الديانة الرسمية لحكمه . ويبدو لي ان المصالح السياسية كان لها دخل كبير في اسلامه وأخيه اولجايتو ، اذ ان الاسلام ليس قولاً فقط دون العمل . وبعض اعمالهما لم تكن تتفق ومصالحة المسلمين .

٤ - لم يتخل المغول بمد اسلامهم عن التمسك بأحكام اليا ساكلما وجدوا فيها مصلحة لهم .

٥ - احتفظ المغول بشخصيتهم المغوية وانعزالهم عن المجتمع الاسلامي . ولم يذوبوا فيه إلا بعد أن اكتسبهم المنازعات فيما بينهم وفقدوا سلطانهم السيامي .

٦ - لم يحاولوا ممارسة العمل الفكري واقتصروا على مهنة الحرب فقط ، لذلك لم ينبغ من بينهم عالم واحد في اي مجال علمي طيلة تسلطهم على البلاد .

وختاماً ، فاني ارجو ان اكون قد ساهمت ببعضي هذا في ازالة بعض الغموض الذي لا زال يحيط بتاريخنا العربي في هذه الفترة .

وبالرغم من انني بذلت كل ما استطعت من جهد ووقت قارب الثلاث سنوات فاني لا زلت اشعر بأن البحث في هذا الميدان يحتاج الى مزيد من جهد الباحثين ، وحسبي انني وضعت فيه لبنة ، ارجو أن تكون اساساً صحيحاً ليزري ممن يقتفون هذا الدرب من البحث .

وإذا كان لي ان اختتم حديثي فاني احس بأنني غريب احسان عدد كبير من الجنود المجاهدين وقفا من خلفي وأمدوني بما استطاعوا من تشجيع وتوجيه وذلوا أمامي الكثير من الصعاب التي لولا عونهم لكانت لآ ذات في الدرب اتخبط في ظلماته .

وإذا كان لي أن أذكر بمضهم فان اخواني الكبار وأساتذتي الثلاثة الاستاذ الدكتور حسن حبشي ، والأستاذ الدكتور عبدالنعميم حسنين ، والاستاذ الدكتور حسن احمد محمود هم خير من أنوجه اليهم بهذا الشكر والتقدير ، واني لأشهد انهم أعطوني ما عندهم ، أعطوني قلوبهم ولسانهم .

ويقودني الوفاء والعرفان بالجبل ايضاً الى الاشادة بأخي واستاذي الدكتور فؤاد الصياد الذي لم يبخل علي بمكتبته وبترجماته عن الفارسية بالكثير من وقته .

والله اسأل ان يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه انه سميع مجيب .

الباب الاول

ظهور المغول وسقوط بغداد :

- ١ - ظهور جنكيز وتوحيد القبائل المغولية
- ٢ - تعرضه للبلاد الاسلامية .
- ٣ - مواصلة أبنائه لسياسته .
- ٤ - موقف العالم الاسلامي من الغزو المغولي .
- ٥ - موقف الخلافة من الغزو المغولي .
- ٦ - زحف هولاكو وسقوط بغداد وتأثير ذلك على العالم الاسلامي .

الباب الاول :

ظهور المفلول وسقوط بغداد

لم يكبد العالم الاسلامي يستعيد شيئاً من وحدته وقوته في اواخر القرن السادس الهجري ويسترجع بعضاً من اراضيه السليبية (١) التي كانت لازالت جامعة فوق شواطئه الغربية بالشام ، حتى تعرض مع مطلع القرن السابع الهجري من جهاته الشرقية لسلسلة هجمات وحشية مخربة قامت بها اقوام شبة بدائية ما لبثت ان سيطرت في مدى نصف قرن من الزمان على معظم اقسامه الشرقية ، وحطت رحالها حول بغداد التي استسلمت لهذا الخطر الداهم عاجزاً منها عن صده فسقطت ، وسقطت معها الخلافة العباسية ، وكان هذا ايذاناً بخضوع الحضارة العربية الاسلامية الى ولاء جديد ، وثني المعتقد ، ولم يسلم الاسلام نفسه من ضغط واكراه حتى اوشك ان يكون غريباً

(١) اقصد بذلك قيام صلاح الدين الايوبي بتوحيد مصر والشام وبسط نفوذه على امارات الانابكة بالموصل وسلاجقة الروم ، وتوجيه جيوشهم نحو الصليبيين وانتصاره عليهم بموقعة حطين سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م واسترجاع القدس ومعظم البلاد الداخلية من فلسطين .

في بلاده ، مما نجم عنه تبدل في النظم وتغير في الاحكام والموازين التي كانت تسوس الناس وتنظم امر دينهم وديناهم .

وكان العراق اشد الاقطار تأثراً بهؤلاء الغزاة الذين عرفوا باسم المغول والذين هم قبائل غامضة الاصول ، وان كان أغلب المؤرخين قد أشاروا الى انهم شعب من الاجناس التركية (١) .

وانتشرت هذه الاقوام في وسط آسيا بين نهري سيحون وجيحون من الغرب حتى حدود الصين الجبلية من جهة الشرق ممتدة حتى اقصى الشمال الشرقي لاسيا (٢) .

(١) يتفق في ذلك ابن الاثير في الكامل ٩ / ٣٣٠ ، والقرماني . اخبار الدول ٢٨٣ - ٢٨٤ ، ورشيد الدين - التاريخ الغازاني ، ورقة ٢٣ ، وجامع التواريخ ٢م ١٥ / ٣١٢ ، ويشير الى ذلك ايضا Loewe: *The Mongol' C. M. H. Vol Iv P 31-32* وان اشار الى الغموض الشديد حول اصلهم وينسبهم *Conder . Latin Kingdom of Jerusalem . P. 376-26* الى نفس العرق الذي خرج منه الترك مدلا على ذلك بما هناك من ارتباط ظاهر بين لغة الجماعتين ، ولكن فاميري - تاريخ بخارى . الترجمة العربية ، ص ١٦١ حاشية (٢) يذكر الشبه بينهما ويرجع وجود قرابة تربطها ، ولم يصل بارتولد - تاريخ الترك في اسيا الوسطى ، ص ١٨ - ٣٦ الى رأي قاطع رغم محاولته استقراء الحفريات وتطور اللهجات والمعاجم القديمة ، وينقرد الصياد - المغول في التاريخ ٦ - ٧ بارجاعها الى الجنس الالثاني .

(٢) وتوسع بعضهم في حدودها حتى امتد بها غربا نحو البحر الادرياتيكي . انظر التاريخ الغازاني الورقة ٢٣ ، جامع التواريخ ٢م ١٥ ص ١٢ ، فاميري تاريخ بخارى ص ١٦١ . سليمان خليل التحفة السنية ص ١٣ .

ويمكن اعتبار هضبة منغوليا بقسميها الجبلي والصحراوي الموطن الرئيسي للحيوان القبايل (١) التي كانت تستقر في الشتاء في سهولها ومناطقها الدافئة حيث يتوفر المرعي لحيواناتهم ، وفي الصيف يستقرون في المرتفعات واطالي الجبال لمدة شهرين او ثلاثة حيث تكون المنطقة باردة وتتوفر فيها المياه والمراعي (٢) ، ومناخ هذه الهضبة قاري مما يؤدي الى تجمد انهارها وبحيراتنا فترة طويلة من أشهر السنة ، بالاضافة الى الرياح الشديدة التي تهب من المنطقة الجليدية في سيبيريا الواقعة في شمالها ، وتنعكس هذه في فصل الصيف حيث ترتفع الحرارة وتهب الاغصير المحملة (٣) بالرمال .

في مثل هذه البيئمة القاسية كانت القبائل تجري وراء المياه القليلة في الصحراء التي يعنى اسمها الجذب والفقر (٤) ، وتعتمد المرتفعات وراء العشب والمرعى ، فلا غرابة اذا انعكست هذه القسوة على سلوك هؤلاء الناس سواء في معاملة بعضهم لبعض او في

-
- «١» هوتسما - ترجمة دائرة المعارف الاسلامية م ٤ - التتر - ص ٥٧٦ .
الصيد ص ١٠ . بارتولد - ترجمة دائرة المعارف الاسلامية م ٧ - جنكيز . ص ١٢٧
منقريوس الصديقي - دول الاسلام ٢٥ مصطفى بدر - محنة الاسلام الكبرى ص ٤٨-٤٩
حافظ حمدي - الدولة الخوارزمية ص ١٠٨ .

(٢) Marco . Polo . P . 84 - 85

(٣) الصيد ص ١١ . ص ٣٦٧ . Conder p . 367

(٤) صحراء جوبي ارشامو . وذكر فاميري ص ١٦١ ، ان لفظ جوبي

لهيظ مغولي معناه الصحراء الجذباء الخاوية .

علاقاتهم مع الآخرين (١) ، وظهروا على العالم بهذه الصورة البشعة التي عرفوا بها مع مرور الزمن .

وبالرغم من وحدة اصول هذه الاقوام ، الا انهم كانوا ينقسمون الى قبائل عديدة تتزايد اعدادها يوماً بعد يوم بحكم انقسامها على نفسها وانفصالها عن بعضها حاملة اسماء جديدة لزعمائها المنشقين (٢) . ويقدم لنا رشيد الدين سجلاً كبيراً لهذه الاسماء التي تفرعت اليها القبائل وعرفت بها (٣) .

(١) بل وحتى حيواتهم لم تخل من قسوتهم . يحدثنا رشيد الدين في تاريخه الغازاني الورقة ٨٧ - ٨٨ عن معاملتهم لبعضهم انهم اذا تخصصوا جذبوا السكاكين وتجارحوا . وان الغالب على طباعهم الحسد والغضب ويحدثنا ايضاً عن قسوتهم على الآخرين . ان جنكينز لما انتصر على اعدائه التتار امر ان يقتلوا كافة ولا يبقى منهم احد ، ولم يقبل شفاعه فيهم حتى نساء الاثنتين من التتار . الورقة ٩٤ - ٩٥ .

انظر ايضاً ابن فضل الله ج٢ ق٢ مسالك الابصار الورقة ٢٣٠ وابن فضلان ص ٩٥ في طريقة ذبحهم الحيوانات « ان تكثف قوائمه ويشق جوفه ويدخل احداهم يده الى قلبه ويمرسه فركاً حتى يموت او يخرج قلبه . انظر كذلك اشارة الصياد ص ٩٢ في حديثه عن تأثير البيئة في فسوتهم وتوحشهم .

(٢) *Malcolm - Hist. of Persia - Vol. 1 p: 204* (٢)

(٣) التاريخ الغازاني الورقة ٢٧ وما بعدها تاريخ كزيدة ص ٥٦٠ - ٥٦٤

ومن هذه الاسماء التتار . الايغور . القبجاق ، الاويرات ، النايان

H. Leowe . . oPcit . p : 631 - 286



ولكن الملاحظ ان اسم التتر هو الذي غلب على هذه الاسماء جميعا ، فاصبحت هذه الاقوام تعرف به امام العالم الخارجي آنذاك بالاضافة الى اسمائها الخاصة ، وانعكس ذلك منذ النصف الاول من القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري) اسم التتر في جميع المصادر المعاصرة ، صينية كانت او اسلامية او روسية او بلغات اوربا الغربية (١) .

ويعمل رشيد الدين غلبة هذه التسمية على القبائل جميعاً في حديثه عن قوم التتر (٢) « الذين كانوا مشهورين من عهد قديم بهذا الاسم ، انهم كانوا اصحاب شوكة وجاه ، فمن عزتهم وجسمتهم كانت اصناف الاتراك على اختلاف طبقاتهم ، وكانوا يتسمون باسمهم ويطلقون على الجميع اسم التتار » على ان اشتها اسم التتر كعلم مميز لهذه الاقوام امام العالم الخارجي حتى القرن الثالث عشر الميلادي لم يكن يعنى بالضرورة ذوبان الاسماء الاخرى للقبائل فيه ، او زوال شخصيتها ، بل على العكس من ذلك بقيت هذه القبائل تمارس نشاطها المعهود ، حربا او سلماً ، محتفظة بكيانها فخورة باسمها الخاص بها . ومن هذه القبائل التي قدر لها ان تتزعم هذه الاقوام ويحتل اسمها مكان الصدارة بينها هي قبائل المغول التي خرج منها جنكيز خان .

ويؤكد هربرت لوى (٣) « ان المغول والتتار اسمان لقبيلتين كانتا تعيشان في

(١) بارتولد ترجمة جنكيز ص ١٢٦ انظر كذلك

Ency BR - Vol - 10 - p : 101 .

(٢) التاريخ الغازاني الورقة ٨٦ - ٨٨ ثم يعقد مقارنة بعد ذلك بغلبة اسم المغول عليهم بسبب ظهور جنكيز وتولية زعامتهم .

(٣) *H - Leowe . C . M - H . vol - Iv p : 630 , 632 .*

الاقسام الشرقية من وسط آسيا الى الشمال الغربي من الصين « ثم يحدد اول اشارة
لذكر المغول جاءت في المدونات الصينية في تاريخ اسرة تانك (Tang) ٦١٨ - ٦٩٠ م
ثم بعض الاشارات المتفرقة لهم في سنوات ٩٨٤ ، ١١٨٠ م .

ويرى لين بول Lane - Poole (١) ان اسم المغول لم يظهر في عالم الوجود
حتى القرن العاشر الميلادي . ويرجح انه اطلق على بعض القبائل التي انضوت تحت
قيادة زعيم كان يحمل هذا الاسم ثم استطاع بعد ذلك فرض سيادته على قبائل اخرى
دخلت في تحالف معه ومن ثم حملت اسمه ولكن بارتولد (٢) يرى رأيا اخر « هو
ان اسم المغول استعمل بايدي الامر علماء على اسرة ومملكة يحكمها جنكيز خان » ثم
صار بعدئذ علماً على شعب من الشعوب ألحق فيما يظهر بامارة صغيرة من امارات القرن
الثاني عشر الميلادي انتفض أميرها على اسرة كين (Kin) التي كانت تحكم شمال
الصين . ويمضي فيورد بعض الروايات التي نسجت لاضفاء صفة البطولة على امراء هذه
الامارة الصغيرة الذين كان من ذريتهم جنكيز خان ؛ ولكنها على كل حال روايات يتضح
فيها عنصر الشك .

ولعل رشيد الدين هو المرجع الذي اعتمده بارتولد في هذا الرأي (٣) اذ انه

(١) حسن ابراهيم ، الفرق بين كلمة تتر والمغول ص ١٣ - ١٤

Muh . Dynasty ' p : 200

انظر كذلك الدعوه الى الاسلام حاشية ص ٢٤٨ .

(٢) بارتولد ترجمة دائرة المعارف الاسلامية م ٧ جنكيز ص ١٢٧ .

(٣) لا غرابة في اعتماد المؤرخين على رشيد الدين واعتبار مؤلفه المرجع الاول

يوضح بداية المغول بقوله - « كما انه في هذا الزمان بواسطة دولة جنكيزخان واولاده الذين هم المغول الصرف ، يتشبهون كثير من الترك الذين ليسوا من المغول كقوم جلاير و . . . وغيرهم ممن يفتخرون ان يقال لهم انهم من المغول مع انهم يستنكفون من هذا الاسم في قديم العهد ، واولاد هولاء الجماعة المذكورين الآن يتصورون انهم كانوا موسومين بهذا الاسم في الزمان الاول ، وليس كذلك . وكان في الزمان السابق قوم واحد من الاتراك الذين كانوا يسكنون الصحارى يسمون بالمغول » (١) .

وخلاصة القول ان المغول - قبيلة او شعباً - كانوا جزءاً من هذه الاقوام التي عاشت في هضبة منغوليا وساهمت بنصيبها في صنع الحياة فوقها ، ولكنهم لم يلعبوا دورهم القيادي الا بعد ظهور جنكيزخان وتولييه زعامتهم ، يؤكد هذا ما أشار اليه بارتولد (٢) من ان المصادر الاسلامية لا تذكر شيئاً عن سكان بلاد المغول ولا عن أحداث هذه البلاد قبل ظهور جنكيزخان ، على حين اننا نعلم من المصادر الصينية ان التجار المسلمين كانوا منذ سنة ٩٢٤ م ٣١٢ هـ يترددون على بلاد المغول .

ومن ثم يرى البعض (٣) ان تاريخ المغول السياسي بدأ تقريباً بجنكيزخان الذي استطاع

- في هذه الوقائع ، اذ انه ذكر عند تأليفه انه قد فتحت له المخازن السرية التي تضم وثائق تاريخ المغول التي تحتوي على هذه الروايات جميعاً .

(١) التاريخ الغازاني - الورقة ٨٨ - ٨٩ .

(٢) الترك في اسيا الوسطى المحاضرة الثالثة ص ٤٣ .

3) *Ency . BR . vol . Mongolia - p : 709 . H . Leonce . C . M*
H lov Iv p : 632 - 633 :

أن يرتبطهم بتنظيمات سياسية قدر لها ان تستمر بفضل مهارته وعمق ريته حتى بعد وفاته». وليس يعنيننا هنا ان نتعرض للروايات الاسطورية التي اختلفت فيما بعد لاحاطة جنكيز واسرته وشعبه بهالة من التقديس والتعظيم (١) .

فالارجح انه ولد سنة ٥٤٩ هـ - ١١٥٥ م (٢) . وقد سمي تموجين ، وهو

(١) من الاساطير التي قيلت في نسبه ان شعاعا سماويا حل في احدى النساء التي ولدت ثلاثة اولاد كان من احفادهم جنكيز خان فلقب المغول لهذا السبب بالجنس السهائي . وبعض هذه الاساطير تقول انه ولد وفي كفه قطعة من دم . ففسر ذلك بانه يملك ويبطش ، التاريخ الغازاني - الورقة ١٩٦ - ٢٠٢ ابن تاويت - التعريف بابن خلدون ص ٣٦٠ .

Conder p : 367 Osborn - Islam under the Calipwol Baghdad . p. p : 370 - 372 :

(٢) وهو تموجين بن يسوكاي بن برتان بن قبل خان بن توميند خان بن باي سنكفور بن قيدو خان بن دوتوم منن بن بودتجر من امه الان قوت .

واشارت المراجع الاسلامية الرئيسية الى هذا التاريخ وحدد بعضهم ولادته بيوم ٢٠ ذي القعدة ، انظر التاريخ الغازاني م ٢ الورقة ٢٧٠ - ٢٧١ ، ٢٧٩ ، تاريخ كزیده ص ٥٧٢ ، ترجمته الانكليزية ص ١٤٠ ، تاريخ بخارى ص ١٦٢ موسوعة تاريخ العالم ج ٣ ، ترجمة يوسف مجلي ص ٩٢٥ ، الرمزي م ١ تلفيق الاخبار ص ٣٤٥ . الصياد . ص ١٥ .

Price -11 - Mahommedan Hist : p : 479 .

ورجح بعض المؤرخين الاجانب ان تكون ولادته في التواريخ التالية :

اسم العدو الذي كان والده يسوكاي بن برثان قد خرج لقتاله وانتصر عليه ، ثم توفي الاب تاركاً تومجين وعمره ثلاثة عشر عاماً ينتظر مصيره الغامض ويصنع مستقبله بنفسه . وقست الايام على الطفل الفاصر واثقلت الاحداث مسؤولياته عندما انقض التحالف القبلي المغولي (١) الذي كان يأتمر باسم ابيه استنكاراً منهم لزعامته الطفل واستخفافاً به . ثم لحق بهم افراد قبيلته النيرون (٢) (Niroun) الذين تخلوا عنه بعد وفاة خليفة ابيه عليهم ومدبر امره المدعو سوغوتشجين *Soughutchain* لكي يتحدوا مع

١١٥٥ م ، ١١٦٢ م ، ١١٦٧ م . انظر

O - Luttimore - Ency - BR . vol - 10 - Genghis - p : 101 -

Baxton - Mongolia (R - Br) - Sykes - 11 - Hist - of persia - p : 73 .

(١) الروايات مختلفة في هذا التحالف ولكنها لا تنفي وجوده ، وان يسوكاي كان رئيساً له ، او احد زعمائه ، وان هذه القبائل المتحالفة كانت تدفع الضريبة لاسرة كين *Kim* الصينية . انظر الصديقي ج٢ - دول الاسلام ص ٢٦٧ بارتولد ترجمة دائرة المعارف الاسلامية م٧ - جنكيز ص ١٢٧ - ١٢٨ .

sykes - II . p . 72 - 73 .

(٢) وهذا الاسم اشارة الى نقاوة اصلهم باعتبارهم من الجنس السمائي . بينما تشير حوليات اسرة كين . ان اسم القبيلة هو « قيات » وقد اخذ بهذا الاسم الدكتور الصياد ص ١٥ ، انظر ايضا

Osborn . p : 370 - 372 :

بارتولد ترجمة دائرة المعارف الاسلامية م٧ جنكيز ص ١٢٧ - ١٢٨

PRice (1) II . p : 479 .

قبائل التانجوت (١) ، وتركوه وامه واخوته يواجهون وحدهم مشقة الحياة .

لكن الام استطاعت ان تحفظ حياة صبيها وحقه في قطعة الارض الصغيرة التي تركها لهم الاب الراحل وعاشوا عيشة شظف على النباتات البرية وصيد الحيوانات الصغيرة والطيور والاسماك حتى اشتد عود الصبي وبلغ مبلغ الرجال (٢) فاحتفى باحد اصحاب ابيه وحلفائه المدعو اونك خان رئيس قبيلة الكرايت ، فوفرت له هذه الحماية ابراز مواهبه في قتال الاعداء والانتصار عليهم وكسب ود الاصدقاء وجذبهم الى جانبه وخاصة من أبناء قبيلته الذين تسامعوا بمكانته الكبيرة في مجتمعه الجديد فسارعوا للالتفاف حوله وشد ازره (٣) .

وانارت هذه المكانة التي حصل عليها توجين حسد الحاسدين من رجالات الكرايت الذين أحسوا بتأخرهم أمام تقدمه فوشوا به لدى الخان واشاعوا في نفسه

(١) التاريخ الغازاني م ٢ الورقة ٢٧٣ ، الرمزي م ١ تليفق الاخبار ص ٣٤٥ .

PRice .11 p : 480 - 481 :

(٢) وكانت اسرته مكونة من أمه أولون - ايسكي - واخوته الثلاثة ، واخوين آخرين من زوجة اخرى لآبيه . حيث يشير الى ان هذا مدون في التاريخ السري للمغول وانه كتب سنة ١٢٤١ م عندما كان بعض اصحاب جنكيز على قيد الحياة .

Powe : of cit.

انظر ايضاً من

(٣) تاريخ كزبده ص ٥٧٢ ، مسالك الابصار ج ٢ ق ٢ الورقة ٢١٧ - ٢١٨ .

الصدفي ج ٢ ص ٢٦٧ .

price . 2 . P , 481 - 482 .

الخوف على عرشه من الزوال ، واشركوا في التهمة ابن الخان نفسه مدعين تأمره عليه مع تموجين ، فأسرع الخان للقضاء على تموجين الذي خدمته الاقدار بسلامين (١) من اصحاب الخان اطلما على المكيدة فاطلما عليها ، فكانت المعركة وبالا على اونك خان الذي فر باصحابه من الميدان وذلك في شهور سنة ٥٩٩ هـ - ١٢٠٢ م ملتجئاً الى بلاط تايانك خان (*Tayang*) رئيس قبائل النايغان ، لكن ما لبث ان اغتيل بيد بعض اصحابه (٢) .

وكان هذا الانتصار مستهل عهد جديد اعتبره البعض مبدأ استقلال تموجين ، والحكم المغولي (٣) فقد تسامعت القبائل بابنائهم فسارع بعضها للانضواء تحت زعامته

(١) كافاً تموجين هذين الغلامين بعد انتصاره واستقرار امره بان منحهما لقب الطرخان وهو الذي يعنى من تقديم المؤنة او الضرائب . وعرف ستنكاس (*steingass*) الطرخان بانه الرجل الحر المعفو من الضرائب او العوائد والذي لا يخضع للعقاب حتى يذنب تسع مرات : انظر القاموس الانكليزي - الفارسي ج١ ص ٢٩٣ : الجويني ج١ جهانكشاي ص ٢٧ . جامع التواريخ م ٢ ج١ ص ١٧ حاشية (١) داود الجليبي : الفاظ مغولية في اللغة العربية . مجلة الجمع العلمي العراقي ج١ - ايلول - سبتمبر - ٩٥٠ ص ٣٧٦ .

(٢) الجويني ج١ ص ٢٦ - ٢٨ . ابن الطقطقى - الفخري ص ١٩ . الرمزي ١٠ ص ٣٤٦ . تاريخ بخارى ص ١٦٣ . ص ٨١ - ٨٢ . الصياد ص ١٨ .

price - 2 . p . 482 - 484 .

(٣) الرمزي م ١ ص ٣٤٦ .

بينما ترددت الاخرى في خوف وفزع ثم لم تلبث ان استسلمت أمام ضرباته المباغته ، ولم تمض فترة طويلة الا ودانت له قبائل الكرايت والاوريات وقنفورات وسالحيوت وغيرهم طوعا او كرها (١) .

واستغل تموجين قوته المتزايدة للتخلص من أعداء قبيلته التقليديين الذين هم قبائل التتار والقضاء عليهم نهائياً . يقول في ذلك رشيد الدين (٢) : « وطائفة التتار لما رأوا استيلاء جنكيز على باقي الاقوام ، عجزوا عن دفعه ، وكانوا أعداءه وأعداء أبيه . أمر جنكيز خان ان يقتلوا كافة ولا يبقى منهم احد ، ولم يقبل شفاعاة نساء التتار اللواتي تزوج منهن المغول ، مثل جنكيز الذي كان متزوجا من اثنتين ، وكذلك اخوه » .

واحس تموجين وهو في نشوة انتصاره بضرورة تنظيم العلاقة بينه وبين هذه القبائل التي دانت له بالطاعة والولاء ، فدعا رؤساءها الى اجتماع سنة ٥٩٩ هـ - ١٢٠٣ م تقرر فيه ان يحمل لقب الخان الى جانب اسمه (٣) .

وافرعت هذه الاحداث تايا نكك خان زعيم قبائل النايغان الذي كان يستعد للحمل

(١) الجويني ج١ ص ٢٨ ، التاريخ الغازاني م ١٣ الورقة ٩٢ - ٩٣ .

(٢) التاريخ الغازاني م ١٣ الورقة ٩٣ - ٩٤ .

Osborn . P : 372

(٣) ليست لدينا معلومات واضحة عن مقررات هذا الاجتماع او ما دار فيه . ولكنه خرج بلا شك بقرارات منها ما ذكرناه . انظر لوى ص ٦٣٢ من *Price C.M.O.H . ٥ ج٢ ص ٤٨٤ . Malcolm . ١ ج١ ص ٢٥٣ حاشية رقم ١*

لقب التاييكو من خان الختاي او سيد الصين الذي قاق بدوره لذلك توقف عن منح اللقب ، وكأ أنه اوعز بضرورة التخلص من هذا العدو الجديد (١) .

واستعد تايانك خان ، واستدعى انصاره وحلفاءه لمساعدته في القضاء على تموجين قبل ان يعجزوا عنه ، لكن احد هؤلاء الانصار (٢) رفض المساهمة في ذلك واعلم تموجين بما يدبر له : فأسرع هذا بدوره وباغت تايانك خان في عقر داره في منتصف جمادى الاخرة ٦٠٠ هـ والحق به الهزيمة جريماً الى بعض الجبال المجاورة ، ثم لم تطل به الحياة بعد ذلك ، في الوقت الذي كان ابنه كشلو قد هرب ملتجئاً الى بلاد عمه بويرق .

ولم يلق تموجين السلاح حتى اخضع قبائل الكرايت والتانجوت لزعامته بينما هرب ملوكها للاحتباء بيلاط بويرق (٣) .

عاد تموجين بعد هذه الانتصارات وقد عبد الطريق أمامه لزعامة هذه الاقوام جميعاً فدعا الى اجتماع الزعماء ثانية في مجلس او قوريلثاي عقد على ضفاف نهر اونون في ربيع سنة ٦٠٣ هـ - ١٢٠٦ ، تقرر فيه الاعتراف بسيادته على الجميع ومنحه لقب

(١) وفي هذا اشارة الى تبعية تايانك الى خان الختاي *Khatay* شأنه في ذلك شأن من سبقه من الزعماء .

(٢) وهو رئيس قبائل الاونكوت (*Onguts*) او التتار البيض .

(٣) *Price* ج٢ ص ٤٨٤ - ٤٨٦ .

Sykes - 2 - P : 74

جنكيز خان او ما معناه (١) .

ويذكر برايس (Price) (٢) ان الذين حضروا اجتماع الفوريلثاي هذا هم « أبناءه ، قواده ، واكثرية الطبقة العليا مع قلة من الطبقة السفلى من جميع مقاطعات المغول » .

ويشرح لنا مالكولم (Malcolm) (٣) الطريقة التي نظم فيها الاجتماع والتي اصبحت تقليداً سارت على نهجه الاجتماعات اللاحقة التي عقدها أبناء جنكيز واحفاده فيما بعد فيذكر : « انه بعد ان تكلم تموجين في الاجتماع ، قام سبعة من هؤلاء الخانات ورفعوا تموجين الى عرش عال في وسط الاجتماع . وفي اللحظة التي اجلس فيها على هذا العرش قدمت له التحية او الطاعة باعتباره خاقان ، وانحنى جميع الحاضرين على ركبهم تسع مرات » .

وبروي بارتولد (Barthold) (٤) جانباً من مناقشات هذا المؤرخ مبيناً الطاعة التي عرضها اعضاؤه لجنكيز بقولهم « اذا اصبحت حاكماً علينا ، فانا سنقدم الصفوف في كل قتال تشنه على اعداء لا حصر لهم ، وانا سنقدم اليك ما نغتمه من نساء

«١» الجويني ج١ ص ٢٨ ، موسوعة تاريخ العالم ج٣ ترجمة يوسف مجلي ص ٩٢٥

Osborn - p : 373

ص ٦٣٢ من C-VI-E-V الصياد ص ١٩ .

2) Mahomedan . Hist . 11 - p : 486-487 .

3) The Hist of Persia _1- p:253-254 :

«٤» بارتولد ترجمة المعارف الاسلامية م٧ - جنكيز ص ١٢٨ . الصياد ص ١٩ .

هبيات وفتيات وجياد كريمة وسوف نبرز الاقران جميعاً في ميدان الصيد ، ونعلم اليك كل ما نصيده من حيوان » .

ويعطينا ابو الغازي (١) جانباً آخر لما دار في هذا الاجتماع فيذكر « انه في هذا الاجتماع تكلم أحد الحاضرين وهو كوله ، و اشار الى ان موجين من الآن فصاعداً اعطي اللقب البادشاهي « جنكيز » وسيبقى هذا اللقب شهرة له ولاولاده من بعده » .

ويذكر دوسون (D'ohsson) « انه وضعت في هذا الاجتماع البنود او المقررات التي تضمنتها الوصايا التسع البيضاء في تنظيم الاجتماع واداب الديوان وتقديم التحية - الجوك - ومخاطبة جنكيز بوقار واحترام عندما يتقدمون لرؤيته » وكان من المقترحات ان يحمل لقب كورخان اي الخان الكبير ، ولكنه رفض ذلك وقال بان السماء أمرته ان يتلقب بجنكيز خان « (٢) .

وكان من مستلزمات الزعامة الجديدة ان يكون لجنكيز وجميع القبائل الموالية له شعار واحد يستظلون به ورسوم جديدة يعملون بها ، فكان الشعار لذلك ، العلم او

« ١ » شجرة تورك ص ١١٠ - ١١١ .

« ٢ » ويشرح لنا الدكتور زياده

D , ohsson Hist -des Mong Tom 1 p :98 -99 .

معنى لقب الخان واختلافه عن لقب الخاقان اللذين استعملوا عند المغول ، انظر المقرري ص ١٦٧ حاشية ٤ . حسن الباشا الالقاب الاسلامية ص ٢٧١ - ٢٧٤
الصياد ص ١٩ .

اللواء الابيض الكبير ذو التسع ريشات - او ذبول - الذي امر به جنكيز بالاضافة الى عرش فخرم وضع تحت اللواء ليجلس عليه في القوريلشاي (١) .

ومن الرسوم التي اختطها جعله مدينة قراقورم عاصمة قبائل التايغان كرسي مملكته واتخاذها تايانك الايفوري الذي كان قد سقط في المعركة أسيراً وزيراً له ومعلماً لابنائهم اللسان الايفوري (٢) .

وكانت خلاصة تشريعاته التنظيمية ما عرفت باسم قوانين جنكيز او « الياسا » التي كانت من اهم مقررات هذا القوريلشاي .

والياسا كما يصفها الجويني (٣) « بانها اعادة تنظيم عادات وتقاليد القبائل المغولية بعد سيطرته عليها ، فرفع العوائد الذميمة منها ، بينما أبقى على التقاليد المستحسنة » .
ومما يؤيد ذلك اننا نجد جذور كثيرة من تعليمات الياسا موجودة في عادات

« ١ » الجويني ج ١ ص ٢٨ . برايس ج ٢ ص ٤٨٦ - ٤٨٧ .

« ٢ » وكان اسم الوزير الايفوري تانا تونكو ، الجويني ج ١ ص ٢٨ ، موسوعة تاريخ العالم ج ٣ ص ٩٢٥ ، وفيها اشارة الى ان هذا الوزير اخذ الكتابة الايفورية المشتقة من الفينيقية عن طريق الارامية والصغدية القديمة والحديثة واستعملها في اللغة المغولية ، انظر ايضا تاريخ بخارى ص ١٦٣ . لوى ص ٦٣٤ من C.M.H.VI .
تقوم ابو الفداء ص ٥٠٥ في الحديث عن قراقورم .

Sykes - II - P : 74 .

سليمان خليل - التحفة السنية في تاريخ القسطنطينية ص ١٥ .

« ٣ » تاريخ جهانكشاي ج ١ ص ١٧ - ١٩ .

وتقاليد المجتمع التركي القديم الذي عاش في هذه البلاد وما جاورها . لذلك اقتصر دور جنكيز على تطوير هذه العادات واختيار الصالح منها بشكل يلائم تطور المجتمع المغولي الجديد وليس وضعها .

ويشير ابن فضلان (١) في سفارته التي قام بها في اول القرن الرابع الهجري الى كثير من العادات التي وجدها بين الاتراك الغزية والتي نجد لها شبيها في تعليمات الياسا . مثال ذلك ما ورد في عقائدهم الدينية ، ووراثة زوجة الأب ، وعدم الاغتسال بمياه النهر ، وطريقة ذبح الحيوانات وغيرها .

وقد اصبحت قوانين الياسا هذه مناراً اهتدى بها ابناؤه جنكيز واحفاده من بعده ، وكان تنفيذ تعليماتها والخضوع لأحكامها واجباً مقدساً في اغلب الأحيان ، كما ان التمسك بها والاحتجاج بتعليماتها اصبحت حجة يلجأ اليها الضعيف من ابناؤه اسرة جنكيز لاسترداد حقه . اذ كثيراً ما كانت احكامها تخرق لمصلحة القوي منهم .

واشاد مال-كولم (٢) بهذه القوانين التي وصفها « بانها غير عادية » وبانها تمثل نموذجاً عالمياً في التنظيم الاداري ، كما تتميز بتأكيدها على التسامح الديني

(١) بدأ ابن فضلان رحلته من بغداد يوم الخميس ١١ صفر ٣٠٩ هـ . الموافق ٢١ حزيران - يونيو - ٩٢١ م بامر من الخليفة العباسي المتتدر بامر الله الذي تولى الخلافة بين سنة ٢٩٥ - ٣٢٠ هـ .

انظر من الرحلة ص ٩١ ، ١٠٨ - ١٠٩ ، في الحديث عن الديانة ص ٩٤ في الحديث عن الوراثة ص ٩٥ - الذبيح .

2) *Hist of Persia -1- p: 254 :*

الذي ظهر به المغول ، وتأكيدهم على مبدأ المساواة بين رعايا الاديان المختلفة وعدم التعصب .

ولمعرفة مبعث هذا التسامح لا بد لنا ان نعرف شيئاً عن معتقدات المغول قبل ذلك .

فمن المعروف انهم لم يكونوا يعتقدون بدين ، كما ان الفزع الذي القوه في قلوب الناس ، منع ذوي الرأي والمؤرخين منهم من التحقيق ومعرفة طبيعة معتقداتهم لذلك جاءت تفسيراتهم صورة باهتة لديانهم مكتفين بالقول بانهم كانوا كفاراً لا يعبدون الله .

فابن الاثير يكتفي بالقول (١) « اما ديانتهم فانهم يسجدون للشمس » .

وكان المؤمل من الجويني (٢) ان يشرح لنا ذلك بحكم صلته بهم ، ولكنه لم يفعل واكتفى من القول بعموميته ، فذكر ان جنكيز لم يكن متمسكاً بدين معين ، وان اولاده مالوا مع رغباتهم ، فممنهم من مال الى الاسلام ، ومنهم من مال الى المسيحية ، واخرون الى عبادة الاصنام ، وغيرهم حسب قاعدة الآباء والاجداد .

ونقل عنه ابن فضل الله العمري قوله (٣) « الظاهر من عموم مذاهبهم الادانة

بواحدانية الله تعالى ، وانه خلق السموات والارض » .

(١) الكامل في التاريخ ج ٩ ص ٣٢٩ .

(٢) جهانكشاي ج ١ ص ١٨ تاريخ كزيده ص ٥٥٩ ، الصياد - ٩٤ ، ٩٨ .

بارتولد ترجمة المعارف الاسلامية م ٣ - باتو - .

(٣) مسالك الابصار ج ٢ ق ٢ الورقة ٢١٩ .

ولم يقتصر العجز على المؤرخين المسلمين بل تعداه ايضا الى الرحالة المسيحيين
فعماركو بولو (١) الذي عاش بين ظهور انبيهم اكثر من عشرين سنة ، لم يخرج بصورة
عن عقابدهم اكثر من انهم يعتقدون باله في السماء واله في الارض .
ولا شك ان المغول تأثروا كثيرا بديانات الاقوام التي اجتاحتها ديارهم وخاصة
المسيحية والاسلام (٢) ، فخففوا الكثير من غلواتهم وقسوتهم ، وأحسوا بشيء
من احاسيسهم لكي يظهروا بالصورة التي رسمها لهم الجويني بعد اكثر من اربعين سنة
من احتكاكهم بالمجتمعات الموحدة ، والتي وصفهم فيها « بانهم يحترمون رجال الدين
ويعفونهم من الضرائب » (٣) .

ولعل منكوخان سنة (١٢٥١ - ١٢٦٠) خير من عبر عن حقيقة معتقدات

« ١ » وهذه الصورة ينقلها لنا ابن فضلان قبل اربعة قرون في حديثه عن اقوام
الباشفرد من الترك ، وبانهم يعتقدون باثني عشر إلهاً منهم رب الارض ، الشتاء ،
الصيف ، الناس ، الحيوانات ، والذي في السماء اكبرهم ص ١٠٨ .

« ٢ » كانت المسيحية قد انتشرت بين القبائل المغولية ، اذ من المعروف ان قبائل
الكرايت والنايمان كانت قد اعتنقت المسيحية ، كما ان بعض افراد حاشية جنكيز كانوا
من المسلمين ، وابن العبري يشير الى الحلم الذي رآه جنكيز والذي استعان لتفسيره
ببعض رجال الدين المسيحي .

« ٣ » الف الجويني كتابه بعد سنة ٦٥٠ هـ وهذه الصورة التي رسمها لا تتفق مع
اعمال المغول في زحفهم على بخارى وسمرقند وغيرها وذبحهم حتى رجال الدين وتحويلهم
الى المساجد الى اسطبلات حيولهم .

المقول في لقائه وحديثه الى بعض القسس والذي يتمثل فيه هذا التأثير بقوله « نحن
المقول نعتقد بان هناك إلهاً واحداً له نحياً وله نموت وعندنا قلب يخفق بحبه ، لكن
الله الذي اعطى اليد اصابع مختلفة ، كذلك اعطى الناس طرقاً مختلفة ، فقد اعطاكم
الكتاب المقدس ، لكن المسيحيين لم يحافظوا عليه وقد اعطانا الشاماناس (Shamanas)
ونحن نفعل ما بأسرونا به ونعيش بسلام » (١) .

لقد مكنت مقررات هذا القوريلثاي ، والطاعة التي ظهر بها اعضاؤه ، جنكيز
خان من العمل بسرعة لفرض سلطانه على القبائل الاخرى وتحقيق وحدة هذه الاقوام
في هضبة منغوليا ، فاسرع لمهاجمة بويرق والذين احتموا به من زعماء النايماز والكرايت
ففضى عليهم في معركة نجبا منها كيشلو بن تايانك وواصل هربه للاحتباء بكورخان
(GURKHAN) امير القرمخطاي الذي اكرمه وزوجه من ابنته (٢) .

بينما تسامع اسراء اخرون بما وصل اليه جنكيز من قوة وسلطان ، فاسرعوا
يعلنون طاعتهم له وينضمون الى صفوفه ، ومنهم امير الاينغور الملقب بالايدي قوت
(Eidy Kout) الذي خلع طاعة كورخان والتحق بخدمة جنكيز الذي اصهره

« ١ » يقصد بالشاماناس رجال الدين المغولي .

Conder - p : 374 .

Lucy's Whymant , Ency - BR . 15Mongols , p : 717 .

« ٢ » مال كورلم ج ١ ص ٢٥٨ ، برايس ج ٢ ص ٤٨٨ .

- Sykes - 11 - p : 74 .

على احدى بناته (١) .

ومن المرجح انه في هذه الفترة امر جنكيز باطلاق اسم المغول رسمياً على جميع الاقوام التي دانت له . والتي كانت في السابق تسمى نفسها باسم التتر ، وذلك تحقيقاً للوحدة السياسية للدولة التي رسخت جذورها بعد هذه الانتصارات (٢) .

ولكن استقلال جنكيز خان لم يتم رسمياً الا بعد ان حدد علاقته وموقفه من امبراطور الصين (٣) .

اذ من المعروف ان جنكيز كان خلال الفترة السابقة تابعاً من الناحية النظرية على الاقل الى امبراطور اسرة كين الصيني ، وانه قد تعاون في بعض عملياته العسكرية ضد التتار مع جيوشه ، وقبل منه اللقب الذي منحه اياه الامبراطور المذكور (٤) .

«١» ابن العبري - تاريخ مختصر الدول ط ١٩٥٨ ص ٢٢٩ الصياد ص ٣١ .

برايس ج ٢ ص ٤٨٨ . بارتولد - ترجمة المعارف الاسلامية م ٤ - ييش بالث ص ٤١١ .

«٢» هوتسا . ترجمة المعارف الاسلامية م ٤ - التتر - ص ٥٧٧ . حسن ابراهيم

الفرق بين كلمة تتر والمغول . حاشية ص ١٣-١٤ . علي ابراهيم - دراسات في تاريخ

الممالك البحرية ، حاشية ص ١٤٣ .

«٣» كانت بلاد الصين موزعة بين اسرتين ، فالقسم الجنوبي تحكمه اسرة سنك

(Sung) والشالي تحكمه اسرة (كين) التي كانت اراضيها مجاورة لدولة

جنكيز الجديدة .

«٤» المعارف البريطانية م ١٠ - جنكيز - ص ١٠٢ ، وهو يعلل ذلك بان

يؤكد ذلك ما ورد في التاريخ الصيني (١) من ان جنكيز كان احد اتباع امبراطور (كن) ويدفع له الضريبة .

ومن المرجح ان جاهر بعدائه للامبراطور الصيني سنة ١٢١١ م - ٦٠٨ هـ ، وقاد الجيوش لغزو بلاده بنفسه ، الا انه جرياً على سياسته في استغلال الفرص وجس النبض لمعرفة قوة اعدائه ، قد تحرش قبل ذلك بثلاث سنوات ١٢٠٨ م ببعض مقاطعات الامبراطور المذكور ، وانتصر على بعض جيوشه وتوغل في زحفه الى داخل الجدار الصيني العظيم .

وعاد جنكيز الى حاضرتة قراقورم مظفراً سنة ١٢١٤ م - ٦١١ هـ ، بعد ان احتل معظم بلاد الامبراطور الصيني الذي هرب الى الجنوب ناركا ابنه ليدافع عن العاصمة بكين (*Chunq-Tu*) التي حاصرها القائد مكولي الذي خلف جنكيز في قيادة الجيش ، فاستسلمت له سنة ١٢١٥ م ، واستمر هو في تقدمه يخرب ويدمر ، مما دفع بالامبراطور الى التماس الصلح من جنكيز وارسال ضفييره اليه سنة ١٢٢٠ م (٢).

سياسة جنكيز كانت تقوم على انتهاز الفرص واستغلال المحالعات ونقضها عند الحاجة الصياد ص ٢٢ .

1) *BRetschninder vol - 1 - Mediaeval Researches in the Eastern Asiatic Sources p . 26 .*

«٢» الصياد ص ٢١ - ٢٣ .

L . Hart . Ency - BR - 15 - Mongols . p : 707 .

المعارف البريطانية م ١٠ جنكيز ص ١٠٢ ، لوي ص ٣٣٣ من

C - M - H - IV

ولم يستقر جنكيز بمد عودته طويلا اذ كان عليه ان يتخلص من بقية اعدائه في الغرب ، فاستغل حالة الضعف التي اصابته عدوه كشلوخان الامير النايغاني الذي كان قد استولى غدرآ على عرش القره خطاي (١) فوجه قائده النويان شيبي (Chebe) سنة ١٢١٨م نحوه ، وكان كشلو مشغولا بالقضاء على تمرد كاشغر فلم يستطع التصدي لهذا الجيش وفضل الهروب الى رؤوس الجبال ، وسرعان ما سقط اسيراً بيد مطارديه الذين أرسلوا رأسه الى جنكيز (٢) .

«١» كان كشلو قد لجأ الى حماية القره خطاي الذي اكرمه وزوجه من ابنته لكنه بعد ان استقر قليلا طمع في عرشه فدبر عليه مع اعدائه خوارزمشاه وصاحب سمرقند ، وقام هو بجمع ابناء عشيرته فكون منهم جيشا ، ثم طعن عمه وولي نعمته من خلفه فسقط اسيراً بيده ، واعتلى عرشه ، على ان سلو كه لم يكن مرضيا ، فانفصل عنه حليفه امير المكرايث ، وثار عليه المساهون في كاشغر وخوتان لاضطهاده لهم ، انظر ابن الاثير ج٩ ص ٤٩٥ ، التاريخ الغازاني م ٢ الورقة ٣٥٣ - ٣٦٠ تاريخ بخارى ص ١٥٥ الصياد ص ٣١-٣٢ .

Bretschneider -1- p : 230-231. Sykes 11 .p.74-75 .

برائيس ج٢ ص ٤٩٢ - ٤٩٥ .

«٢» لاتييار - المعارف البريطانية م ١٠ - جنكيز - ص ١٠٢ .

Bretschneider -1 p : 233 .

برائيس ج٢ ص ٤٩٥ - ٤٩٧ . النسوي - سيرة جلال الدين منكبرتي ص ٤٦ - ٤٨ .

تعرض جنكيز خان للبلاد الاسلامية

جاورت املاك جنكيز حدود الدولة الخوارزمية بعد ان ارتفع كشلو خان بالقره خانيه من بينهم وبدأت مناوشات بين الطرفين تثير القلق في نفس خوارزمشاه علاء الدين محمد الذي اصبح مضطراً لقضاء فترة طويلة من السنة وخاصة اشهر الصيف على الحدود للشرقية لدفع خطرهم (١) .

وكان الاصطدام متوقعا بين الطرفين في كل لحظة مادامت اسبابه ودوافعه متوفرة عندهما والمنتملة في مطامح جنكيز ورغبته في التوسع (٢) .

(١) ابن الاثير ج ٩ ص ٣٠٨ .

Barthold • Turkestan Down to the Mongol Invasion .

p : 372 ' 375 .

ويعلل بارتولد ان سبب عودة خوارزمشاه عن بغداد كانت بسبب تعرض بلاده لهجماتهم .

(٢) لوي ص ٦٢٣ - ٦٢٤ من

C . M . H . IV

L . Hart , Ency ; BR , 15] . Mongol , p : 707 .

براون *Browne* ج ٢ تاريخ الادب في ايران - ترجمة الشواربي ص ٥٥٧ .

واختلفت الآراء في عوامل هذه الحرب (١) ولكنها جميعاً تؤكد ان سببها المباشر هو مذبحه اترار التي راح ضحيتها جميع التجار الذين وردوا من بلاد جنكيز خان (٢) .

فوزير جنكيز خان الصيني الذي رافق الحملة يتحدث عن وصوله اترار بقوله ان حاكم هذا المكان امر بقتل رسل جنكيز وبضع مئات من التجار واستولى على اموالهم ، وكان هذا هو السبب في سير هذه الحملة ضد سكان الغرب «٣» .

وبؤ كدهذا المؤرخون المسلمون الذين كانوا على قرب من الاحداث كالجويني والجوزجاني وابن الاثير والنسوي (٤) ، حتى ان بعض المؤرخين من الاجانب

(١) وصف ابن الاثير ج٩ ص ٣٢٩ - ٣٣٠ ، هذه الحرب بالكارثة التي لم يصب العالم الاسلامي بمثلا ، حتى انه تردد في ذكرها لانه كجا يقول كان ينمى الاسلام والمسلمين بها ، انظر كذلك ما نقله السيوطي عن الموفق عبد اللطيف البغدادي صاحب الاعتبار من وصف لهذه الحادثة - تاريخ الخلفاء ص ٤٦٧ و كذلك وصفها براون ج٢ تاريخ الادب في ايران ، ص ٥٤٥ ، بمثل هذا المعنى .

(٢) ويسمى النسوي حاكم اترار بنال خان ، بينما سماه الجويني غير خان مع العلم ان هؤلاء التجار قدموا البلاد وفقاً لاتفاقية تجارية كان خوارزمشاه قد عقدها مع جنكيز خان ، النسوي ص ٨٢ - ٨٥ .

3) *BRetzschneider - 1- p 20, 276-277.*

(٤) ابن الاثير ج٩ ص ٣٣١ ، الجويني ج٢ ص ١٠٠ ، النسوي ص ٨٥ وهو يشير الى مراسلة جنكيز خوارزمشاه بعد مقتل التجار ويطالبه بالتعويض بشخص اينال

استماروا عبارة الجويني في ذلك عندما قال « ان مذبحه اترار جرت على المسامين
المصائب وان كل قطرة من دماء هؤلاء التجار قد كفر عنها المسلمون بسيل
من الدماء » (١) .

اما ما اشار ابن الاثير من لمز وغمز في قوله : وقيل في سبب خروجهم الي بلاد
الاسلام غير ذلك مما لا يذكر في بطون الدفاتر ثم انشاده بيت الشعر التالي :

فكان ما كان مما امت اذكره فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

فانني لا اتفق مع الذين ذهبوا في تفسيره الى اتهام الخليفة الناصر لدين الله

باتصاله بالمنقول ودعوته لهم بمهاجمة الخوارزميين ، وقد ناقشت ذلك في بحث سابق (٢)

خان الذي اعتدى على التجار او يستعد للحرب . الجوزجاني - سياسة الامصار في
تجربة الاعصار - المسمى ايضاً در تاريخ ال جنكيز ص ١٢ - ١٣ . اما ابن العبري
ص ٢٣١ فانه يتحدثنا عن غضب جنكيز وتفكيره في الانتقام ثم ظهور احد القسس له
في النوم يشجعه على ذلك بقوله (لا تخف افعل ما شئت فانك مؤيد) .

(١) تاريخ بخارى ص ١٥٨ - ١٥٩ ، ونقله عنه حافظ حمدي في الدولة

الخوارزمية ص ٧٤ .

براون - تاريخ الادب في ايران ج ٢ ص ٧٥ ، الصياد ص ٥٢ - ٥٤ ، وعلق

كذلك على الحادثة السيوطي تاريخ الخلفاء - تحقيق محيي الدين - ص ٤٦٩ ،

والنسوي ص ٨٨ .

(٢) انظر البحث الذي تقدمت به لنيل درجة الماجستير بعنوان (الحياة

السياسية في العراق في العصر العباسي الاخير) ص ١٧٧ - ١٧٨ ، مكتبة جامعة القاهرة

قسم الرسائل .

وخرجت منه بان هذا الاتهام ينصرف « الى تقصير الخليفة الواضح وعدم تقديره لمسؤولياته كخليفة للمسلمين وتقاعده المتعمد عن الخطر الذي هدد البلاد بمد ان اعماه الحقد على خوارزمشاه فسهل بذلك على المغول القضاء على هذه الامارة الاسلامية ، وبينت استحالة اتصاله بالمغول في ذلك الوقت .

وقد رأيت ان السبب الحقيقي لهذه الحروب يكن في الحياة القاسية التي يعيشها هؤلاء في صحرائهم ، وعجز البيئة الفقيرة عن امداد ابناءها الذين كانوا يتكاثرون بسرعة ، بحاجتهم الطبيعية الى الغذاء والكساء ، فكانوا مضطرين دائماً الى الهجرة الى البلاد المجاورة لهم او السطو على خيراتها ونهب ثمارها .

هذا بالاضافة الى عامل مهم جديد طرأ على حياتهم وهو التكوين السياسي القوي الذي جمع شملهم ووحّد كلمتهم ، وما عرف به قائدهم جنكيز من طموح ورغبة في التوسع (١) .

— ومن المؤرخين المسلمين الذين فسروا القول باتهام الخليفة الناصر ، ابن الفرات المتوفي ٨٠٧ في تاريخ الدول والملوك م الورقة ٩٨ ، ونسج ميرخوند المؤرخ الفارسي الذي عاش بعد ابن الفرات بقرن من الزمن ، نسج على هذا الاتهام ورتب طريقة اتصال الخليفة بالمغول بواسطة رسول حلق رأسه وكتبت عليه الرسالة ثم ارسل بعد نحو شعره ، ونقل هذا التلفيق الرمزي في تليفقه للاخبار م ١ ص ٣٤٦ - ٣٥٠ ، وكذلك بنى تشنر *Taeschner* مقالة عن الخليفة الناصر في دائرة المعارف الاسلامية ص ٨٦١ على هذا الاساس .

(١) كان جنكيز محتاجاً الى هذا التوسع ، ان لم يكن رغبة فيه ، فرغبة في تصريف الطاقات المخزونة في نفوس القبائل التابعة له ، لئلا تنفجر على بعضها في حروب داخلية كما كانوا متعودين .

واشار ابن الاثير صراحة الى مضايقتهم الاقتصادية على يد خوارزمشاه اثر سلبهم بلاد ما وراء النهر من الخطأ واملاكهم ومحاربتهم الخوارزميين ، فلذلك منع عنهم الميرة والكسوات وغيرها (١) .

ويؤكد هذا الدافع ايضاً ديورانت في حديثه عن سبب غزوات المغول قوله: « ان ما اصاب الاقاليم الممتدة بازاء حدود الصين الشمالية الغربية من جفاف قد احالها الى صحراء جدباء عاجزة عن الوفاء بحاجة اهلها الأتوياء ، فاندفع المغول الى شن الغارات لامتلاك بلاد اخصب من بلاد واوفر منها رزقاً » (٢) .

وتوقع اغلب الدارسين للتطور السريع للدولة المغولية الجديدة ، ان الحرب آتية لا شك فيها نتيجة لسلوك السياسي الذي اتصف به جنكيز والمتمثل في الطمع الشديد وافتهاز الفرص فضلاً عن ضغط العوامل السابقة ، هذا بالإضافة الى (٣) « ان كل غاز لاقليم تركستان كان لا بد وان يغير عاجلاً او آجلاً على الهضبة الايرانية ، اذ لا يعقل ان المغول كانوا يكتبون بمركزهم في اسيا الوسطى ولا ينساحون نحو الجنوب الغربي » .

(١) ابن الاثير ج٢ ص ٣٣١ . الفزاز - الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الاخير ص ١٧٩ .

(٢) ديورانت قصة الحضارة ترجمة محمد بدران ٤/٢٢٢-٢٢٣ .

(٣) الصياد ص ٥٤ . انظر ايضا لوي ص ٦٣٤ من

C- M - H - IV

L . Hart . Ency - BR -15- Mongols . p : 707 .

وكانت مذبحجة التجار في اترار هي القتل الذي فجر طموح جنكيز وجعله يسرع للتنفيذ عن غريزته الطبيعية في الذبح والحرق والتدمير ، فزحف بجيوشه الجرارة يساعده في قيادتها ابناءؤه الاربعة وبعض حلفائه واعوانه من زعماء القبائل مثل امير الايفور ، وامير المالق ، وامير الكارلوك ، وبقدر ما كان جنكيز في زحفه متحفزاً قوي العزيمة شديد الرغبة في الانتقام (١) ، بقدر ما كان خوارزمشاه علاء الدين محمد متردداً لا يدرك ما يعمل بعد مذبحجة التجار ووصفه لنا ابن الاثير وهو في هذه الحالة بقوله (٢) « فندم خوارزمشاه على قتل اصحابهم واخذ يفكر في خطرهم ، فاستدعى الشهاب الحيويني وهو فقيه فاضل واستشاره بالامر الذي وقع والخطر الذي يتهددهم ، فأشار عليه بخطة ، فلما استشار اسراء اشاروا عليه برأي آخر ، فبينما هو في الاستشارة اذ وردهم رسول جنكيز خان يتهددهم فردوا عليه بجواب الاستعداد للحرب » .

وأدى به هذا الارتباك والانهيار الى إساءة التدبير في رفع الخطر ، فلم يعد قادراً على وضع الخطط للملاقاته ودفع شروره ، بل وسهل على العدو النجاح في مهمته عندما لم يجزؤ على التصدي له والدخول معه في معركة واحدة بل عمد الى قواته فوزعها على المدن لتحميها ونكص على عقبيه هاربا الى داخل البلاد يحمل اليها الهامع

(١) جهانكشاي ج ١ ص ٦٢ ، الصياد ص ٥٥ .

(٢) السكامل ج ٩ ص ٣٣١ ، وهو لا يشير الى قتل المرسل . ويشرح النسوي

ص ٨٧ - ٨٨ هذا الفزع بوضوح حتى انه يكاد يقول بان خوارزمشاه اوشك ان يدفع بالقاتل الى رسل جنكيز « لولا ان امسك عن تسيره اليه على رعب خامر قلبه وخوف

والتخاذل ، معلنا عزمه على جمع الجيوش والعودة لاجادها (١) .

واستغرقت حملة جنكيز هذه قريبا من خمس سنوات بدأها في خريف سنة ٦١٦ هـ - ١٢١٩ م متوجها نحو اترار وفق خطة عسكرية دقيقة اشاد بها المؤرخون وحقق بفضل تطبيقها انتصارات ساحقة في فترة قصيرة من الزمن (٢) . وقبيل وصوله اترار ، وزع قواته حسب خطته على ابناءه .

وقاومت اترار جيش -غايي واوكتاي اكثر من خمسة اشهر استبسل فيها اينال خان الذي كان بحس ان سلامته في استمرار مقاومته ، حتى سقط جميع ابطاله من حوله وبقى وحيداً يصارع الغزاة بالحجر ، ولولا خيانة بعض قواده لطالت مقاومته ثم اقتيد حياً الى معسكر جنكيز الذي اناله من العذاب ابشع الوانه تشفياً لقتله التجار (٣) .

سلب له ، اذ كان لا يمكنه تسييره واكثر العساكر ورتوت الامراء من اقاربه والمتحكمين في دولته ، واعتقد انه لو لاطف جنكيز في الجواب لم يزد ذلك الاطعما فيه ، فتمسك وتجدد وابي ، الدولة الخوارزمية ص ٧٣ - ٧٤ .

(١) ابن الاثير ج٩ ص ٣٣؛ ووصف لنا ياقوت تخاذل السلطان وهروبه وانه قد هان عليه ترك المملك وانتقد النسوي ص ٨٩ - ٩١ ، جلال الدين ص ٨٩ - ٩١ كذلك خوارزمشاه في توزيعه الجيوش على المدن في هربه . تاريخ بخارى ص ١٧٧ الفزاز الحياة السياسية في العراق ص ١٧٩ .

(٢) ابن الاثير ج٩ ص ٣٣٦ .

(٣) النسوي ص ٩١ ، تاريخ بخارى ص ١٦٥ - ١٦٦ . الصياد ص ٥٧ - ٥٨ .

BRetzschneider - 1 - p . 278 .

وتولى ابنه جوجي تنفيذ الشرط الثاني من الخطة بزحف نحو جند واستيلائه عليها وبذلك سيطر على القسم الغربي من بلاد ما وراء النهر ، وقطع اتصال الخوارزميين به .

وقام بعض قواد جنكيز بتنفيذ جزء آخر من الخطة بالزحف نحو بناكت وخجندة ، ونجحوا في ذلك بالرغم من البطولة التي أبدتها تيمور ملك حاكم خجندة والذي أصبح مضرب المثل « (١) » .

أما جنكيز فقد زحف بالجيش الرئيسي نحو بخارى يرافقه ابنه تولى ، ونجح في الوصول إليها في غرة ذي الحجة ٥٦٦٦ هـ - ١٢٢٠ م فلم تصمد امامه الا اياماً قليلة خرج بعدها اعيانها يلتمسون منه الامن والسلام ولكنها لم تنج من المجزرة فتحوات بعد ايام الى حطام ورماد « (٢) » .

ثم جاء الدور على سمرقند ، وهي اكبر مدن بلاد ما وراء النهر واكثرها اهمية

«١» تاريخ بخارى ص ١٦٦ - ١٦٨ ، الصياد ص ٥٨ - ٦١ .

BRetschnider - 1 - p . 278 .

«٢» ابن الاثير ج ٩ ص ٣٣٢-٣٣٣ . النسوي ص ١٠٠ الجوزجاني - تاريخ

ال جنكيز ص ١٤ . تاريخ بخارى ص ١٧٠ - ١٧٣ .

الصياد ص ٦١ - ٦٤ وهو ينقل عن الجويني ج ١ ص ٨٣ قول احد الذين فجوا من مذبحتها ووصل الى خراسان وسئل عما فعله المغول فقال : لقد اتوا فخرى واحرقوا وقتلوا ونهبوا ثم ذهبوا) . بارتولد ترجمة المعارف الاسلامية م ٣ - بخارى - ٤١٢ .

وكان جنكيز قد حسب حسابا في خطته فرتب ان تلتقي جميع قواته الزاحفة حول اسوارها ، وكان على علم تام بتفصيلات واسرار القوة الكبيرة الموضوعه (١) فيها وربما كان مرد ذلك الى انهيار معنويات الاسراء الخوارزميين وخيانة بعضهم والتحاقهم بصفوف المغول بدعوى انهم من جنسهم ، وكشفهم ما وجب ستره من الاسرار ، والادلة على ذلك كثيرة (٢) .

على ان النسوي (٣) يكشف لنا عن رأس الخيانة بذلك عند ذكره حضور بدر الدين المميد نائب وزير السلطان في اترار عند جنكيز وأشار اليه ببعض المعلومات ودبر معه بعض التدابير التي ساعدت على نجاح حيلة جنكيز في التفريق بين خوارزم شاه وامه وقواده ، كل ذلك تشفيماً من السلطان .

«١» تاريخ بخارى ص ١٧٣ . بارتولد - الترك في وسط اسيا ص ١٦٢ ، وكانت حاميتها تتألف من ٦٠ الف من الترك ، ٥٠ الف من التاجيك .

«٢» كانت الدولة الخوارزمية تضم اقواماً غير متجانسين في كثير من الاحيان وكان الجيش نموذجاً لهذا التباين . ففيه من الترك ، ومن التاجيك ، وكان جنكيز يدعو الترك منه الى الالتحاق بصفوفه بدعوى القرابة ، وكثيراً ما يستجيب هؤلاء لمغرياته .

وينقل بارتولد : الترك في وسط اسيا ص ١٦٢ - ١٦٣ عن احد مؤرخي القرن الثالث عشر الميلادي قوله ان الصداقة الحقة لا يمكن ان تتوثق عراها بين الترك والتاجيك . ويشير النسوي في سيرة جلال الدين ص ١٠١ الى انضمام احوال السلطان نفسه الى جنكيز .

«٣» سيرة جلال الدين منكبرتي ص ٩٢ - ٩٣ .

وبالرغم من القوة الكبيرة التي تجتمعت حول اسوار سمرقند ، فان جنكيز لجأ الى اساليب اخرى لاحكام الحصار عليها ، والقاء الرعب في قلوب حاميتها وسكانها ، من ذلك استخدامه ما تعود المغول على استخدامه من جمع الاسرى وسكان المدن المفتوحة ، ووضعهم في مقدمة الجيش الزاحف عند الحصار لايهاام المحاصرين بقوة المحاصرين وكثرة عددهم ، ونجح جنكيز في حيلته ، فلم تمكث اسوار المدينة وحصونها امامه غير ثلاثة ايام استسلمت بعدها في يوم عاشوراء ٦١٧هـ / ١٢٢٠ م ، بسبب الخوف والاغراء ، ولكنها شاركت بخارى مصيرها ، ولم يسلم من الذبح حتى الذين وعدوا بالعفو من الجند باعتبارهم من بنى جلدتهم (١) .

وبسقوط سمرقند ، تمت لجنكيز السيطرة على معظم بلاد ما وراء النهر الا بعض مناطق داخلية لم تظل مقاومتها ، وانفتحت امامه ابواب خراسان وبقية الولايات الغربية التي لم تكن مستعدة للقتال .

وكان جنكيز يدرك أن بقاء خوارزمشاه سيحول بينه وبين السيطرة على البلاد والحلود الى الراحة ، لذلك انتدب قائديه شيبى وسبوتاي *Chebe , Subutai* لملاحقة خوارزمشاه وجهازها بفرق من جيشه سماها ابن الاثير بالفرق الغربية (٢) .

(١) ابن الاثير ج ٩ ص ٣٣٣ - ٣٣٤ ، الجوزجاني تاريخ ال جنكيز ص ١٤ تاريخ بخارى ص ١٧٣ - ١٧٥ الترك في وسط اسيا ص ١٦٣ ، الصياد ص ٦٤ - ٦٦ وهو يشير الى ان من بين الذين احجموا عن قتال المغول كان طغاي خان خال السلطان وقائد جيشه .

(٢) ابن الاثير ج ٩ ص ٣٣٤ . الجويني ج ١ ص ١١٢ ، ابوالفداء ج ١ ص ١٣٣ .

اما خوارزمشاه فكان كما ذكرنا قد غلب عليه الخور والهلع ، وهام على وجهه لا يلوى على شيء ، وزاد من رعبه ما بلغه من سقوط بخارى وما اصابها من ضيم ، وما اصابه من مخاذل الناس عنه والتحاقهم بالمنقول ، حتى كان منهم اخواله ، حينئذ انقطع امله من البلاد واصبح كما يقول النسوي (١) « ومن هناك وهى الامر وانبتق السكر وانقصمت العرى ، وانتقضت المراير والقوى ، وليل كل سرير انتفاض ، واكل امر انقراض كذلك يؤتى الله الملك من يشاء وينزعه عن من يشاء ، وهو الفعال لما يريد » (٢) .

وتنقل السلطان في هربه من جيحون الى نيسابور الى بسطام الى الري ، الى مازندران ولم يفكر خلال ذلك بالوقوف قليلا والتصدي لهذه الفرق المغربة بالرغم من انه ملك اسباب القوة في بعض هذا الطريق » (٣) .

وقيل انه فكر في اللجوء الى بغداد ، ولكنه لم ينفذ ذلك خوفا من السقوط بايدي مطارديه ، ومن خلال متاهات مازندران وشعابها ، استقر خوارزمشاه في قرية

«١» النسوي ص ١٠١ وهو يعتبر خير من رسم لنا خط سير السلطان في هربه وما اصابه من صعاب وما نسب اليه من احاديث انظر ص ١٠٠ - ١٠٨ .

«٢» القرآن الكريم - سورة البقرة ٢ الآية ٢٤٧ ، ملاحظة استشهد النسوي هنا بالمعنى وليس بالنص . سورة آل عمران ٣ الآية ٢٦ .

«٣» كان ذلك عندما نزل في مرج دولت اباد من اعمال همدان فاجتمع به ابن غياث الدين ومعه جيش كبير .

ابسكون على بحر الخزر القريبة من استراباد (١) . ثم لجأ الى احدى الجزر القريبة منها عندما داهمه مطاردوه بقودهم كبودخانه احد اعدائه ، حيث قضى فيها بقية أيامه ومات غريباً طريداً فقيراً (٢) .

اما جنكيز ، فانه بعد ان ودع الفرق المخربة وزودها بتوصياته ، تفرغ ثانية لتأمين سيطرته على البلاد واكمال اخضاعها ، فعاد توزيع جيوشه مرة اخرى ، واذا استثنينا المقاومة التي ابدتها عاصمة الخوارزميين او كنج - جرجانية باعتبارها آخر القلاع الخوارزمية المحصنة ، مستغلة الى حد ما النزاع الذي قام بين ولدي جنكيز (٣) ، فضلاً عن حصانة موقعها الجغرافي بفضل نهر جيحون ، فاننا لا نلمس شيئاً من المقاومة

«١» ذكرها النسوي - الاستناد ، واحتمل محقق النسوي ان تكون استناباد او استناوند معتمداً على ياقوت . وارى مع القائلين بانها استراباد القريبة من ابسكون معتمداً في ذلك على الاصطخري - المسالك والممالك - تحقيق ومراجعة الحسيني وغربال ص ١٢٥ . اما الجزيرة التي لجأ اليها فهي جزيرة اغورد جالي ، او كيرجن ، تاريخ بخارى ص ١٧٧ حاشية (٣) .

«٢» وكانت وفاته في اواخر سنة ٦١٧ هـ - ١٢٢٠ م ، الجويني ج ٢ ص ١١٤ - ١١٧ ، السرقتدي - تذكرة الشعراء ص ٨٤-٨٧ ، ويجعل وفاته في ٢٢ ذي الحجة . تاريخ بخارى ص ١٧٦ - ١٧٨ يجعلها في ذي العقدة الصياد ص ٦٨ - ٧٠ ، ويجعلها في شوال ، الدولة الخوارزمية ص ١٢٧ - ١٣٠ .

«٣» وهما جوجي وجغتاي الامر الذي دفع جنكيز الى اعطاء القيادة لآخيه

الثالث اوكتاي .

امام تولى الابن الرابع لجنكيز الذي يغترق خراسان ، او امام جنكيز نفسه الذي توجه نحو ترمذ حتى الطالقان .

وكان ابن الاثير (١) عنى هذه الولايات بقوله « فان هولاء والتمر ، انما استقام لهم هذا الامر لعدم المانع ، وسبب عدمه ان خوارزمشاه محمد كان قد استولى على البلاد وقتل ملوكها وافنائهم وبقي وحده سلطان البلاد جميعها ، فلما انهزم منهم لم يبق في البلاد من يمنهم ولا من يحميها » .

وكان جنكيز في زحفه كأنه ذاهب الى نزهة وليس الى حرب ، فكان يشتي في سهول منطقة ، ويصطاف في مرتفعات اخرى ، حتى استقر بالطالقان حيث التحق به ابنه تولى « (٢) . ورغم انهما لم يلقيا مقاومة تذكر في زحفهما ، الا ان مصير المدن التي استسلمت ليهودها مثل بلخ ، ونساء ، ومرو ، ونيسابور ، لم يكن باحسن من نهاية بخارى وسمرقند واوركنج حتى ان الحيوانات في نيسابور لم تخلص من وحشيتهم (٣) .

«١» الكامل ج ٩ ص ٣٣٠ .

2) *BRetschnider -1- p 281* .

«٣» ابن الاثير ج ٩ ص ٣٤١ - ٣٤٣ ، الصياد ص ٧٧ - ٨٢ .

BRetschnider - 1 - p . 280-281 .

النسوي ص ١١٣ - ١١٥ ، ١١٧ - ١١٩ .

Osborn : p . 383 387 .

هارتمان (*Hartman*) ترجمة المعارف الاسلامية م ٤ - بلخ - ص ٨٠ .

ويرى براون (١) ان المغول ازدادت قسوتهم وغلظتهم بازدياد نجاحهم ونفوذهم فلم نعد بعد الآن نسمع بمحاذة واحدة اظهروا فيها قليلا من الرحمة والشفقة حيال سكان المدن البائسة التي وقعت تحت ايديهم ، بل اخذوا يبيدوهم عن آخرهم في غلظة وفضاعة .

أما المرة الوحيدة التي احس فيها المغول بوجود جيش خوارزمي يتصدى لهم في ميدان مكشوف ويشتبك معهم في معركة ، فكانت في منطقة غزنة ، ذلك بفضل جلال الدين الذي كان قد انسحب اليها مع بعض اصحابه فتجمع حوله الجند (٢) وانتصر في معركة على المغول الذين بعشهم جنكيز لمطاردته ، واستمقذ من ايديهم عدداً كبيراً من اسرى المسلمين ، فكان لانتصاره هذا رنة فرح بين المسلمين وائر عظيم في رفع معنوياتهم (٣) وكان ذلك تحدياً لجنكيز خان واثار حدة غضبه فأقسم

«١» تاريخ الادب في ايران ج ٢ ص ٥٥٩ . وهو ينقل عن ابن الاثير والجويني تقريراتهم لعدد القتلى .

«٢» كان جلال الدين بعد ان اوصى له ابوه بالعهد من بعده بدلا من اخيه قطب الدين ازلاغ شاه لما توسمه فيه من الشجاعة والرجولة ، قد توجه بعد وفاة والده بالجزيرة الى العاصمة اوركانج . ومع اخوته ، لكنه احس بانكار احوال اخيه لسلطنته وتآمرهم عليه فنجا ببعض اصحابه نحو خراسان ثم استقر بغزنة ، وقد فصل النسوي ذلك ص ١٢٠ وما بعدها حتى ١٣٤ .

«٣» ابن الاثير ج ٩ ص ٣٤٣-٣٤٤ ، الجويني ج ٢ ص ١٣٤ - ١٣٩ ، النسوي ص ١٥٤ - ١٥٥ ، الجوزجاني - تاريخ ال جنكيز ص ٢٠ ، التاريخ الغازاني -

ان يقود الجيش بنفسه ، وكان من سوء حظ جلال الدين سوء طالع المسلمين معه ان لا يقدر هذا الجيش المسلم المنتصر مسؤوليته في هذا الظرف العصيب ، فينقسم على نفسه ويختلف قاداته بسبب غنائم تافهة ويعجز جلال الدين عن رأب الصدع ولم الشمل فيتفرق الجند من حوله بالرغم من توصلاته بقاداتهم (١) ، وبحس انه لا قبل له بالجموع الزاحفة فيقرر التراجع الى حوض السند ليحتمي بعبوره لكن جنكيز يعاجله قبل ذلك ويكرهه على معركة غير متكافئة يبدي فيها جلال الدين من ضروب البطولة ما ينصدع له قلب جنكيز فيقف مشدوهاً وينزع اصحابه من ملاحظته وهو يعبر السند ، ثم يقول لابنائهم « ينبغي ان يكون للاب ابن مثل جلال الدين ، وحيث انه قد نجا من الفرق والنار ووصل الى الساحل سالماً ، فسوف تتولد عنه اعمال كثيرة ومتاعب لا حصر لها بالنسبة اليها ، واذن فكيف يستطيع الرجل العاقل ان يغفل عنه » (٢) .

وبعد ان استراح جنكيز في هذه المنطقة اكثر من سنة ، امر خلالها بمطاردة

- ٣م الورقة ٤١٥-٤٢٤ .

وكان من تأثير هذه الانتصارات ثورة اهل هرات على الجيش المغولي وقتلهم الشحنة .

BRetschnider - I - p. 282 .

« ١ » شرح لنا النسوي اسباب الخلاف ، وهاجم في كلامه الترك . وانكر الاعتماد

عليهم ، وبين محاولات جلال الدين لارضائهم وتسوية الخلاف بينهم ص ١٥٦ .

« ٢ » ابن الاثير ج ٩ ص ٢٤٤ ، الجويي ج ٢ ص ١٤٠ - ١٤٢ ، تاريخ ال

جنكيز ص ٢٠ - ٢١ ، النسوي ص ١٥٦ - ١٥٩ ، براون ج ٢ ص ٥٧٠ وهو يقدم

لنا وصفا لبطولة جلال الدين في معركة السند ، الصياد ص ٨٥ - ٨٦ . القزاز ص ١٨٠

وكانت المعركة يوم الاربعاء ٢٢ شوال ٦١٨ / ١٢٢١ م . تاريخ بخارى ص ١٧٨ .

جلال الدين واتباعه وتأديب المدن النائرة كهرات وغزنة ، عزم على العودة الى بلاده خاصة وقد وصله بمض الرسل كما يقول الجوزجاني (١) يخبرونه بتمرد بعض خانات التنكوت وطفماج بسبب طول غيابه ، ومن ثم تحرك للعودة في ربيع ١٢٢٣ م سالكاً الطرق السهلة ، وكان يمكث في الشتاء للراحة في مكان ثم يقضي الصيف في مكان اخر واستغرقت عودته قريباً من سنتين حيث وصل بلاطه في منغوليا في شباط ١٢٢٥ م - ٦٢٢ هـ (٢) .

ولم يمكث جنكيز طويلًا في حضرته قراقورم ، اذ كان الغضب قد غلب عليه لانتقام من المتمردين ، فقاد بنفسه الجيش الى بلاد التانجوت (الكاشين) التي تصدى له اميرها بجيش ضخم لم يلبث ان تمزق وتشرد امام هجمات جنكيز ، وفر الامير المتمرّد الى احد الحصون المنيعّة تاركا الجيش المغولي يدمغ البلاد بطابعه من التخريب

«١» تاريخ ال جنكيز ص ٢٤-٢٥ .

BRetschnider - 1 - p 282 .

الدولة الخوارزمية ص ١٦١ - ١٦٢ ، وقد استغرقت حملته ست سنوات .

«٢» الجويني ج١ ص ١١٠-١١٢ ،

BRetschnider - 1 - p 282 . 283 .

برائس ج٢ ص ٥٣٤-٥٣٦ .

D'ohsson - 1 - p : 318 .

الصيد ص ٨٧ - ٨٨ .

Osborn . p : 387-388 .

والسلب (١) .

وبينما كان جنكيز يقوم باعادة فرض سلطانه على البلاد المجاورة التي كان امراؤها يسارعون لتقديم الطاعة والهداية اذ وصله رسول من امير الكاشين المتردد يلتمس عفوه وقبول طاعته واستعداده للمثول بين يديه خلال شهر ، فلجأ جنكيز الى ذلك لكنه اوصى اولاده بنقض عهده هذا عند وصول الامير وقتله (٢) .

وكان التعب ومشاق السفر وكبر السن قد وضحت اثارها على صحة جنكيز بالاضافة الى عفونة الجو ورداءة المناخ في المنطقة التي كان يعسكر فيها على نهر سال Sale وهو يستمد لحمه جديدة على اسرة سنك Sung التي تسيطر على جنوب الصين .

فقلبه الضعف والانهيار وأحس بدنو أجله ؛ فدعا اولاده وحاشيته الى اجتماع يقرر فيه مستقبل البلاد (٣) ؛ ويرى أحد المؤرخين (٤) أن جنكيز خان أحس بالندم لما ارتكبه من المآسي فاعتزم تعمير بعض المدن ، لكنه حال بينه وبين ذلك طبيعة الحياة وكبر سنه ، وقرب نهايته ، وعقد الاجتماع وتعاهد الجميع على الاخلاص

(١) التاريخ الغازاني م ٣ الورقة ٤٤٣ - ٤٤٦ . برايس ج ٢ ص ٥٣٥ - ٣٥٦ .

Sykes -11- p : 84 .

(٢) برايس ج ٢ ص ٥٣٦ .

(٣) برايس ج ٢ ص ٥٣٦ - ٥٣٧ . لوي ص ٦٣٤ من

C. M. H. IV

4) Malcolm The Hist of Pirsia -1- p: 260 .

والطاعة ، وبعده ان ابدى كل ما يدور في ذهنه من اسئلة حول مستقبل البلاد ، ثم سألمهم ان يختلفه في الخانين من بعده ابنه اوكتاي (٥) ، ووزع البلاد بين اخيه وابنائهم (١) .

وكان التوزيع قائما على اساس الاقوام والافخاذ وليس على اساس المقاطعات المحددة (١) .

(١) ويشير لاتبور في المعارف البريطانية م ١٦ - مادة (*ogadai*) ص ٧٢٦ ، الى ان جنكيز اختار ثالث ابناؤه للخانين منه بعده ، بسبب شعور العداء الذي قام بين الاخوين الاكبر منه جوجي وجغتاي ، وقد توفي جوجي سنة ١٢٢٧ م اي قبل ابيه بجوالي ستة اشهر .

(٢) يذكر برايس ج ٢ ص ٥٣٦ - ٥٣٨ ان اولاده الثلاثة جغتاي ، اوكتاي ، تولى كانوا حاضرين الاجتماع ، بينما لا يشير الجويني ج ١ ص ١٤٢ - ١٤٣ الى وجود تولى . (٣) وهو ينقل التقسيم التالي عن :

Hist of persia - II p : 86 .

Lane - pool : Muh . Dynasty : p 205 .

فيقول

١ - حكمت اسرة اوكتاي قبائل الزنكارييا ومنصب الخاقانية حتى انقرضت بواسطة اسرة تولى .

٢ - حكمت اسرة تولى الاقوام المغولية الرئيسية *The Home clans*

وتولت منصب الخانية بعد اسرة اوكتاي .

وتوجه جنكيز بعد ذلك بوصية لاولاده نقلها لنا رشيد الدين (١) ، وضع فيها خلاصة تجاربه ، مبيناً ضرورة التعاون فيما بينهم والعمل يداً واحدة .
ثم اكد عليهم بان يبقى موته سرّاً اطول فترة ممكنة ، وبعد ان اوضح لهم طريقة ادارة البلاد بعد وفاته وحتى تولى اوكتاي السلطة ، قرر ان يكون مستشاره وصديقه قرانجو المشرف على الاموال والمرجع في الامور (٢) .

— ٣ — اما الفرع الفارسي منها فهو هولاءكو واحفاده الذين يمثلون الايلخانية في فارس .

٤ — حكمت امرة جوجي القبائل التركية لحانات القبجاق .

٥ — حكمت امرة جغتاي بلاد ما وراء النهر . وارى ان هذا التقسيم يمثل الصورة الاخيرة التي اصبح عليها المغول بعد استقرار امورهم في عهد منكو وقبلاي ، وليس في عهد جنكيز الذي قد يكون وضع بعض خطوطه . انظر ايضا في تقسيم البلاد الجويني ج١ ص ٣١ .

«١» التاريخ الغازاني م ٣ الورقة ٤٤٦ - ٤٤٨ . انظر ايضا العزوي ج١ تاريخ

العراق بين احتلالين ص ١٢٧-١٢٨ ، الصياد ص ٨٨ - ٨٩ .

«٢» برايس ج٢ ص ٥٣٧ - ٥٣٨ ، ويشير :

الى ان تولى كان يقوم بالاشراف على الامور مدة مرض جنكيز . بينما يشير فصيحى خوافي في الجمل في حوادث سنة ٥٦٢٤ هـ الى ان جنكيز اوصى ان تقوم زوجته سورقتاي بيكي بتولي الوصاية على الحكم بعد وفاته وان يطيعها افراد الاسرة حتى ينعقد المجلس وتولى اوكتاي السلطة .

وبلغ جنكيز ارذل العمر قبل ان يدركه الموت في الرابع من رمضان ١٨٦٤

١٦ أغسطس ١٢٢٧ م (١) .

— وبالرجوع الى التاريخ الغازاني م ٢ الورقة ٢٧٣-٢٧٧ لم اجد اشارة الى وجود اسم هذه الزوجة بين نسائه وخاصة الخمسة المفضلات لديه .

بينما يشير الصياد ص ١٠٩ الى ان الزوجة المفضلة عند جنكيز كانت تسونجين وهي أم اولاده الكبار .

(١) وتوفي جنكيز وقد جاوز السبعين من العمر . ونقل جثمانه بموجب التقاليد الى الاردن ، وقامت الحامية المرافقة بقتل جميع من صادفوه في طريقهم من الناس لكي لا يشيع الخبر .

مواصلة الابناء ببيان ابيهم

وخلال العرش بوفاة جنكيز الذي كان قد تجرأ وكسر العرف المغولي المؤلف في الوراثة بعدم اختياره الاكبر ، الا ان الأبناء تمسكوا برغبة ابيهم طاعة له بعد وفاته ، او تخلصاً من الانقسام على بعضهم . ويرى لوي (١) ان ذلك نتيجة لقوة سلطانه التي بقيت تسود عليهم حتى بعد وفاته .

وبعد سنتين من اقامة مراسم العزاء وتفرق الابناء كل الى بيوته ، كانت شؤون الحكم تدار خلالها من قبل تولى الابن الاصغر تطبيعاً لنقل يد مغولي (٢) ، دعي ابناء الاسرة ومن لهم حق الحضور الى اجتماع القوريلثاي في ربيع ٦٢٦ هـ - ١٢٢٩ م .

١٥ انظر ص ٦٣٥ من

C. M. H. IV

٢٥ التاريخ الغازاني م ٣ الورقة ٥٢٠

L'ohsson -II- p : 9 .

R - Coke :Baghdad The ci y of peace p : 134 .

لتقرير امر العرش الشاغر وتنفيذ وصية الاب الراحل (١) .

وعقد الاجتماع في موضع كزار ، ونوقش فيه كسر جنكيز وتخطيه العرف المغولي في الوراثة ، واعلان المرشح عن تنازله لمصلحة أخيه الاكبر او لاحد اعمامه ، ولكن الجميع رفضوا مخالفة الخطأ ، واصروا على احترام رغبة جنكيز ، بالرغم من اعلان تولى الذي كان اليه الاشراف على الاجتماع ، عن فتح باب الترشيح كل يوم من ايام الاجتماع الاربعةين .

وكان التقليد ان يظهر الاعضاء كل يوم بلباس جديد ، وكأس جديد ، واختير اليوم الواحد والاربعون ليكون يوم التتويج حيث قام جغتاي واوتكين يرفع اوكتاي حسب العادة الى سرير الملك ، ورفع تولى كأسه ثلاث مرات امام الخان ، ودعى له بدوامها وسمى بالقآن .

وكان من التقاليد ايضاً ، ان يتقدم ابناء الاسرة امام الخان وينحوا امامه ثلاث مرات على ركبهم .

وبانتهاء هذه التقاليد اقيمت الاحتفالات لمدة ثلاثة ايام ، ووزعت الاموال

(١) وحضر هذا القوريلثاي اولاد جوجي وهم باتو واخوته . وحضر باتكين

شقيق جنكيز وبقية الامراء الآخرين . الجويني ج ١ ص ١٤٥ ، التاريخ الغازاني م ٤ الورقة ٧٠٢ .

برايس ج ٢ ص ٥٤٠ - ٥٤١ ، وهو يشير الى غياب جغتاي وحضور قرانجور

نيابة عنه . بارتولد - ترجمة المعارف الاسلامية م ٣ - باتو - ص ٢٥٥ .

على الجميع (١) .

ويقال (٢) ان اوكتاي بعد ان انتهى من مراسيم التتويج امر بارسال اربعين
بنتاً عذراء لتخدم جنكيز في عالمه الاخر ، كما سحى بعدد من الخيول .
ودخلت الدولة المغولية بتولي اوكتاي الخانين عهداً جديداً من الاستقرار
والتنظيم ، ويظهر ان الخان الجديد اراد ان يستغل القوريلثاي قبل انقضاؤه ، فيحصل
على تفويض بالسياسة الجديدة التي يفتوبها ، ويشرك اعضاءه في تنفيذها ، وقد تحقق
له ذلك .

واهم ما يهمنا من سياسة الخان الجديد هو موقفه من العالم الاسلامي وشعوره
بعودة الخطر الخوارزمي من جديد متمثلاً في شخص جلال الدين والحلول التي وضعها
للتخلص منه .

وقرر القوريلثاي مواصلة سياسة جنكيز في الفتح والتوسع شرقاً وغرباً ، والقضاء
على الدول والامارات الباقية بجوارهم ، كما تقرر إرسال جورمانغون نويان على رأس

«١» الجويني ج١ ص ١٤٥ - ١٤٨ . التاريخ الغازاني م ٤ الورقة ٧٠٢ - ٧٠٣
وهو يذكر ان رسم المغول تعين الخان الجديد يكون بالانحاء امامه تسع مرات ،
وعليه اعتمد السمرقندي - تذكرة الشعراء ص ٩٨ .

D'ohsson op cit 11 9-12 .

«٢» وقد يفسر هذا العمل بان المغول على وثنيتهم كانوا يعتقدون بيوم البعث
على غرار قدماء المصريين .

Hist of persia : II : p 86 -

جيش مؤلف من ثلاثة نوامين لمطاردة جلال الدين والقضاء عليه (١) .

وكان جلال الدين قد خرج من الهند سنة ٦٢٢ هـ - ١٢٢٥ م بعد تعذر مقامه بها كما يقول ابن الاثير (٢) واستغل عودة جنكيز الى بلاده والنشاله ثم وفاته

(١) كان القرار استمراراً لتطبيق سياسة جنكيز في التوسع شرقاً للقضاء على بقايا اسرة كن في شمال الصين ومهاجمة امبراطورية اسرة سنك في جنوبها ، والتوسع غرباً نحو بلاد العراق ، ثم امتد هذا التوسع شمالاً فوصل شره اوروبا بعد ذلك ، انظر: الجويني ج ١ ص ١٤٩ - ١٥٠ . تاريخ ال جنكيز ص ٤٧ ، برايس ج ٢ ص ٥٤١ اوي ص ٦٣٥ من

C- M - H - IV

الصدفي ج ٢ ص ٢٧٥ .

وتعني كلمة النويان - القائد العسكري لفرقة تعدادها عشرة الاف جندي ، انظر في ذلك شتينجاس *Steingass* ، في القاموس الفارسي - الانكليزي ج ٢ ص ١٤٣٦ - ١٤٣٧ . اما التومان : فمعناها فرقة من الجيش عددها عشرة الاف جندي . انظر المرجع السابق ج ١ ص ٣٣٧ انظر ايضاً ، القلقشندي ج ٦ - صبح الاعشى ص ٣٣ .

داود الجلبي - الفاظ مغولية في اللغة العربية ، مجلة المجمع العلمي العراقي ج ١ سنة ١٩٥٠ ص ٣٧٦ .

(٢) الكامل ج ٩ ص ٣٥٥ ، النسوي ص ١٧٤ ، الذهبي دول الاسلام ج ٢ ص ٩٣

الدولة الخوارزمية ص ١٧١ .

وخلود ابنائه الى الراحة ، فاستعاد سلطانه على معظم البلاد مثل كerman ، واصفهان وفارس واذربيجان ، وانسأ حقه على الخلافة العباسية الاهتم بالخطر المغولي ، واخذ العبرة من النكبات السابقة التي اصابت اسرته والمسلمين ، فيتلافى النقص ويعمل لجمع الشمل ، بل عمد الى مهاجمة بعض بلادها ودعا امراء المسلمين (١) للتجالف عليها وشجعه انتصاره على بعض الكتائب المغولية في رمضان ٦٢٥ هـ - ١٢٢٨م في منطقة اصفهان (٢) ، لكي يحاول فرض سلطانه على جميع امراء المسلمين (٣) . الامر الذي

«١» كان جلال الدين يعتقد ان الخليفة الناصر هو السبب فيما لحقهم من ضم ، لذلك كتب الى المعظم عيسى الدين الايوبي يدعوه للتعاون معه ضد الخلافة لانه كان السبب في هلاك ابيه ومجيء الكفار .

انظر سبط ابن الجوزي ج ٨ ق ٢ - مرآة الزمان ص ٦٣٤ ، ابو المحاسن النجوم الزاهرة ٦/٢٦٠ ابو شامة : ذيل الروضتين ص ١٤٤ ، الذهبي - دول الاسلام ج ٢ ص ٩٤ .

«٢» ابن الاثير ج ٩ ص ٣٧٤ - ٣٧٥ ، النسوي ص ٢٣٢ - ٢٣٨ ، ابن خلدون ج ٥ العبر ص ١٣٢ .

«٣» حاول الخليفة العباسي المستنصر بالله كما حاول ابوه الظاهر بالله من قبل ، كبح جماح جلال الدين وارضاء نزعته للسيطرة والاستعلاء على الامراء الاخرين ، فوافق اخيراً على تميزه عن بقية الامراء ومنحه بعض الالقاب الدالة على ذلك لكي يأتي الى حظيرة الطاعة ويخلد الى الاستقرار والتعاون مع الامراء المسلمين للوقوف في وجه الخطر المغولي . وقد شرح ذلك النسوي ص ٣٠٤ - ٣١٠ ، الدولة الحوارزمية ص ١٨٥-١٨٨ ، القزاز ص ١٨١ - ١٨٢ .

جره الى منازعة الامراء الايوبيين وسلاجقة الروم والكرج ، وفشله امامهم بل وهروبه منهم (١) .

وأطمعت هذه الهزيمة ، وما لحقه من ضعف لتفرق انصاره عنه ، اعداءه ، فتكالبوا عليه وتآمروا على التخلص منه ، وكان الاسماعيلية على رأس هؤلاء ، حيث وشوا بحاله الى المغول واطمعوهم به (٢) .

وأحس جلال الدين بالخطر يتهدده عندما سمع بتوجه جورماغون نحوه ، كما احس بعزلته وعجزه أمامه ، فسمى للاستمانة بالخلافة ، وبالأشرف الأيوبي ، وبقية امراء المسلمين الذين لم يترك في قلوبهم بقية من رحمة تنفمه في هذه الايام العصيبة (٣) ولكن المغول لم يمهأوه ليعتمد لهم ، فهاجموه ولاحقوه ، حتى اختفى عنهم ببعض الشباب وساقته الجفلة الى احدى قرى مياقارقين ، بعد ان أغلق اهل

(١) ابن الاثير ج ٩ ص ٣٨١ . سبط ابن الجوزي ج ٨ ق ٢ ص ٦٦٠ - ٦٦٢ .
النسوي ص ٣٢٩ - ٣٣٢ ، وهو يشير الى ان الاشرف الايوبي بالرغم من انتصاره وافق على عقد الصلح مع جلال الدين عندما قدمت رسله لذلك .

(٢) يشير ابن الاثير ج ٩ ص ٣٨٣ الى ذلك بقوله : « وارسل مقدم الاسماعيلية الملاحدة الى التتر يعرفهم ضعف جلال الدين بعد هزيمته ، ويحثهم على قصده ويضمن لهم الفوز للوهن الذي اصابه » .

انظر ايضا النسوي ص ٣٤٤ ، ابن واصل م ٢ تاريخ الواصلين - او مفرج الكروب - الورقة ٢٧١ - ٢٧٢ .

(٣) يعلق النسوي على استنجاهه بالخلافة والايوبيين بقوله « ومن العجائب -

آمد ابواب مدينتهم في وجهه بالرغم من وعد صاحبها له بذلك فيما مضى . وسقط جلال الدين قتيلا بيد بعض اكراد المنطقة طمعا بما عليه من لباس وعدة ، او طلباً لثأر قديم (١) .

وأحس المسلمون بعد اختفاء جلال الدين بزوال السد الذي كانوا يحتمون خلفه فندموا حيث لا ينفع الندم (٢) ، وانفتح الطريق امام المغول الذين كانوا قد جعلوا دأبهم الوصول الى جلال الدين ، فتوغلوا في البلاد وراءه من دون مانع ينعمهم ،

— انتصاره بقلب جرحه بصوارمه ، واستظهاره بجناح بت بيده و صفوف قواده .
ص ٣٥٥ .

ووصفه ابن الاثير ج ٩ ص ٣٨٣ : « بقبح السيرة وسوء التدبير ، لم يترك أحداً من الملوك المجاورين له الا عاداه ونازعه الملك واساء مجاورته . . فكل الملوك تحلى عنه ولم يأخذ بيده » ، انظر ايضا ابن العبري تاريخ مختصر الدول ص ٢٤٦ .

« ١ » سبط ابن الجوزي ج ٨ ق ٢ ص ٦٦٦ ، ٦٦٩ وهو يسمي القرية مين دار ،

النسوي ص ٣٨١ - ٣٨٢ ، ابن العبري ص ٢٤٧ ، القزاز ص ١٨٣ ، ٢٣٤ ،

السميرقندي - تذكرة الشعراء ص ٩٢-٩٥ ، الدولة الخوارزمية ص ١٩٤-١٩٥ .

« ٢ » يحدثنا في ذلك سبط ابن الجوزي ج ٨ ق ٢ ص ٦٧٠ ، نقلا عن احد

الامراء الايوبيين قال حدثني عماد الدين موسك ، قال لما كسر الخوارزمي ودخل عثمان وغازي وجماعة على الاشرف فهناؤه بالكسرة ، فقال تهنوئي بهذا ؟ سوف ترون غب هذا والله لتكونن هذه الكسرة سبباً لدخول التتر بلاد المسلمين ، وما كان الخوارزمي إلا مثل السد الذي بيننا وبين ياجوج وماجوج ، فكان كما قال () .

فوصلوا ديار بكر وآمد ، وميافارقين حتى الجزيرة وحران ولم تسلم الموصل واربل ودقوق من شرورهم .

وكان جورماغون قد اقام في حدود قم وكاشان فخضعت له اطراف البلاد ، ودان له امراؤها بالطاعة (٤) .

وتوالت هجمات المغول على البلاد، وتعمد الطريق امامهم نحو بغداد ، ولكنهم لم يجرؤا على مهاجمتها او الاستقرار في اطرافها ؛ بل كانوا يتركون وراءهم الخراب والفرع ، ويعودون محملين بالاسلاب والغنائم ، ولعلمهم كانوا يقصدون من وراء ذلك اختبار قوة الخلافة ومدى استعدادها وقدرتها على المقاومة ، كما قد يكشف ذلك ايضاً عن عدم وجود خطة واضحة لديهم بشأن التوسع بسبب اضطراب امورهم الداخلية .

وبلغت هجماتهم على العراق خلال هذه الفترة حتى سقوط بغداد ثلاث عشرة حملة (١) ، ومن ناحية اخرى فقد تفرغ او كتماي خان للاعمار الداخلي ، وخاصة بعد عودته من الحملة على بلاد الصين ، واصرار الامراء عليه للبقاء في العاصمة ونيابتهم

١٤ ، ابن الاثير ج ٩ ص ٣٨٤ - ٣٨٦ ، سبط ابن الجوزي ج ٨ ق ٢ ص ٦٧٣ ،

تاريخ ال جنكيز ص ٤٧ لوي ، ص ٦٣٦ من

C. M. H. IV

ابن واصل ٢م الورقة ٢٧٥ - ٢٧٦ .

١٥ ، ابن الاثير ج ٩ ص ٣٨٦ .

انظر الفراز ص ٢٣٤ في احصائية عدد الحملات على بلاد العراق .

عنه لقيادة الحملة على القبجاق (١) .

فقد اصر على إعادة تخطيط العاصمة قراقورم على نسق جديد ، قيل انه على غرار مدينة بغداد وخطط على مسافة يوم منها مكانا لبناء دور العمال المهرة واصحاب الحرف من المسلمين الذين كان المغول يهجرونهم الى العاصمة عند استيلائهم على بلادهم في زمن جنكيز (٢) ، ونظم طرقا جديدة للبريد غير القديمة وجعلها خاصة بالخانين وسميت نارين يام (٣) اي «اليام الخاص» . وبالرغم من اعتماده في ادارة البلاد على ابناء الاسرة من الامراء الذين وزعهم عليها ، فانه جعل الشؤون المالية منفصلة عن سلطانهم ، ويشير رشيد الدين (٤) الى ذلك في قوله « من انه قسم ممالكة على ثلاثة انفس ، فما كان من ممالك خطاي فانه سلم امرها الى الصاحب محمود يلواج ، وسلم الى مسعود بيك بن يلواج من حد ييش بالق وقراخوجو من بلاد الاينغور الى ساحل جيحون ، وسلم امر بلاد خراسان الى حد الروم وديار بكر الى الامير كوركز ، فكانت الاموال تجمع من هذه الممالك ، وتحمل الى خزانة اللقان من غير

«١» التاريخ الغازاني ٣م الورقة ٥٧٤ - ٥٨٧ ، ٥٩٠ - ٥٩٥ ، وقد قاد حملة

القبجاق باتو بن جوجي .

«٢» نفس المرجع الورقة ٥٩٠ - ٥٩٥ ، برايس ج٢ ص ٥٤٤ - ٥٤٥ .

«٣» نفس المرجع الورقة ٥٧٨ - ٥٧٩ .

«٤» نفس المرجع م ٤ الورقة ٦٤٤ ، ٧٥٩ . ولم يطل المقام كثيرا بالامير

كوركوز في ولاية خراسان ، اذ انه عين في سنة ٦٣٣ هـ الامير ارغون اغا الذي اشتهر

بقابليته المالية حاكما على خراسان ، انظر برايس ج٢ ص ٥٤٤ ٥٤٥ .

تقصير وفتور » .

ونظم شئون الضرائب فوضعها على الحيوانات « بان يؤخذ رأس من كل مائة » .

وعرف عنه حبه للعدالة وعمله على نشرها واشغال الناس بذلك بما اصدره من اليرليغ (١) الى سائر الممالك يطيب قلوب الرعية ويؤكد على العدالة « (٢) .
ويذكر لاتييمور *Lattimore* (٣) بان اوكتاي كان اول من لقب نفسه

«١» اليرليغ : وهو الامر السلطاني الذي يصدر عن الخاقان الذي يمنح فيه الامان للخائف او السلطة المطلقة لمن يكلف بعمل ، وفي رأي كلترمير انه لا يعطى للكتابة العرب انظر :

Dozy Supp - Dict Arabe vol 11 - p : 851 *

ستنكاس *Steingass* - القاموس الفارسي - الانكليزي ج٢ ص ١٥٣٠ .
داود الجليبي - الفاظ مغولية في اللغة العربية . مجلة المجمع العلمي العراقي ج١ سنة ١٩٥٠ ص ٣٧٦ .

«٢» التاريخ الغازاني م ٢ الورقة ٥٧٨ - ٥٧٩ . برايس ج٢ ص ٥٤٥ - ٥٤٧ .
وامر الخان ايضا بان يؤخذ من كل عشرة أنقرة - جمع نفر - تغار واحد ،
ويصرف ذلك على المساكين ، والتغار كما اعتقد هو اداة وزن لا يزال يستعمل في الموصل ويعادل ربع طن .

«٣» المعارف البريطانية م ١٦ - اوكتاي - ص ٧٢٦ . ويشير حسن الباشا في الإلقاب الاسلامية ص ٢٧٢ ، الى ان لقب الخاقان اصبح يطلق على رئيس الاسرة

بالخاقان، أي رئيس الخان، بينما كان جنكيز قد اكتفى باستعمال لقب الخان فقط .
وكانت وفاة اوكتاي في جمادى ٦٣٩ هـ - ديسمبر ١٢٤١ م محكاً لتطبيق تعاليم
الياسا في وراثة العرش ، ودور القوة في حرفها عن وجهها الشرعي إنما أصبح سابقة
عرفية لجأ اليها كثير من ابناء الاسرة فيما بعد .

واضطربت الاراء في العهد الذي خلفه اوكتاي من بعده ، ولكني ارجح
ما اشار اليه رشيد الدين من انه كان قد عهد من بعده لابنه الثالث كوتشو الذي توفي في
حياة فعين على ابنه الطفل شيرامون ليخلف اياه المتونى في ولاية العهد ، وقد اوصى
اوكتاي بالاشراف والعناية بتربيته (١) .

ومن المحتمل انه أمر قبيل وفاته ٦٣٩ هـ - ١٢٤١ م وكان صريع الحجر قعيد
المرض (٢) باستدعاء ابنه كيوك الذي كان في جبهة روسيا لكي يقوم بالوصاية على العرش
او يتولاه ، لكن الأجل وافى الخاقان قبل موافاة امه الى ابنه ، فتولت زوجته
نورا كينا امر الحكم بهمه منه ، حتى ينعقد القوريلثاي الجديد ، واستطاعت كما
يقول برايس Price بمهارتها وذكائها وهداياتها للامرء في المناسبات من ضمان

المغولية وصاحب السيادة العليا على كافة ولاية المغول في انحاء العالم ، ويشير الى تلقيب
مانكوبه في سكة ضرب استراباد .

(١) التاريخ الغازاني م ٣ الورقة ٥٢٤ ، م ٤ الورقة ٧٦٢ - ٧٦٣ ، ٨١٣ .

برايس ج ٢ ص ٥٤٨ .

(٢) التاريخ الغازاني م ٣ الورقة ٥٩٥ - ٥٩٨ ، تاريخ كزيدة ص ٥٧٥ .

برايس ج ٢ ص ٥١٧ - ٥٤٨ .

طاعتها الموقفة على البلاد وتوجيه الأمر نحو ابنها كيوك حتى ضمنته له « (١) .

وتجلى هذا الخداع في القوريلثاي الذي انعقد في ربيع ٦٤٣ هـ الذي حضره بالإضافة الى اعضاءه من المغول ، عدد من ممثلي الامارات الاسلامية التي دخلت في منطقة نفوذهم ، بل لقد كان للخليفة العباسي ممثل فيه هو قاضي القضاة فخر الدين الدامغاني « (٢) .

ودار الصراع في هذا الاجتماع بين تنفيذ وصية الخان المتوفى طبقاً لاحكام الياسا

«١» الجويني ج١ ص ٢٠٣-٢٠٤ ، تاريخ ال جنكيز ص ٥٣ ، التاريخ الغازاني م ٤ الورقة ٧٥٦ . برايس ج٢ ص ٥٤١ . لا تيمور : المعارف البريطانية م ١٦ او كتابي - ص ٧٢٦ ، الصياد ص ١٢٥ - ١٢٦ .

وينفرد الرمزي في تلفيق الاخبار م ١ ص ٣٨٩ ، في الحديث عن الشروط التي كان قد قدمها او كتابي عند توليه الخانية والتي اشترط فيها ان تبقى في ذريته ، وموافقة القوريلثاي على ذلك ، وانه اختار من بعده ابنه كيوك . بينما يشير رشيد الدين م ٤ الورقة ٧٦٥ الى هذه الشروط وينسبها الى كيوك وليس الى ابيه .

ويشير كذلك رشيد الدين م ٤ الورقة ٧٦٥ عن محاولة اوتجكين نويان اخو جنكيز اغتصاب الخانية بالقوة عندما قدم بجيشه وكيف خدعته تورا كينا حتى قدم ابنها كيوك فاسقط في يده .

«٢» كان من الحاضرين ايضا مندوبون عن سلاجقة الروم ، امير جلب ، الموصل اذربيجان ، فارس ، كرمان ، اللور ، بالإضافة الى ممثل الاسماعلية ، وبعض الامراء المسيحيين .

وبين الرغبات الشخصية للوصية على العرش ومن وافقها على ذلك من المتواطئين ، والتي انتهت بضرب التعاليم وتنصيب كيوك في الخانية بالرغم من ابتلائه بالامراض المزمنة وما عرف عنه من تهور وتسلسل (١) .

ولكن الخانية لم تطل بكيوك اكثر من سنة قضاها وهو يقضم الغيظ على باتو ابن جوجي الذي لم يحضر حفل تتويجه ، ويتحرق شوقا للانتقام منه ، ثم انتهى به الغضب الى الزحف على رأس الجيش لتأديبه ، ففاجأه الموت في ربيع سنة ١٢٤٤ هـ اغسطس ١٢٤٦ م قبل ان يحقق غرضه (٢) .

وبوفاته تجدد الصراع على العرش ووضعت تعاليم الياسا ثانية في المحك ، ولاب باتو بن جوجي دوراً كبيراً في توجيه الخانية الى منكو بن تولى .

فقد كان من تعاليم الياسا في وراثة العرش تفضيل الاكبر من ابناء الاسرة الحاكمة ؛ إلا اذا كانت هناك وصية خاصة للمتوفى ، تجلي ذلك مثلاً في تنصيب اوكتاي الذي حاول ان يتنازل لأخيه الاكبر او لاحد اعمامه بالرغم من وصية ابيه التي تمسك المجتمعون بتنفيذها .

(١) الجويني ج ١ ص ٢٠١ - ٢٠٧ ، التاريخ الغازاني م ٤ الورقة ٧٦٥ ،
برايس ج ٢ ص ٥٤٩ .

(٢) تاريخ كزيدة ص ٥٧٨ ، برايس ج ٢ ص ٥٥٢ ، تليفق الاخبار ج ١
ص ٣٩٠ - ٣٩١ وتعود اسباب الخلاف بين كيوك وباتو الى سنة ١٢٣٣ هـ عندما كان
يقود حملة روسيا ومعه كيوك وغيره من الشهبازكية ، حيث تمرد كيوك على قيادة
باتو ووقع بينهم خلاف . انظر ترجمة المعارف الاسلامية ٣ - باتو - ص ٢٥٦ .

اما الآن فقد كان طريق اجلاس الخاينة كما يقول رشيد الدين (١) الى باتو الذي كان شيخاً كبيراً واكبر ابناء الاسرة ، كما ان منقور تقاي نويان الذي يتولى امانة قراقورم بالنيابة عن كيوك ارسل بخطه رسالة الى باتو يخوله الحكم والتدبير وان امره نافذ (٢) .

وكان قرار المجتمعين عند باتو من الامراء والشهزاد كية والنويان الممثلين لجميع بيوت جنكيز وجوب تولية باتو لما يمتاز به عن سواه من أنه اكبر الابناء سناً واكفأهم فهو لذلك يجب ان يتولى الخاينة (٣) .

وحاول ابناء اوكتاي ومن احاط بهم العودة الى تنفيذ وصية ابيهم في اجلاس شيرامون التي لم يعملوا بها في اجتماعهم السابق ، لكنهم فشلوا في اعادة الشرعية اليها الآن (٤) .

وبالرغم من ان الياسا كانت بجانب باتو الذي رشح للخاينة منكو بن تولى ووافقه المجتمعون على ذلك ، الا ان القوة كانت هي السبيل لفرض احكامها امام تمرد اسرتي اوكتاي وجغتاي عليها (٥) .

وعاد الاستقرار والتنظيم الى الدولة المغولية بتولي منكو خانيتها ، الذي اقتضى

(١) التاريخ الغازاني م ٤ الورقة ٨١٣ - ٨١٤ .

(٢) الجويني ج ٣ ص ٧ .

(٣) الجويني ج ٣ ص ٧-٨ .

(٤) التاريخ الغازاني م ٤ الورقة ٨١٤ .

(٥) الجويني ج ٣ ص ٨ - ٩ ، التاريخ الغازاني م ٤ الورقة ٨١٤ - ٨١٩ .

سياسة عمه اوكتاي في نشر العدل والتوفير على الناس ، فابقى العمال الذين كان قد عينهم في مناصبهم المالية ، وواصل في سياسته الخارجية التوسع في الجبهتين الشرقية والغربية (١) .

ويشرح رشيد الدين سياسة منكو الجديدة في التوسع بقوله : « كان منكو كان قد تفكر فرأى ان بعض ممالك العالم قد دخل فعلا في حوزة جنكيزخان ، وبعضها لم يستخلص بعد ، وان رقعة العالم فسيحة لا حد لها . فاستقر رأيه على ان يمهّد بكل طرف من المملكة الى واحد من اخوته ليخضعها تماما لارادته وليقوم بالمحافظة عليها بينما جلس هو هادئا مظفراً وسط دولته حيث المقر القديم للمغول » (٢) .

— الشبنكارى بجمع الانساب الورقة ٣٠٢ - ٣٠٤ ؛ لوي ص ٦٤١ من

C. M. H. IV

وكان الاعتراض اولا على وجوب بقاء الخانية في بيت اوكتاي ، فلما فشلوا ، اعترضوا على شرعية عقد القوريلثاي في غير قراقورم ، فقرر باتو عقده ثانية فيها ليقطع الطريق على المحتجين ، وجيز اخاه بركة بجيش الى قراقورم حيث عقد فيها في ربيع ٦٤٩ هـ - ١٢٥١ م بسبب ملاحظة ابناء الاسرتين ، فلما اضطروا الى الحضور فكروا في القدر بالمجتمعين فانكشفت مؤامرتهم فحوكموا واعدموا ، انظر الجويني ج ٣ ص ٩ - ٢٢ ، تاريخ ال جنكيز ص ٦٣ - ٦٥ ، برايس ج ٢ ص ٥٥٣ انظر ايضا في الحديث عن اهمية القوريلثاي للمجتمع المغولي

Howorth - 11 - p : 112.

« ١ » الجويني ج ٣ ص ٢٩ ، برايس ج ٢ ص ٥٥٦ .

« ٢ » جامع التواريخ ج ٢ ص ١٦٣ .

ولكني ارى ان منكو في هذه الخطة السياسية لم يكن مبتكراً كما يحاول رشيد الدين ان يصفه بل كان منفذاً لسياسة مرسومة ترجع خطوطها الاولى الى جده جنكيز خان .

وبقدر ما يتعلق الامر بالتوسع في الجبهة الغربية (١) للوصول الى بغداد وهو موضوع البحث الذي يهمني من هذه السياسة ، فان محاولات المغول للوصول اليها ليست جديدة فقد تحسس بها ابن الاثير و اشار اليها عندما نقل رسالة التاجر من اهل الري الذي استقر بالموصل وكتب يقول (٢) : « ان الكافر لعنه الله ما تقدر نصفه ولا كثرة جموعه حتى لا تنقطع قلوب المسلمين ، ولا تحسبوا هذه الطائفة التي قصدت نصيبين والمخابور ، والاخرى التي قصدت اربل ، قد جاءت للنهب ، وانما ارادوا ان يعلموا هل في البلاد من يردهم ام لا . . . وان عزمهم على قصد البلاد جميعاً فانظروا لا تفسك » .

وحاول المغول فعلاً تحقيق هذا العزم ، فهاجوا العراق بعد هذا التنبيه ثلاثة عشر مرة ووصلوا مرتين منها او ثلاثة حتى اطراف بغداد ، لكنهم كانوا يعودون

(١) اما الجبهة الشرقية فقد عهد بقيادتها الى اخيه قوبلاي الذي لعب دوراً كبيراً في التاريخ المغولي .

الجويني ج ٢ ص ٢٩ ، برايس ج ٢ ص ٥٥٦ - ٥٥٨ .

Ency - BR - 15 - Mongols . p : 717-718 .

Ency , BR , 15 Kublai , p : 509 - 510 .

(٢) ابن الاثير ج ٩ ص ٣٨٦ .

ادراجهم محلين بالغنائم ، اما لقلّة عددهم ، او لشدة مقاومة الخلافة لهم (١) .
وينقل لنا الدكتور سعيد عاشور (٢) « محاولة اخرى للمغول لغزو بغداد تمت
قبل عشر سنوات من سقوطها ، ذلك بمحاولة التحالف مع لويس التاسع ملك فرنسا
الذي كان قد وصل قبرص في طريقه الى دمياط ، حيث وفدت عليه فيها في ديسمبر
١٢٤٨ م - ٦٤٥ هـ سفارة تألفت من اثنين من نساطرة الموصل كان اسمهما داود
ومرقص . قالا انهما موفدان من قبل جنغهاي خان نائب الخاقان الاعظم في القوقاز
وفارس . وكان الغرض من تلك السفارة عقد تحالف عسكري بين الصليبيين والمغول
ضد الايوبيين في الشام من ناحية ، والخلافة العباسية في بغداد من ناحية اخرى » .

«١» ابن العبري ص ٢٥١ - ٢٥٥ ، ابن الفوطي - الحوادث الجامعة ص ١٠٩
١٩٩ - ٢٠٠ ابن واصل الورقة ٣٤٥ ، الصديقي ج ٢ ص ٢٧٧ ، القزاز ص ٢٣٤
حاشية ٢ .

(٢) الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٠٩٩ نقلا عن جونفيل ، على ان هناك بعض
الغموض في هذا الخبر فيما يتعلق بنائب الخاقان الاعظم جنغهاي خان ، فالمعروف ان
القوقاز كانت تحكم من قبل امرة باتو الذي لازال على قيد الحياة وهو على اتصال باوربا .
اما فارس فقد كانت تحكم من قبل جورماغون حتى وفاته سنة ١٢٤١ م حيث
خلفه مساعده بايجو *Baidju* الذي كان على اتصال بالغرب ايضا ، وكانت اخر
سفارات البابا انوسنت الرابع اليه سنة ١٢٤٦ م ، ومن المحتمل ان يكون هو المقصود
بهذا الخبر ، انظر

BRetchnider -1_ p . 113 .

ولم تنجح هذه السفارة في تحقيق غرضها ، كما لم تنجح المحاولات الفردية السابقة عليها وذلك بسبب فقدانها التنظيم والتخطيط في العمل ، وهو الذي امتازت به سياسة منكوتان فيما بعد والتي سار على هداها اخوه هولانكو فنجاح في تحقيق اهدافها .

وتتمثل في حملة هولانكو نحو الغرب صورة للتعاون الجماعي لابناء اسرة جنكيز فبالرغم من انتقال السلطة الى يد ابناء تولى ، فان جميع الشهبازاكية ساهموا فيها ، يشير الى ذلك رشيد الدين في حديثه عن اجتماع القوريلثاي الذي قرر ارسال الحملة حيث يقول (١) « كذلك صحب هولانكو ابناؤه واقاربه وعمبيده ، ولهذا كان يوجد في هذا الاقليم امراء منحدرين من نسل كل امير من ابناء جنكيز ، وكان ينصب كل منهم في المنصب الذي آل اليه بالوراثة » .

ويعطي الجويني صورة اوضح لهذا التعاون في قوله (٢) : « واخذ له من امراء

(١) جامع التواريخ م ٢ ج ١ ص ٢٣٥ ، الشبنكاري - مجمع الانساب الورقة ٣٠٦ .

(٢) الجويني ج ٢ ص ٢٧ ، وما يلاحظ ان هذا التعاون الجماعي في تجهيز الحملات

ليس جديداً ، اذ انه استمرار لسياسة اوكتاي ، فان الحملة التي اوفدها الى روسيا سنة ٦٣٣ هـ كانت بقيادة باتو ، وتضم كيوك بن اوكتاي ، ومنكو بن تولى وبوري بن جغتاي وغيرهم من ابناء الاسرة ؛ والى هذا المعنى اشار الدكتور مصطفى طه بدر في رسالته (ايران في عهد غازان) ص ٣٢ في قوله : « ويلاحظ انه بعد موت جنكيز خان اعتبرت الفتوحات المغولية الواقعة غربي نهر جيحون ملكاً عاماً لقروع اسرته الإربعة ، ويدل على ذلك بالادلة » .

الأسرة امير من كل بيت ، فمن بيت باثو عين بلغاي ، وتوتاراغول وتولي مغ جيشها
ومن بيت جغتاي عين تكوداراغول . . . »

وحتى جيش جنكيز او بقاياها على الاصح ، الذي كان قدوزع بعد وفاته على ابناء
الاسرة ، كان لهم نصيب في هذه الحملة حيث امر منكوقان باختيار خمسهم ليكونوا
حرساً خاصاً لهولاكو (١) ، وعلى الرغم مما كانت تمثله حملة هولاكو نحو الغرب من
استمرار لسياسة المغول في التوسع لفتح العالم ، الا ان فئة من المؤرخين (٢) حاولت
ان تربط بينها وبين شكاوى الناس من طائفة الاسماعيلية ، وما نجم عنها من
اعتداءات واضطرابات .

ومما يلاحظ في سياسة المغول حتى هذه الفترة انهم لا يقبلون حليفاً لهم ،
فالناس في نظرهم اما عبيد خاضعون لسلطانهم منفذون لاوامرهم ، او اعداء يجب
القضاء عليهم والتخلص منهم ، يتمثل ذلك مثلاً في موقفهم من الاسماعيلية الذين كانوا
الحلفاء الطبيعيين لهم في صراعهم مع الخوارزميين ، وكانوا عيوناً لهم يتصدون حركات
جلال الدين ويوشون باحواله وتنقلاته ، حتى اعتبرهم ابن الاثير السبب في ضياع

«١» الجويني ج ٣ ص ٣٧ ، جامع التواريخ م ٢ ج ١ ص ٢٣٥ .

ابن العبري ص ٢٦٣ .

BRetzchnider - 1 - p. 113 .

«٢» تاريخ ال جنكيز ص ٦٥ - ٦٦ ، ابن الطقطقي - الفخري ص ٢٧ ،

برايس ج ٢ ص ٥٥٦ - ٥٥٨ ، جامع التواريخ م ٢ ج ١ ص ٢٣٣ ،

الصيد ص ١٤٤ .

جلال الدين « (١) .

وسوف نرى كذلك موقفهم من الامارات المسيحية والبابا فانهم اشترطوا على سفرائهم الاعتراف بسيادتهم واعلان تبعيتهم لبتعاوانوا معهم في تحالف ضد المسلمين (٢) .

واستعد هولاءكو للحركة ، وتحركت طليعته يقودها كيتو.وقا في جمادى ٦٥٠ هـ (٣) .

وبعد ان وفر الخان لاخيه جميع لوازم السفر ، ومعدات الحرب حتى جلب له المهندسين والمنجنيقين من الصين ، وارسل الى امراء الاطراف يأمرهم بتعميد الطرق واقامة الجسور والقناطر ، وتجهيز المؤن والمراعي (٤) . غادر هولاءكو معسكره في غنجة في يوم السبت ١٢ ربيع الاول ٦٥١ هـ - ٢ مايو ١٢٥٢ م بعد ان قضى فيه الشتاء برفقة اخيه الخان الذي وزع عليهم الهدايا ، وقبل ان يفارقهم ليعود الى مقره

(١) ابن الاثير ج٩ ص ٣٨٣ حيث يقول : «فلما وصلت كتب مقدم الاسماعيلية الى التتر يستدعيهم لقصد جلال الدين بادرت طائفة منهم ودخلوا البلاد . . وجلال الدين لا يقدم ان يلقاهم ولا ان يمنهم قدامه لى رعباً وخوفاً ، انظر ايضاً الصياد ص ١٤٢ ، القزاز ص ١٨٨ .

2) Sykes _11 p : 39 . Conder .p : 376-377 .

سعيد عاشور ج ٢ الحركة الصليبية ص ١٠٩٩ - ١١٠١ .

(٣) الجويني ج٣ ص ٢٩ ، جامع التواريخ ج٢م ١ ص ٢٤٣ .

(٤) انظر تفصيل توين الجيش ولوازمه في جامع التواريخ ج٢م ١ ص ٢٣٥-٢٣٦ .

في قراقورم منح انا هو لاكو وصيته الاخيرة (١) .

وكان الجيش مشيه وئيداً ، فقد استغرق اكثر من سنتين حتى وصل معسكره في كش على ضفاف نهر جيحون ، حيث توافد كثير من امراء الاطراف للترحيب بهولاكو ، وتقديم الهدايا له واعلان طاعتهم واستعدادهم لمرافقته (٢) .

وفي خلال هاتين السنتين كانت طليعة هولاكو قد هاجت كثيراً من قلاع الاسماعيليه واستولت عليها ، فضلاعن وقوع انقلاب داخلي في قيادة الاسماعيليه اتهم بمقتل حاكمها علاء الدين محمد ، لمصلحة ابنه ركن الدين خورشاه الذي تولى زعامتها (٣) .

وبعد عبور هولاكو نهر جيحون في ذي الحجة ٦٥٣ هـ تنقل بين طوس وبسطام يلاحق هجمات كتائبه على قلاع الاسماعيليه ، ويستقبل الامراء المستسلمين منهم ، ونجحت سياسة الاغراء والشدة التي اتبناها في اقناع خورشاه زعيم الاسماعيليه

(١) اعتمدت في تحديد حركته على الجويني ج٣ ص ٣٨ باعتباره مرافقاً للحملة اما رشيد الدين م٢ ج١ ص ٢٣٨ فيذكر ان الحركة في ذي الحجة ٦٥١ هـ ، انظر ايضاً

BRetschnider - I - p 114 .

اما الوصية فانظر القزاز ص ٣٣٠ ملاحق الباب الخامس - الرسالة الاولى - نقلا عن جامع التواريخ .

(٢) من هؤلاء الامراء شمس الدين صاحب هرات ، وصاحب فارس ، وسلاجقة الروم ، وكان قدومهم استجابة لرسالة هولاكو ، جامع التواريخ م٢ ج١ ص ٢٤٠ ، القزاز ، ملاحق الباب الخامس ص ٢٣٠ .

(٣) جامع التواريخ م٢ ج١ ص ٢٤٥ .

على الاستسلام والنزول الى معسكره في غرة ذي القعدة ٩٥٤ هـ وتسليم قلعة ميمون
ذ المنبعا التي كانت مركزاً للاسماعيلية (١) .

ولم ينفذ الابقاء على حياة خورشاه وكرامه في استسلام قلعة الموت التي تمرد
فاندها على اوامر سيده ، واستبسل في الدفاع عنها اياماً اخرى على التسليم امام
هجمات المغول وفتكهم (٢) ، ولم تطل الحياة كثيراً بخورشاه ، فان هولاء كو بعد

(١) جامع التواريخ م ٢ ج ١ ص ٢٥٤ . براون ج ٢ ص ٥٨١ ، الصياد

ص ١٥٠ . وكان المعروف ان قاعدة الاسماعيلية هي قلعة الموت ، ولا تشير المراجع
التي بين ايدينا الى زمن انتقالهم الى قلعة ميمون ذ . وأرجح ان يكون ذلك بعد
تخلصهم من زعيمهم السادس جلال الدين بن محمد بن حسن الذي اطلق عليه المسلم الجديد
لعودته الى حظيرة الاسلام وذلك سنة ٦١٨ هـ ، على يد ابن علاء الدين محمد الذي اغتاله
خورشاه ابنه . انظر القزاز ص ١٨٨ .

وكان للاسماعيلية قلعة ثالثة لا تقل حصانة ومناعة عن السابقتين ، وهي قلعة
لبنة سر فهذه القلاع الثلاثة هي امنع قلاع الاسماعيلية الكثيرة انظر - حمد الله قزويني -
نزهة القلوب ص ٦١ .

(٢) وينقل الدكتور الصياد ص ١٥١ - ١٥٢ ، عن الجويني الذي كان يرافق

الحملة استئذانه لهولاء كو للاطلاع على مكتبتها القيمة واستخلاصه منها كثيراً من الكتب
التي حفظت تاريخ الاسماعيلية من الضياع .

انظر ايضاً - الشواربي - ترجمته لآل الجويني في مجلة الآداب - جامعة فؤاد

م ٧ ١٩٤٤ في مقالة مصادر فارسية في التاريخ الاسلامي .

ان استغله في ايفاد الرسل الى قلاع الاسماعيلية المختلفة في ايران والشام ، تخاص منه بايفاده الى حاضرة المغول ، لكنه قتل كما قيل قبل ان يصل قراقورم بامر من الخان ، الذي اشفق على الدواب من حملة . وبذلك انطوت صفحة الاسماعيلية في ايران (١) .
وتفرغ هولاء الى الخلافة العباسية ، واخذ يعد العدة للزحف عليها ، لكنه قبل ذلك واصل ايفاد الرسل وتبادل الرسائل معها لكي يعرف حقيقة هويةها منه ومدى استعداداتها له .

(٣) جامع التواريخ م ٢ ج ١ ص ٢٥٧ - ٢٥٨ . الصياد ص ١٥٣ .

موقف العالم الاسلامي من الغزو المغولي

وقبل ان نواصل السير مع هولاءكو في زحفه نحو بغداد ، لابد لنا ان نعرف حقيقة موقف المسلمين ، او بتعبير ادق موقف الامارات الاسلامية والخلافة من هذا لخطر الذي بدأ يهدد كياناتهم بالهدم والزوال .

كان العالم الاسلامي في مطلع القرن السابع الهجري يتمثل بالاضافة الى الخلافة ، مجموعتين من الامارات شرقي الخلافة وغربيها .

ففي الشرق كانت الامارات الخوارزمية والغورية وفارس واذربيجان بالاضافة الى الاسماعيلية ، التي كان موقفها من الخلافة وارتباطها بالاسلام غير مستقر (١) . ومن بين هذه جميعاً كانت الخوارزمية قد اصبحت اكبرها قوة اكثرها سعة .

(١) لم يكن المجتمع الاسلامي يتقبل مبادي الاسماعيلية ودعواتها ، بل يعتبرها كفراً وخروجاً على الاسلام ، لذلك غلب عليهم امم الملاحدة . وكانت فرحة المسلمين ظيمة عندما هدى الله زعيمهم جلال الدين حسن الثالث الى الاسلام وعاد الى حظيرة الخلافة سنة ٦٠٨ هـ ، لكن ذلك لم يطل . القزاز ص ١٨٣ - ١٨٨ .

وكانت هذه الامارات نظريا تستمد شرعية بقائها من رضى الخلافة وتأييدها لها باعتبار الخليفة العباسى امام المسلمين ، وصاحب السيادة الروحية والزمنية على جميع البلاد الاسلامية (١) .

وقد شرحت في بحث سابق حالة القلق السياسي الذي ساد البلاد في هذه الفترة ، ودور الخليفة العباسى الناصر لدين الله في اذكاء هذا الصراع واغراء الامارة بالآخرى والذي كان من نتيجته ان استولت الخوارزمية على هذه الامارات ، فذاب بعضها فيها ودان البعض الاخر بالطاعة لها (٢) . كما تجرأت على الخلافة نفسها عندما زحف خوارزمشاه علاء الدين محمد نحو بغداد لغرض رغباته عليها (٣) .

وعندما تعرض المغول للبلاد الاسلامية ، كانت الخوارزمية هي الدولة الوحيدة الباقية في هذه الجبهة ، التي يجب ان تتصدى لهم .

(١) انظر الراوندي - راحة الصدور - ترجمة الدكتور عبدالنعم حسنين وجماعته - ص ٥٣٤ . رسالة الخليفة الناصر الى خوارزمشاه عندما كان في همدان . وانظر كذلك جواب المعظم عيسى على طلب جلال الدين الذي دعاه للتحالف على الخلافة .

(٢) لتفصيل موقف هذه الامارات من الخلافة انظر بحثنا عبر الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير - ص ١٦٤ - ١٦٦ موقف بقايا السلاجقة من الخلافة التي استعانت عليهم بالخوارزمية ص ١٦٦ - ١٦٨ موقف الغورية وتصديا للخوارزمية بايماز من الخلافة .

(٣) القزاز ص ١٦٨ - ١٨٣ في شرح علاقة الخلافة بالخوارزمية وأساليب الخلافة لضعافها وإخضاعها .

وقد مر علينا انها كانت اعجز عن ذلك مما جعل ابن الاثير يفتقد سرتين
بعده ويحملهم مسؤولية انهيار البلاد عندما قال (١) : « فان هؤلاء التتر ، إنما استقام
لهم هذا الامر لعدم المانع ، وسبب عدمه ، ان خوارزمشاه محمد كان قد استولى على
البلاد وقتل ملوكها وافنائهم وبقي وحده سلطان البلاد جميعها ، فلما انهزم منهم لم يبق
في البلاد من يمنعهم ولا من يحميها » .

لذلك كان اختفاء الخوارزميين من الميدان اختفاءً لكل مقاومة حقيقية للزحف
المغولي تعوقهم عن بغداد (٢) ، اذ سرعان ما تقدم الامراء المحليون بالطاعة والولاء
للمغول الذين وزعوا الشحن على بلادهم وتقبلوا هداياهم واموالهم (٣) .

وقد مر علينا كيف انه عند اختفاء جلال الدين الاخير ، توغلت الفرق
المغولية التي ارسلت للملاحقة ، حتى وصلت حران والرقه ونصيبين والخابور والموصل

(١) ابن الأثير ج ٩ ص ٣٣٠ . والمرة الثانية التي انتقدتم فيها في ص ٣٨٣ ،
حيث وصف جلال الدين بسوء السيرة وقبح التدبير ، لم يترك أحداً من المجاورين
إلا عاداه ... » .

انظر أيضاً الصفدي ج ٢ - الوافي بالوفيات ص ٢٧٥-٢٧٧ في ترجمته لخوارزمشاه
محمد بقوله : اباد ملوك العالم ودانت له الممالك واستولى على الأقاليم ، وافنى ملوك
خراسان وما وراء النهر وقتل صاحب سمرقند .

(٢) وقد شبه براون *BRowne* . الخوارزمية بالقنطرة التي يجب ان يعبرها
المغول لكي يصلوا الى بغداد ، حافظ حمدي - الشرق الاسلامي ص ١٤٧ .

(٣) ابن الأثير ج ٩ ص ٣٨٦ . التاريخ الغازاني م ٣ الورقة ٥٦٩ - ٥٧٣ .

واربل ودافوق لا يمنهم مانع ، وقد اوقع الله الذل على المسلمين » (١) .
ولم يكتم هؤلاء الامراء بالخنوع للذل المغولي ، بل سارعوا عند وصول
هولاكو في طريقه نحو بغداد الى تجديد طاعتهم واستعدادهم لمرافقته نحو بغداد ،
وسوف ترى كيف ساهم بعضهم في حصارها وذبح ابنائها (٢) .
اما في الغرب فقد كانت الامارات الايوبية وسلاجقة الروم واتبكة الموصل ،
واربل . وكان موقف هذه الامارات وعلاقتها بالخلافة يختلف عن ذلك بالنسبة
لالامارات الشرقية .

وبقدر ما كانت الخلافة تجد صعوبة في فرض ولائها الاسمي على الشرقية منها
حتى اضطرت في بعض الاحيان الى استخدام جيوشها ، او اللجوء الى اساليب غير
طبيعية معها كان عملها مع الامارات الغربية سهلا ، لانه كان يقوم على الاعتراف
الطبيعي لهذه الامارات بشرعية حقوق الخلافة وسلطانها عليها (٣) .
ومما يلاحظ في هذه الامارات كلها ، انها تفرعت من بعضها في فترات مختلفة

-
- (١) ابن الأثير ج ٩ ص ٣٨٤ - ٣٨٦ ، مرآة الزمان ج ٨ ق ٢ ص ٦٧٣ .
(٢) جامع التواريخ ج ٢ م ١ ص ٢٣٩ - ٢٤٠ في وصول شمس الدين كرت ،
واتابك فارس وصدور خراسان والعراق واذربيجان . انظر ايضا الجوزجاني -
طبقات ناهري . الورقة ٣٢٢ - ٣٢٣ حيث يشير الى طاعة الاتابك ابو بكر صاحب
فارس وانجاده هولاكو عند زحفه نحو بغداد .
(٣) القزاز - ص ٢٢٩ .

وان كانت ترجع جميعها الى دولة السلاجقة التي سيطرت على الخلافة العباسية طيلة قرن من الزمن (٤٤٧ - ٥٤٧) .

فامارة اربل :

ترجع في الاصل الى اقطاع منحه الاتابك عماد الدين زنكي بن آقسنقر الى قائده زين الدين علي بن بكنكين المتوفى سنة ٥٦٣ هـ . فتوارثه ابناؤه من بعده (١) . وفي مطلع القرن السابع الهجري كان يتولى أمرها ابنه مظفر الدين كوكبري (٢) الذي لم يحمه ارتباطه المائلي بالاسرة الايوبية ، وجهاده معهم ضد الصليبيين ، من ضغطهم عليه ومنازعتهم له ، فاضطر الى الارتقاء في احضان الخلافة والعلوق بموالاتها حتى عد من اوليائها (٣) .

وتعرضت اربل للغزو المغولي اول مرة سنة ٦١٨ هـ بعد اختفاء خوارزمشاه

(٢) الاتابك عماد الدين زنكي بن آقسنقر مؤسس الاسرة الاتابكية بالموصل سنة ٥٢١ هـ والتي امتد سلطانها حتى الشام ثم مصر ، وكانت اول امارة اسلامية تتصدى بشكل منظم للغزو الصليبي ، انظر ابن الأثير ج ٩ ص ٩٧ ، ابوشامة الروضتين ج ١ ص ١٥٢ .

(٣) تولى مظفر الدين حكم اربل مرتين الاولى بعد وفاة ابيه سنة ٥٦٣ هـ ، لكنه اختلف مع خادم ابيه مجاهد الدين قايماز الذي كان يتولى أمرها ، ففارقها . والمرة الثانية كانت بعد وفاة اخيه زين الدين يوسف المتوفى سنة ٥٨٦ هـ . انظر ابن الاثير ج ٩ ص ٢١٠ ، ابن شداد - المحاسن اليوسفية ص ١٢٩ .

(٤) النسوي ص ٣٠٤ .

علاء الدين محمد امام الفرق المغربية التي توغلت حتى اربل ودقوق .

وقام مظفر الدين بواجبه في الاستعداد والاستنجاد بامارة الموصل والخلافة ،

فتجمعت لديه بمض الجيوش ، ووصلت نجدة الخلافة ، لكن مظفر الدين « لم ير

أن يخاطر بأرواح المسلمين ، وجيشه بهذه الفلة » . وكان من حسن حظه أن عاد النتر

قبل اللقاء ، نظراً لبعدهم ، او خوفاً من تجمع الجيوش عليهم .

ويروي مظفر الدين انه تعهد للخليفة ان امده بمشرة آلاف مقاتل ، ان يستنقذ

من العدو ما احتله من بلاد المسلمين ، فوعده الخليفة بذلك ، ثم امده بنجدة لم تزد

على ثمانمائة جندي (١) .

وتعرضت اربل ثانية سنة ٦٢٩ هـ عندما اختفى جلال الدين من أمامهم ايضاً ،

فتوغلت جيوش جورماغون نويان الى داخل البلاد ووصلت الموصل واربل ودقوقا ،

واستعد مظفر الدين ايضاً ووصلته النجدة ، وخرج بالجيوش الى أطراف اربل حتى

وصلوا شهرزور ، فلم يلقوا من العدو إلا من تاه من رجاله بين الجبال ، ثم عادت

بعد أن يئست من لقاءه (٢) .

وختم مظفر الدين حياته التي قضاهها يجاهد العدوين : الصليبي والمغولي ، بان

توجه سنة ٦٢٨ هـ لزيارة دار الخلافة لأول مرة ، اذ كان يعتقد ان زيارتها فرض

مقدس عليه ، وقد تلا عند مشوله بين يدي الخليفة المستنصر بالله قوله تعالى : « اليوم

(١) ابن الاثير ج ٩ ص ٣٣٧ - ٣٣٨ . القزاز ص ٢٤٣ .

(٢) ابن الاثير ج ٩ ص ٣٨٥ - ٥٨٦ . ابن الفوطي - الحوادث الجامعة

أكلت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي .. (١) .
ثم تمهد للخلافة في هذه الزيارة بتسليم بلاده لها بعد وفاته (٢) فلما مات بعد
عودته من جهاد المفل سنة ٦٣٠ هـ ألحقت اربل بالخلافة (٣) .

* * *

اما امارة الموصل :

فقد أسسها كما ذكرنا عماد الدين زنكي في رمضان ٥٢١ هـ بمنشور من السلطان
السلجوقي محمود بن محمد بن ملكشاه (٤) ، وكان عند حسن الظن به في مقارعة الصليبيين
ومضاهقتهم حيث استطاع بعد فترة قصيرة من توليه ، أن يعيد سلطانه الى حلب وينظم
مقاومة الغزو الصليبي فكان اول أمير مسلم ينجح في ذلك .
وانقسمت امارته بعد مقتله عام ٥٤١ هـ (٥) بين ولديه سيف الدين غازي الذي

(١) القرآن الكريم : سورة المائدة رقم (٥) الآية (٣) .

(٢) الحوادث الجامعة ص ١٩ - ٢٣ .

(٣) نفس المرجع ص ٤٤ . مرآة الزمان ج ٨ ق ٢ ص ٦٨٠ .

(٤) كان السلاجقة في هذه الفترة يسيطرون على الخلافة العباسية ، وحكم السلطان

محمود من سنة ٥١٢ - ٥٢٥ هـ وكان اختياره لعماد الدين مكافأة له على نشاطه في دعم

سلطانه على الخلافة ، وشعوراً بقدرته على دفع الاعتداء الصليبي على البلاد ، وكان

عماد الدين في نفس الوقت يشرف على تربية ولد السلطان . انظر - ابن الاثير - الباهر

في الدولة الاتابكية ص ٣٤ - ٣٥ . ابن الجوزي ج ١٠ ص ٥ من المنتظم .

(٥) الباهر في الدولة الاتابكية ص ٧٤ ، القزاز ص ١٩٠ .

تولى الموصل ، ونور الدين محمود الذي تولى حلب وواصل سياسة ابيه في جهاد الفرنج (١) .

وفي مطلع القرن السابع الهجري كان يتولى أمرها نور الدين ارسلان شاه بن عز الدين الاتابكي الذي توفي في رجب ٦٠٧ هـ ، والذي كان آخر أمراء الاتابكة الذين مارسوا السلطان فيها .

لقد ارتبط تاريخ الموصل في هذه الفترة بشخص بدر الدين لولو الذي اختاره السلطان نور الدين ارسلان شاه للوصاية على ابنه القاهر عز الدين مسعود وتدبير امور ولايته ، فأصبح الحاكم الحقيقي منذ هذا التاريخ حتى جاءه تقليد الخلافة بالولاية في محرم ٦٣١ هـ (٢) ، وحافظ بدر الدين علي ولائه الظاهري للخلافة ، لكنه كان يضطر عند ضغط الاحداث الى ممالأة المغول ومسايرتهم .

(١) (الباهر) ص ١٩٧ . ابن العبري ص ٢٢٩ .

(٢) الحوادث الجامعة ص ٤٢ . وكان بدر الدين خلال وصايته على الامارة

قد قرض ثلاثة من أبناء الاسرة الاتابكية ، فقد توفي القاهر مسعود عام ٦١٥ هـ . فخلفه ابنه نور الدين ارسلان شاه الذي لم يمكث فيه اكثر من سنة ، ثم خلفه اخاه ناصر الدين محمود وعمره ثلاث سنوات . انظر ايضاً ابن العبري ص ٢٤٩ . تلخيص مجمع الآداب في معجم الالقاب ص ٤ ق ١ ص ٣٥٨ - ٣٥٩ في الحديث عن عز الدين مسعود . ابو المحاسن م ٣ المنهل الصافي - الورقة ٧٠ في ترجمة بدر الدين ، انظر انظر ايضاً هونكمان .

Hanigmann : Emcyafgelam Vol 3 - 2 . Mosul . p . 610.

فقد تعرضت الموصل - كما تعرضت اربل - الى هجماتهم في عامي ٥٦١٨ ، ٥٦٢٩ هـ وقام بدر الدين بواجبه في تلمية نداء الخلافة وأنجاد صاحب اربل والتعاون معه في دفعهم .

وتوات هجمات المغول على المنطقة في سنتي ٦٣٣ هـ ، ٦٣٤ هـ حيث كانوا يذتقلون بين دقوق ، واربل والموصل وسنجار وحران وماردين : وكانت الخلافة عاجزة عن القيام بعمل ايجابي موحد لدفعهم ، كما ان انشغال أمراء البلاد بمنازعاتهم المحلية صرفهم عن الاستعداد للمغول او الاستماع لتذبيحاته لخطوهم ، فاضطر بدر الدين حينئذ الى الانفراد عنهم بمصالحة التتر وشراء سلامهم بالمال والتظاهر بالطاعة لهم ، ويشير ابن الفوطي الى ذلك في حديثه سنة ٦٣٤ هـ بقوله (١) : « وامتد المغول ، بدر الدين صاحب الموصل بما يحتاجون اليه من ميرة وآلة وغيرها » .

(١) الحوادث الجامعة ص ٨٤ ، ٩٩ . ابن العبري ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ . ابوالحسن ج٦ ص ٢٨٧ ، ٢٩٣ . المقرئ الفيومي الورقة ٧٤ ، ابن تهاق - نزهة الانام - الورقة ٢٠ ، ٢١ .

ويؤكده محمد باقر الحسيني في رسالته - العملة الاسلامية في العهد الاتابكي - التي نال بها درجة الماجستير من آداب القاهرة ١٩٦٥ م . دخول بدر الدين في طاعة المغول وضربه ألقابهم على عملته النحاسية وحذفه اسم الخليفة . ويشير الى القطعة النحاسية التي ضربت في الموصل بعد سنة ٦٣٣ هـ وقبل سنة ٦٤٠ هـ والمدون عليها اسم : القاآن الأعظم . لولو المعظم . اتابك . وهي اول قطعة نحاسية تحمل اسم القاآن الذي هو اوكتاي . انظر ص ١٢١ حيث يشير الى وجود هذه القطعة في متحف هامبون برقم ١٥٠-

وامستمرأ المغول هذه الطاعة من بدر الدين ، فجعلوا منه عميلاً رسمياً لهم ،
يوجه باسمهم الرسائل الى اهل البلاد ويجمع لهم الضرائب (١) . لكن ذلك لم يؤد به
الى قطع صلته بالخلافة ، فكان يتصل بها سرأ ، ويخبرها بما يستجد من أمر المغول ،
وان كان النوبني يتهم ابن الملقمي الوزير بانه لم يكن يوصل مطالباته الى الخليفة ،
فأضطر الى الاتصال بناقبة ابن الصلايا باربل لكي يتصل بدوره ويحذر الخليفة من
أمر المغول (٢) .

– انظر ايضاً لوح رقم – ٤ – الملحق برسالته قطعة رقم – ٤٩ أ – .
اما ما يؤخذ على الحسيني فهو خطأه في تسلسل احداث الغزو المغولي سنة ٦٣٣
واشارته الى ان الخان المغولي هو الذي تقدم على رأس الجيش الى اربل ونيوى .
والصحيح ان اركتاي لم يتوجه نحو الغرب . والذي قام بهذه الهجمات هو القائد
چورماغون نويان الذي مر ذكره .

(١) يشير المقرئ في السلوك ج ١ ق ٢ ص ٣١٥ ، ٣٢٠ . في حوادث سنة
٦٤٢ هـ بقوله : هـ وفيها ورد الى دمشق كتاب بدر الدين لولو صاحب الموصل يقول
فيه : إنني قررت على اهل الشام قطيعة للتمر في كل سنة من الغني عشرة دراهم ومن
المتوسط خمسة ، ومن الفقير درهم ، فقرأ القاضي محي الدين بن الزكي الكتاب على
الناس ووقع الشروع بالجمع ، انظر ايضاً : خصباك – الادارة الايلخانية في العراق
مجلة كلية الآداب – بغداد – العدد الأول ١٩٥٩ م ص ٢ .

Honig mann . Movul Fn . gsl .

(٢) اليونيني – ذيل المرآة – ص ٨٧ . العيني – عقد الجمان احداث سنة ٦٣٥ هـ
الورقة ٢١٠ يشير فيها الى مكاتبة صاحب اربل ومواطنه للتمر . الحوادث الجامعة
ص ١٣١ في القبض على حاكم اربل .

وجرت هذه الطاعة بدر الدين الى استمرار التظاهر بها حتى أصبحت حقيقة لا يستطيع التراجع عنها ، فضلا عن ان الخلافة لم تقم بعمل ضد المغول يثبت وجودها أمامه ويشجعه على التمرد عليها .

واضطره ذلك الى تلبية أوامر استدعائهم له ومشار كته إياهم في مجالسهم ، وبدعم بالمساعدات من المال والسلاح وقبول شحنهم (١) وإعادة ضرب ألقابهم على عملته بعد حذف اسم الخلافة منها كما يشير ذلك الحسيني في سنة ٦٥٢ هـ (٢) .

وكان آخر المطاف بيدر الدين انه ارغم على المساهمة في حصار بغداد حيث ارسل جيشه اليها يقوده ابنه الصالح اسماعيل (٣) .

(١) الجويني ج ١ ص ٢٠٥ ، التاريخ الغازاني م ٤ الورقة ٧٦٤ في حضور ممثله في اجتماع القوريلثاي ، ابن الطقطقي ص ٤٢ في امداداتهم بآلات الحصار والمنجنقات . الجوزجاني - طبقات نصري ص ٣٢٣ في قبول الشحنة و امدادهم بالجيش .

(٢) يشير الحسيني ثانية الى ان بدر الدين انقطع عن كتابه القاب المغول واعاد شعار الخلافة على عملته مستغلاً في ذلك ظروف المغول السياسية من ناحية ، ولكي يعيد الصفة الشرعية لنقوده فيقبل الناس التعامل بها من ناحية اخرى . لكنه اضطر سنة ٦٥٢ هـ الى اعادة كتابة الشعار المغولي على عملته الذهبية والنحاسية . ويشير الى الدينار الذي ضرب في الموصل سنة ٦٥٢ هـ والذي يحمل على وجهه عبارة « منكوقاآن الأعظم ... وفي ظهره اسم بدر الدين لولو . انظر ص ٦٠ وهو موجود في المتحف الاسلامي بالقاهرة برقم ١ / ٧٧١٤ . انظر لوح رقم ١ صورة رقم ٢١ . انظر ايضاً ص ١٢٣ العملة النحاسية ضرب الموصل سنة ٦٥٢ تحمل نفس الشعار .

(٣) البونيني ص ٨٨ ، ابن كثير ج ١٣ البداية والنهاية ص ٢٠٠ .

أما سلاجقة الروم :

فقد كانوا يمثلون امتداد النفوذ السلجوقي في آسيا الصغرى خاصة بعد انتصارهم على البيزنطيين في واقعة ملازكرد سنة ٤٦٣هـ/ (١٠٧٢م) حيث اختار السلطان السلجوقي ملكشاه عام ٤٧٠هـ ابن عمه سليمان بن قتلش بن اسراييل ليكون والياً عليها ويدعم نفوذهم فيها ، فاستولى سليمان على ولايتي قونية واق سرا ، وأصبح المؤسس الحقيقي لهذه الامارة التي امتد عمرها حتى نهاية القرن السابع الهجري (١) . ولكن سليمان راح ضحية اطماعه التوسعية على حساب الامارات المجاورة ، إذ انه بعد ان انتزع انطاكية من البيزنطيين ، اصطدمت مصالحه مع مصالح ابن عمه تنش بن البارسلان الذي كان بدوره يمثل الوجود السلجوقي في الشام فاشتبك على اسوار حلب وسقط سليمان في المعركة في صفر ٤٧٩هـ . فتوارث ابناؤه الحكم من بعده باقرار من السلطان السلجوقي ملكشاه (٢) .

وفي مطلع القرن السابع الهجري كان يتولى أمر السلاجقة السلطان ركن الدين سليمان (٣) الذي كان قد نازع اخوته اقطاعاتهم واستصغى البلاد اسطانه ، لكن الاجل لم يطل به إذ توفي في ذي القعدة ٦٠٠هـ / (١٢٠٣م) فاستولى اخوه غياث الدين

(١) عبد النعيم حسنين - سلاجقة ايران والعراق ص ٦٦ .

(٢) السيوطي - تاريخ الخلفاء ص ١٣٤ . عبد النعيم حسنين ص ٦٦ - ٦٧ .

(٣) ركن الدين سليمان بن قليش ارسلان بن مسعود بن قليش ارسلان بن سليمان

ابن قتلش . انظر

كبخسرو على السلطنة التي كانت قد سلبت منه فيما مضى ، خاصة وان طفل ركن الدين كان صغيراً (١) .

ومثلما كان دور سلاجقة الروم ضعيفاً في صد الخطر الصليبي بالرغم من اشرافهم على طرق مواصلاته البرية ، كذلك كان موقفهم ضعيفاً في مواجهة الخطر المغولي ، وذلك بسبب انغماسهم في منازعة بعضهم البعض الآخر ، ومساهمتهم في الصراع الاقليمي مع الامراء المجاورين لهم (٢) .

فقد تعرض المغول لبلادهم عندما توغلوا وراء جلال الدين في هزيمته الاخيرة عام ٦٢٨ هـ . فوصلوا حتى آمد ونصيبين وارزروم وغيرها من البلاد .

وبدلاً من قيام سلطانهم علاء الدين كيقباز بالاستعداد لهذا الخطر وتقوية تحالفه مع الايوبيين خاصة للوقوف في وجه المغول ، نجده يستسلم لهم ويدخل في طاعتهم ، حيث ارسل كما يقول ابن العبري (٣) في سنة ٦٣ هـ « رسولا الى قاآن وبذل

(١) ابن العبري ص ٢٢٨ . وقلما يتولى أحدهم السلطنة إلا بعد قتل او سجن بعض اخوته او بني عمه .

(٢) نفس المرجع ص ٢٤٦ . النسوي ص ٢٦١ ، ٢٧٨ ، ٣١٧ - ٣١٨ ، ٣٢٩ . ابن الأثير ج ٩ ص ٣٨١ .

(٣) تاريخ مختصر الدول ص ٢٤٩ : وقد قال القان الرسول : « اننا قد سمعنا برزانة عقل علاء الدين وإصابة رأيه ، فاذا حضر بنفسه عندنا يرى منا القبول والاكرام وتكون بلاده جارية عليه » . انظر كذلك مرآة الزمان ج ٨ ص ٦٨٤ ، ٦٩٥ . ابو المحاسن ج ٦ ص ٢٨٧ ، ٢٩٣ . السلوك ج ١ ق ١ ص ٢٤٧ . المقرئ الفيومي نثر الجمان الورقة ٧٤ .

الطاعة ، لكي يتفرغ بعد ذلك لمخاضة الأيوبيين ومحاصرة بلادهم .
ولكن خضوع السلاجقة لم يدم طويلاً ، إذ توفي علاء الدين كيقباذ عام
٦٣٤ هـ . فخلقه ابنه غياث الدين كيخسرو الذي تصدى للمغول في أرمينيا عام ٦٣٧ هـ
فامتنعوا عن الدخول الى بلاده « (١) .

وتشجع كيخسرو بهذا النصر ، فجمع الجيوش عام ٦٤١ هـ من اليونانيين
والفرنج والارمن والعرب وتصدى للمغول في منطقة ارزنكان ، لكن جيشه تفرق
عنه قبل ان يلقى بهم العدو ، فاضطر الى الهرب وراهم ملجئاً الى مدينة انقرا ،
فاستولى المغول على سيواس وقيسارية وخراسان وخراسان ، ثم أرسل بعد ذلك يطلب
أمانهم والدخول في طاعتهم وتعهدهم بتقديم مال وخيل وثياب كل عام (٢) .

وام يتحول كيخسرو هذه الصدمة ، فتوفي سريعاً عام ٦٤٣ هـ تاركاً ابنه
الثلاثة يتصارعون على السلطة من بعده ، ويسارعون الى تجديد الطاعة للمغول ،
فقد توجه الابن الثاني ركن الدين للمشاركة في اجتماع القوريلشاي الذي عقد لتنصيب

(١) ابن العبري ص ٢٥٠ ، ٢٥١ . الحوادث الجامعة ص ٩٧ .

(٢) ابن العبري ٢٥٢ - ٢٥٣ ، ابوالفداء ج ٣ المختصر في اخبار البشر ص ١٧٩
السلوك ج ١ ق ٢ ص ٣١٣ ، ابو العباس القرماني ص ١٨٢ وهو يذكر انه تعهد بدفع
اربعمائة الف دينار سنوياً . ابو محمد الطيب ج ٣ فلاة النحر في وفيات اعيان الدهر
الورقة ٨٩٩ د وهو يشير الى تعهده بحمل الف دينار ومملوك وجاريد وفرس وكلب
صيد يومياً ، . موسوعة تاريخ العالم ج ٣ ترجمة زيادة ص ٨٦٨ . الصديقي ج ٢
ص ٢٧٧ - ٢٧٨ .

كيوك ممثلاً لأمرته (١) .

ومن المحتمل ان ركن الدين استغل وجوده في حاضرة المغول فوثق صلواته بزعمائهم حتى حصل على تأييدهم له في تولي السلطنة بدلا من اخيه الكبير عز الدين ، اذ ان التنظيمات التي أصدرها كيوك خان عام ١٢٤٥ هـ كانت تقضي بتعيين إلكتاي نوبن ممثلاً لهم او مشرفاً على بلاد الروم والموصل والشام والكرج (٢) .

وكانت تقضي ايضاً بعزل عز الدين وتنصيب اخيه ركن الدين (٣) . وعاد ركن الدين من قراقورم تحميه حراب المغول للاستيلاء على السلطنة ، وتنفيذ أمر القان في اخيه الكبير . ولكن تدخل زعماء الروم في الأمر حال دون وقوع الدماء وتقرر توزيع البلاد بين الاخوة ، فكانت الولايات الغربية من الامارة من نصيب عز الدين ، بينما امتلك ركن الدين الشرقية منها ، وأرضي الثالث علاه الدين ببعض الاقطاعات الخاصة ، واشترك الاخوة الثلاثة في ضرب أسمائهم على السكة (٤) .

على ان فترة الاستقرار هذه لم تدم طويلاً ، اذ ان عز الدين استدعي من قبل منكوقان (الذي تولى أمر المغول بعد وفاة ابن عمه كيوك) ، ليكون في خدمته

(١) الجويني ج ١ ص ٢٠٥ ، التاريخ الغازاني م ٤ الورقة ٧٦٤ .

(٢) وهي البلاد التي دان حكامها بالطاعة لهم ، او تعهدوا بذلك كما هو الحال بالنسبة لصاحب الشام .

(٣) ابن العبري ص ٢٥٦ - ٢٥٧ ، العزاوي ج ١ ص ١٤١ تاريخ العراق بين احتلالين .

(٤) ابن العبري ص ٢٥٧ - ٢٥٨ .

شخصياً ، وفي الطريق أحس بتحالف الأمراء مع أخيه ركن الدين ، وان استدعاه الى قراقورم قد يكون حيلة لابعاده عن البلاد ، ثم التخاص منه فيما بعد ، ومن ثم أسرع من سيواس عائداً الى العاصمة قونين ، حيث ارسل اخاه الصغير علاه الدين لخدمة الخان الجديد مع رسالة سبب فيها اعذار تخلفه ، ثم تفرغ لعقاب أخيه ركن الدين الذي كان قد هرب الى قيصارية ثم سقط اسيراً فسجن في احدى القلاع (١) وانتقل التناوب والتخاصم من الأخوة الى حاشيتهم التي كانت سبباً في كثير من الاضطراب فقد توفي علاه الدين في الطريق قبل ان يكمل سفارته لخدمة القاآن ، وتفرق موكبه ، فأسرع بعضهم الى قراقورم ليخبروا بذلك ، ويدبروا امر مستقبل البلاد وفق ما تشتهييه مصالحهم ، بينما تأخر آخرون لمرافقة الجثمان الذي واصل السير لاكمال مهمته .

وعندما اجتمع الفريقان أمام القاآن منكو ، بانث له الخديعة التي اوشكت ان تجوز عليه ، فقرر أن يبقى البلاد لمر الدين الذي هو كبير الاخوة وأحقهم بالمملكة (٢) .

وجاء في اليرليغ الذي اصدره القاآن بتقليده السلطنة في مملكة الروم : « بان يكون هناك صلح معهم ، وان يحمل اليهم ما يقرر من المال سنوياً ، وان يمنع التتار من الغارة على بلادهم والتعرض لرعيته » (٣) .

(١) نفس المرجع ص ٢٦٣ - ٢٦٤ ، الغزاري ج ١ ص ١٤٩ .

(٢) الدواداري م ٩ زبدة الفكرة الورقة ٢ - ٣ .

(٣) نفس المرجع السابق الورقة ٤ .

ولكن قبل ان يغادر اصحاب عز الدين قراقورم حاملين معهم البايضة (١) الذهب المنقوش التقليد والتفويض للسلطان ، جاءت الاخبار من الروم بغير ما يشتهون ذلك ان عز الدين ، بعد ان تخلص من منافسة سجينه ركن الدين عزم على استعادة كرامته ونفض يده من طاعة المغول ؛ فطرد رسول بايجونوين الذي قدم يسأل مكاناً يشتي فيه الجيش المغولي ، وأرسل جيشه لمهاجمة معسكرهم في صحراء قونية ، ولكن الدائرة دارت عليه بسبب سوء تدبيره وفساد نيته (٢) .

ووصلت هذه الاخبار الى منكوقان الذي استعاد ما سبق ان منحه بالرغم من محاولة اصحاب عز الدين تبرير عمل صاحبهم للحفاظ بحقه .

وأمام المغريات التي عرضها اصحاب ركن الدين على القان لتفضيل صاحبهم على اخيه بالسلطنة ، والتعهدات التي قطعوها نيابة عنه بالطاعة التامة الدائمة ، قرر منكوقان اعادة قسمة البلاد بين الاخوين ليجعل من ركن الدين عميلاً له وعيناً على

(١) البايضة : عبارة عن لوح من الذهب مرسوم عليه رأس اسد وينقش فيه الامر السلطاني الذي يعطى لممثل السلطة الشرعي ، او لمن هو في منزلة عالية . انظر في ذلك القاموس الفارسي الانكليزي .

Dozy . I . p : 49 . steingass . p . 235 .

(٢) زبدة الفكرة م ٩ الورقة ٧-٨ ، ابن العبري ص ٢٦٤ ، جامع التواريخ م ٢ ج ١ ص ٢٦١ . وقد أخطأ رشيد الدين عندما ذكر اسم السلطان غياث الدين كيخسرو الذي كان قد توفي قبل اكثر من عشر سنوات إذ ان السلطان المقصود هنا هو ابن عز الدين كيكاوس .

اها سبب هزيمة جيشه فيعود الى خيانة السلطان لقائد جيشه ارسلان دعمش حيث-

أخيه وصدر الأمر بذلك عام ٦٥٥ هـ (١) .

ويشير ابن العبري إلى أن بايجو نوبن ظل يضايق عز الدين لمصلحة أخيه ركن الدين ، ويطارد نوابه الذين يرسلهم للإشراف على بلاده ، ولم يخلص عز الدين منه حتى شكاه إلى هولاكو الذي استدعى بايجو ليشاركه بالزحف نحو بغداد ، حينئذ استعاد عز الدين بلاده من نواب أخيه ركن الدين (٢) .

* * *

أما الإمارة الأيوبية :

فقد تفرعت عن الأتابكية ، ذلك أن نور الدين ، بعد استقراره في بلاد الشام ، وجد أن استحصال أسباب الجهاد ضد الصليبيين يفرض عليه مد سلطانه إلى مصر فيجمع بين البلدين ويجعل منهما قاعدة قوية يضرب منها العدو الدخيل في فلسطين . وكانت الظروف في مصر مهيأة لذلك ، فأرسل جيشه يقوده أسد الدين شيركوه وبرفقته ابن أخيه صلاح الدين ، وقضوا على التدخل الصليبي فيها وأزالوا الحكم الفاطمي المنهار وخطبوا للخليفة العباسي في محرم ٥٦٧ هـ (٣) .

— تعرض لنسائه ، فسمع القائد ذلك فتحالف مع المغول وعاد يهاجم سلطانه الذي هرب إلى بعض القلاع .

(١) زبدة الفكرة م ٩ الورقة ٥ .

(٢) ابن العبري ص ٢٦٦ - ٢٦٨ .

(٣) ابن الأثير ج ٩ ص ١١١ ، ابن شداد ص ٣٥ ، ابن واصل ج ١ مفرج

الكروب ص ٢٠٠ - ٢٠١ القرزاز ص ١٩٢ - ١٩٣ .

وبرز دور صلاح الدين وشخصيته في توجيه الامور بمصر به د وفاة عمه
اسد الدين في جمادي الآخرة ٥٦٤ هـ (١١٦٨ م) حيث تولى وزارتها وأصبح
الرجل الاول فيها الذي يقوم مقام نور الدين ، لكنه مع ذلك بقي محافظاً على
طاعته له ، ملبياً أوامره في الخروج للغزو الصليبي ، إلا انه كان يتجنب الاجتماع به
في الميدان خوفاً مما نشرته الاشاعات من عزم نور الدين على عزله (١) .

وأدى هذا الحرص من جانب صلاح الدين على المنصب والخوف من العزل الى
اتخاذ مواقف معينة ، أثرت على بعض خطط نور الدين العسكرية ، وحرمته من
تحقيق بعض الانتصارات على العدو الصليبي ، الأمر الذي دفع بنور الدين الى اساءة
الظن به حتى اوشك ان يقرر الزحف على مصر (٢) .

على ان صلاح الدين كفر عن هذا التقاعس والحرص عندما تبوأ مكان
نور الدين الذي توفي في شوال ٥٦٩ هـ . فوهب نفسه لجهاد الصليبيين وحقق رغبة
نور الدين في وحدة العالم الاسلامي في هذه المنطقة ووقوفه صفاً واحداً أمام الخطر
الصليبي ، وعلى الرغم من انه كان مستقلاً في عمله قبل هذه الفترة ، إلا ان شرعية
سلطانه لم تتم إلا بعد ان وصله تقليد الخلافة بالسلطنة ببلاد مصر والشام وجميع
ما تشتمل عليه الولاية النورية ، وذلك في شوال ٥٧٠ هـ (٣) .

(١) ابن الاثير ج ٩ ص ١٠٢ - ١٠٣ ، ابن واصل ج ١ ص ١٧٤ ، عاشور

ج ٢ ص ٧٢٥ - ٧٢٦ . القزاز ص ١٩٥ .

(٢) القزاز ص ١٩٦ .

(٣) ابن الاثير ج ٩ ص ١٣٣ ، ابوشامة ج ١ ص ٢٥٠ ، القزاز ص ١٩٦ - ١٩٨

وحقق صلاح الدين كثيراً من الانتصارات العسكرية على الصليبيين خلال العشرين سنة التي تسيطر فيها . كان أهمها انتصاره في حطين عام ٥٨٣ هـ ، حيث انتزع منهم بيت المقدس ومعظم البلاد الداخلية والساحلية . وتوارث ابناؤه وأخوه البلاد عند وفاته في نهاية صفر ٥٨٩ هـ ، وواصلوا سياسته في الحفاظ على البلاد ومقارعة المدو ، وان كانوا قد فقدوا روحه وعزيمته بوفاته (١) .

وفي مطلع القرن السابع الهجري كان العادل ابو بكر شقيق صلاح الدين قد انتزع زعامة البيت الايوبي من ابناء اخيه بأساليب مختلفة ، ثم وصله تقليد الخلافة بالسلطنة على مصر والشام والشرق وخلال عام ٦٠٤ هـ (٢) . على ان العادل لم يستطع ان يملأ مكانة اخيه في زعامة العالم الاسلامي ، اذ ان حرصه على الاستئثار بالسلطان لبنيه جعله يسيء السيرة مع بني اخيه ويقية الامراء حتى تحالفوا عليه ورشحوا لسلطنة غيره (٣) .

وانتهت زعامة العادل بوفاته عام ٦١٥ هـ لتعود الفرقة بين امراء الاسرة الايوبية ثانية في الوقت الذي كانت فيه مصر تتعرض لعدوان صليبي شديد ، وكانت طلائع

(١) ابن شداد ص ٢٤٩ - ٢٥٠ ، ابو شامة ج ٢ ص ٢١٣ .

(٢) وخوطب بلقب شاهنشاه ملك الملوك خليل امير المؤمنين . مرآة الزمان

ج ٨ ق ٢ ص ٥٢٤ ، ابو شامة - ذيل الروضتين ص ٦٠ ، ابن واصل ج ٣ ص ١٨٠

- ١٨٢ . السلوك ج ١ ق ١ ص ١٦٧ - ١٦٨ .

(٣) انظر ايضاً السلوك ، ذيل الروضتين ص ٧٥ ، ابن واصل ج ٣ ص ٢٠١ .

الغزو المغولي تهاجم اطراف العالم الاسلامي من الشرق .

ووصلت شرارة المغول اطراف البلاد الايوبية اول مرة عام ٦١٨ هـ عند اندفاع الفرق المغربية وراء خوارزمشاه علاء الدين محمد ، حيث وصلوا اطراف سنجان وحران .
ولكن التمرض الحقبتي لبلادهم كان بعد اختفاء جلال الدين عام ٦٢٨ هـ ،
حيث وصلوا في توغلبهم الى أعماق البلاد الايوبية .

وبين هاتين الفترتين ، كان النفير يدق في البلاد الاسلامية ، والرسل تطوف على الامراء تدعوهم الى الاستيقاظ وجمع الشمل قبل فوات الأوان .

ولكن الامراء الايوبيين كانوا مشغولين في واد آخر ، كانوا مشغولين في خصوماتهم مع بعضهم حتى هان عليهم التحالف مع العدو الصليبي على بني ابيهم وعهدهم وهان عليهم تسليم القدس عام ٦٢٦ هـ وإعادتها الى الفرنج لقاء مساعدهتهم لهم ضد بني أبيهم (١) .

لم يكن الايوبيون يجهلون الخطر المغولي ، ويعلمون ان الدولة الخوارزمية مثل السد الذي يحول بينه وبين بلاد المسلمين ، وهذا الاشرف الأيوبي يخاطب وزير (١) غرق الايوبيون في هذه الفترة في نزاع مع بعضهم حتى تحمّلوا سبة التاريخ واضاعوا المجد الذي بناه لهم صلاح الدين .

فقد اختلف المعظم مع اخوته الاشرف والكمال فاستنجد عليهم بجلال الدين الخوارزمي ثم بعد وفاته ، اختلفوا مع ابنه الناصر داود وسلبوه حقه ، ثم اختلف الاشرف مع اخيه الكامل ، وتحزب الامراء بعضهم لبعض حتى اضطر الكامل الى التحالف مع ملك الفرنج وسامه القدس في الوقت الذي كانت جيوشه تحاصر ابن اخيه بدمشق . انظر ابوالحسن ج ٦ ص ٢٧١ - ٢٧٢ ، السلوك ج ١ ق ١ ص ٢٢٩-٢٣٦ .

جلال الدين الخوارزمي بقوله : ان سلطانك سلطان الاسلام والمسلمين ومندهم والحجاب دونهم ودون التتار ومندهم . وغير خاف علينا ما تم على حوزة الاسلام وبيضة الدين بموت والده ، ونحن نعلم ان ضعفه ضعف الاسلام وضرره عائد الى كافة الأنام ... (١) » .

ومع هذا القول فقد تحالف الاشراف مع سلاجقة الروم ضد سلطان المسلمين هذا حتى ألحقوا به الهزيمة واضعفوا من قوته أمام المغول ، ثم أصموا آذانهم عن صوت استغاثته بهم حتى سقط ، وزال بسقوطه السد الذي كان يحول بين المغول وبين مواجهة الأيوبيين (٢) .

والذي أراه ان الايوبيين لم يجرأوا على الدخول في معركة حقيقية مع المغول ابداً حتى زالت أيامهم ، وليس هذا عن ضعف قوة او قلة عدد . فقد ملك الكامل الايوبي عام ٦٣١ هـ من القوة (٣) ، واجتمع لديه من العساكر ما لم يجتمع لأحد من ملوك الاسلام ، حتى اعجبته نفسه بكثرتهم ونوى الشر في نفسه لبني ابيه وعمه بهم (٤) .

(١) النسوي ص ٣٣٣ - ٣٣٤ .

(٢) ابن العبري ص ٢٤٦ ، ابو المحاسن ج ٦ ص ٢٧٧ .

(٣) وكان الكامل في هذه الفترة قد تولى زعامة البيت الأيوبي .

(٤) السلوك ج ١ ق ١ ص ٢٤٨ . وهو يقول : « وخرج الكامل من دمشق ..

فقدمت عليه العساكر فسار وقد صار عنده ستة عشر دهليزاً لسته عشر ملكاً ، وقيل بل كانوا ثمانية عشر ملكاً ...

وكان قادراً بهذه القوة ان يعيد ايام عمه صلاح الدين ، ولكنه لم يفعل ،
وليس من سبب لتعميل ذلك إلا انعدام شعورهم بالمسؤولية وغلبة الذل عليهم .
ويمكنني القول ايضاً ، ان المرة الوحيدة التي غفر الايوبيون وجوههم بالتراب
على نية الجهاد المغولي كان في عام ٦٢٩ هـ ، عندما وصل المغول حران والجزيرة
وخلاط ، وكان ذلك كما يظهر استجابة لنداء الخليفة الذي ارسله الى الاشرف .
حينئذ كما يقول مسبط بن الجوزي (١) : « خرج الكامل والاشرف من مصر
لدفع التتر عن البلاد ، فلما بلغهم رجوع التتر عن خلاط ، عبروا الفرات ونزلوا على
آمد حتى استولوا عليها » .

وفي غير هـ هذا الموضع لا نجد للايوبيين جهداً عسكرياً حقيقياً قاموا به حتى
سقوط بغداد إذ انشغلوا بالصراع مع بعضهم ، ومع سلاجقة الروم وانتزاع ما بأيديهم
من البلاد . بالرغم من تحذير بدر الدين لؤلؤ لهم « بعبور التتر دجلة عام ٦٣٣ هـ وهم
في مائة طلب وكل طلب خمسمائة فارس ، وانهم نزلوا على منجار وقتلوا متوليها » (٢)
فلم يحرك أحدهم ساكناً .

ويذكر للكامل الايوبي استجابته لنداء الخليفة عام ٦٣٥ هـ الذي ارسل اليه
الاموال لتجنيد الجيوش وانجاد الخلافة ، فأعاد الكامل الاموال الى الخليفة وانفق

(١) مرآة الزمان ج ٨ ق ٢ ص ٦٧٣ ، ابو المحاسن ج ٦ ص ٢٧٨ وكانت آمد

تعود لسلاجقة الروم .

(٢) مرآة الزمان ج ٨ ق ٢ ص ٦٩٥ ، ابو المحاسن ج ٦ ص ٢٩٣ المقري

الفيومي الورقة ٧٤ .

من ماله على التجنيد ، ووصلت نجدته بغداد يقودها ولدا الملك الامجد صاحب
بملك (١) .

وبلغ من تخاذلهم وضعف نفوسهم انهم اصبحوا يخضعون لطلبات المغول ،
ويلتمسون رضاهم لئلا يدخلوا معهم في مصان ، فقد وصل في عام ٦٣٨ هـ رسول
ملك التتر الى شهاب الدين غازي صاحب ميافارقين ومعه كتاب الى ملوك الاسلام
يأمرهم بالدخول في طاعته ويطلب من الشهاب هدم اسوار بلده ، فاعتذر الشهاب له
بحقارة بلده بالنسبة الى بلاد الشام والروم ومصر ، ووجهه نحوهم لكي يفعل
ما يفعلون (٢) .

وشجع هذا التخاذل المغول على ارسال كتائبهم التي وصلت ابواب حاب عام
٦٤١ هـ يقودها يساور نوين ، ثم عادوا على ملاطية فلم يلقوا مقاومة (٣) فأوعزوا
الى وكيلهم بدر الدين لولو بفرض الضرائب على اهل الشام ، ونفذ بدر الدين ذلك
حيث قرىء كتابه على الناس سنة ٦٤٢ هـ ووقع الشروع في جباية الاموال (٤) .
وكان شقيق صاحب حلب الملك الظاهر احد الذين حضروا الى قراقورم
محمدين بالهدايا عند اختيار كيوك للاخانية نيابة عن اخيه الناصر يوسف حفيد صلاح الدين

(١) الحوادث الجامعة ص ١١١ - ١١٢ ، السلوك ج ١ ق ١ ص ٢٥٧ . المقرئ

القيومي الورقة ٨٦ .

(٢) مرآة الزمان ج ٨ ق ٢ ص ٧٣٣ ، ابن دقماق نزهة الأنام الورقة ٤٧ .

(٣) ابن العبري ص ٢٥٥ .

(٤) السلوك ج ١ ق ٢ ص ٣١٥ ، ٣٢٠ .

الأول (١) ، متخذين بذلك يداً تشفع لهم في قابل الأيام . وقد حصل صاحب حلب مقابل هذه الطاعة على «طمغا صورة امان ارسلها اليه القان ملك التتر عام ٦٤٨ هـ فصار يحملها في حياصته ، وسير الى القان هدايا كثيرة » (٢) .

وفي الوقت الذي كانت رسل الخليفة المستعصم تجوب البلاد تستعرخ امراءها لنجدة بغداد ، كان صاحب حلب والشام وزعيم البيت الايوبي في هذه الفترة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز محمد قد ارسل كبايقول اليوناني (٣) « ابنه الملك العزيز في رمضان ٦٥٥ هـ بهدية سيئة جليلة الى هولاء كويجدد طاعته له وولائه للمغول » .

* * *

موقف الخلافة :

اما الخلافة فقد كان موقفها أقرب الى الاهال والتهاون الميمين ويتحمل الخليفة الناصر لدين الله سنة ٥٧٥ - ٦٢٢ هـ الذي عاصر بداية الغزو المغولي مسؤولية كبرى في التمكين لهم من السيطرة على البلاد ، لتهاونه وعدم شعوره بمسؤوليته كخليفة للمسلمين ، حتى ان كل الذي فعله عند سماعه بوصول المغول الى كرمشاه واقترابهم من بغداد « أن أمر الناس بالقنوت في الصلاة » (٤) .

(١) الجويني ج١ ص ٢٠٥ ، التاريخ الغازاني م ٤ الورقة ٧٦٤ . برايس ج٢ ص ٥٥١ .

(٢) السلوك ج ١ ق ٢ ص ٣٧٩ . Howorth . 3 . p . 60 .

والطمغاهي الختم .

(٣) اليوناني - ذيل مرآة الزمان ص ٤٥ .

(٤) ذيل الروضتين ص ١٢٨ . وقد أشرت فيما سبق الى ما نشأ عن هذا -

لقد تعرضت حدود الخلافة المباشرة للغزو المغولي عام ٦١٨ هـ ، فتسارعت رسله الى امراء اربل والموصل والايوبيين بالاجتماع لدفعهم عن البلاد ووعدهم برسالة النجيدات ، ثم جاءت نجاته لهم فكانت لا تزيد عن ثمانمائة جندي ، « فلم أركباً يقول مظفر الدين (١) صاحب اربل المخاطرة بأرواح المسلمين » .

لقد دفع هذا الموقف المتخاذل من خليفة المسلمين المؤرخ ابن الاثير الى التلميح دون التصريح وهو يمدد مصائب المسلمين ويتحسس مصيرهم المظلم . « فسأل الله ان يتيسر للاسلام والمسلمين نصراً من عنده فان « الناصر » والمعين والذاب عن الاسلام معدوم » (٢) .

ويمكن القول ان الخلافة اشتد عودها بعض الشيء في عهد الخلفية المستنصر بالله الذي استطاع إعادة جلال الدين الى حظيرة الخلافة (٣) ، لكنه لم يستطع ان يفرض هيبتها عليه وعلى الامراء الآخرين ، فيجعل منهم قوة واحدة توقف زحف المغول ، وتسترجع منهم ما سلبوه ، فبقي الصراع سائداً بين هؤلاء الامراء ، ووجد المغول

– الاهمال من اتهام للخليفة بمواطاة المغول ، وناهشت ذلك في بحثي « الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير » ، وقلت ان هذا الاتهام ينصرف الى اهمال الخليفة المتعمد .. وان المغول لم يكونوا بحاجة الى تحريض ، ص ١٧٦ .

(١) ابن الاثير ج ٩ ص ٣٣٧ - ٣٣٨ .

(٢) الكامل ج ٩ ص ٣٣٠ . انظر ايضاً نقده للمؤك المسلمين في قوله ص ٣٣٦ « يسر الله للمسلمين والاسلام من يحفظهم ويحوطهم ، فلقد دفعوا من العدو الى عظيم ومن الملوك المسلمين الى من لا تتعدى همته بطنه وفرجه » .

(٣) النسوي ص ٣١٠ ، ٣٢٨ . مرآة الزمان ج ٨ ق ٢ ص ٦٧٠ .

من بينهم ثغرة تفذوا منها عام ٦٢٨ هـ وهددوا أملاك الخلافة ثانية .
وعاود المغول هجماتهم مراراً عديدة قدرت بثلاث عشرة حملة خلال هذه الفترة
هددوا بغداد خلالها مرتين او اكثر بالهجوم المباشر ، كانت الخلافة اثناءها عاجزة
عن القيام بعمل ايجابي لدفعهم ، وذلك بسبب ضعف جيشها من ناحية ، وعدم وجود
سياسة دفاعية لها من ناحية اخرى (١) .

وإذا كنا نلمس بعض الجدبة لايقاف الخطر المغولي في عهد المستنصر بالله الذي
اهتم بأنباء استيلائهم على البلاد ، فأرسل الرسل الى الاسراء الايوبيين ، وسمى
للتوفيق بينهم وبين سلاجقة الروم ، واستنفر العربان في البوادي ودعاهم الى الجهاد
وأوقف الاموال لتجنيد الجيوش التي تجمعت في بغداد حتى بلغ عددها كما يقول
اليونيني «مائة الف» (٢) ، فانا لا نلمس شيئاً من ذلك عندتولي المستنصر بالله الخلافة
الذي وصف بالفغلة وضعف الرأي وغلبة النساء ، والذي كان كما يروي عنه ابن

(١) القزاز ص ٢٤١ . ولمعرفة مقدار جيش الخلافة انظر ص ١٠٦ في الحديث
عن النظام الحربي ، والذي رأيت فيه ان هذا الجيش كان من مالِك الخلافة الذين
اشترتهم بالمال وربتهم ودربتهم وهم اشبه بجرس للخليفة ، وكان عددهم محدوداً
لا يتجاوز بضعة آلاف ، وقد بينت هناك سبب ذلك .

(٢) وكانت هذه الجيوش تتفرق وتعود النجدات الى اهلها عندما يبتعد الخطر
عن البلاد . اليونيني ص ٨٦ - ٨٧ . الحوادث الجامعة ص ٨٤ - ٨٥ ، ٩٩ ، ١٠٩ ،
١١١ - ١١٢ . السلوك ج ١ ق ١ ص ٢٤٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٧ . المقرئ الفيومي
الورقة ٨٥٠ .

riteen: Emcyofgsl . Al . Mustansir . p . 768 .

العبري (١) « اذا ذكر له امر التتر وما يجب فعله كان يقول : « ان بغداد تكفيني ولا يستكثرونها علي اذا نزلت لهم عن باقي البلاد » ، ففي عهده تفرق الجند بعد أن قطعت أرزاقهم ، واسقطوا من دواوين المرض ، فملحق بعضهم بالشام وآخرون بالمغول واضطر الباقون تحت وطأة الحاجة الى ذل السؤال في الجوامع والاسواق (٢) . وضائق حدود الخلافة على الخليفة ، فقد استولى التتر على منطقة الجبال وشهرزور ودخل في طاعتهم صاحب الموصل ، ثم لحق بهم اصحاب الشام والروم ، واشتدت هجماتهم على ما بقي من بلاد الخلافة حتى وصلوا في عهده مرتين اطراف بغداد ووصلت بعض طلابهم سوق الخيل في ظاهرها (٣) ، كل ذلك والخليفة سادر في غفوته ، لم تؤثر في إيقاظه حتى مراسلات صاحب الموصل وابن الصلايا نائبيه في اربل (٤) .

(١) تاريخ مختصر الدول ص ٢٥٥ ، انسان العيون في سادس القرون الورقة ٢٢٤ ، ابن الطقطقي ص ٤٢ .

(٢) الحوادث الجامعة ص ٢٦١ ، ٣٢٠ - ٣٢١ . السيوطي - تاريخ الخلفاء ص ٤٦٦ .

(٣) ابن العبري ص ٣٥٥ ، الحوادث الجامعة ص ١٩٩ - ٢٠٠ ، ٢٤١ ، ابن واصل م ٢ الورقة ٣٤٥ ، السلوك ج ١ ق ٢ ص ٣٢٠ .

(٤) اليونيني ص ٨٧ ، الحوادث الجامعة ص ٢٦٠ ، ويتهم اليونيني وغيره من المؤرخين الوزير العلقمي بأنه كان يجب عن الخليفة مراسلات أمراء المسلمين وانه كان يسعى لابقاء الخلافة في حالة الضعف لكي يسهل القضاء عليها من المغول الذين يتعاون معهم سراً . وورد هذا الاتهام في اغلب المراجع التي ناقشت سقوط الخلافة ، وصيبت هذه المراجع عمل ابن العلقمي وعداؤه للخلافة الى ميوله الشيعة ورغبته في نقل الخلافة -

ومن المحتمل انه احس بحاجة الى اليقظة في أيامه الاخيره ، بعد ان اشهد
ضغط النازحين على بغداد وعلا صوت نكبتهم على اهلهم وتهاونه (١) ، فسمى
للاستنجاد بامراء الأطراف ودعوتهم للدفاع عن بغداد فأرسل كما يقول اليونيني (٢)
رسوله الشيخ نجم الدين البادراني لكي يوفق بين صاحب الشام ومملوكه المعز ايبك
الذي استقر بمصر ، ويجمع جيوشهم لقتال التتار .
ولكن هولاكو كان اسرع الى بغداد من هؤلاء الامراء الذين لم
يجرؤا هناك .

* * *

— للعلويين ، والى اضهاد الخلافة للشيعه .

وقد ناقشت هذا الأمر في بحثي « الحياة السياسية في العراق » عند دراسة أثر
الحاشية في ضعف الخلافة وسقوطها ص ٢٤٥ - ٢٤٧ . وقد رأيت استبعاد خيانة
العلقي ومواصلته للتتر سراً ، ولكنني حملته مسؤولية الرجل المسؤول الذي تولى
الوزارة اكثر من اربعة عشر سنة ولم يتدبر الأمر .

(١) بدأت الهجرة نحو بغداد عند تعرض المغول لها سنة ٦٣٥ هـ وتوالت بعد
ذلك . القزاز ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

(٢) اليونيني ص ١٢ ، ١٧٣ ، شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٦٥ . الصابوني
ص ٢٧ - ٢٧ في حديثه عن الشيخ البادراني .

رُحِف هولاكو وسقوط بغداد :-

ذكرت سابقاً (١) ان هولاكو بعد ان انتهى من الاسماعيلية تفرغ للخلافة ، وانه قبل ان يبدأ زحفه نحوها كان قد بدأ في مراسلتها لكي يعرف حقيقة موقفها منه ومدى استعداداتها له ، ومرت مراسلات الخُلـافة مع المغول في مرحلتين الاولى (٢) وكانت غير منتظمة بدأها المغول سنة ٦٣٥ هـ ، ثم توات رسالهم بعدها سنة ٦٤٣ هـ . وبين سنتي ٦٤٤ هـ ، ٦٤٦ هـ وكانت هذه الاخيرة بمساعي التجار المسلمين الذين يتنقلون بين خراسان وبغداد .

وكانت الخلافة تجيب على كل رسول بايقاد رسول من عندها ، وايست لدينا معلومات عن حقيقة ما دار في هذه المراسلات .

وانتظمت المراسلات في المرحلة الثانية وكانت باسم هولاكو الذي تولى قيادة الحملة نحو الغرب . حيث يشير رشيد الدين (٣) الى أن هولاكو بعد ان استقر في كس ، ارسل في اواخر سنة ٦٥٣ هـ رساله الى الملوك والسلاطين برسائل يدعوهم فيها الى المساهمة معه في القضاء على قلاع الملاحدة وإمداده بالرجال والسلاح ، وعلى الرغم من اغفال رشيد الدين ذكر اسماء المرسل اليهم ، إلا ان القرائن تشير الى ان الخليفة

(١) انظر ص ٦٨ من هذا البحث .

(٢) الحوادث الجامعة ص ١١٣ - ١١٤ ، ٢٥٩ ، ٢٩٠ القزاز ص ٢٥٥ .

(٣) جامع التواريخ م ٢ ج ١ ص ٢٣٩ - ٢٤٠ . القزاز ص ٢٨٦ . وقد

جمعت هذه الرسائل في ملحق الباب الخامس من بحثي سالف الذكر بعنوان مراسلات هولاكو مع الخلافة .

العباسي كان واحداً ممن ارسل اليه هذا الخطاب ، يؤكد هذا قول نصير الدين الطوسي في رسالته عن فتح بغداد يؤكد (١) « أنه لما عزم السلطان هولاءكو خان على ان يلج بلاد الملاحدة سير من قبله مندوباً الى الخليفة يطلب منه النجدة حتى نستأصل بذلك شأفتهم ونمحووا سطوتهم » .

وأرسل هولاءكو رسالته الثانية من همدان في رمضان ٦٥٥ هـ بعد انتهائه من الاسماعيليين ، يعاتب الخليفة ويتهدده ويدعوه الى الطاعة وهدم حصون بغداد . وكانت الرسالة الثالثة بعد ذلك بفترة حيث ارسلها مع رسل الخليفة الذين كانوا قد قدموا يحملون اليه رده على رسالته السابقة ، وفيها تقريع شديد وانذار له اما بالاستسلام او الاستعداد للحرب « فأنني متوجه الى بغداد بجيش كالنمل والجراد » (٢) .

(١) رافق الطوسي هولاءكو بعد خلاصه من قلاع الملاحدة ، وأصبح مقدماً عنده ، ولعب دوراً سيئاً في القضاء على الخلافة . ولا اتفق مع الذين ينزهون موقفه من ذلك ويعتبرون وجوده سبباً في خلاص كثير من المسلمين ، فان كثيراً من المسلمين قتلوا ايضاً بسبب تشجيعه لهولاءكو وإزالة مخاوفه من نبوءة المنجحين المسلمين الذين كان قصدهم إيقاف زحف هولاءكو وحماية الخلافة .

وقد ترك الطوسي جملة من الرسائل ، منها رسالته في فتح بغداد ، استخرجها وحققها رسول النخشي ونشرتها بمجلة التقدم الفارسية بطهران في عددها السابع سنة ١٩٢٨ م . وقام محمد صادق الحسيني بتعريبها ونشرها في مجلة المرشد البغدادية م ٤ ج ١ سنة ١٩٢٩ م في ص ٢١ - ٢٨ .

انظر ايضاً - ملحق الباب الاول رسالة الطوسي في فتح بغداد .

(٢) جامع التواريخ م ٢ ج ١ ص ٢٦٧ ، ٢٧١ ، القزاز ص ٢٨٦ ملاحق

الباب الخامس . رسائل هولاءكو .

وكشفت أجوبة الخليفة على هذه الرسائل الغفوة التي كان غارقاً فيها ؛ وعجز الحاشية المحيطة به والمنقسمة على نفسها عن امداده بالرأي الصالح والعمل الايجابي (١)، فهو يهدد هولاء بملوك الارض الذين سيهبون من الشرق والغرب للدفاع عنه عند اول اشارة منه ، وبالقدسية التي ترعى الخلافة وتلحق المكر السيء بمن يبتغي الشر لها ، ثم يعدد له مصير اولئك الذين سبقوه (٢) .

وظل المستعصم يعيش في هذا الوهم حتى أفاق على انباء هزيمة قائد جيشه الدويدار الصغير عند الدجيل أمام بعض فرق المغول . وكان جيش الخلافة كما يقول ابن الطقطقي : « في غاية القلة » (٣) .

وما لبثت جيوش هولاء إلا قليلا حتى توزعت اسوار بغداد وأطرافها على جانبي دجلة وفيق خطة عسكرية دقيقة ، فشلت أمامها جميع محاولات الهرب التي حاولها بعض قواد الخلافة (٤) . وكان هولاء قد استكثروا من الجنود لحصارها حتى قيل :

(١) كان الصراع قائماً على اشده بين الوزير ابن العلقمي وقائد الجيش الدويدار الصغير . ومن هنا نشأت الاتهامات بالحيانة .

(٢) جامع التواريخ م ٢ ج ١ ص ٢٧٥ ، ٢٧٩ .

(٣) ابن الطقطقي - الفخري ص ٤٥٣ .

(٤) ورسم القيل في رسالته للدكتوراه المعنونة

4) Bretschneider-1- p 118. 119 .

« الجغرافية التاريخية للعراق بين الفتح المغولي والفتح العثماني » خطه هولاء كوزحرف نحو بغداد وحصارها في ص ١٨ - ٢٤ . ثم قام بترجمة هذه الخطة في بحثه الصغير الذي نشرته مجلة كلية الآداب جامعة بغداد في العدد (٦) سنة ١٩٦٣ م بعنوان الحالة الاقتصادية لمدينة بغداد اثناء الحكم الايلخاني ص ٢ - ٣ .

ان عددهم قارب مائتي الف « (١) .

ولم يكن هذا العدد الضخم مقصوراً على المغول فقط ، بل كان يضم عدداً من الأمراء المسلمين والمسيحيين الذين دخلوا في طاعة المغول وأسرعوا لتنفيذ اوامرهم وإثبات اخلاصهم هذا بالاضافة الى عدد من المتطوعة (٢) .

ولم يطل حصار بغداد الذي بدأ اشتباكه في ٢٢ محرم ٦٥٦ هـ اكثر من اسبوع حتى انهارت معنويات الخليفة ومقاومة سكانها فأخذوا يستسلمون للمغول بعد مداوات

(١) ابن حبيب الشافعي - درة الاسلاك - الورقة ١٥ ، السيوطي - تاريخ

الخلفاء ص ٤٧١ .

ويذكر ماركو بولد في رحلته ص ٢٦ - ٢٧ . ان عدد فرسان المغول كانوا

مائة الف غير المشاة .

(٢) فالجوزجاني طبقات ناصري - ص ٣٢٣ ، ٣٣٤ - ٣٣٥ ، يشير الى مساهمة

الاتابك ابي بكر صاحب فارس ، وكان يقود جيشه أخوه محمد شاه ، ومساهمة بدر الدين صاحب الموصل ، وقاد جيشه ابن الصالح اسماعيل . كما يشير الى موقف

الكامل صاحب ميافارقين الذي اعتذر عن امداد هولاء بالجيوش ثم سعى لانجذاب الخلافة

لولا بماطلة ابن عمه الناصر صاحب الشام ، ويشير البدليسي في الشرفنامه ص ٤٧ - ٤٨

الى مساهمة مظفر الدين اتابك تنكاه صاحب لورستان في حصار بغداد ثم استنكاره مقتل

الخليفة وهربه من معسكر هولاء بأصحابه بعد ذلك . وينقل *Howorthofcit* 3

عن المؤرخ الجورجي الذي اشاد بدور الجورجيين في حصار بغداد وتسليمهم الأسوار

وذبحهم السكان واستيلائهم على اموال كثيرة عجزوا عن حملها . انظر تاريخ ال جنكينز

ص ٨١ - ٨٢ . اليونيني ص ٨٧ - ٨٨ .

ومفاوضات قام بها الوزير وابناء الخليفة وبعض كبار الحاشية ، خرج بعدها الخليفة في الرابع من صفر الى حيث كانت نهايته .

وأباح هولاء لجنده ما بقي من المدينة في السابع من صفر أياماً اختلف المؤرخون من حسابها ، ثم نودي بالأمان لمن بقي حياً من أهلها (١) .
وليس باستطاعتنا أن نحصي مقدار ما فقدته بغداد من سكانها ، إذ لم يبق منهم أحد إلا من رحم ربي ، فلم يكن هناك ما يمنع المغول من ذبح من يرونه أمامهم من أهلها .

وحتى الذين استسلموا ، فقد سيقوا الى الذبح كالأنعام ، يشير ابن الفوطي في حديثه عن فخر الدين ابي بكر عبدالله الطهراني ... وهو ممن كان يخرج الفقهاء الى باب السور الى مخيم السلطان هولاء مع شهاب الدين الزنجاني « ليقتلوا » (٢) .
وتشير المراجع الصينية (٣) الى ان الجيش المغولي احتل أولاً القسم الغربي من

(١) الطوسي - رسالة فتح بغداد - ص ٢٦ - ٢٧ من مجلة المرشد م ٤ ج ١ .

Muir theali photo p 592

القزاز ص ٢٦٢ - ٢٦٥ . ويشير محمد حسن ال ياسين في مقالة عن المشهد الكاظمي المنشور في مجلة سومر م ١٩ ج ١ - ٢ ص ١٥٥ - ١٥٦ الى ان احتلال بغداد من قبل المغول كان يوم الاثنين ١٨ محرم ، وهو يرجع بذلك الى قول علي بن طاوس الذي كان معاصراً للاحتلال .

(٢) تلخيص مجمع الآداب في معجم الالقباب ج ٤ ق ٣ ص ١٩٥ ، انظر ابن

رجب ج ٢ ذيل طبقات الحنابلة في حديثه عن ابن الجوزي محي الدين وأولاده ص ٢٥٨ - ٢٦١ . العيني - عقد الجمان الورقة ٤٠٥ .

(٣) *Bretschneider - I - p. 138 . Howorth. 3 - p. 130 - 132*

بغداد الذي لم يكن يحويه سور فذبجوا سكانه ثم تحولوا الى الجانب الشرقي ، ومن ثم فلا عجب إذا رأينا الجويني (١) وهو المؤرخ المعاصر يعلن بأنه لم يبق في البلاد التي فتحها المغول واحد من الف من سكانها ، وان أهلها لن يبلغوا حتى يوم القيامة عشر العدد الذي كانوا عليه قبل غارة المغول .

ولم يميز المغول في ذبحهم بين السنة والشيعة من سكانها ، وإنما كانوا يميزون اصحاب الفرامين (٢) الذين كانوا على اتصال بالمغول قبل دخولهم العراق ، والذين كانوا اشبه بعيون لهم على الخلافة وأحوالها .

وقد حصل هؤلاء على حراس من المغول حرموا دورهم وأهلهم ومن التجأ اليهم (٣) .

(١) براون *Browne* ج ٢ ص ٥٦٠ نقلًا عن الجويني . تاريخ وصاف ج ١ ص ٢٦ وهو يقول في وصف بغداد سنة ٦٩٦ هـ انها عشر معشار ما كانت عليه زمن الخلافة .

(٢) الفراميين جمع فرمان وهو الامر (البرليغ) السلطاني بالامان لاصحاب السلطة ، وفي رأي كاترجير انه لا يعطى للكتابة العرب .
Dozy . 11 p . 821 .

(٣) تلخيص مجمع الآداب ج ٤ ق ١ ص ٩٦ - ٩٧ في الحديث عن ابن علقمة .
الحوادث الجامعة ص ٣٢٩ في حديثه عن التجار المتنقلين بين خراسان والعراق . ويشير العيني في الورقة ٤٠٢ في حديثه عن الشيخ الصرصري انه دعي الى دار بها فرمان من هولاء كوفأبى ان يجيب اليه واعد في داره حجارة ، فحين دخل عليه المغول رماهم بها فلما خلصوا اليه قتل بعكازة أحدهم فقتلوه شهيداً .

اما اهل الذمة من سكانها ، فقد حصل النصارى منهم على رعاية المغول وحميتهم
حيث عين لهم شحنة حرسوا بيوتهم وكنائسهم ، بينما شارك اليهود المسلمين في المقاومة
والدفاع عن بغداد ونالوا ما كتب عليهم من القتل والاضطهاد بعد سقوطها (١) .
ونجا من الموت ايضاً بعض الاسرى الذين كتبت لهم الحياة من جديد لأسباب
لا تخضع لقياس (٢) .

اما الخليفة وأسرته ، فقد اختلفت الآراء في حقيقة موقف هؤلاء منهم ،
وشعوره نحوهم ، وكيفية مقتله . وينفرد الجوزجاني (٣) بنقل بعض الآراء التي

(١) الحوادث الجامعة ص ٣٢٩ . مصطفى بدر - محنة الاسلام الكبرى

ص ١٧٦ . Howarth . 3 - p . 126 - 127

Coke . Baghdad the city of peace . p . 148 - 149 ' 152 .

(٢) نجدنا عن ذلك ابن الفوطي الذي كان هو نفسه وأخوه من الأسرى ،
وقد سقط بأيدي رحيمة أسفقت على طفواته بينما قتل آلاف الاطفال . ويظهر لي ان
مصير الاسرى كان بيد آسريهم من المغول وليس الدولة . إذ احتفظ البعض بمن سقط
في يده وعاد به الى الشرق لاستخدامه ، او باعه لآخرين وقبل الفداء فيه ، ولم نجد
هنا في بغداد ما كان يفعله المغول من اخراج اصحاب المهن للاحتفاظ بهم وقتل ما عداهم
ومن سلم هنا من اصحاب المهن فقد سلم صدفة وليس عن اختيار .

انظر : مجمع الآداب ج ٤ ق ١ ص ٤٥ في فداء ابن الفوطي لأخيه : ١٣٣ ،

٢٨٦ - ٢٨٧ ، انظر ايضاً ج ٤ ق ٢ ص ٧١٨ ، ٨١٣ - ٨١٤ ، ٨٣٣ ، ٩١٧ ،
ابن حجر ج ٢ ص ٣٦٤ .

(٣) طبقات ناصري ص ٣٢٩ - ٣٣٠ .

نشير الى ان هولاءكو قرر الاحتفاظ بابن الخليفة الكبير ابي بكر ، لذلك عامله معاملة حسنة ، وسيره الى اذربيجان برفقة أحد كبار السادة ، ثم خوفه بمض المرتدين من خطر بقاءه حياً ، وتأثير ذلك على المسلمين الذين قد يلتفون حوله ويجتمعون عليه ، فقرر هولاءكو التخاضع منه وأرسل وراه جماعة قضاوا عليه .

اما بالنسبة للخليفة ، فهنالك اكثر من صورة لنهايته ، على انني ارى أن هولاءكو بالرغم من وثنيته فانه كان قد تحسس بقدسية الخلافة واعتقد الشائعات التي نشأت عنها ، لذلك تحوف من المساس بها ، وهنا تتحمل الحاشية المسلمة التي كانت تملك التأثير على عقليته (١) ، مسؤولية تبيد هذا الوهم وتشجيعه على الخلافة .

فرشيد الدين يشير بوضوح الى استماتة هولاءكو بمنجمه المسلم حسام الدين ليكشف له طالعه مع الخلافة ، وكيف قطع المنجم الطريق عليه بتخوينه من الزحف نحو بغداد والمساس بالخليفة ، فجاء نصير الدين الطوسي وكذب ذلك بدافع من خوف او كره وجرأه عليها (٢) .

(١) يشير ابو المحاسن م ٣ المنهل الصافي الورقة ٢٦٥ - ٢٦٦ في ترجمته للنصير الطوسي انه كان يعمل الوزارة من غير أن يدخل يده في الاموال ، واحتوى على عقل هولاءكو حتى صار لايركب ولا يسافر إلا في وقت يأمره فيه . الصفدي ج ١ الوافي بالوفيات ص ١٧٩ - ١٨٢ .

(٢) جامع التواريخ م ٢ ج ١ ص ٢٧٩ - ٢٨٠ خواندمير م ٣ ج ١ - حبيب السير ص ٦١ ، الحوادث الجامعة ص ٣٢٩ ، محنة الاسلام الكبرى ص ١٧٦ . براون ج ٢ ص ٥٧٩ - ٥٨٠ ، ويشير مالكولم *Malcolm* الى دور النصير -

ويظهر ان هذا الروم بقي عالقاً في مخيلته حتى بعد سقوط بغداد وسقوط الخليفة أسيراً بيده . فان هورث (١) ينقل عن الجوزجاني بأن بدر الدين وغيره حفروا عند هولاءكو واخبروه بخطر بقاء الخليفة على قيد الحياة وتأثير ذلك على المسلمين الذين قد يشورون لاطلاقه .

وقد تخلص هولاءكو بعد ذلك من الخليفة وهو على بعد مرحلة من بغداد حيث استقر بعيداً عن روائحها العفنة ، ثم استدعى الخليفة وناقشه في امور كما روى ذلك المؤرخ الجورجي ، وقد أظهر الخليفة فيها شيئاً من الابهاء له حين رفض الانحاء

— في التحريف على الخلافة بقوله : وكان في عزم هولاءكو ان يتوجه نحو القسطنطينية بعد تخلصه من الاسماعيلية ولكنه كما علمنا قد أفتع من قبل نصير الدين لكي يحول سيره نحو بغداد وانه تنبأ له بزوال البيت العباسي على يده . انظر ص ٢٦٢ .
وأمام هذا النقد الذي لحق الطوسي حاول البعض ان يدافع عنه ويبرر موقفه ، ويعدد خدماته للإسلام . انظر سليمان الظاهر - مجلة مجمع اللغة العربية - بدمشق م ٣٦ ج ٢ سنة ١٩٦١ .

(١) وكذلك ينقل عن وصاف قوله :

I) *Hist. of the mongols* : 3 . p . 127 .

«ان هولاءكو كان يخشى اطلاق سراح الخليفة مادام المسلمون يعتقدون فيه ...» وأرى ان دور بدر الدين في هذا التحريض . شكوك فيه ، لانه لم يجتمع بهولاءكو إلا بعد عودته من فتح بغداد ، وقد يكون الامر تداخل على المؤرخ فان بدر الدين متهم بتحريض هولاءكو على قتل الشريف الصلايا نائب اربل . انظر ، ابا المحاسن المنهل الصافي ج ٣ الورقة ٣١١ في ترجمة ابن الصلايا .

أمام هولاء حتى ارغم على ذلك ، ثم سلم لايلسكا نوبن الذي انفذ فيه أمر هولاء كو طبقاً لاحكام الياسا (١) .

اما بغداد فقد خلت من السكان إلا قليلا ، وأصابها من الخراب شي كثير (٢) واختلفت الآراء في حقيقة موقف هولاء منها ، فقد كان ينوي حرقها وتدميرها ، ولكنه نصح بالابقاء عليها ، لانها ستكون مركزاً لحكمه ، لذلك أبقى على ما بقي منها

(١) لم يشر المؤرخون المسلمون الى الطريقة التي قتل بها الخليفة ، ولكن المؤرخ الجورجي الذي كان يرافق الحملة او كان على صلة بها ، يشير الى انه قتل وفق تعاليم الياسا التي تحرم سقوط دم ابناء الاسرة المالكة على الارض ، فقد وضع في داخل شوال او سجاد وديس بالارجل او الخيل حتى قضى عليه ، انظر :

Howarth . of . cul . 3 . 128 .

ج٣ ص ١٢٨ نقلاً عن المؤرخ الجورجي . رحلة (Ma) ص ١٠٨ ، ابن شاکر - فوات الوفيات ج١ ص ٤٩٦ - ٥٠٠ في الحديث عن المستعصم .

جامع التواريخ م ٢ ج١ ص ٢٩٣ - ٢٩٤ .

Avery : Ency . Br . 2 . Hulacu . p . 822

براون ج٢ ص ٥٨٦ ، القرمانلي ص ١٨١ ، الصياد ص ١٧٣ - ١٧٦ . القزاز

ص ٢٦٤ - ٢٦٥ .

(٢) أشار وصاف في تاريخه ج١ ص ٢٦ الى ما اصابها من الخراب قوله :

« انها أصبحت في سنة ٦٩٦ هـ عشر معشار ما كانت عليه أيام الخلافة ... » انظر ايضاً تاريخ ال جنكيز ص ٨٣ ، ابن عبد الحق م١ مرصد الاطلاع ص ١٦٣ في وصفه ببغداد .

لسترنج - بغداد في عهد الخلافة العباسية ، ترجمة بشير فرنسيس ص ٢٩٤ .

من بناء ، بل وأمر بإعادة ترميم بعض بنيانها » (١) .

وإذا كانت الشواهد لا تساعدنا على تحديد مسؤولية هؤلاء في خراب بغداد (٢) فإننا نستطيع تحديد مسؤوليته في خلوها من السكان لما سفكه جنده من دمائمهم ، ولعل الشيخ الكازروني (٣) خير من وصفها لنا بعد نكبتها على لسان قاضي تبريز الذي قدم لزيارتها بقوله : « وافيتها بلدة خالية وأمة جالية ، ودهنة حائلة ، ومحنة جائمة ، وقصوراً خاوية ، وعراضاً باكية ، قد رحل عنها سكانها ، وبان عنها قطانها ، وتمزقوا في البلاد ، ونزلوا بكل واد ، وقصورها المشيدة مهدومة ، ونمماؤها مسلوقة مهدومة ، موحشة لفقد قطانها ، باكية بلسان الحال على سكانها » .

* * *

(١) هيوار *Huart* . ترجمة المعارف الاسلامية م ٤ - بغداد - ص ١٤-١٥

حتي - تاريخ العرب - ص ٥٨٢ - ٥٨٣ .

ونقل هورث ج ٣ ص ١٢٨ عن المؤرخ الجورجي ، المحاوره التي دارت بين الخليفة وايلكانوين ، ويفهم منها ان اباقباين هولاکو سيقوم بالاستقرار في بغداد وتولي الحكم فيها .

(٢) لم يكن الخراب الذي أصبحت عليه بعد النكبة من مخلفات هولاکو فقط ، فقد كانت خربة قبل ان يفد اليها ، اذ انها كانت قد تعرضت في ايام الخلافة الأخيرة الى جملة ثورات من دجلة على تهاونها وإهملها كان آخره فيضان ٦٥٣ هـ الذي هدم من دورها بموجب احصاء موثوق ما عدده اثني عشر الف وثلاثمائة ونيف وسبعين داراً وليس لدينا ما يشجع على قيام الخلافة باعمار هذا الخراب ، انظر الحوادث الجامعة ص ٣٠٤ . القزاز ص ٢٥٠ .

(٣) مقامه في قواعد بغداد ص ١٥ .

لم يكن سقوط بغداد وزوال الخلافة منها حدثاً عادياً لكي يمر بدون تأثير على الناس ، وإذا كان البعض من المسلمين قد هان عليهم تحطيم أمل المسلمين في الخلافة ، بل وساءموا في تدعيم الحكم الوثني الذي أقيم بعدها (١) .

وإذا كان اهل بغداد وغيرهم من المسلمين الذين استولى المغول على بلادهم قد أكرهوا على الرضوخ لهذا السلطان ؟ فإن الرأي العام الاسلامي المتعلق بأهداب الخلافة ، والذي يعتبرها جزءاً متمماً لايامانه ، لم يهن عليه ذلك ، وبالتالي لم ينقطع أمله في محاولة اعادتها الى الحياة (٢) .

(١) اقصد اولئك الذين أعطوا الحكم الوثني صفة الشرعية وارجبوا طاعته على الناس وهم غير مكرهين . وقد يدخل في باب الاكراه موقف العلماء بالمستنصرية الذين أفتوا بتفضيل السلطان الكافر العادل . انظر ابن الطقطقي ص ١٤ - ١٥ . اما النصير الطوسي فلم يكن مكرهاً عندما كتب خطابه الى بغداد عام ٦٦١ هـ يزكي الدولة القاهرة الايلخانية ويشيد بفتوحاتها ويخيف الناس عن معارضتها . راجع مجمع الآداب ج ٤ ق ٣ ص ٥٥٦ - ٥٥٧ .

(٢) تجلّى رد الفعل لسقوط الخلافة في صور مختلفة ، ففي ميدان الأدب والشعر نجد العدد من الكلمات والقصائد التي أصبحت مرثي نشد في المناسبات . اما امرء المسلمين فلم يستطع بعضهم السكوت على ذلك وهذا البديسي في الشرفنامه ص ٤٧-٤٨ يشير الى موقف اتابك لورستان الذي شارك في فتح بغداد ثم استنكر مقتل الخليفة وهرب من المعسكر بعد انكشاف امره فلحققت به جنود هولاء وفتلوه .

ويشير الجوزجاني في الطبقات ص ٣٢٤ - ٣٣٥ . الى موقف الكامل الأيوبي صاحب ميفارقين من رفضه امداد هولاء ومحاولته نجدة الخليفة . كما يشير ايضاً الى -

وتمددت تأثيرات سقوط الخلافة وتنوعت صورته بحكم عمق الخلافة في مشاعر الناس ومكانتها في نفوسهم ، ويمكن اجمال ذلك في الملاحظات التالية .

أولاً : - كانت الخلافة تمثل السلطان الروحي الذي يجمع ولاء المسلمين ويشد بعضهم الي بعض . وقد تطورت طاعة المسلمين للخليفة طيلة القرون الخمسة التي عاشتها الخلافة العباسية حتى أصبحت جزءاً متمماً لمعتقدهم . لذلك جاءت ضربة المغول لهذا السلطان انتقاصاً لهذه المعتقدات ، واساءة لمشاعر المسلمين الدينية .

في البلاد التي نكبت بالاحتلال المغولي لاسيما بغداد ، أرغم الناس على تقديم الولاء للحاكم الوثني بدلاً من إمام المسلمين ، لكن الشعور الديني لم يضعف ، ان لم يكن قد اشتد المدافع عن وجوده ، وظل يجاهد في صفوف المغول (١) حتى تحقق له بعض النصر باعتناق الايلخان المغولي الثالث احمد تكودار الاسلام بعد اقل من ثلاثين

- موقف بركة خان بن جوجي الذي كان قد اعتنق الاسلام وكيف انه استنكر مقتل الخليفة فقتل رسل هولانكو الذين حملوا الخبر اليه وأعلن خصومته لهولانكو . انظر ص ٣٣١ . وأخيراً يروي الصقدي في الوافي بالوفيات م ٤ ق ٢ الورقة ٢٤١ ، صورة لحزين الناس الى الخلافة في حديثه عن وفاة السيدة خديجة بنت المستعصم سنة ٦٧٦ هـ وكيف تذكر الناس ايام والدها وبكوا وكثرت النوائح والنوادر ورفعت الطرحات وجلس صاحب الديوان للعزاء على الارض .

(١) شرح ارنولد *Arnold* في ترجمة كتابه الدعوة الى الاسلام صوراً عديدة من المشاق التي عاهاها الدعاة المسلمون لتحويل المغول عن الوثنية وما لقوه من كيد المسيحيين في ذلك . ص ٢٥٤ - ٢٥٨ .

سنة من سقوط بغداد (١) .

لكن النصر الحقيقي للإسلام على الوثنية كان عند اعتناق الابلخان السابع غازان محمود الإسلام بعد عشر سنوات من سابقه ، واعتباره الديانة الرسمية للدولة (٢) .
أما في البلاد الأخرى التي نجت من النكبة ، فقد كان ألمها لزوال الخلافة شديداً وسميها لأحيائها مستمراً . وهما يقال عن الدوافع التي دفعت الظاهر بيبرس للقيام بذلك ، فإن عودتها في شخص الامام ابي القاسم احمد المستنصر بالله الاسود بن الظاهر بأمر الله العباسي ، وابن عمه من بعده ابي العباس احمد بن ابي علي الحسن القبي من احفاد المسترشد بالله الذي لقب بالحاكم بأمر الله ، بعد سنتين من زوالها كان تحقياً لرغبات الناس وإرضاء لشعورهم الديني في وجوب وجودها .
وليس أدل على ذلك من الاحتفالات التي اقيمت عند وصولهم ، واثبات نسبهم واطلاق بيعتهم على الناس (٣) .

-
- (١) ارنولد ص ٢٦٠ ، مصطفى بدر مغول ايران ص ١٢ على اننا لا يجب ان ننسى ان بركة خان كان قد سبقه الى الاسلام وكان بذلك اول أمير مغولي . ودفعه اسلامه الى محاسبة ابن عمه هولاكو . انظر في ذلك ابن فضل الله - مسالك الأبصار - ج ٢ ق ٢ الورقة ٢٢٤ - ٢٢٦ .
- (٢) ارنولد ص ٢٦٣ ، مغول ايران ص ١٤ .
- (٣) ذيل الروضتين ص ٢١٣ - ٢١٦ ، اليونيني ج ١ ص ٤٤١ - ٤٤٨ ، ابن واصل م ٢ الورقة ٤١٠ - ٤١١ .
- ابن حجر - اتحاف اخوان الصفا الورقة ١٢٥ ، ابن دقماق - الجوهر الثمين الورقة ٧١ - ٧٤ ، الصياد ص ١٨٧ - السيوطي - حسن المحاضرة ج ٢ ص ٤٤ ، -

على ان الخلافة بوضعها الجديد لم تستمد قوتها الروحية بالقدر الذي كانت عليه في بغداد كما انها كانت تفقد وجودها شيئاً فشيئاً بحكم غلبة السيادة عليها حتى أصبح الناس بعد لا يحسون بوجودها .

ثانياً : — كانت خسارة الحضارة العربية الاسلامية بسقوط بغداد لا تعوض ، فقد اعتبر السقوط نهاية لعصر ازدهار التراث الحضاري الانساني الذي انتجته عقول المفكرين المسلمين في مختلف نواحي الفكر ، والذي كانت بغداد مركزاً رئيسياً له باعتبارها قاعدة الخلافة ، ومجمع العلماء ومقصد الطلاب .

ولم يقتصر ضرر هذه الخسارة على المجتمع الاسلامي الذي نكب بالحكم الأجنبي ففقد حرية التفكير وقوة الابداع ، وعجز عن الاتيان بالشيء الجديد ، فعمش في ظلام فكري طيلة القرون اللاحقة حتى مطلع القرن الحالي .

وانما نحس بهذه الخسارة علماء اوربا ومفكروها ايضاً ، فهذا ارنولد Arnold يبين ذلك بقوله (١) : « ولم تعرّض الحضارة الاسلامية الى تخريب مثل الذي وقع عليها من قبل المغول ، فقد تحولت المراكز الاسلامية العظيمة مثل بخارى وسمرقند وهرات الى مجرد اكوام من الخراب ... » .

وهذا برون Browne (٢) يؤكّد ذلك بقوله : « اما الخسارة التي اصابت

٤٧ - ٤٨ ، Muir . thecaliphate . p . 593 - 594 سرور - دولة الظاهر
بيرس في مصر ص ٥٠ - ٦١ . الحروبوطي - مصر العربية الاسلامية ص ٢٩٣ - ٢٩٤ .

(1) Muslim Civilization during the abbasid period . (١)

C . M . H . 4 . p . 279 .

انظر ايضاً تاريخ بخارى ص ١٨٠ في حديثه عن سمرقند وبخارى .

(٢) تاريخ الأدب في ايران ج ٢ ص ٨٦ .

الحركة العلمية الاسلامية فلا يمكن وصفها ، ههما اعمالنا في ذلك ضروب الفكر والخيال .
ثم يعدد اوجه الخسارة في ضياع الكتب القيمة او تلفها ، وهلكه رجال العلم ، وتشرد
من بقي منهم ثم يقول ان الدراسة الصحيحة والبحث العلمي الذي امتازت بهما من قبل
دراسة الآداب العربية . لم تقم لهما قاعة بمد هذه الكارثة .. « .

وتجلى هذا الضياع في مختلف وسائل الثقافة والفكر . ففي خلال الفوضى التي
رافقت الاحتلال المغولي ، وما نشأ عنها من حرق وتدمير ، عدت كثير من
المؤلفات العلمية التي نقرأ عن اسمائها الآن ونحس بالحاجة اليها (١) .

كما ابتلعت امواج دجلة العدد الكبير منها حتى قيل ان لون مائه (٢) قد تغير
والقليل الذي حفظ بمد الوقعة ، هو ما بيع لأهل الحلة والكوفة والمسيب الذين كانوا
يجلبون الأطعمة الى بغداد ويتاعون بأثمانها الكتب النفيسة بأوهى قيمة (٣) .

(١) ابن رجب ج ٢ ذيل طبقات الحنابلة ص ٢٩٠ - ٢٩٤ في الحديث عن
عبد الصمد بن ابي الحبش البغدادي . ابن حجر ج ٣ الدرر الكامنة . ص ١١٩-١٢٩ .
الخزومي - صحاح الاخبار ص ٩٠ - ٩١ . زيدان - تاريخ آداب اللغة العربية ج ٣
ص ١١٠ - ١١١ ، ١١٣ .

(٢) الصديفي ج ٢ ص ٢٨٢ . المارديني - تنزه العباد في مدينة بغداد ص ٤٢ .
(٣) الحوادث الجامعة ص ٣٣١ . ومن المحتمل ان هذه الكتب التي اشتراها
هؤلاء قد بيعت لنصير الدين الطوسي او وكلائه في هذه المدن ، ثم نقلت الى المكتبة
الكبيرة التي أنشأها في مراغه والتي ضمت زيادة على (٤٠٠ الف) مجلد ، يقول عنها
ابو المحاسن م ٣ في المنهل الصافي - الورقة ٢٦٥ - ٢٦٦ ، انها نهب من بغداد
والشام والجزيرة .

وينقل جرجي زيدان (١) حكاية عن السيوطي الذي بعد ان ذكر حكاية
الصاحب بن عباد وحاجته الى ستين جلا لحمل كتب اللغة عليها عند زيارته لبعض الملوك
قال : وقد ذهبت الكتب في الفتنة الكائنة بين النتر وغيرهم حيث ان الكتب الموجودة
الآن في اللغة من تصانيف المتقدمين والمتأخرين لا تحييء حمل حمل واحد .
وبالرغم مما في هذا القول من مبالغة فانه يدل في نفس الوقت على عظم الخسارة
التي فقدها العلم من مؤلفاته .

ولم تمف مجزرة بغداد عن العلماء والفقهاء : بل ان الذين خرجوا ايضاً بأمان
هولاً كوصحة الخليفة الى ممسكته سيقوا الى الذبح كالأغنام حتى أصبحت بغداد
كما يقول السخاوي (٢) ، لم يبق فيها من يعرف شيئاً من العلم .

وينقل ابن رجب (٣) في حديثه عن الجوسقي البغدادي قوله : قال عبدالرزاق
ابن الفوطي : سمعت شيخنا الامام أباحامد بن المطرزي لما قدم من بغداد الى صراغة
وقد سئل عن بقي ببغداد من الأئمة ؟ . فقال : لم أعرف بها فاضلاً فقيهاً عالماً
بالاصول والفروع غير تقي الدين الجوسقي .

ذلك ان الذي نجا من هذه المذابح لم يستطع البقاء بين الاطلال ، فهاجر فراراً
بدينه وعلمه الى البلاد المجاورة ، فاستقر بعضهم بالشام وبعضهم بالقاهرة ، ووصلوا

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٣ ص ١١٤ .

(٢) الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ١٣٩ في الحديث عن بغداد ، انظر

ايضاً ص ١٤١ في الحديث عن همدان ونيسابور .

(٣) ذيل طبقات الخنابلة ج ٢ ص ٣١١ - ٣١٢ .

بذلك ما انقطع ببغداد وحفظوا لنا بقية من علم قديم (١) .

وكادت اللغة العربية ان يصبها من الضياع والنسيان ما أصاب مؤلفاتها ، لولا ان حفظت مدارس الشام والقاهرة بقية لسانها (٢) ، فهي لغة القرآن ولسان الايمان الذي لا يكتمل بغيره ، وقد سبقت عناية الله سبحانه وتعالى بحفظه .

ثالثاً : - اصبحت الحياة الاقتصادية على اختلاف فروعها بالشال التام ، بحكم حالة القلق التي كان يعاني منها الناس طيلة فترة الغزو المغولي . الذي نجمت عنه مجاعة شملت وادي الرافدين وسورية وبلاد الروم ، ولم يصب المغول الجوع . الذين كانوا يعتمدون الى احراق الحبوب والغلال التي تزيد عن حاجتهم (٣) .

وكان حدوث هذه المجاعة امراً طبيعياً في العراق ، اذا تذكرنا الظروف التي سبقت سقوط بغداد ، من هجرة الناس من قراهم ومزارعهم الواقعة شرقي بغداد قبل اكثر من عشرين سنة من سقوطها بسبب تعرضهم لهجمات المغول المستمرة (٤) .

(١) ابن شاكر - عيون التواريخ - الورقة ١٥٨ - ١٥٩ في حديثه عن السامري سيف الدين ابن العباس . ابن رجب ج ٢ ص ٣٨٧ - ٤٠٨ في حديثه عن الشيخ احمد عبدالحليم . لوي ص ٦٤٣ من *C.M.H.* 4 . زيدان ج ٣ ص ١١١ - ١١٢ .

(٢) بالرغم من ان السلطة السياسية في هذين البلدين كانت بيد المماليك الذين هم من الترك ، إلا ان آدابهم ولغة دواوينهم كانت عربية ، على ان مدارس المستنصرية والنظامية ببغداد ومدارس الموصل والبصرة والتنجف قامت بدورها في الحفاظ على لغة القرآن بالرغم من غلبة رطانة الاعاجم على اسواقها وشوارعها ودواوينها .

(٣) برادون ج ٢ ص ٥٦٠ نقلاً عن دوسون ج ١ ص ٣٥٠ .

Ency Br.15.Mongols p.717.

(٤) القزاز ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

ويحدثنا ابن فضل الله ان اقواماً بأكلها هاجرت من ديارها فراراً من المغول ،
ولجأت الى بلاد الشام ومصر حيث توزعت ارجاءها واستقرت فيها (١) .

لقد ترك المغول بصماتهم في كل مكان حطوا فيه ، ويروى فامبري عن دور
جينكيزخان في ذلك انه في أقل من خمس سنوات من حملته انقطعت طرق المواصلات
التي كانت تنقل التجارة من الصين والهند الى غربي اسيا ، واقفرت قرأها ومدنها
بسبب مقتل معظم سكانها او إلحاق الماهرين بخدمة الاسرة الحاكمة (٢) .

وتنطبق هذه الملاحظات على حفيده هولانكو وحملته ايضاً ، فان الطريق الذي
سلكه للوصول الى بغداد قد اقر من ساكنيه ، ونحوات مدنه وقرأه الى خراب ،
يشير الى ذلك حمد الله المستوفي في حديثه عن مدن خانقين ، وحلوان والخالص
والنهران فانها بقيت خراباً بالرغم من مرور اكثر من ثمانين سنة على سقوط بغداد (٣).

(١) مسالك الابصار ج ٢ ق ٢ الورقة ٣٠٠-٣١٠ في حديثه عن اكراد شهرزور

الصابوني - تكملة الكمال الاكمال ص ١٠٤ - ١٠٥ في حديثه عن كلمة الجوبي .

Osborn p.374

(٢) تاريخ بخارى ص ١٨٠ .

(٣) نزهة القلوب ص ٤٠ ، ٤١ ، ٤٦ . الترجمة الانكليزية له : ص ٤٧ ،

٤٨ ، ٥٢ - ٥٣ . لسترنج . بلدان الخلافة الشرقية ص ٨٥ .

وكذلك أشار ابن عبدالحق في مراصده م ١ ص ١٦٣ الى نفس الملاحظات في

حديثه عن خلو بغداد من سكانها « فلم يبق منهم غير آحاد كلوا النموذجاً حسناً . وجاءها
اهل البلاد فيسكنوها ، وباد اهلها ، وهي الآن غير التي كانت ، وأهلها غير من
عهدناهم والحكم لله . »

انظر ايضاً لسترنج - بغداد في عهد الخلافة العباسية - ص ٢٩٣ - ٢٩٤ .

ولعل في حديث الصدر مجد الدين بن الدوري عن الوضع الزراعي في العراق خير دليل على تأثير التخريب المغولي في وضعه الاقتصادي ، يقول ابن فضل الله (١) : ولقد سألته عن السبب في قلة الغلال لبلاد العراق مع امتداد سوادها وقبول أرضها للنبات ، فقال : لهذا سببان : قلة الزرع لما استهلكه القتل زمان هولاء ، وميزة العراق لما جاوره من البلاد .

رابعاً : - كانت بغداد مركزاً للنشاط السياسي للعالم الاسلامي ، فمنها تصدر التقاليد والتشريعات التي تضمني الشرعية على حكم امراء المسلمين ، واليهما يلتجىء هؤلاء الامراء عند تعرضهم لاعتداءات المجاورين لكي تأخذ بأيديهم وترد عنهم ، بما ترسله من رسل وأوامر .

ويسقوطها فقد العالم وحدته السياسية ، وفقدت بغداد مكائنها في التوجيه والقيادة ، وتحولت الى مدينة ثانوية بالنسبة للحكم الجديد .

ويرى البعض أن سقوطها كان (٢) سبباً في اعادة التنظيم الكامل لسياسة العالم . فقد اوجدت حدود جديدة وتحالفات جديدة ومراكز جديدة للحكم ، وأصبحت القاهرة القبة ، او المركز الجديد للاسلام .

وعرف نظام الحكم الذي ورث الخلافة ببغداد باسم الايلخاني نسبة الى اللقب

(١) مسالك الابصار ج ٢ ق ٢ الورقة ٢٧٨ .

(٢) Loewe .

وأرى ان القاهرة لم تستطع ان تلعب نفس الدور الذي كانت تقوم به بغداد بالرغم من احتضانها الخلافة الجديدة ، وتبنيها لحركة الجهاد ضد الغزو المغولي والصليبي معاً وذلك لأسباب عديدة أهمها ان الخلافة فيما كانت اقليمية اكثر منها اسلامية امية .

الذي اتخذته مؤسسه هولاكو لنفسه (١) .

وكان قيامه تحقيقاً للسياسة التي وضعها جنكيز والتي تتيح للأمر المغولي ان
ان يمتلك من الاراضي ما يفتحه بنفسه .

على ان الملاحظ هنا ان هولاكو امتلك بعض البلاد والتي لم يقم بالاستيلاء
عليها ، حيث شملت حدوده جميع البلاد الممتدة من جيحون والمحيط الهندي ، ومن
السند الى الفرات مع جزء كبير من اسيا الصغرى وبعض اقاليم القوقاز (٢) بينما فشلت
محاولاته للاستيلاء على الشام ومن ثم مصر لتحقيق وصية أخيه منكوخان (٣) .

وبالرغم من تمتع هولاكو بكل مظاهر الاستقلال في البلاد التي حكمها ، إلا انه
من الناحية العملية كان نائباً عن أخيه الخاقان المقيم في قراقورم .

يدل على ذلك ما نقله هورث *Howorth* (٤) ، من صدور أمر (يرليغ)
من قبل أخيه قبلاي خان بمد استقرار أمره في الخانية ، باسم هولاكو يجدد فيه

(١) سليمان الصائغ - تاريخ الموصل ج ١ ص ٢٣٤ ، حتى ج ٢ تاريخ العرب
ص ٥٨٤ ، وهو يشرح في حاشيته معنى كلمة الايلخان بأنها لفظة تركية معناها سيد
القبيلة ، وهو الزعيم الاقطاعي التابع للخاقان الذي كان يقيم في قراقورم .

(٢) بار تولد - ترجمة المعارف الاسلامية م ٣ - الايلخانية ص ٢٠٣ .

Loe . ص ٦٤٤ من *C. M. H.* ٤

(٣) جامع التواريخ م ٢ ج ١ ص ٢٣٤ .

Osborn p 389 .

(٤) تاريخ المغول ج ٣ ص ١٩٩ .

Avery: Ency. Br. 2. Hulacu . p. 822.

سيادته وسلطانه على البلاد الممتدة من وراء النهر حتى حدود سورية ومصر ويضيف
الى جيشه (٣٠ الف) شاب .

وبدل على ذلك ايضاً مشاركة الخاقان هولوكو في السكة التي ضربت للتداول
في البلاد الايلخانية ، وتمطينا كتب النقود نماذج عديدة لهذه المشاركة (١) .
وبعوض التقسيمات الادارية التي قام بها هولوكو ، والتي جعلت من مدينة
مراغة عاصمة له ، فقد أصبحت مدينة بغداد مركزاً لحدى هذه الوحدات الادارية
التي شملت ما يسمى بالعراق العربي (٢) .

وسوف ترى في التعليمات التي أصدرها هولوكو قبيل رحيله عن بغداد صورة
لتنظيم الوضع الجديد فيها .

ولكن ، قبل ملاحظة هذه التعليمات ، أرى من الواجب التعليق على ما رواه
براون من تأثير الغزو المغولي ، فهو (٣) : لا يرى انه مهما قيل من غارة المغول ، وانها
كانت كارثة كبرى أصابت صميم الحياة ، وانها جنت على العلوم والمعارف ، وخاصة
الحضارة العربية التي استطاعت ان تحتفظ بكيانها سليماً في ايران طيلة القرون الستة التي

(١) محمد مبارك ، مسكوكات قديمة اسلامية قتالونجي قسم ٣ ص ٨ - ٩ .
قطعة رقم ٧ .

احمد ضيا . مسكوكات اسلامية تقويمية ص ٨٣ قطعة رقم ١٢٤٧ .

*Lane .Poole:Cataloguoforiental Ceinsinthe Br.Museum Vol . 4
theCoinsofthemongols p.8.N.8 .*

(٢) *Minorsky . Ency ofysl . 3 . Mara cha . p.265 .*

هيوار . ترجمة المعارف الاسلامية م ٤ - بغداد - ص ١٤ - ١٥ .

(٣) تاريخ الادب في ايران ج ٢ ص ٥٦٣ .

تمت الفتح العربي لهذه البلاد ، فان هذه الغارة كانت مجلبة لبعض عناصر الخير ،
برغم ما عرف عنها من شدة وغلظة ، وربما كان من بعض فضائلها انها كانت سبباً في
المزج بين الشعوب المختلفة المتباعدة ، مما نتج عنه فيما بعد تجديد العقليات التي طال
ركودها وخمولها .

وأرى ان الدراسة الهادئة الواعية لا تقودنا الى هذا التجديد الحضاري ، وقد
يكون رأيه هذا مستمداً من واقع اوربا التي كانت تعيش في حالة إظلام وجهل ،
فبرزت حضارتها على انقاض حضارتها ، فيكون ذلك صحيحاً .

اما بالنسبة للحضارة العربية الاسلامية ، فلا أرى رأيه في ذلك للأسباب التالية :
أولاً : ان هذا التجديد المزعوم قام على إبادة اكثر من تسعة اعشار سكان
البلاد ولم يبق إلا أقل من العشر « كما يقول الجويني » وأرى ان القتل لا يمكن ان
يكون أساساً للإصلاح بكل انزاعه ، اللهم إلا اذا قبلنا بما نراه بعض النظريات السياسية
الحديثة التي ينسب الي واضعها شرعية إبادة ناس لكي يصاح الثالث الثالث .

ثانياً : - ان المفعول لم يكن لديهم حضارة لتكون بديلاً للحضارة العربية
الاسلامية ، بل انهم اعتمدوا عليها وهبطوا بمفاهيمها وقيمتها ، الأمر الذي فرض
عليها حالة من الركود والجمود لم تتخلف منه حتى مطلع هذا القرن .

ثالثاً : - ان مراكز الحضارة العربية الاسلامية كانت في حالة حيوية ونشاط
ولم تكن جامدة . وقد فقدت حيويتها بعد الغزو المغولي .

وبراون نفسه يعترف « بأن الدراسة الصحيحة والبحث العلمي اللذين امتازت
بهما من قبل دراسة الآداب العربية لم تقم لهما قائمة بعد هذه الكارثة » (١) .

(١) تاريخ الادب في ايران ج ٢ ص ٥٨٦ .

رابعاً : - لم يكن الشعب العربي ، از شعوب العالم الاسلامي ، يعيشون في عزلة عن العالم الخارجي لكي يصبح من فضائل المغول المزج بين الشعوب المتباعدة كما يقول ، فقد كان العالم الاسلامي يضم شعوباً عديدة جمعتهم وحدة الايمان ، منهم الترك الذين يمثلون متحضرين والمغول بحكم وحدة الاصل .

ولم تكن هذه الشعوب منعزلة عن بعضها ، فقد فرض عليها طلب العلم التنقل من أقصى الشرق الى أقصى الغرب ، كما دفعتهم التجارة الى التنقل حتى داخل الصين والأقاليم النائية الاخرى .

وامتزجت شعوب اوربا بهم عندما قدمت تحت راية الصليب فمكثت في البلاد قريباً من قرنين من الزمن ، امتصت خلالها من الحضارة العربية اهم ما في حضارتهم الآن ألا وهو العلم والعمل .

كما انتقل العرب الى اوربا ونقلوا اليها سلماً عن طريق مدارسهم في صقليا واولا والأندلس ثانياً ، ما اعانهم على وضع الأساس لحضارتهم الحالية .

خامساً : - لم يصف المغول الى الحضارة شيئاً ، والقول في مدرسة مراغة للرصد ، فانها تمثل امتداداً للوعي الحضاري الاسلامي ، وفضل هولاء انه سهل او شجع النصير الطوسي للعمل على ازدهارها لما يعتقدونه من علم النجوم .

سادساً : - كانت هذه الحرب سبباً لوقوع البلاد الاسلامية وخاصة العربية تحت الحكم الأجنبي مما أفقدها حيويتها وقدرتها على العمل واستمر ذلك حتى مطلع القرن العشرين حيث بدأت تتخلف من وطأته .

الباب الثاني

نظم الحكم :

١ - النظام العباسي :

الابليخانات

أعوان الابليخانات ، النائب ، الوزير أو صاحب ديوان الممالك

٢ - النظام الاداري

٣ - النظام الحربي

٤ - النظام المالي

الباب الثاني

نظم الحكم

عرف النظام الذي حل محل الخلافة العباسية في بغداد بالایلخاني . وكان قيامه طوره نتيجة طبيعية لاتصال المغول واحتكاكهم بالحضارات المائدة في البلاد التي تولوا عليها ، وأعني بذلك الحضارة العربية التي كانت تسود في البلاد الاسلامية رجة الاولى ، والحضارة الصينية .

فقد كان المغول في هضبتهم يعيشون في حالة من البداوة تتحكم في علاقاتهم انظم ، حراء وحياتها القاسية ، وهذه النظم هي التي تطورت فيما بعد ونسبت الى جنكيز م الياسا .

وحالما بدأ اتصال المغول بالشعوب الاخرى بدأ اقتباسهم منها وتعلمهم مالديها انظم وأساليب ، فاستعان جنكيز بالايغوريين واتخذ له وزيراً منهم هو أحد علماءهم

الذي تولى نشر الكتابة اللاتينية بينهم وتعليمها لأبنائهم (١) .

كما استعان بالمسلمين فجعل من محمود يلواج الخوارزمي وزيراً ثانياً له أوكل إليه

تدبير ممالك تركستان وبلاد الخظا وما وراء النهر وخوارزم (٢) .

وكان حرص جنكيز على تطبيع المغول بحضارة الشعوب الخاضعة والاستئثار

بخيراتها له ولشعوبه دافعاً إياه الى القيام بتهجير أصحاب الخبرات من أبناء البلاد

المفتوحة الى قاعدة بلاده في هضبة منغوليا مما أدى الى بقاء البلاد المنكوبة خالية

من السكان والعمران حتى أنه عند وصول ارغون اغا الذي عين لحكم خراسان سنة

٦٣٣ هـ الى مقر عمله كتب الى اوكتاي خان يصف له الحالة السيئة التي عليها هرات

من الخراب والتدمير ، فتألم اوكتاي وأمر بارسال عز الدين رئيس النساخين مع عدد

من أتباعه وعديد من اهل هرات الذين كانوا قد نقلوا منها بالعودة اليها وتعميرها (٣)

وسار الأبناء على نهج أبيهم في تحضير المغول واقتباس ما عند المسلمين ، يشير

الى ذلك رشيد الدين فيقول ان اوكتاي خان عندما أعاد تخطيط مدينة قراقورم ،

أمر بنائها على غرار مدينة بغداد ، كما أمر أن يبني للمسلمين الذين كانوا يعملون

الصنائع والحرف موضع على مسافة يوم منها (٤) .

(١) موسوعة تاريخ العالم ج ٣ ترجمة يوسف مجلي ص ٩٢٥ ، وكان اسم

الوزير تاتونجا .

(٢) ابن الفوطي تلخيص جمع الآداب ج ٤ ق ٣ ص ٣٩٨ في الحديث عن

فخر الدين ابي القاسم محمود يلواج .

3) Price . 3 . P 544 - 545 .

(٣)

(٤) التاريخ الغازاني م ٣ الورقة ٥٩٠ - ٥٩٥ .

واستمروا يستميتون بخبرات المسلمين في إدارة البلاد وخاصة في شؤونها المالية
بينما اقتصر المغول انفسهم على اشغال المناصب العسكرية فيها .
وأنت عملية الامتزاج والاقتراب ثمارها بعد اكثر من ثلاثين سنة عندما تولى
منكو الخانية ، حيث وصف الرحالة الاوربي ربر كوي بلاطه وأنتى على جهازه الاداري
وذكر أن المغول بدأوا يتعلمون درس الحكم (١) .

على أن الصورة الحضارية للمغول أصبحت اكثر تكاملاً عندما أقام هولاءكو
نظامه الايلخاني على انقراض الخلافة العباسية ، حيث كان بلاطه نموذجاً لهذا التحول
في العادات والتقاليد المغولية التي ذابت أمام للتأثير التدريجي للحضارة العربية (٢) .
وبالرغم من هذا التحول في السلوك المغولي فأنا سوف نجد عند دراستنا
لمكونات نظام الحكم الايلخاني ان المغول قلما مارسوا عملاً فيه غير العمل العسكري
بينما تركوا الاعمال الاخرى لمعلمهم من ابناة البلاد الاسلامية وخاصة الايرانيين .

اولا - النظام السياسي :

أشرنا فيما سبق الى قيام هولاءكو بتأسيس الحكم الايلخاني .
واختلف المؤرخون في تحديد بدء ممارسة هولاءكو لسلطانه السياسي باعتباره
حاكماً على البلاد التي شملها هذا النظام ، وبالرغم من التقليد المغولي الذي يعطي الحق

(١) Lie ص ٦٤١ من C . M . H . 4

(٢) ونفس الصورة تنطبق على بلاط قبلاي خان الذي كان يمثل نموذجاً لتأثير
الحضارة الصينية على العادات والتقاليد المغولية . انظر C . M . H . 4 . انظر أيضاً
ليونيل جايلز في تاريخ العالم م ٦ مقال - الصين في عهد امرة مينيج ص ٢٥٣ .

للفاتح أن يمتلك ما يفتحه بسيفه ، فان هولاكو لم يكن إلا قائداً لجملة ارسلها الخاقان المغولي نحو الغرب ، والذي كان اوصاه كما يقول « رشيد الدين » بالعودة الى مقره الاصلي حينما يفرغ من انجاز مهمته (١) .

يؤيد هذا ما اشار اليه مالكولم *Malcolm* (٢) من رغبه هولاكو في العودة الى منفوليا لولا ان الاحداث اضطرتة الى الاستقرار في اذربيجان .

ويرى براون (٣) ان هولاكو مارس سلطانه كمنائب للملك « الخاقان » في ايران وآسيا الصغرى ، بعد عبوره نهر جيحون في سنة ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م . معتمداً في ذلك على السلطة المطلقة التي خوله اياها اخوه منكوخان .

واكتني ارى بالرغم من ذلك وبالرغم من وجود قطعة نحاسية مضروبة في سنجان سنة ٦٥٤ هـ (٤) ان ممارسة هولاكو لسلطانه السياسي تمت بعد عودته من

(١) جامع التواريخ م ٢ ج ١ ص ٢٣٨ ، هورث *Howorth* وهو ينقل في ص ١٩٤ - ١٩٥ ايضاً من مذكرات الراهب الارمني « ملقيا » بعض الاحداث المتعاقبة ، حيث يشيران ان قواد الحملة كانوا سبعة اكبرهم هولاكو وان هؤلاء بعد فتح بغداد اخذوا يعملون لمصلحتهم في جمع الذهب والجواهر مما ادى الى خراب البلاد ، فكتب هولاكو الى اخيه الخاقان بهذا المعنى . فأجاب الخاقان بارسال مندوب عنه مزوداً بكل الصلاحيات ليقوم بتتويج هولاكو ومعاقبة من يخرج على طاعته ، ونفذ هذا الامر بعد قتل اثنين من الامراء المعارضين وهروب اثنين آخرين الى بركة خان .

(٢) *The.Hist. of Persia. - I - P.263 264 . P . W . Avery*
Enc . Br . Hulacu . p . 822 .

(٣) براون تاريخ الادب في ايران ج ٢ ترجمة الشواربي - ص ٥٦٦ .

(٤) مهاب درويش لطفي الالقاب على المسكوكات الايلخانية . مجلة سومر -

بغداد واستقراره في مراغة في اغسطس ١٢٥٨ م / شعبان ٦٥٦ هـ حيث انتهى من الاعمال العسكرية تقريباً وتفرغ لاستقبال الامراء المحليين الذين توافدوا لتقديم الطاعة ، كما باشر اعمار البلاد .

وأشرت في الفصل السابق الى انه بالرغم من تمتعه بالاستقلال التام في حكمه ، إلا انه كان من الناحية النظرية تابعاً لأخيه منكوخان ، وان اخاه قبلاي خان بعد انتصاره على منافسيه واستقراره في الخانية ، جدد ثقته بسلطان هولاكو و اضاف اليه بعض الامتيازات (١) .

مراسيم التولية :

على أن هولاكو لم يتبع العرف السائد من قبل من حيث عقد القوريلتاي وإقامة الاحتفالات عند تولي أحد الزعماء مسؤولية السلطة ، ولعل السبب في ذلك يرجع الى حالة الاستعداد العسكري التي كانت تسود البلاد آنذاك ، والى ان هولاكو تلقى أمر تعيينه من الخان نفسه الذي كان ينفذ قرار القوريلتاي السابق ، يضاف

— م ٢١ ج ١ ، ٢ سنة ١٩٦٥ ص ١٦١ رقم سجل المتحف العراقي ٥٨٧٣ - ع - ولم يطلع براون على هذه القطعة النحاسية التي تكاد تكون الوحيدة من نوعها واعتقد ان هناك خطأ حدث في ضرب التاريخ على هذه القطعة اذ ان اللقب الايلخاني لهولاكو لم يتقرر قبل سنة ٦٥٧ هـ كما سنرى ، وامكانية وقوع الخطا الذي قام بالنقش على العملات في الخطأ جائز كما يقول محمد باقر الحسيني في رسالته عن العملة الاسلامية في العهد الاتابكي ص ١٠٥-١٠٦ في مناقشته لبعض هذه الاخطاء التي حصلت في تواريخ الضرب.

(١) 1) *Bretschneider* , Vol - J - P . - 120 - 121 ' Vol . 2 . P . 10 .

Sykes . 2 . P . 98 .

الى ذلك أن المغول في هذا التاريخ كانوا لا يزالون كياناً سياسياً واحداً لم تنقسمه
الأهواء والمطامع ، يدين بالطاعة للخاقان الذي يقيم في قراقورم .

وأتخذ هولوكو من مدينة سراغة مركزاً لحكمه الجديد حيث قضى فيها معظم
اوقاته ، واجتمع حوله فيها أرباب العلم والسياسة من علماء وأمرء (١) .
واستكمل سلطانه عندما اتخذ لنفسه لقباً يميزه عن سواه من الأمراء ويعين
مكانته من مقام اخيه الخاقان كما يقول زيادة (٢) .

وتعددت الألقاب التي نسبت لهولوكو ، او التي اتخذها لنفسه . والغالب عليها
هو لقب الايلخان الذي أصبح علماً يميزاً لحكم أسرته التي توارثت الحكم من بعده (٣).

(١) *Malcolm* . ج ١ ص ٢٦٤ ، ابو الفداء - تقويم البلدان ص ٣٩٨ -
٣٩٩ في الحديث عن مراغة . لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية : ص ١٩٩ في
الحديث عن مراغة .

Minorsky : Enc' Isl . 3 . Maragha . P . 265 . Sykes . 2 . P . 98 .

(٢) محمد مصطفى زيادة . حاشية السلوك للمقرئزي ج ١ ق ٢ ص ٥٤١ .
(٣) نفس حاشية المرجع السابق حيث يشرح لنا زيادة معناه بأن الخان التابع .
انظر كذلك رأي حتي في تاريخ العرب ج ٢ ص ٥٨٤ في الحاشية (١) من انها لفظة
تركية معناها سيد القبيلة . وهو زعيم اقطاعي تابع للخاقان الذي كان يقيم في قراقورم
ثم انتقل الى بكين . انظر ايضاً : مسكوكات قديمة اسلامية قتالوغي ق ٣ ص ١٣
رقم ٩ ،

*Lane . Poole . catalogue of orientala coins in the Br . Muscom
Vol . 4 . P . 10 . No . 15 . ond . P . 14 . no . 30 .*

انظر ايضاً : مهذب درويش لطفي . الاقبا على المسكوكات الايلخانية .

مجلة سومر م ٢١ ج ١ ، سنة ١٩٦٥ م ص ١٥٨ - ١٥٩ ، ١٦١ .

اما الاخرى فهي لقب « شاهنشاه روي زمين » أي (سلطان العالم) على وجه الارض . (سلطان العالم) ولقب « مالك رقاب الامم » :

وليس لدينا من المراجع ما يساعدنا على تحديد واضح للفترة التي استعمل فيها هولاء هذه الألقاب ، ولكن الثابت لدينا ان هولاء لم يكن قد اتخذ لنفسه لقب الايلخان في شعبان ٦٥٧ هـ / تموز ١٢٥٩ م عندما فوض اماره الموصل للصالح اسماعيل بعد وفاة ابيه بدر الدين لولو (١) . فان النقود التي ضربت في الموصل سنة ٦٥٧ هـ بهذه المناسبة كانت تحمل على وجهها اسم « منكوقا آن الأعظم خداوند عالم پادشاه روي زمين منبرت عظمة » (٢) .

ويظهر لي ان هولاء لم يكن قد استعمار لنفسه بعض اجزاء لقب اخيه واستخدمها في مراسلاته ، فان حسن الباشا يشير الى استخدام هولاء لقب « شاهنشاه روي زمين » عند مكاتبته الملك الناصر صاحب حلب سنة ٥٦٧ هـ (٣) .

اما لقب « مالك رقاب الامم » فقد ورد في مسكوكات المتحف العراقي ضمن

(١) توفى بدر الدين لولو في ٣ شعبان ٦٥٧ هـ / يوليو ١٢٥٩ م . وقد اعتمدت في ذلك على ما ورد في ابن العبري ص ٢٧٩ وعلى ما نقله العزاوي - تاريخ العراق بين احتلالين ج ١ ص ٢٢٧ عن تاريخ وفيات الأعيان في ترجمته لابن المشطوب .

(٢) بينما كانت تحمل على الظهر « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ركن الدنيا والدين الملك الصالح اسماعيل » انظر الحسيني - العملة الاسلامية في العهد الأتابكي ص ٦٥ . ومعنى اللقب « صاحب العالم سلطان ما على وجه الأرض » .

(٣) حسن الباشا - الألقاب الاسلامية ص ٣٥٤ .

مجموعة منكسو ، ومن المحتمل انه ينصرف في هذه الحالة الى الخاقان نفسه بالرغم من
الاشارة الواردة في البحث الى وجوده على عملات هولوكو (١) .

وبدت العلامة روثينية بين الأخوين الخاقان والابليخان في اول الامر ، حيث
اتسمت بالتعاون بينهما لادارة هذه البلاد الواسعة ، كل فيما ورث او ملكت يدها
مع طاعة تقليدية من الصغير لأخيه الكبير ، واشراكه فيما غنم من مال او متاع ،
ولكن تطور الاحداث السياسية في قراقورم بعد وفاة الخاقان الفجائية (٢) ، والتمتازع
على الخانية بين الاخوة الورثة الطامعين فيها ، وحاجة كل منهم الى جمع الانصار
وكسب التأييد ، طورت من مكانة هولوكو وسلطانه وجعلته اكثر تمكناً في مملكته
كما فرضت الاحداث السياسية المحلية عليه ان يلتزم جانب أخيه الكبير قبلاي الذي
صفت له الخانية بعد صراع صير مع أخيه الاصغر ومناقسه اربق بوقا ، فقام - أي
قبلاي - بعد استقرار اموره بتجديد ثقته بهولوكو واطراف له امتيازات اخرى (٣).

وعندما ودع هولوكو الحياة كانت مملكته قد استقرت ووضحت معالمها ، تجلج
ذلك عندما تولى ابنه اباقا السلطان من بعده ، حيث استعادت المراسيم المغولية دورها

(١) الانقلاب على المسكوكات الابليخانية - سومر م ٢١ ج ١ ، ٢ سنة ١٩٦٥

ص ١٦٥ ، ١٦٦ .

(٢) توفى منكوخان سنة ٦٥٨ و/١٣٥٩ م عند حصاره مدينة هوشو الصينية

انظر تاريخ بخارى ص ١٩٠ Loe ص ٦٤٥ من C . M . H . 4

واقصد بالاحداث السياسية المحلية ، الحروب التي قامت بين بركة وهولوكو حيث
انحاز بركة الى جانق اربق بوقا .

(٣) Howorth . 2 . P . 112 - 113 . Vol . 3 p . 199 ' 208

في التطبيق ، يحدثنا عن ذلك رشيد الدين (١) الذي يذكر ان اباقا كان في مقره الشتوي في مازندران بحكم مسؤوليته عن خراسان في أيام أبيه . وبموجب التقاليد المتبعة في مثل هذه الحالة ، فقد قطعت طرق المواصلات المؤدية الى العاصمة ، وأوقف المسافرون فيها لثلا ينتشر خبر الوفاة ، وأسرت الرسل لاستدعائه فلبى ذلك مسرعاً . وتعرضت تعاليم الياسا هنا لامتحان مرير ، فقد سعى يشموت ، الابن الاصغر هولوكو الذي وصل قبل أخيه اباقا العاصمة ، سعى لاغراء الامراء باجلاسه على العرش بعد أبيه ، لكن سعيه خاب ، فنكص على عقبيه وعاد الى الدربند حيث كانت مسؤوليته (٢) .

وعند وصول اباقا في جمادى الاولى ٦٦٣ هـ / مارس ١٢٦٥ م . أقيمت مراسم العزاء وتقبل التعازي من أبناء الاسرة وأمرء الدولة ، ثم عقد مجلس القوريلثاي في موضع چغان ناور الذي صنم جميع الخواتين والامراء الأبحال والاصهار والامراء للنظر في أمر العرش الشاعر .

وروعيت التقاليد المغولية في جلسة القوريلثاي هذه حيث عرضت وصية الابلخان السابق بشأن ولاية المهدي ، وقدمت التحف والطرائف التي كان هولوكو قد أوصى بها لابنه ، وبوشر باقامة الاحتفالات التقليدية في مثل هذا الأمر ، وكان اباقا كالعادة يرفض قبول التاج ويعرضه على أحد اخوته الذين كانوا يصرون عليه

(١) جامع التواريخ م ٢ ق ٢ ص ٩ . خواندمير م ٣ ج ١ حبيب السير ص ٦٢

D' ohsson . 3 . p . 413 - 414 .

(٢) جامع التواريخ م ٢ ق ٢ ص ٩ . *Howorth . 3 . p . 218 .*

باعتباره الابن الاكبر لهولاكو والقائم مقامه فيهم .

وهنا تتضح العلاقة مع الخاقان الذي يعتبر سيد الجميع وصاحب السيادة عليهم
عندما اعلن اباقا بأفه لن يستطيع قبول التاج ما لم يسمح له بذلك قبلاي خان ،
وتوجت هذه الاحتفالات بقيام نصير الدين الطوسي الفلكي باستقراء طالع اباقا واختيار
اليوم الصالح لاجلاسه على العرش فكان يوم الجمعة الثالث من رمضان ٦٦٣ هـ / يونيو
١٢٦٥ م حيث انحنى الجميع على ركبهم أمام الابلخان الجديد (١) .
وكانت التقاليد تفضي ايضاً بقيام الابلخان الجديد بتوزيع الأموال والهدايا
على جميع الحاضرين من ابناء الاسرة وخوانينها وأمرء الدولة وقوادها بعد الانتهاء
من مراسم التتويج .

وأصبح من التقاليد ايضاً الانعام على الملوك والأمرء والولاة او ممثلينهم الذين
كانوا قد حضروا للمشاركة في احتفالات التتويج لتقديم التهاني ، وقبول هداياهم
وتلبية مطالبهم ، وبالإضافة الى ذلك ارسال الرسل لحل البشرية الى اطراف البلاد (٢)
كذلك أصبح من التقاليد المرعية قيام الابلخان الجديد بعد الانتهاء من الاحتفالات
بارسال وفد يحمل رغبة القوربلتاي الى الخاقان للحصول على موافقته الاسمية بتولية
عرش الابلخانية بعد ابيه ، وأصبحت هذه الموافقة ضرورية لاستكمال شرعية

(١) جامع التواريخ م ٢ ج ٢ ص ١٠ - ١١ ، خواندمير م ٣ ج ١ ص ٦٢ ،

براون Browone ج ٣ ص ١٧ .

D,ohsson.3.P.413 414. Howorth.3.P.218 .

(٢) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ١١ - ١٢ .

Howorth.3.P.219.

جلسة (١) .

وينفرد بارتولد بالقول بأن موافقة الخاقان قبلاي على تولية اباقا جاءت بعد خمس سنوات ، حيث قدم الرسل من لدنه يحملون القرمات بتولية عرش الابلخانية (٢). وكان من واجب القوريلشاي ان يختار للمتوج اللقب بعد منحه العرش ، وأصبح لقب « الابلخان » هو اللقب الرسمي المتوارث والذي حمله اباقا ايضاً . يدل على ذلك مجموعات النقود التي ضربت في الموصل سنة ٣٦٣ هـ والتي تدل على اقتفاء اباقا اثر والده في تأكيد الطاعة للهاقان الذي كان اسمه منقوشاً على النقد مثلما كان في زمن هولوكو (٣) .

ومع تطور سلطان اباقا ورسوخ طاعته واستقرار أمره ، شرهت نفسه لمزيد من التفتيخيم والتعظيم فخلع على نفسه ألقاباً اخرى تناسب ما أحس به من غرور

(١) تاريخ مضاف م ١ ص ٥٢ - ٥٣ ، حمد الله القزويني .

(٢) بارتولد ترجمة المعارف الاسلامية م ١ - اباقا - ص ١٤ - ١٥ . بينما تشير

أغلب المراجع الفارسية الى وصول الموافقة ولكنها لا تذكر تاريخ وصولها . وليس هناك من سبب مبرر لهذا التأخير .

(٣) انظر في ذلك محمد مبارك . مسكوكات قديمة اسلامية قنالونغي ق ٣ ص ٢٤

قطعة رقم ٢٦ .

انظر ايضاً من مجموعة المتحف العراقي - في جدول المسكوكات الابلخانية -

نقود اباقا رقم القطعة (٧٣٢ مس) مجلة سومر م ٢١ ج ١ و ٢ سنة ١٩٦٥ ص ١٦١ .

وكانت صيغة اللقب المنقوش عليها هو : « قاآن الأعظم اباقا ايلخان المعظم

زيد عظمتها » .

واستعلاء ، ولعله أراد بذلك أن يقلد بعض الملوك التابعين لدولته والذين كانوا كلما ازداد ضعفهم ازدادوا في اضعاف الصفات والنموت على اشخاصهم (١) .

فقد منح نفسه لقب « بادشاه عالم ايلخان المعظم اباقا » ، ولقب مالك رقاب الامم » (٢) .

وقرر اباقا عندما تفرغ لممارسة السلطة بعد الانتهاء من احتفالات الجلوس ، اتخاذ تبريز عاصمة له بدلا من مراغة التي اتخذها ابوه ، وساعده استقرار الأوضاع وتوزيع المسؤوليات ، وطول فترة الحكم على اختيار مواطن للراحة يلجأ اليها في فصول السنة المختلفة ، فأخذ من مناطق الاتاغ وسياه كوه مصائف ينتقل اليها الاردو - المعسكر السلطاني - صيفاً . اما في الشتاء فأخذ لذلك اران وبقداد (٣) .

(١) كما فعل ذلك سلاجقة الروم في النقوش التي تركوها على واجهة مدرسة بتاريخ ٦٧٠ هـ والتي ورد فيها « السلطان الاعظم شاهنشاه المعظم غياث الدنيا والدين كيخسرو الثالث ... » انظر في ذلك القسم الثالث من ما كس فامبرشم *Max Van Barehem* الجزء الاول ص ١٩ - ٢٠ رقم ٩ .

(٢) ولقب بادشاه ، فارسي الاستعمال ويعني « ملك العالم »

2) *Lane . poole . 4 . P . 23 . N . 57 .*

اما لقب شاهنشاه فمعناه سلطان العالم . او ملك الملوك . انظر ايضاً

R. Burn : . Coins of the Ilkhanis of Persia . P. 834 in J. A. R. S. of 1933
مسكوكات قديمة اسلامية قتالونغي ق م ص ٢٢ رقم ٢٤ . مسكوكات اسلامية تقويي ص ٨٤ رقم ١٢٧٢ وجاء فيها لقب « قاآن الأعظم اباقا ايلخان المعظم » ولقب القاآن يطلق عادة على الرئيس الأعلى المغول وهو المقيم في قراقورم .

(٣) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ١٢ . مينورسكي . ترجمة المعارف الاسلامية م ٤

تبريز ص ٥٤٤ .

ورسخت هذه التقاليد وأصبحت صفة مميزة لرسوم تولية الايلخانية فيما بعد .
وبالرغم من ان هذه الصورة لم تبقى جامدة أمام تطور الحياة العامة للمغول من
حولها ، وإنما تأثرت بها وتفاعلت معها ، إلا ان الخطوط الرئيسية لهذه التقاليد
بقيت في نفس الوقت تلعب دورها في حياتهم السياسية .

من ذلك ما تعرضت له تعاليم الياسا مثلاً من مؤثرات . فقد كانت وفاة اباقا
كما اعتقد بداية لتطور نظام الحكم الايلخاني وخضوعه لعوامل جديدة ظهرت تأثيراتها
من خلال تعاليم الياسا التي أصبحت تفسر بشكل من المرونة بحيث تلائم متطلبات
هذا التأثير، وتلك نتيجة طبيعية كما أرى نظراً لتغاير الظروف التي أصبحت الآن تحيط
بالحكم المغولي عنها في فترة خروجهم من بلادهم وقيام حكمهم في البلاد الاسلامية .

فقد أصبح الأمن والاستقرار الصفة الغالبة للحكم الجديد في معظم مناطقه ،
وأدى الاستقرار الى الاستيطان والتأثر او الخضوع للمؤثرات المادية والروحية التي
تعود ذلك المكان ، ونشأت العلاقات الاجتماعية والاقتصادية الى حد ما بين الحاكمين
والمحكومين ، وأصبحت هذه العلاقات وما نشأ عنها من مصالح تشغل جانباً من
اهتمام وتفكير الحاكم المغولي بعد ان كان فكره خالياً إلا من سيطرة قيم البداوة التي
خرج من صحرائه يفرضها على الشعوب المغلوبة .

ومن ناحية اخرى فقد بدأت مصادر القوى تتغير في اطار الحكم الجديد ،
فبعد أن كانت تقاليد الصحراء قد أعطت للزعيم المغولي من السلطات المطلقة ما مكنته
من استعباد حتى أتباعه ، بدأت هذه القيم تضعف وتتفتت أمام الرياح الحضارية
التي تعرضت لها في موطنها الجديد .

وإذا كان هولاءكو وابنه اباقا وما وصفا به من شخصية قوية قد استفادا من

حادثة عهد المغول بقم الصحراء واستمرار طغيانها عليهم ، فأحتفظا بعلمانيهما المطلق خلال مرحلة التحول هذه ، فان هذه المرحلة نفسها وما تحالمها من احداث سياسية وعسكرية ، كانت المدرسة التي تعلم فيها امراء المغول وقوادهم فن الحكم ولذة ممارسته وبالتالي تجرؤا على الآخريين للحفاظ على منافعه وامتيازاته ، وسوف نرى دور هؤلاء الامراء في توجيه الحكم والتلاعب بمصائره تبعاً لمصالحهم وأهوائهم .

ويجب أن لا ننفل في هذه الفترة ايضاً ، اثر الانقسامات الدامية بين أبناء أسرة جنكيز نفسها وصراهم على السلطة ، وائر ذلك في تشجيع هؤلاء الامراء على استغلال هذه الأحداث في التمكين لأنفسهم . فقد توفى اباقا وكان على القوريلشاي أن يقرر من سيخلفه من المتنافسين على العرش وفق تعاليم الياسا . وانقسم امراء الاسرة وزعماء المغول من ورائهم تبعاً لهذه المنافسة الى ثلاثة (١) أقسام كل يسمى لتثبيت أحقية مرشحها بما يملك من وسائل .

وبالرغم من النطاق تعاليم الياسا على شرعية تولي تكودار العرش ، بحكم كبر سنه ووقوف عدد من اخوته بجانبه ، فان رضوخ ارغون وانسحابه من منافسته لم يكن نتيجة لقناعته بهذه الشرعية بقدر ما كان نتيجة لعدم وجود جيش معه

(١) تنافس على العرش اثنان من أبناء هولاء هما تكودار ومنكوتيمور وزاحمها عليه ارغون بن اباقا وبعد أقل من شهر من وفاة اباقا وصل خبر وفاة منكوتيمور ، فانحاز حزبه الى جانب ارغون . انظر رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ٩١

BR ، ٩٢ ، ج ٣ ص ٢٥ - ٢٦

D,ohsson . 3 . P . 550 .

يدعم باطله (١) .

ولكن تعاليم الياسا فشلت في اثبات وجودها عندما وضمت على المحك ثابته فقد تأمر الأمراء على تكودار ومخلصوا منه ، وكانت احكام الياسا تتفق وتولى هولاجو بن هولاجو العرش ولكن تهديد هؤلاء الامراء وخاصة بوقا امير الاويرات جعل العرش ينحدر الى اضعف المرشحين الثلاثة (٢) حجة ليكون من نصيب ارغون ابن اباقا . كما جعلت القوريلثاي الذي اجتمع لهذا الغرض والذي اقتضت عضويته عضويته على خواتين الاسرة فقط (٣) ، ومن شايع ارغون من أمراء المغول ، جعلته يفسر هذه التعاليم بما يتفق وشرعية جلوس ارغون .

وأصبحت تعاليم الياسا بعد ذلك تفسر وفق مصلحة هؤلاء الأمراء الذين أصبح أبناء الاسرة الحاكمة تحت رحمتهم .

فقد اختلفت مصالحهم في اختيار خلف لارغون عند وفاته ، وفرضت القوة اختيار كيخاتو للعرش بعد أخيه ، ثم اختيار بايدو بعد مقتل كيخاتو ، ثم اختيار غازان بعد مقتل بايدو ، وكانت تعاليم الياسا خلال ذلك تفسر بعد كل تغير بما يتفق ومصلحة القوة الجديدة ، فقد برر قتلة كيخاتو عملهم بحرصهم الشديد على تعاليم

(١) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ٩١ - ٩٢ . الدواداري م ٩ ص ٢٠٧

Howorth.3.P.286 - 289.

(٢) كان التنافس هذه المرة بين ثلاثة آخرين من أمراء الأسرة هم هولاجو

وجوشكاب وارغون .

(٣) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ١٢٦

Howorth P.312.

الياسا التي أهينت بتصرفات كيجاتو الذي عاش عيشة لا تليق بمقام الجالس على العرش والذي كثيراً ما خالف تعاليمها ، لذلك استحق الحرمان من الحقوق التي كان يتمتع بها (١) .

وكذلك فعل بايدو بعد قبولة العرش ، فإنه وجه نداءً حمّله الرسل الى اطراف البلاد ، جاء فيه « ان كيجاتو كان يكره مشاغل الحكم ، وانه عمل ضد تعاليم الياسا لذلك تقرر خلعها بالاتفاق مع كبار أمراء الاسرة وخواتينها ، وأمراء المغول الآخرين ، ثم دعا الناس الى المحافظة على الهدوء وإطاعة النظام » (٢) .

واستعادت الياسا احترام المغول لأحكامها في اواخر أيام الايلخانية وخاصة في اختيار اولجاتيو وابنه أبي سعيد ، وليس ذلك لأن المغول أحسوا بأهمية التمسك بهذه التعاليم ، بل لأن غازان خلال حكمه لم يبق على احد من امراء الاسرة (٣) ينافس أخاه اولجاتيو على العرش الذي تعهد بعد تتويجه بالمحافظة على تعاليم الياسا (٤) . وكذلك كان الحال بالنسبة لابي سعيد الذي لم يكن قد جاوز سن الطفولة عندما تولاه . فقد خلا عهده من المنافسة لذلك جاء توليه متفقاً مع تعاليم الياسا .

* * *

(١) بارتولد ترجمة المعارف الاسلامية م ٣ - بايدو - ص ٣٢٥ .

(٢) Howorth 3 P.378.

(٣) استهلك غازان معظم أقربائه من الأمراء الأنجال ، ووقعت الخانية في مشكلة العثور على مرشح لها منهم بعد وفاة أبي سعيد حتى اضطروا الى اختيار النساء مثل ساتي ميك بنت اولجاتيو . انظر هورث Howorth ج ٣ ص ٦٣٤ ، ٦٤٢ - ٦٤٣ .

(٤) تاريخ وصاف م ٤ ص ٤٦٧ - ٤٧٢ .

ولم يقتصر هذا التطور على تماليم الياسا فحسب ؛ بل شمل الألقاب الإيخانية أيضاً . فقد مر علينا أن القوريلثاي منح اباقا لقب الإيخان الذي كان هو لاكو قد اتخذته لنفسه ، والذي أصبح اللقب الرسمي المتوارث لمن أتى بعدهما من الإيخانات هذا بالإضافة إلى ما لاحظناه من اتخاذها ألقاباً أخرى خاصة بهما .

وتعرض اللقب الرسمي المتوارث « الإيخان » إلى المزاجمة في عهد تكودار الذي تشير المراجع إلى أنه اعتنق الإسلام بعد توليه مباشرة ، وتلقب بالسلطان أحمد (١) . على أنني أرجح الرأي القائل بأن اعتناقه كان سابقاً لتوليه ، وأنه كان قد تسمى بأحمد (٢) .

أما لقب السلطان الذي أشارت إليه جميع المراجع تقريباً ، فيظهر لي أنه لم يكن مما تعارف عليه المغول في هذا الوقت ، وأنه خوطب به فقط من قبل السلطان المملوكي قلاون باعتباره حاكماً مسلماً وذلك في جوابه على رسالة تكودار التي كان قد أرسلها

(١) ابن خلدون ج ٥ - ص ٥٤٦ ، بارتولد ترجمة المعارف الإسلامية م ٥ - تكودار - ص ٤٤٣ .

D'herbelot. Bibliothequeoriental. P.67.

(٢) انظر زيادة حاشية السلوك ج ١ ق ٣ ص ٧٠٧ . أما اسم أحمد فينسب إلى طائفة الدراويش الاحمدية التي كان قد خالطها واعتنق الإسلام على يد بعض شيوخها . الذهبي - تاريخ الإسلام الورقة ٢٤ وفيات سنة ٦٨٣ وجاءت إشارة رشيد الدين م ٢ ص ٩٢ إلى هذا المعنى مقتضبة حيث يقول : « ولما كان معتقاً الإسلام فقد لقب بالسلطان أحمد » .

له بتاريخ اواسط جمادى الاولى ٦٨١ هـ (١) .

يؤيد هذا ان كتب النقود لا تشير الى وجوده على السكة ، وعلى قلة ما لدينا من نقوده فانها لا تحمل سوى لقب الايلخان المتوارث (٢) .

واكتفى ارغون بلقب الايلخان الذي منحه له القوريلثاي والذي جاءت نقوده لا تحمل سواء واعتقد ان كيخاتو وبايدو توارثا اللقب ايضاً بالرغم من غلبة الكتابة الايفورية او المغولية على ما لدينا من نقودها القليلة ، وبالرغم من غلبة اللقب الذي منحه الكهنة *Bakhshis* وهو « ايرنجين دورجي » لكيخاتو الذي وجد على نقوده (٣) .

وجاء التحول في الالقاب بشكل واضح في عهد غازان الذي منحه القوريلثاي لقب السلطان بالاضافة الى استخدامه اللقب التقليدي الايلخان ، فجاءت نقوده تحمل لقب السلطان المعظم ايلخان الاعظم (٤) .

على أن لقب السلطان كان غالباً على اكثر نقوده ، ولما كان غازان قد اعتنق الاسلام ، فيبدو انه تشبه بأمراء المسلمين وملوكهم في كثرة اتخاذ الالقاب التي

(١) انظر صور الرسائل المتبادلة مع السلطان قلاون في تشریف الأيام والعصور ص ٦ - ١٦ . انظر ايضاً ملاحق البحث - مراسلات المغول مع المماليك .

(٢) مسكوكات اسلامية تقويمية ص ٨٥ رقم ١٣٠٥

Lane Poole - 4.P.24.N'59.

(٣) مسكوكات قتالوغي ق ٣ ص ٣٧ رقم ٣٥

Hcworth.3 P 357 .

Lane . poole.X.p.101.N 120 K (٤)

وورد من ألقابه ايضاً في قطعة اخرى لقب غازان قاآن محمود .

تشير معانيها الى التفخيم والتعظيم ، فقد ورد لقب السلطان مضافاً الى الاسلام مرة
والى البادشاه (١) اخرى .

واختفى لقب الايلخان من الاستعمال نهائياً في عهد أخيه اولجايتو الذي جمع
في نقوده بين لقبه الاسلامي خدا بنده « أي عبدالله » الذي آخذه لنفسه بعد
هدايته الى الاسلام ، والذي غلب على نقوده في الفترة الاولى من توليه (٢) وبين
لقبه الرسمي الجايتو « أي المبارك » الذي منحه له القوريلثاي كما يشير الى ذلك
حديث رشيد الدين الذي كان أحد من اقترحه خلال اجتماع القوريلثاي (٣) ،
بالاضافة الى لقب السلطان الذي أصبح اللقب التقليدي المميز للايلخانات المسلمين .
واقتردى اولجايتو بما تعارف عليه امراء المسلمين وملوكهم من اصفاء النعوت
وآيات التعظيم على انفسهم ، وجاءت نقوده تحمل الكثير من هذه الصفات منها ما ورد

(١) مسكوكات قتالوغي ق ٣ ص ٥٠ رقم ٥٨ . انظر ايضاً مجلة سومر م ٢١
ج ١ ، سنة ١٩٦٥ ص ١٦١ جدول النقود الايلخانية . نقود غازان . رقم ٥٨٥٣
مس . انظر ايضاً .

Burn:Coinsoftheglkhanihofpersia.J R.As.1933 p.836.N.12 .

وجاءت نقود اخرى تحمل لقب بادشاه اسلام شاهنشاه .

Lane - poole.X.p 98.N.102 K .

(٢) وجاء لقبه فيها « السلطان الاعظم غياث الدنيا والدين خدا بنده محمد »

انظر في ذلك مسكوكات قتالوغي ق ٣ ص ٦٤ رقم ٨٤

Lane - poole.4.P.46.N.129.

Miles : thenumismatic Hist.ofrayy.P.218.N.353 .

(٣) مقدمة كاترمير لجامع التواريخ م ٢ ج ١ ص ١٩ .

كنموذج لذلك يصوره « المولى السلطان الاعظم مالك رقاب الامم اولجايتو سلطان غياث الدنيا والدين خلد الله ملكه » (١) .

ولم يكتف اولجايتو بميدان النقود لاشباع رغبته في الالقاب والصفات ، بل لجأ الى النقود والكتابات على واجهات العماير والربط والمدارس والمساجد وغيرها متشبهاً في ذلك بمن سبقه من أمراء المسلمين .

وينقل لنا كومبيه Combe نموذجاً من هذه القوائم الطويلة من الالقاب المنقوشة على واجهة عمارة في مدينة بسطام سنة ٧١٣ هـ وجاء فيها « دولة السلطان الاعظم شاهنشاه المعظم سلطان سلاطين العرب والعجم ، سلطان ارض الله ، ناصر دين الله ، حافظ بلاد الله علاه الدنيا والدين ، غياث الاسلام والمسلمين ، أعديل الملوك والسلاطين ، اسكندر الثاني ، خسرو ايران ، سلطان اولجايتو ، محمد خدا بنده خان ، خلد الله ملكه ما دامت السماوات والارضين » (٢) .

واقفني ابو سعيد أنر والده في منح نغمه ما شاء من الالقاب التي اتخذها من النقود وواجهات العماير ميداناً لابرازها . على اننا نلمس في معانيها تطوراً مع مرور الزمن بحكم نموه عمراً وعقلاً وإدراكاً لمعاني الاشياء . وأصبح لقب السلطان هو المعول عليه في جميع النقود ، يضاف اليه بين آونة واخرى ما يحس به ابو سعيد من

(١) مسكوكات قتالوغي ق ٣ ص ٦٩ - ٧٠ رقم ١٠٢

Lane - Poolc. 4 P. 44 N. 126.

سومر م ٢١ ج ١ ، ٢ سنة ١٩٦٥ نقود اولجايتو ص ١٦١ - ١٦٢ .

Repertoire Chronologique D, epigraphie Arabe. (٢)

Tom 14 P. 80 N. 5328.

وجوب التعبير عنه بواسطة النقش على النقود وغيرها ما دام هو غير قادر على تحقيقه فعلا ، لذلك جاء تسلسل الصفات التي نسبتها الى نفسه في هذه الاضافات تعبيراً عن هذه النزعات المكبوتة (١) .

وامتد التطور حتى الى بعض مراسيم التتويج التي تعارفوا عليها مثل انحنائهم أمام المرشح بمد إجلاله على العرش تسع مرات اظهاراً لطاعتهم وخضوعهم ، ولكن « ابرو » (٢) ينقل لنا في احتفالات ابي سعيد ان الحاضرين في اجتماع القوريلثاي ، بمد أن رفعوا قلائدهم وألقوا الاحزمة عن رقابهم ركعوا مائة مرة داخل الخيمة وخارجها .

المنظمات الادارية :

وتفرغ هولانكو بمد انتهائه من احتلال بغداد ، تفرغ لتنظيم البلاد التي أصبحت تحت سلطانه ، وبدأ ذلك وهو على مشارف بغداد في معسكره الذي اقامه في قريتي « وقف وجلابية » (٣) .

ويشير رشيد الدين الى هذه المنظمات بقوله : « وفي نفس اليوم الذي قتلوا فيه الخليفة ارسلوا الى المدينة مؤيد الدين بن العلقمي ليقوم بالوزارة ، وفخر الدين

(١) من ذلك السلطان الاعظم ، المولى ، علاء الدنيا بأكملها والدين ، بهادرخان العادل ، العالم العادل .

(٢) ذيل جامع التواريخ ص ٧٣ .

(٣) وتقعان على طريق خراسان شرقي بغداد وتبعدان عنها مرحلة واحدة .

الدامغاني ليكون صاحب الديوان وجعلوا على بهادر شحنة لها (١) وسوف نرى عند دراستنا لهذه الصورة من تنظيم بغداد ، محاولة هولاء كو الاستماعة بجميع من بقي على قيد الحياة من موظفي الخلافة ، للاستفادة منهم ريثما يتكون لديه من الموظفين من يسد مسدهم .

وغادر هولاء كو معسكره عائداً الى ايران حيث استقر في مراغة ، ويظهر أنه لم يستطع تنظيم بقية البلاد بنفس السرعة التي انتهى فيها من ولاية العراق وذلك بسبب حالة الموضى التي عمت البلاد في اعقاب الحرب ، فضلاً عن ان هولاء كو لم يكن قد انتهى من فرض سلطانه على البلاد التي خضعت له . فبلاد الشام كانت لا تزال مترددة في تحقيق هذه الطاعة التي سبق ان اعلنتها بالرغم من وجود عدد من الشحنة لدى أمراءها . إذ ان هؤلاء الامراء كانوا يترددون بين الخوف من التمرد والاستحياء من الناس ان بقوا على الطاعة .

وكان اهم من طاعة الشام لدى هولاء كو ، الخلاف الذي نشأ بينه وبين ابن عمه بركة خان الذي كان في ظاهره بسبب اسلام بركة وتحزبه للمسلمين أمام وثنية هولاء كو وبطشه بالخلافة ، اما حقيقة فلكان النزاع على ملكية بعض البلاد المشتركة التي لم تتضح ملكيتها لاحد منهما . وسوف ترى ان هذا النزاع استنفد الوقت الاكثر من

(١) جامع التواريخ م ٢ ج ١ ص ٢٩٥ ، الحوادث الجامعة ص ٣٣١ ، ابن

العبري ص ٢٧٢ .

والشحنة هنا هو أشبه ما نسميه بالحاكم العسكري الذي يتولى مسؤولية حفظ

الامن الداخلي في البلاد وكانت هذه الوظيفة مقصورة على المغول عادة .

حياة هولانكو ، حتى انه توفي ولم ينته . لذلك جاء تفرغه لتنظيم البلاد متأخراً ، ومن ثم يربط برايس (١) ذلك بقوله : « وقبيل وفاة هولانكو عهد بشؤون الولايات ... » بينما حدد هورث (٢) هذا التنظيم بسنة ٦٦٣ هـ / ١٢٦٤ م وحتى سنة وفاته ايضاً .

ومما يلاحظ في هذا التنظيم ، تطور اسلوب الحكم بالرغم من قصر المدة التي باشرها هولانكو .

فقد اعتمد هولانكو عند تنظيمه بغداد اسلوب الحكم المركزي ، يدل على ذلك ارتباط موظفيها به شخصياً ، فقد كان الوزير ، ومن ثم صاحب الديوان ينفذ اليه مصطحباً معه صدور البلاد ليعرض عليه أمامهم حالة البلاد وتطورها الاقتصادي والعمري .

اما في الصورة الثانية التي سنعرض لها ، فان اسلوب الحكم أصبح لا مركزيّاً ، وهذا أمر طبيعي نظراً لسعة البلاد التي أصبحت تضمها مملكته ، وصعوبة السيطرة عليها من العاصمة ، على أن هولانكو استعان ، تفادياً لتمرّد بعض أجزائها وضمناً لاستمرار طاعتها ، استعان بأبنائه ، فولاهم أقسامها ، بالإضافة الى استماتته ببعض المقربين اليه في ذلك .

وقسم هولانكو البلاد الى ست وحدات إدارية ، ففوض الحكم في ممالك العراق وخراسان ومازندران حتى فرضة (٣) جيحون الى الامير اقالبا ، وأسند حكم اران

(١) برا PR ج ٢ ص ٥٧٤ .

Howorth P.205 .

(٢)

(٣) فرضه جيحون : الفرضة هي الثغر . وفرضة جيحون هنا يقصد بها -

واذربيجان حتى شاطيء إراس الى الامير يشمون ، وسلم للأمير تودان ديار بكر وديار ربيعة حتى شاطيء الفرات ، وأعطى معين الدين پروانة ممالك الروم ، كماولى صدر الدين تبريز ، وأعطيت ترکان خاتون كرمان ، وجعل الامير انكيانو على فارس (١) ، وكان أمره باجراء هذه التقسيمات في اواخر أيامه ، لذلك يمكن القول ان صورتها لم تكتمل إلا في عهد اباقا الذي استقرت احوال البلاد في عهده ، واخذت هذه التقسيمات شكلها الطبيعي ، وأصبحت اساساً للتنظيمات التي اجراها الايلخانات فيما بعد والذين كانوا يهتدون بالخطوط الرئيسية فيها .

ويلاحظ في هذه التقسيمات ، ان الوحدة الادارية ضمت اكثر من ولاية من الولايات التي كانت تنقسم اليها البلاد قبل الاحتلال المغولي ، من ذلك مثلاً ان امارة خراسان في هذه التقسيمات ضمت ولايات خراسان ، ومازندران والعراق العجمي ، وكذلك القول في بقية الوحدات او الاقسام الاخرى .

– الجزء من الحدود الايلخانية المطل على نهر جيحون والذي يمثل خط الحدود مع مغول الجغتاي . انظر الخارطة الملحقة بآخر الرسالة . انظر ايضاً . مختار الصحاح للرازي ص ٤٩٨ مادة فرضة .

(١) رشيد الدين م ٢ ج ١ ص ٣٣٨ ، خواندمير م ٣ ج ١ ص ٥٩ - ٦٠ .
برا PR ج ٢ ص ٥٧٤ - ٥٧٥ وهو يشير الى ان تودان هو ابن هولاكو . وبالرجوع الى قائمة ابناء هولاكو الاربعة عشر الذين دونهم رشيد الدين لانجده بينهم ، اما هورث Howorth ج ٣ ص ٢٠٥-٢٠٦ فيعلق على هذه التقسيمات ويذكر خطأ اعطاء كرمان الى ترکان خاتون في الوقت الذي كانت محكومة من قبل اسرة براق الخاجب الذي ينتمي الى المقررة خطاي .

أما الوزارة :

فلم يكن المفعول قد اتخذوا في هذه الفترة اسم الوزير وأطلقوه على الشخص الذي يقوم بالاشراف على ديوان البلاد ، بل كانوا يسمونه صاحب ديوان الممالك او صاحب الديوان (١) . وسوف ترى ان اتخذ اسم الوزير جاء متأخراً .
ويظهر أن هولاءكو كان يستعملين بأكثر من واحد من المحيطين به للقيام بأعمال الوزارة . يذكر « الصفدي » وغيره من المؤرخين العرب ان نصير الدين الطوسي كان يعمل الوزارة لهولاءكو من غير أن يدخل يده في الاموال (٢) .
ولكن عمل الوزارة كان اكثر التصاقاً بسيف الدين البتيكجي الذي يسميه رشيد الدين بالوزير الخاص ، والذي أساء التصرف خلال انشغال هولاءكو بحروبه مع بركة خان ، فشكا منه البعض لهولاءكو الذي أحاله الى محاكمة قضت باعدامه في محرم ٦٦١ هـ / ١٢٦٢ م (٣) . حينئذ فوض هولاءكو منصب ديوان الممالك الى صاحب شمس الدين محمد الجويني ، وأطلق يده وقواها في حمل الامور وعقدتها وترتيبها وضبطها (٤) .

(١) الحوادث الجامعة ص ٣٣٩ ، ٣٤٦ ، مصطفى بدر ، ايران في عهد غازان ص ١٢٠ .

(٢) الصفدي ج ١ - الوافي بالوفيات ص ١٧٩ - ١٨٣ ، ابو المحاسن م ٣ - المنهل الصافي - الورقة ٢٦٥ ، سليمان الظاهر - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق م ٣٦ ج ٢ سنة ٩٦١ ص ٢٤١ - ٢٤٧ .

(٣) رشيد الدين م ٢ ج ١ ص ٣٣٣ ، خواندمير م ٣ ج ١ ص ٥٩ .

(٤) رشيد الدين م ٢ ج ١ ص ٣٣٨ ، خواندمير م ٣ ج ١ ص ٦٠ ، الحوادث -

اما قيادة الجيش :

فقد تولاهما هولاء كما هو بنفسه نظراً لحالة الحرب التي لازالت قائمة ، وكان يستعين بأبنائه لقيادة الحملات الفرعية ، كما يستعين ببعض كبار أمراء المغول لمساعدتهم او الانفراد بقيادة بعض الجبهات الفرعية ، وسوف نرى تفصيل ذلك عند بحثنا اعماله العسكرية ، ونخلص من ذلك الى انه بالرغم من كثرة عدد الاسراء النويان الذين توفروا له ، إلا ان احداً منهم لم يتميز على الآخرين بميزة تجعل له الامارة عليهم .

على أن رشيد الدين ينفرد بالقول في حديثه عن تولية اباقا ، ان منصب امير الجيوش كان قد عهد به الى ايلكا نويان ، وان هذه الميزة له قد جعلته يتقدم لأباقا قبيل توليه العرش وبقدم له الطعام والشراب وينفرد به لكي يطلعه على حقيقة احوال أبيه عند وفاته (١) .

ويجب أن نلاحظ هنا ان الاسراء الذين وزعوا على الوحدات الادارية السالفة الذكر لتولي مسؤولياتها ، كانوا اشبه بالحكام العسكريين لها ، اذ ان واجبهم كان مقصوراً على شؤون الدفاع وتأمين حماية البلاد بالاضافة الى مراقبة الاسراء المحليين فيها وضمان طاعتهم للدولة .

-الجامعة ص ٣٣٩. وسوف نرى عند بحث الجهاز الاداري ودور علاء الدين عطا ملك ، ان شمس الدين تسلم مسؤوليته قبل هذا التاريخ .

(١) جامع التواريخ م ٢ ج ٢ ص ١٠ .

اما الشؤون المالية فيها :

فقد عهد بها الايلخان الى موظفين ماليين هم أشبه بالوزراء لهؤلاء الحكام .
ويلاحظ هنا ايضاً تعاون اكثر من موظف مالي ضمن حدود الوحدة الادارية
الواحدة ، وبمباراة اوضح ، ان هؤلاء الموظفين الماليين تولوا مسؤولية الاشراف
المالي ضمن حدود الولايات القديمة التي اصبحت تضمها الوحدة الادارية في شكلها
الجديد ، من ذلك ان ابا قاعد بوزارة خراسان الى الخواجة عز الدين طاهر ، بينما
قدم ولاية العراق المعجمي بين بهاء الدين محمد بن صاحب الديوان الجويني الذي اعطاه
منها منطقة اصفهان ومعظم العراق المعجمي ، وأعطى بقية العراق المعجمي وقزوين
الى الملك افتخار الدين القزويني ، وكذلك القول في بقية الوحدات التنظيمية
الأخرى (١) .

وكما أشرت سابقاً فان هذه التنظيمات التي استقرت معالمها في عهد ابا قاعد ، اصبحت
قاعدة اهتدى بها الايلخانات اللاحقون .

ولكن تطور الحياة السياسية للمغول ، وما رافق ذلك من انقسامات وفوضى
دفع بعض الايلخانات الى اجراء بعض التعديلات فيها على ضوء حاجته او اجتهاده .
ويمكن القول من خلال هذه التغييرات ان الولايات ذات الأهمية الاستراتيجية ،
بقيت بعيدة عن هذه التغييرات من ذلك مثلاً ولاية خراسان التي نشأت أهميتها من

(١) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ١٢ - ١٣ ، دولتشاه السمرقندي - تذكرة

الشعراء ص ١٠١ - ١٠٣ .

Howarth , 3 . P . 219 - 220

مواجهتها لحدود مغول ما وراء النهر ، فقد ظلت مسؤوليتها بيد أمراء الاسرة ، حتى أن معظم الايلاخانات كانوا قد تولوا امارتها قبل توليهم الايلاخانية ، فقد تولي مسؤوليتها اباقا ، ثم ارغونا ، ثم غازان ، ثم اولجايتو ، وأخيراً ابو سعيد .
وكذلك القول في ولاية بلاد الروم التي تضم امارة سلاجقة الروم ، فإن اهميتها نشأت من مواجهتها لبعض حدود الدولة المملوكية في الشام ومصر .

وبدأت هذه التغييرات في عهد ارغون الذي تخطى تعاليم الياسا عند توليه العرش كما ذكرنا ، لذلك فإنه كان حذراً عند توزيعه الامراء على الولايات ، فقد عمل على منع المشتبه في ولائهم له من الامراء من الانفراد بمسؤولية الولاية لئلا تتجمع في يده اسباب القوة ويكون بعيداً عن الرقباء ، ولتحقيق غرضه ، فقد أشرك في مسؤولية الولاية ، أكثر من امير من امراء الاسرة ، الامر الذي سبب البلبلة والفوضى كما اشار الى ذلك « و صاف » (١) .

فقد جمع بين الامراء بايدو وجوشكاب في ولايتي بغداد وديار بكر ، وجعل عليهما الامير اروق شريكاً في الحكم ورقيباً .
وجعل ولاية الروم مشاركة بين أخيه كينخاتو وعمه هولاجو ، وأرسل عمه الآخر آجاي الى كرجستان «جورجيا» ، اما خراسان ومازندران وقومس والري فقد مهد بها لابنه غازان ، وعين لمساعدته كلا من الامير كانشو ونوروز (٢) .

(١) و صاف م ٣ ص ٢٨٤

Howorth . 3 . P . 378 .

(٢) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ١٢٨ ميرخوند ج ٥ ص ١١٦

D'ohsson 4 . P . 4 . Howorth . 3 . P . 313 .

اما كيخاتو فانه تصور أن اسباب العوضى التي تعانيها البلاد والتي قاسى هو منها خلال توليه العرش ، راجعة لمشاركة امراء المغول وتدخلهم في شؤون الحكم ، فقرر ابعاد هؤلاء الامراء عن العمل الاداري ، وقصر مسؤولياتهم على الجيش فقط (١) ، على انه لم يكن قادراً على زحزحة امراء الاسرة واستبدالهم بأخرين من ذلك ان غازان كان يتولى مسؤولية خراسان ، وان بايدو كان يتولى مسؤولية ديار بكر وديار ربيعة فاضطر الى قبول وجودها بعدئذ .

وكان اجتهاد بايدو بعد توليه العرش مغايراً لاجتهاد سلفه ، اذ انه اعتقد ان حرمان امراء المغول من ممارسة الحكم والتضييق عليهم كان سبباً لهذه العوضى ، لذلك فانه رأى الاستمانة بهم وتوزيعهم على البلاد .

ورأى كذلك الاقتداء بسياسة عمه اباكا الذي كان قد اناط المسؤولية الادارية بواحد من الامراء فقط ، ليجنب الخطأ الذي وقع به ارغون عندما اشرك في المسؤولية اكثر من امير كما أسلفنا . وكانت وصية بايدو لهؤلاء الامراء بعد أن فوضهم حرية التصرف بادارتها ، ارضاهم بالاهتمام بشؤون الرعية والعمل على ترقية البلاد (٢) .

وكذلك شمل التطور منصب قيادة الجيش . فبعد أن كانت الصفات اواجبة

(١) وصاف م ٣ ص ٢٦٥ ، ميرخوند ج ٥ ص ١٢٣

Howorth . 3 . P . 368 .

(٢) وصاف م ٣ ص ٢٨٤

L'ohsson 4 . P . 115 - 118 .

Howorth . 3 . P . 378 .

توفرها فيمن يتولى امارة الجيوش هي الكفاءة والاخلاص وسابق الخدمة كما هو الحال في ايلكانويان الذي اختاره هولوكو ، وسونجاق نويان الذي اختاره اباقا ، أصبحت العلامة الشخصية بين امراء الاسرة الطامعين او المتنافسين على العرش ، وبين امراء المغول الذين يستطيعون تحقيق هذه الرغبات ، هي الكفيلة بايصال هؤلاء الامراء الى اعلى المناصب في الجيش .

كما ان عمل امير الجيوش تطور ايضاً من الاشراف على تنظيم الجيش والعناية بأسبابه الى ممارسة العمل السياسي والتدخل في شؤون الايلخانية حتى أصبح يقوم بالنيابة عن الايلخان ويحجر عليه في بعض الأحيان كما هو الحال في علاقة الامير بوقا مع ارغون ، والامير نوروز مع غازان ، والامير چويان مع ابي سعيد .

واستقر تطور منصب امير الجيوش اخيراً عندما تحولت القيادة الى هيئة ضمت كبار امراء الجيش توزعوا سلطاتها فيما بينهم وان ظلت منزلة اعضائها متفاوتة بالنسبة لأكبر هؤلاء القواد او اكثرهم قوة ، والذي احتفظ لنفسه برئاسة هذه الهيئة ، او بعبارة اخرى أصبح يتولى قيادة الجيش من الناحية الرسمية فقط . وبدأ هذا التطور في اواخر ايام ارغون ، ولكن معاملة اتضحت في زمن كيخاتو وبايدو حيث أصبحت القيادة تضم بين ثلاثة امراء او خمسة امراء ، وكذلك في عهد اولجايتو والايام الاولى لأبي سعيد . وسوف نرى تفصيل ذلك في حديثنا عن منصب نائب الايلخان .

وكذلك تعرض منصب صاحب ديوان الممالك ، او منصب الوزارة . الى شيء من التطوير ايضاً عندما توسعت سلطاته حتى أصبح يهيمن على شؤون الدولة ويملك تصرف الامور فيها كما هو الحال في الوزير سعد الدرلة اليهودي .

وكانت المشاركة في منصب الوزارة التي أحدثها غازان بين أكثر من وزير نموذجاً آخرأ لهذا التطور الذي يكشف في نفس الوقت عن توسع اعمال الديوان وتعمدها .

ثم كانت محاولة توريث المنصب الوزاري الذي فعله ابو سعيد مع ابناء الوزير المتوفى عليه شاه استمراراً لذلك مما سوف نراه مفصلاً في الحديث عن منصب الوزارة .

الاحداث العسكرية الداخلية :

استولى هولاءكو على معظم البلاد الاسلامية ، وخضع اهلها لسلطانه . اما لمجز عن مواجهة القوة التي زحف بها هولاءكو فاستسلم لحكمها . واما لتخاذل بعض امراء البلاد أمام التهديد بالزحف فاستسلموا له قبل مواجهته ، واما طمعاً في وعوده . وانكشفت لهؤلاء المتخاذلين بعد استقرار البلاد حقيقة الحكم المغولي الذي تحولوا في ظله الى مجرد عبيد لا يملكون من السلطان شيئاً ، فاستكان بعضهم على ذله ولم يجرؤوا ساكناً ، بينما أنف آخرون من ذلك وأخذوا يتدبرون الوسيلة التي تعيد لهم ما فقدوه ، لذلك يمكن القول ان عهد هولاءكو لم يخل بالرغم من قسوته في الحكم وشدته على معارضيه ، من الثورات التي قام بها امثال هؤلاء الامراء الذين صحوا بعد غفلة ، واستيقظوا بعد سبات .

ويعتبر الكامل الايوبي صاحب ميافارقين اول هؤلاء الامراء الذين رفعوا علم الثورة على هولاءكو وسوف نرى فيما بعد ان تمرده هذا كان من عوامل تراخي امراء الشام في استمرار طاعة المغول ومن عوامل الزحف المغولي نحو الشام بعدئذ .

وتمردت تفليس عاصمة جورجيا على الطاعة سنة ٦٥٧ هـ . فوجه هولاكوهما قائده الأمير ارغون اغا الذي تولى اخضاعها ، ولكن صاحبها الملك داود استفل انشغال هولاكوه في حروبه مع بركة خان فتمرد ثانية سنة ٦٥٩ هـ ، فتخلى عنه اصحابه وصالحوا التتر الذين هاجموا البلاد مرة اخرى ، فاضطر داود الى الهرب والاحتماء عند بعض بني عمه من امراء البلاد ، ولكن هولاكوه تقديراً منه للظروف التي تحيط به ، رأى ترضية الأمير الثائر وقبول اعتذاره وإعادته الى امارته (١) . وعصت مدينة كابل على الحكم المغولي ، وطال تمردها قريباً من سنتين ، فوجه هولاكوه سنة ٦٥٨ هـ قواته نحوها بقيادة ابنه يشحوت وقائده ايلكناويان فقضيا على تمردهما (٢) .

وكان تمرد الصالح اسماعيل في الموصل سنة ٦٥٩ هـ نتيجة طبيعية لمركة عين جالوت ، وسوف نبحث تفصيلها عند حديثنا عن امارة الموصل .

وقبيل وفاة هولاكوه تمرد سلجوقشاه صاحب فارس وقضى على اعوان المغول ونوابهم في شيراز ووسع سلطانه حتى امتد الى حدود الخليج العربي ، وراسل السلطان المملوكي بيبرس لتنسيق التعاون معه ، ولكنه لم يستطع الصمود أمام القوات

(١) الدواداري م ٩ . الورقة ٢٤ ، العيني الورقة ٤٢٠ . ويعلق زيادة في حاشية المقرئ ج ١٣ ق ٢ ص ٥٣٧ ان بلاد الكرج دخلت في طاعة المغول سنة ٦٣٤ هـ ، وان هذا الملك بقي بعد عودته الى العرش يكيد لهولاكوه عند الملك بركة خان تارة وعند الظاهر بيبرس اخرى .

(٢) مجمل فصيح ، حوادث سنة ٦٥٨ هـ .

المغولية وحلفائها والتي لاحقته حتى قضت عليه سنة ٦٦٣ هـ / ١٢٦٤ م (١) .

وبالرغم من ان صفة الاستقرار كانت الصق بعهد اباقا ، إلا ان عهده لم يخل من كثير من الأحداث الداخلية والاضطرابات ، بالإضافة الى الحروب الموروثة مع بني عمه المغول والمماليك .

فقد اضطر اباقا في اعقاب الحرب مع مغول القبچاق سنة ٦٦٤ هـ / ١٢٦٦ م الى بناء سسد على وادي كر في منطقة الدر بند ليحول دون هجوم القبائل الشمالية التي كانت تشر الحراب في البلاد ، كما ترك حامية عسكرية للحفاظ عليه وتحقيق اغراض بنائه (٢) .

وما ان استقر اباقا في عاصمته حتى أحس برأحة الغدر نفوح من احد بني عمه المدعو تكودار اغول بن موجي بن جغتاي الذي كان قد أنزله منزلة كبيرة في دولته فقد ضبط بمض مراسلاته مع مغول ما وراء النهر للقيام عليه ، وتأكد ذلك عندما رفض الحضور الى بلاطه عندما استدعاه فأضطر حينئذ الى سوق الجيش اليه وحصره بالتعاون مع جيوش الكرج في احدى الغابات ثم استسلامه بعد ذلك ، فأحضر أمام اباقا في ربيع ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م حيث عفا عنه بعد أن أخذ عليه بعض التعهدات (٣) .

(١) Sykes ج ٢ ص ٩٨ .

(٢) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ١٤ . ترجمة المعارف الاسلامية م ١ - اباقا -

ص ١٤ - ١٥ .

(٣) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ٢٣ - ٢٥ ، الدواداري م ٩ الورقة ١١٥-١١٦

ابن الفرات م ٧ . تاريخ الدول والملوك ص ٩ . برا BR ج ٣ ص ٢٥ .

وشجعت الحروب الطويلة التي انشغل بها اباقا مع بني عمه مغول ما وراء النهر
وما نشأ عنها من فوضى ، شجعت بعض سكان بخارى والمدن المجاورة لها على
استغلال هذه الحروب لمصالحهم فأخذوا يعدون العدو بما يحتاج اليه من قوة ، فأمر
اباقا بتأديبهم وتهجيرهم .

وقام اهل بخارى وخوارزم وكش ونخشب جيوش اباقا مدة طويلة حتى
نفدت طاقتهم فاستسلموا للقتل والحرق والتهجير حتى لم يبق في بخارى احد من
سكانها (١) .

واستغلت بقايا الاسماعيلية هذه الاضطرابات فأعدت تنظيم نفسها تحت قيادة
أحد أبناء رئيسها السابق خورشاه ، ونجحت في الاستيلاء على قلعة الموت وغيرها
وأعدت فرض سلطانها على الأطراف المجاورة ، فحاصرتهم جيوش اباقا ، واسترجعت
منهم قلعة كردكوه سنة ٦٧٠ هـ بينما تأخر احتلال قلعة الموت والقضاء عليهم حتى سنة
٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م (٢) .

وفي خلال هذه الفترة بينما كان الايلخان قد خرج للصيد في منطقة اران ،
اذ تعرض لهجوم بعض الاقوام المتمردة في شتاء ٦٧٤ هـ . ولكن حرسه استطاع

(١) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ٥٨ - ٦٠ ، تاريخ كزبده ص ٥٨٢ ، ترجمته
الانكليزية ص ١٤٣ وهو يذكر أن الشخص الذي قاد الثورة في بخارى اسمه تاراخي .
ترجمة المعارف الاسلامية م ٣ بخارى - ص ٤١٢ .

Howarth . 3 . P . 247.

(٢) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ٥٧ ، تاريخ كزبده ص ٥٨٣ ، براون ج ٣

ص ٢٥ .

حمايته والدفاع عنه حتى وصلت القوات الاخرى التي استقدمت على عجل من البلاد المجاورة فأحاطت بالتمردين حتى اضطروا الى الاستسلام وطلبوا الأمان من الابلخان فعفا عنهم (١) .

وقام صاحب الديوان شمس الدين الجويني بتصديده في نشر الأمن والاستقرار عندما توجه الى بلاد الروم في اعقاب معركة الايباستين في ربيع ٦٧٦ هـ . لاعادة اعمار البلاد وتنظيم ادارتها ، فقاد الجيوش وطارد قطاع الطرق المنتشرين في البلاد وقضى عليهم ، وفي خلال عودته الى العاصمة سلك الطريق الجبلي المؤدي الى جبال البرز واكرستان فاستطاع بحسن تدبيره اخضاع سكانها وجلبهم الى حظيرة الطاعة (٢) . ويشير هورث الى عجز قائد جيش اباقا المدعو شيرامون نويان الذي كان قد توجه لاختضاع اهل جيلان الذين تمردوا على اباقا ورفضوا الدخول في طاعته وقد عاد عنهم فاشلا (٣) .

واستغلت فرق النكوردية انشغال اباقا بالاستعدادات العسكرية للانتقام لمعركة الايباستين ، فقامت بالهجوم على ولايات فارس وكرمان ، وقضت على الجيوش المحلية التي تصدت لها ووصلت في هجومها حتى ابواب شيراز ونهبوا ما وصلت اليه ايديهم

(١) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ٧٠ .

(٢) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ٦٥ ، ٦٦ .

(٣) Howorth ج ٣ ص ٢٦٩ نقلاً عن تاريخ جورجيا ولم يشر رشيد الدين الى هذا التمرد بالاسم ، ولكن من المحتمل انه يقصد اهل جيلان عندما اشار في الفقرة السابقة الى ذكر مرور صاحب الديوان على جبال البرز وإدخالها في الطاعة بحسن تصرفه إذ أن بلاد جيلان تقع فيها .

من الاموال والحيوانات ؛ ولـكن ارغون بن ابا استطاع الوصول اليهم وملاحقتهم واسترجاع ما بيدهم من المنهوبات (١) .

وانشغل احمد تكودار بعد توليه الايلخانية ، انشغل بتمرد ابن اخيه ارغون ومنازعة له على الايلخانية ، وانحياز عدد من الامراء الى جانبه منكرين على الايلخان اعتناقه الاسلام وتقربه الى مصر الأمر الذي سيهدد ديانتهم المغولية وذوبانها في بودقة الاسلام ، وانتهى التمرد بعد ثلاث سنوات بسقوط الايلخان ومقتله (٢) .

ولـكن تولي ارغون الايلخانية لم يعد الاستقرار الى البلاد ، كما ان مقتل الايلخان كان بداية سيئة لجرأة ابناء الاسرة بعضهم على بعض واستخفاف أمراء المغول بهم .

وبدأ ارغون عهده بارسال الجيوش الى منطقة جبال هكاري في كردستان التي استغل اكرادها حالة الفوضى التي سادت البلاد خلال تمرد عمه ، فقطعوا طرق المواصلات ونهبوا القوافل التجارية (٣) .

(١) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ٧٠ - ١٧٢ هورث *Howorth* ج ٣ ص ٢٦٥ نقلاً عن التاريخ السرياني لابن العبري . تاريخي كزبده ص ٥٨٣ . والنكودرية فرق عسكرية مغولية غير نظامية تنسب الى نكودار اغول بن جغتاي الذي كان قد رافق هولاكو في حملته حتى استقر في سبستان قريباً من حدود الهند .

(٢) وصاف م ١ ص ١١٨ - ١٢٥ ، رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ٩٦ - ١٢١ ، خواندمير م ٣ ج ١ ص ٧٠ - ١٧٢ .

الدواداري م ٩ الورقة ٢٣٤-٢٣٦ . المقري الفيومي - نثر الجمان الورقة ٢٦١ .

(٣) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ١٣٥ - ١٣٦ .

وتمرضت البلاد في هذا العهد الى سلسلة من الهجمات المستمرة من قبل بعض امراء ما وراء النهر الذين لاشك اطعمتهم حالة الفوضى التي سادت البلاد ، من ذلك تعرض بعض جيوش قايدو لنواحي مرو وبلخ في محرم ٦٨٧ هـ ، ثم هجمات الامير تاي توقيتاي الذي كان يتنقل بين الحدود ويقطع طرق المواصلات فقد عبر منطقة الدر بند وأفسد في البلاد فاضطر ارغون الى الخروج اليه بنفسه وملاحقته فهرب عائداً الى الدر بند ، ثم عاود هجماته ثانية في ربيع ٦٨٩ هـ فتصدى له ارغون مرة اخرى وقتل من اصحابه وجماعته وهرب الباقيون (١) .

وأحس الأمير بوقا - الذي جمع بين النيابة والوزارة لارغون والذي كان السبب في وصول ارغون الى العرش - أحس بضعف مكانته لدى الایلخان الذي اخذ يسمع فيه كلام أعدائه ، فأراد أن يتدارك أمره قبل أن يؤخذ بكلام حساده وتمهيم وذلك بالانقلاب على ارغون واستبداله بإيلخان آخر ، خاصة وان السلطة لازالت بيده ، وتحت أمره عدد كبير من الأمراء ، فرتب الأمر واختار المرشح للإيلخانية من امراء الاسرة وهو جوشكباب الذي لم يهن عليه ان يكون العوبة بيد بوقا يضرب به بني عمه فضلا عن رغبته في الانتقام منه لما سبق أن تسبب في حرمانه من حقه بالعرش . فوشى به لدى ارغون بعد أن اطعمه بموافقته على ما يدبر وأخذ منه كل خطه وتدابيراته .

وأسقط في يد بوقا انكشاف خيانتة فلم يجد مكاناً يحتمي به ، ثم كان عقابه بعد ذلك بيد جوشكباب نفسه زيادة في التشفي منه .

(١) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٥٤ ، ١٥٥ .

ولم يستقر ارغون إلا بعد أن ساق الى المقصلة عدداً كبيراً من الامراء الذين اتهموا بمشاركة بوقا بالاضافة الى جميع افراد أسرته حتى الصغار منهم (١) .
ودفع حرص ارغون على العرش والخرف من ضياعه الى الشك حتى في بني عمه الذين نافسوه عليه فيما مضى فقرر التخلص منهم ، ويذكر هورث ان عدد أمراء الاسرة الذين لقوا حتفهم نتيجة لهذا الشك باع ثلاثة عشر أميراً ، كان على رأسهم جوشكباب وهولاجو (٢) .

واشتد القلق بين الامراء ، وتفسخت العلاقة بينهم بسبب رواج سوق الوشاية لديهم وأخذهم بالشك والتهمة ، فخافوا على انفسهم وبادروا للهرب والتمرد كما فعل الامير نوروز الذي كان يتولى انا بكية غازان والاشراف على خراسان باسمه ، وقد كان جوابه للامير قايدو من احفاد اوكتاي عندما التجأ اليه بعد هروبه ، وقد سأله عن السبب ، فقال : انني لكي اثبت براهني اكون قد قتلت (٣) .
وكان تمرد نوروز من القوة بحيث عجزت عن اخضاعه جيوش الدولة التي كان يقودها الامير غازان وغيره من قواد ارغون .

وتوفى الايخان قبل ان يصطلح نوروز مع غازان وينهي تمرد .

(١) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ١٤٠ - ١٤٨ ، الحوادث الجامعة ص ٤٥٧ -

٤٥٨ ، خواندمير م ٣ ج ١ ص ٧٥ .

(٢) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ١٤٨ - ١٤٩

Howorth . 3 . P . 330 - 331 .

(٣) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ١٤٩ .

Howorth . 3 . P . 342 .

ومن اسباب الفوضى التي رافقت عهد ارغون ايضاً بعد ثلخصه من بوقا ، ما نشأ من تسلط الوزير سعد الدولة عليه بحيث جعله يعتزل الامراء وينقطع عنهم . وبلغ من تأثيره عليه ما نقله براون Browne عن وصاف قوله ان ارغون عند توليه العرش لم يكن يستطيع رؤية الدماء لكنه اصبح بفضل توجيه الوزير الذي ادخل في روعه ضرورة تنقية البلاد من الشرك والخيانة ، اصبح يرى الخطأ صواباً ويشاق الى رؤية الدماء (١) .

وكان رد الفعل عنيفاً لهذا التسلط بين حاشية الايلخان في العاصمة وأمرء الأطراف ، خاصة وقد انتشر خبر مرض ارغون واليأس من شفائه والجهل بأبنائه بفضل العزلة التي احيط بها .

وتواردت على العاصمة أنباء تمرد الجيش في خراسان واضطراب امور البلاد (٢) كما تمرد اللور في العراق العجمي واستولوا على اصفهان وقتلوا شحنتها وهزموا جيوشها وأصبحوا شبه مستقلين بها (٣) .

وخشى الامراء المحيطون بالايلخان المعزولون عنه ان يدبر لهم الوزير نهاية مثل غيرهم فقررروا التخلص منه ومن اعوانه ، واتفقوا ذلك قبل اسبوع من وفاة الايلخان الذي افتقد غياباً به وضمن نهايته (٤) .

(١) تاريخ الادب في ايران ج ٣ ص ٣٣ - ٣٤ .

(٢) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ١٦٣ - ١٦٤ .

(٣) نفس المرجع السابق ص ١٦٤ .

Howorth . 3 . P . 358 - 359 .

(٤) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ١٦١ - ١٦٢ .

Howorth . 3 . P . 342 . D'ohsson 4 . P . 53 - 57 .

وأُسرع كِيخاتو بعد توليه العرش الى بلاد الروم ليقتضي على تمرد التريجان
والقرمانيين الذين استغلوا غيابه عن البلاد فعاثوا فيها الفساد (١) .

وورث كِيخاتو عن أخيه ، تمرد نوروز الذي أضغف كثيراً من هيبة الدولة
وسلطانها ، ومن يلاحظ في هذا التمرد دور مغول ما وراء النهر خاصة في امداده
وحمايته ، الأمر الذي اطال من مدته وقوى من ساعده .

ويظهر أن نوروز أحس بتغير الظروف في الدولة الايلخانية ، فضلاً عن تغير
مكانته لدى حماته الذين كان قد التجأ اليهم ، ورأى أفضلية العودة الى اهله واصحابه
ما دام عفوهم متوفراً وأمانهم مضموناً (٢) .

ونلمس في عهد كِيخاتو تمرداً من نوع آخر لم يقم به الجيش ، وإنما يمكن
اعتباره ثورة حكم بها الشعب عندما تجاوزت السلطة في بعضها عليه ، وذلك عندما
حاولت الدولة فرض استخدام العملة الورقية «الجاو» في التعامل لغرض سحب الذهب
والفضة من الناس لسد العجز في الميزانية نتيجة لاسراف وتبذير الايلخان ووزيره .
وكان اهل تبريز اول من ثاروا على اوامر الدولة بالرغم من شدتها وقسوتها ، واستعدوا
للهرب عنها ، وتهيأت مدن اخرى للثورة لولا ان تراجعت الحكومة عن قرارها
وسحبت عمولاتها (٣) .

(١) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ١٧٥ - ١٧٧ .

(٢) نفس المرجع السابق ص ١٨٠ .

Howorth . 3 . P . 374

(٣) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ١٨٤ ، وصاف م ٣ ص ٢٧٥ ، خواندمير

م ٣ ج ١ ص ٧٩ ، ميرخوند ج ٥ ص ١٢٤ - ١٢٥ ، الحوادث الجامعة ص ٤٧٧ .

وبالرغم من خلو عهد كيكخانو كما يقول بارتولد (١) من عمليات سفك الدماء والقتل بالجملة ، وهي المظاهر التي اتصف بها عهد ارغون ، إلا ان امره لم يطل كثيراً بسبب نزواته الشخصية الشاذة وسلوكه السيء مع الأمراء الآخرين الذين تأبوا عليه لمصلحة منافسه بايدو الذي أعلن تمرده في بغداد والذي تولى السلطة بعد قيام هؤلاء الامراء بخداع كيكخانو واعتقاله ثم قتله (٢) .

على ان بايدو لم يهنأ بالحكم اكثر من ستة اشهر قضاها في محاولة استرضاء غازان الذي حازه بأحقية في العرش ومطالبته بدم عمه الاياخان المقتول .

ولعب نوروز دوراً كبيراً في تفتيت الامراء من حول بايدو واغرائهم لمصلحة غازان الذي كان قد اعتنق الاسلام بفضل توجيهه .

وأحس بايدو بتسرب الامراء من حوله كما فعلوا مع سلفه كيكخانو من قبل ، فلم يجد غير محاولة الهرب الى جورجيا سبيلاً للنجاة بحياته ، لكن نوروز كان له بالمرصاد (٣) .

وفي عهد غازان اتصفت الاحداث العسكرية بطابع الصراع على العرش بين

(١) *Encofgsl. 2. Kaikhatu. P. 128.* (١)

(٢) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ١٨٤-١٨٨ . الحوادث الجامعة ص ٤٨١-٤٨٢ .

Howorth ج ٣ ص ٣٧٢ - ٣٧٧ نقلاً عن متمم التاريخ السرياني لابن العبري .

(٣) وصاف م ٣ ص ٣١٧-٣٢٣ ، الحوادث الجامعة ص ٤٨٣ ، خواندمير

م ٣ ج ١ ص ٨٤ . ابو الفداء ج ٤ ص ٣٣-٣٤ . ابن الوردي - تنمة المختصر

ج ٢ ص ٢٤٠ .

أمراء الاسرة الحاكمة الذين نافسوا غازان واتخذوا من الدعوة لحماية الديانة المغولية والحفاظ على معابدها ، ومنع انتشار الاسلام بين المغول ، اتخذوا من ذلك ستاراً لتحقيق أغراضهم .

ولقي الأمير سوکاي بن يشحوت الذي تزعم هذه المحاولة نهايته بعد انكشاف أمره ، كما لقي اصحابه نهايتهم ايضاً ، اذ ان غازان لم يتردد بالبطش بهم جميعاً ، ويشير هورث الى انه خلال شهر من الزمن ، بلغ عدد الذين سفك غازان دمهم خمسة من امراء الاسرة ، وسبعة وثلاثين من امراء المغول ، وبذلك برهن على انه ليس اقل من ابيه جرأة على سفك دم بني عمه (١) .

وتجراً غازان بعد انتصاره هذا على من بقي من امراء المغول الاقوياء الذين كان يعتقد ان العرش لن يصفو له مع وجودهم على قيد الحياة ، فتخلص من الامير طفاجار احد هؤلاء الامراء الذي كان يقيم ببلاد الروم ، بحيلة دبرها عليه (٢) .

وأوجس خيفة من بقاء الامير نوروز وهو الرجل القوي الذي كان قد أقض مضجعه فيما سلف من ايام امارته على خراسان ، فأخذ يدير عليه ويسمع فيه كلام الوشاة من اعدائه الذين اشاعوا عنه الاتصال بالمماليك في الشام وزوروا بعض الرسائل على لسان اخوته . واضطر نوروز - وقد أذهله مقتل اخوته بأمر من الأيلخان الذي ارسل الجيوش لمطاردته - الى الاحتماء بصاحب هراة اعتماداً على معروف قديم

(١) وصاف م ٣ ص ٢٢٧ - ٣٢٨ ، تاريخ كزيبدة ص ٥٩٢ ، ميرخوند

ج ٥ ص ١٣١ - ١٣٢ . برا PR ج ٢ ص ٦١٣ - ٦١٤

Howorth, G. P. 404 - 405.

(٢)

له عليه ، فكان بذلك كمن ساق نفسه الى حتفه ، اذ ان فخر الدين أمسك به وسلمه الى مطارديه بوعود الايلخان له وخوفاً من محاصرة جيوشه ، فلقى حتفه في شوال ٦٩٦ هـ (١) .

و- لكن اختفاء نوروز من جانب غازان ، شجع من بقي من امراء الاسرة على معاودة الكرة للاطاحة بالايلخان ، من ذلك محاولة بالتو بن تيسين الذي تمرد ببلاد الروم ، ولكنه لم يستطع الصمود أمام الجيوش التي قادها قطلوشاه ، ثم سقط بعد ذلك اسيراً بيد ابن عمه سلامش الذي خلفه على بلاد الروم وقضى عليه (٢) .

وتشجع سلامش نفسه على التمرد والانفصال ببلاد الروم مستغلاً حالة الفوضى في البلاد وبمده عن الايلخان وصعوبة طرق المواصلات ، بالإضافة الى تحالفه مع المماليك الذين أمدوه بالنجدة . ولكن تدابيره لم تنجح أمام الزحف المغولي عليه فأضطر الى الهرب والاعتصام ببعض القلاع التي انهارت عليه وسقط قتيلاً بعد ذلك (٣) .

وأرسل غازان اخاه اوجاي تو على رأس الجيش لمطاردة فرق النكودرية التي

(١) وصاف م ٣ ص ٣٤١ - ٣٤٣ ، تاريخ كزبده ص ٥٩٣ الذهبي - تاريخ

الاسلام الورقة ١٩٢ في وفيات سنة ٦٩٦ هـ . SYK ج ٢ ص ١١٠ - ١١١
Howorth.3.P.408 - 409 .

(٢) D'ohson. 4.P.169. Howorth.3.P.405.

(٣) زيترستين - تاريخ سلاطين المماليك ص ٥٤ - ٥٦ ، ابن ابى الفضائل ج ٢

ص ٤٥٨ ، ابو الفداء ج ٤ ص ٢٩ ، ابن ابيك - كنز الدر ج ٩ ص ٨ - ١١
Howorth.3.P.427 - 428.

كانت تعيث بالأمن والتي كانت صاحب هراة يستغلها في فرض سلطانه على المناطق المجاورة له ، مستغلا الامتيازات الكثيرة التي حصل عليها من الابلخان لقاء غدره بنوروز ، واضطر اولجايتو بمد ذلك الى محاصرة هراة نفسها طلباً للعصاة الذين احتموا بها ، ولكنه عجز عن اخضاعها وقبل اعتذار صاحبها الذي وعد بتنفيذ اوامر الابلخان وطاعته (١) .

وعندما قضى غازان شتاء ٦٩٨ هـ في بغداد استعدداً لرحلة الشام ، شكاله نوايا من تورد الاعراب في البطائح وقطعهم طرق المواصلات على القوافل التجارية ، فقاد الجيوش اليهم حتى قطع دابرهم ونظم البلاد ثم عاد الى ممسكوه في داموق (٢) . وفي خلال ترقبه لنتائج حملته على الشام لم تسلم مؤخرة قواته من عوامل اضعاف انهكت قدرته على تحقيق نتائج ايجابية في صراعه مع المماليك .

فقد قامت الاضطرابات في اقليم فارس بمصيان محمود شاه متسلمها ، الامر الذي اجبر غازان على تخصيص بعض جيوشه لاختاد هذا العصيان الذي لم ينته حتى تحوات البلاد الى خراب (٣) .

(١) ميرخوند ج ٥ ص ١٣٤ - ١٣٥

Howorth.3.P.414 - 416 .

(٢) الحوادث الجامعة ص ٤٩٧ ، ابن ابيك ج ٩ ص ٩ ، الذهبي - تاريخ الاسلام - الورقة ١٢٢ في حوادث سنة ٦٩٨ هـ ، ابن ابي الفضائل ج ٢ - النهج السديد ص ٤٥٨ ، زيتستين - تاريخ سلاطين المماليك ص ٥٥ .

(٣) و صاف م ٣ ص ٣٦٧ - ٣٧١ .

واستغل مغول ما وراء هذه الفوضى فزادوا فيها عندما زحفت بعض كتائبهم حتى منطقة خوزستان وعانوا في البلاد سلباً ونهباً حتى عجزوا عن حمل ما غنموه فتركوا بعضه عند عوتهم (١) .

وفي خلال ذلك كانت خراسان تقاسم الكثير من الاضطرابات ، اذ وصل بعض الرسل الى غازان وهو في معسكره على ضفاف الفرات يخبرونه بمقتل اكثر من ثلاثة آلاف متمرّد فيها (٢) .

وانهارت صحّة غازان عند سماعه انباء هزيمة قواته في سورية ، فلم يجد غير الاعتكاف والانعطاع عن الناس والتفرغ للعبادة لعله يستعيد شيئاً من معنوياته فيستعد لحملة اخرى ، ولكن الطامعين في العرش استغلوا خلوته هذه فأشاعوا خلعه وقتله وتنصيب ابن عمه الفرتك بن كيخاتو في مكانه ، وألبسوا مؤامرتهم هذه ثوباً دينياً عندما استخدموا بعض الدراويش لابلّغ الناس بأن ذلك قد تم وفقاً لأمر إلهي ، وكادت المؤامرة تتم لولا يقظة الوزير سعد الدين الذي اعتقد هؤلاء الدراويش الذين كانوا يلقون على المعسكرات والمدن ، ويعتقل محرضيهم من الشيوخ ، بالاضافة الى اعتقاله رسول الخاقان قبلاي الذي كانت يد في هذا التدبير ، وعاقب غازان هؤلاء المتهمين ، واكتفى بارسال الفرتك الى خراسان ليكون تحت رقابة اخيه اولجايتو (٣) .

Sykes . 2 . P . III - II2 . (١)

Howorth . 3 . P . 465 - 467 . (٢)

(٣) موير - تاريخ دولة المماليك في مصر ص ٧٣ ، علي ابراهيم حسن - دراسات

في تاريخ المماليك البحرية ص ١٥٩ BR ج ٣ ص ٤٣ ، PR ج ٢ ص ٦٢٩ - ٦٣٠

Howorth . 3 . P . 480 .

F . Macler . G . M . H . Vol . 4 . q . 177 - 178 .

وكان اول عمل قام به اولجايتو عند سماعه بخبر وفاة اخيه ، قتله لالفرناك قبل ان يجتمع حوله بعض الطامعين ويستغلونه لمنافسته على العرش ، وبذلك خلا عهده من مزاحمة بني عمه بعد ان لم يبق منهم احد ذو اهمية ، واصبحت الايلخانية اكثر استقراراً بعد ان صفت له .

وتفرغ اولجايتو بعدها لحل بعض المشاكل التي لم يستطع التفرغ لها اخوه غازان من قبل ، فقد سعى لجلب سكان جيلان الى حظيرة الطاعة وهم الذين يعيشون في جبالهم الحصينة في وسط الدولة من دون ان يعترفوا بسطانتها عليهم ، واضطر بعد أن فشلت وسائله السلمية وجيوشه التي تمزقت في جبالهم ، اضطر الى الخروج بنفسه لاختضاعهم وقدم الحسائر الكبيرة في الأرواح والاموال حتى تحقق له ذلك في سنة ٧٠٧ هـ / ١٣٧٧ م (١) .

وفي خلال هذه الفترة سعى اولجايتو لتأديب صاحب هراة الذي سبق ان عجز عنه في عهد اخيه ، فضلاً عن انه لم يقم بواجبه نحوه عند توليه الايلخانية ، فأرسل قائده دانشمند بهادر لتحقيق ذلك وللقبض على زعماء فرق النكودرية الذين يستغلهم في احداث الفوضى ، ومطالبته بتسليم الاموال المتأخرة عليه للسنين الثلاثة وضرب اسمه على السكة .

ولكن القائد لم يحسن التصرف مع نائب صاحب هراة الذي كان يتولى حماية هراة في الوقت الذي انسحب فيه صاحب هراة نحو بعض القلاع الحصينة ، الأمر الذي

(١) ابرو ص ١٠ - ١٧ ، خواندمير م ٣ ج ١ ص ١١٠ - ١١١ ، العيني -

الورقة ٣٨٠ - ٣٨٧ في حوادث سنة ٧١٧ هـ

Howorth 3.P.539-542. D'ohsson,4° P. 482 - 497 .

أدى الى مقتله وتمزق الجيوش التي رافقته ، وفي هذه الفترة توفي صاحب هراة نفسه
فخرالدين آل كرت فاستغل نائبه في هراة وهو محمد سام الغوري وقاته للاعتصام بهراة
والاستقلال بها ولكنه اضطر بعد ذلك الى الرضوخ للجيوش التي ارسلها اوجلايتو التي
أمنتها على حياته ثم غدرت به بعد ذلك في سنة ٧٠٧ هـ (١) .

وتعاونت بعض العتق الداخلية ، وتمرض مغول ما وراء النهر للبلاد في منع
اوجلايتو من مواصلة سياسة اخيه غازان بالنسبة لغزو بلاد الشام .

فقد كان أعد حملة كبيرة لذلك ، ووضع خطة سيرها بتوجيه من اسراء المماليك
الذين كانوا قد لجأوا اليه وشجعوه عليها ، ولكن قيام التركان ببلاد الروم بقتل احد
قواد الحملة وهو قران جوق ادى الى تعطيل هذا الجناح من الحملة وتغير خط سيرها .
وصادف في هذه الفترة ايضاً قيام الاكراد الشهرزورية بالمصيان في جبالهم ،
فاضطر الايلخان الى توجيه بعض فرق الحملة نحوهم ، الامر الذي اضعف من قوتها ،
فاقتصر زحفها حينئذ على الوصول الى الرحبة فقط . وبينما كان الايلخان على اسوارها
وقد اوشكت على الاستسلام وصلته انباء الاضطرابات في خراسان وعصيان بعض
اسرائها ، فاضطر اوجلايتو الى الرحيل عنها وقبول ملتمسات الصلح من اهلها وذلك
في رمضان ٧١٢ هـ (٢) .

(١) ابرو ص ١٨ - ٣٩ ، براون ج ٣ ص ٤٩ .

Howorth 3 . P . 544 - 555 .

(٢) تاريخ كزبيدة ص ٥٩٨ ، العيني - الورقة ٣٩٠ - ٤١٦ ، ٤٢٨ - ٤٢٩

في حوادث سنة ٧١٢ هـ .

وينقل لنا هورث عصياناً آخرأ قام به الامير القرماني محمود بك سنة ٧١٣هـ / ١٣١٤م في بلاد الروم بسبب سوء تصرف حاكمها الامير ايرنجين ، واعتصم الثائر في مدينة قونية عندما زحف نحوه چوبان الذي استطاع بعد مراسلات اقناعه بالاستسلام والدخول في الطاعة حتى اعاده معه الى بلاط الايلخان (١) .

ويظهر ان عصياناً آخرأ في مدينة اربل ، فان ابن عنبة في حديثه عن الداغندي عماد الدين ناصر بن ابي طالب محمد الذي كان قد تقدم في عهد اولجايتو بحكم تشييعه ، فتولى الامارة والقيادة وقام بحصار مدينة اربل مدة طويلة من الزمن حتى خضعت له فتولى امارتها حتى وفاته ثم توارثها ابناؤه من بعده (٢) .

وطمع الامراء ثانياً في المشاركة بالعرش في عهد ابي سعيد الذي لم يكن قد شب عن الطوق عند توليه الايلخانية ، فبالاضافة الى محارلات بني عمه مغول ماوراء النهر ومغول القيقاق لاقتطاع جزء من اراضيه ، فان امراء المغول الايلخانيين ، وخاصة اولئك الذين كانوا قد تزوجوا من بنات الاسرة ، حاولوا ايجاد مكان لهم في الحكم مستهينين بالايلخان الصغير الذي اثبت من الجرأة والشجاعة عند وقوفه بوجه اطماعهم ما استحق معه التقدير والاعجاب حتى قضى على فئدتهم وساقهم الى المقصلة في ربيع الآخر سنة ٧١٩هـ (٣) .

Howorth . 3 . P . 567 .

(١)

(٢) ابن عنبة - عمدة الطالب ص ٣١٤ .

(٣) وبلغ عدد الذين لقوا حتفهم في هذه المؤامرة (٣٧) اميراً منهم سبعة اميرات من الاسرة ، وقد اعتمدت جميع المراجع في نقل هذا الخبر على ما نقله المؤرخ العربي المعاصر علم الدين البوزلي الذي استقاها بدوره من بعض التجار العرب -

وغندما بلغه نبأ تمرد الامير ارققاي في كرجستان ، ارسل نائبه وقائد جيشه
الامير چوبان الذي قضى على تمرده واعاده الى الطاعة في اواخر سنة ٧٢٠ هـ (١) .

وتذبه ابو سمييد الى خطر تحمك نائبه چوبان وابنائهم على السلطنة ، وخاصة بمد
ان تمرد احدهم وهو تيمور تاش على طاعته واعلن استقلاله ببلاد الروم التي كان يتولى
مسؤوليتها ، وبالرغم من قيام وبان باخضاع ابنه واعادته الى الطاعة ، إلا ان
الايخان صمم على التخلص منهم جميعاً ، وباشر ذلك بالقضاء على دمشق خواجة ثالث
الابناء الذي كان يتولى منصب الوزارة له ، ويقوم بالحجر عليه . ثم اوعز بمد ذلك
الى الاسراء بالقيام على چوبان وابنائهم ، فلم ير چوبان نفسه إلا وقد تخلى عنه اصحابه
شديداً فشيئاً ، وجيوش الايخان تلاحقه فالتجأ الى هراة يلتمس فيها الحماية التي سبق
ان وفرتها لنوروز من قبل ، فلقى نهايته فيها في محرم ٧٢٨ هـ (٢) .

وبالرغم من انتصار الايخان وتخلصه من تحمك چوبان وابنائهم ، فإنه ظل يحس
باستصغار الاسراء له واستخفافهم به ، من ذلك محاولة نارين طغاي الذي حل في
مسؤولية خراسان ، والذي اراد احتلال مكان چوبان في الحكم فأحاط نفسه ببعض

الذين كانوا على صلة بالسلطانية ، انظر التويري ج ٣٠ ق ٣ الورقة ٤٢٤ - ٤٢٩ ،

ابرو ص ٩٦ - ١٠٤ ، تاريخ كزيدة ٦٠٤ - ٦٦٠ .

(١) ابرو ص ١١٣ - ١١٤ .

(٢) تاريخ كزيدة ص ٦٠٦ ، ٦٠٨ - ٦٠٩ . ابرو ص ١١٤ - ١١٥ . منجم

باشي - صحائف الاخبار م ٣ ص ٥ - ٦ ، ابو الفداء ج ٤ ص ٩٥ ابن بطوطة ج ١

ص ١٤٣ - ١٤٤ ابن فضل الله - التعريف بالمصطلح الشريف ص ٣٥ - ٣٦ . الشواربي

حافظ الشيرازي ص ٥١ - ٥٥ .

الامراء ، وسعى لفرض ارادته على الايلخان الذي تصدى له وقضى عليه في شوال سنة ٧٢٩ هـ (١) .

وجاءت المحاولة الثانية للاستهانة بأبي سعيد سنة ٧٣٤ هـ عندما اجرى بعض التنقلات الادارية فعزل محمود شاه اينجو من مسؤولية فارس وجعله مستشاراً له ، ولكن محمود شاه رفض هذا النقل الذي سيفقده الارباح الطائلة من ولايته ، وتحالف مع بعض اصحابه على قتل الحاكم الجديد مسافرايناق الذي هرب لاجئاً الى قصر الايلخان الذي حوصر من قبل الامراء المتحالفين حتى اوشك الايلخان تسليمه خوفاً على نفسه لولا وصول فرقة من الجيش استطاعت تفريق المتمردين وقبضت على زعمائهم الذين ارسلوا الى المعتقلات المختلفة (٢) .

ولم تطل الحياة بعد ذلك بالآيلخان بالرغم من صغر سنه . فترك البلاد نهياً لأطماع الامراء الذين توزعوا فيما بينهم بعد حروب طويلة .

اصلاحات الايلخانات ، ولاية العهد ، نهايتهم :

حكم هولاكو الدولة الجديدة فترة لم تزد على السبع سنوات (٣) شغلت الحروب معظمها ، وفي الفترات القليلة التي منحت له للاستقرار ، أبان عن رغباته في الاصلاح

(١) تاريخ كزبده ص ٦١١ ، ابرو ص ١٤٠ - ١٤١ . مقدمة كاترمير
لجامع التواريخ م ٢ ج ١ ص ٦١ - ٦٢ . الشواربي . حافظ الشيرازي ص ٦١ - ٦٣ .
(٢) ابرو ص ١٤٢ - ١٤٣ ، مقدمة كاترمير لجامع التواريخ م ٢ ج ١ ص ٦٤ - ٦٤ ، الشواربي - حافظ الشيرازي ص ٦٤ .
(٣) على اختلاف في ذلك بالنسبة لتأريخ قيام الايلخانية ، وقد اشرت فيما سبق ان بداية ذلك ن عند استقرار هولاكو في مراغة بعد عودته اليها من بغداد .

والعمران ، مما دل على انه لم يكن رجل حرب فقط بقدر ما يرغب في ان يكون حاكماً مدنياً ايضاً .

والحديث عن مدينة هولوكو ، تعود بالقول الى ما اشرنا اليه سابقاً من ان المغول كانوا طارئين على الحضارة ، وانهم خلال تجوالهم في البلاد الاسلامية تأثروا بحضارتها ، واخذوا يتطبعون بها شيئاً فشيئاً .

ولم يكن هولوكو وهو احد قادتهم ، قد تخلص من رواسب بداوته عندما تعرض للخلافة واطلع على نظمها وشاهد مخلفاتها لذلك اراد ، كما يخيل إلي ، ان يتشبهه ببقايا صورتها في ذهنه فأحاط نفسه كما يقول المؤرخون بالعلماء وزين بلاطه بالحكماء ، واشغل نفسه بالعلوم العقلية من غير ان يتعقل منها شيئاً البتة (١) . ولكنه مع ذلك ترك لنا صورة طيبة لاهتمامه بالعمران وتشجيعه للحركة العلمية. فقد أمر باعادة اعمار بغداد عند رحيله عنها ، كما أعاد اعمار البلاد الاخرى التي خربتها الحرب . وشيد بعض القصور في الاناغ وعداداً من المعابد البوذية في خوى (٢) .

وكانت اكثر مخلفاته العمرانية على ضفاف بحيرة اورمية حيث كان يميل للسكنى فيها في فترات استقراره فبنى قلعة حصينة على الجبل في شبه جزيرة شاهو الممتدة على الضفة الشرقية للبحيرة ، التي كانت سابقاً جزيرة ، واشرف على بنائها الملك صدر الدين

(١) رشيد الدين م ٢ ج ١ ص ٣٣٧ . اليونيني ج ٢ ص ٣٥٧ - ٣٦٠ في حديثه

عن هولوكو .

(٢) النصير الطوسي - رسالته في فتح بغداد . انظر ملحق الباب الاول :

رشيد الدين م ٢ ج ١ ص ٣٣٧

التبريزي ، وأصبحت هذه القلعة المكان الامين الذي نقل اليه هولاء كوما غنمه من كنوز الخلافة العباسية وغيرها من البلاد الاخرى . بعد ان ارسل نصيب الخاقان وغيره من امراء المغول منها ، كما اصبحت هذه القلعة مدفناً له فيما بعد (١) .

اما تشجيعه للحركة العلمية ، فكان واضحاً من محاولته احاطة نفسه بالعلماء والحكماء وتشجيعهم على الوفود اليه ، وتخصيص الاموال الطائلة لهم ، واعفائهم مما جرت به عادة الملوك من التكاليفات والتوزيعات وغير ذلك (٢) . وقد هاجم رشيد الدين هؤلاء العلماء الذين استغلوا ميل هولاء كوما الى تعلم العلوم المختلفة فنافقوا عليه وصرفوا الاموال الطائلة فيما لا فائدة منه (٣) .

ودفع تعلق المغول بعلم النجوم وایمانهم بتقولات المنجمين ، دفعت هولاء كوما الى الاهتمام بعلم الفلك والبذل في سبيل استكمال جوانبه وضبط اصوله ، لذلك اهتم كثيراً عندما عثر على النصير الطوسي في قلاع الاسماعيلية ، فلم يسمح بارساله الى بلاط اخيه منكوك كما كان مطلوباً منه ، بل احتفظ به بعد ان تحقق من سعة اطلاعه ، وحكمه في نفسه وماله حتى قيل انه اصبغ لا يركب ولا يسافر إلا في وقت يأمره به ،

(١) رشيد الدين م ٢ ج ١ ص ٣٠٠ . وقد حملت القلعة اسم قلعة تلا اوشاهوتلا

لسترنج - بلدان الخلافة الشرقية ص ١٩٥

Enc. of Isl. 2. Hulacu. P. 332. Enc. of Isl. 3. MaraGha.

P. 265.

(٢) الحوادث الجامعة ص ٣٥٣ . العزاوي ج ١ ص ٢٥٠ نقلًا عن مخطوطة

تاريخ دول الأعيان لشهاب الدين احمد ابن ابي عذبية .

(٣) جامع التواريخ م ٢ ج ١ ص ٣٣٧ - ٣٣٨ .

وكان من ثمرة هذا الاحتضان بناء دار الرصد بجراغة وما ألحق به من مكتبة فخمة
جمع فيها العديد من كتب بغداد والاماعيلية ، والذي يعتبر من اهم انجازات
هولاكو العلمية (١) .

وبلغ هولاكو الثامنة والاربعين من عمره عندما أدركه الأجل في ربيع ٦٦٣ هـ
/ ١٢٦٥ م وكان قد اوصى لابنه الكبير اباقا من بعده بإشارة من زوجته المسيحية
دوقوزخاتون .

وجرت مراسيم الدفن حسب الطريقة المغولية ، فدفن في ضريح اعد له على
الجل في جزيرة شاهو التي كان قد بنى قلعتهما ، ودفن معه عدد من البنات العذراوات
بأبستهن الجميلة وحليهن ، ووزع اللحم عند قبره لعدة ايام (٢) .

وتولى اباقا مسؤولية الحكم ثماني عشرة سنة ، وهي اطول فترة حكمها ايلخان
في هذه الدولة ، وساعده هذه الفترة الطويلة على اضافة صفة الاستقرار على حكمه
بالرغم من ان مشاكله الداخلية والخارجية لم تدع له إلا فرصاً قليلة للمراحة قضاها في
الصيد متنقلا في ارجاء البلاد .

(٤) المرجع السابق ص ٣٠٣-٣٠٤ . تلخيص مجمع الآداب ج ٢ ق ٣ ص ٢١٥-
٢١٦ ، ٢٣٩ ، الصفدي ج ١ . الوافي بالوفيات ص ١٧٩ - ١٨٢ ، في ترجمة النصير
لسترنج - بلدان الخلافة ص ١٩٩ P٢ ج ٢ ص ٥٧٣ - ٥٧٤ ، الصياد - المغول في
التاريخ ص ٢١٤ - ٢١٥

Enc. of I. S. Maragha. p. 265.

(٥) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ٢٤١ ، المزوي ج ١ ص ٢٥٢

Howorth. 3. P. 208 - 218.

Enc. of Isl. 2. Hulacv. p. 383.

ولم يشر المؤرخون المعاصرون خاصة الى اي اثر عمراني ينسب اليه ، إلا ان العراق لقي في عهده الكثير من مختلف اوجه الاصلاح بفضل جهود حاكمة الجويني مما سوف نراه عند بحثنا للحكومة بغداد .

ورعى اباقا الحركة العلمية كما رعى رائدها النصير الطوسي الذي كان يحتمل في نفسه نفس المكانة التي احتلها في نفس ابيه والذي كثير آما رافقه في سفراته ونزهاته ، ومن مظاهر رعايته هذه اهتمامه بدارالرصده وحرصه على استمرار اداائه لرسالته وتشجيعه للطلبة على اتقان اصوله ، يحدثنا عن ذلك أحد تلامذة النصير الطوسي وهو قطب الدين محمود الشيرازي الذي لازم الطوسي وقرأ عليه ، واجتماع اباقا به وتشجيعه له بقوله : انت افضل تلامذة النصير وقد كبر وشارف الموت فاجتهد حتى لا يفوتك شيء من علمه (١)

وبلغ اباقا من العمر ما بلغه ابوه عندما ادركه الموت في همدان في اواخر ذي الحجة ٦٨٠ هـ / ١٢٨٢ م بعد عودته فاشلا من حملة سورية .

وكان كما يقول هورث (٢) قد سمى ابنه ارغين للعرش من بعده بالرغم من مخالفة ذلك لتعاليم الياسا ، فلم يأخذ الامراء بوصيته هذه تمسكاً بالتعاليم . وأصبحت هذه البادرة ، اي مخالفة الامراء لرغبة الايلخان المخالفة لتعاليم ، بداية نفذ منها الامراء فيما بعد للتدخل في شؤون الاسرة الحاكمة والتلاعب بالجالس

(١) الصفدي ج ٧ ق ١ - اعيان العصر الورقة ١٤١-١٤٣ ، السلامي - تاريخ

علماء بغداد المسمى منتخب المختار ص ٢١٩ - ٢٢٨ .

(٢) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ٨٥ ، ابن العبري ص ٢٨٩

على العرش منهم .

ودفن اباقا عند ابيه في جزيرة شاهو ، ولا تشير المراجع الى اجراء مراسم دفنه على الطريقة المغولية كما رأينا ذلك لآخر مرة عند دفن هولاكو ، مما يدل على تأثر الحاكمين بالتقاليد الدينية السائدة في بلاد المحكومين لهم .

وتولى احمد تكودار العرش وكان كما يظهر اكبر ابناء هولاكو الأحياء ، ولا يشير رشيد الدين الى تقدير عمره ، ولكنني لا أظنه قد جاوز الثلاثين إلا بقليل من السنين .

وشغلت الأحداث السياسية تكودار طيلة فترة حكمه القصيرة التي لم تتجاوز ثلاثة سنين عن الاهتمام بالإصلاح الداخلي ، اذ دفعه اسلامه الى محاولة ازالة روح العداء التي تميزت بها سياسة المغول مع الحكم المملوكي في الشام ومصر ، واقامة علاقات جديدة على اساس من الاخوة الاسلامية ، وجرته هذه المحاولة الى رد فعل في الداخل لدى امراء المغول الذين وجدوا في تأكيد الاياخان على الاسلام خطراً عليهم فاقبلوا عليه ، واتخذوا من مطالبة ارغون بالعرش سبيلاً للناظر عليه حتى سقطت تحت ضرباتهم شهيداً في اواخر جمادى الاولى سنة ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م (١) . فكان اول ايلخان يذهب ضحية تدخل الامراء في شؤون الحكم الامر الذي أدى الى تحكهم فيه فيما بعد . ولعل الأثر العمراني الوحيد الذي يعود الى عهد تكودار والذي يرمز الى اهتمامه بالاسلام هو عمارة مشهد مسلم بن عقيل بالكوفة الذي أمر بعمارته آل الجويني في شهر سنة ٦٨١ هـ كما يشير الى ذلك النقش الموجود على واجهته (٢) .

(١) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ١٢١ ، ابن العبري ص ٢٩٨

D'ohsson. 3. P. 606 - 607 .

Repertoire Tom X3. P. 2 No. 4818.

(٢)

وؤولى ارغون العرش بعد عمه تكودار . بفضل مساندة القوة له متخطياً بذلك عمه هولاجو الذي كان كما يظهر أحق منه بالعرش لكبر سنه .
ولا يشير المؤرخون كذلك الى مقدار عمره ، ولكني أظنه لم يكن قد تجاوز الثلاثين اعتماداً على بعض القرائن (١) .

ويظهر لي ان ارغون تمتع بالسلطة وتحكم بها وهو أمير أكثر من تصرفه بها وهو ايلخان ، ولا يعني ذلك انه كان محجوراً عليه بعد توليه الايلخانية ، فان الطريقة التي تسلمها بها ، ودور نائبه بوقا في اجلسه على العرش فرضت عليه طواعية ان يسلم السلطة له ليبقى هو مجرد رمز لا يملك منها سوى الاسم . وتحرر ارغون من وصاية نائبه بعد خمس سنوات من مباشرته الاسمية لكي يقضي السنين الباقيتين من عمره تحت وصاية من نوع آخر عندما استسلم لوزيره اليهودي الذي استطاع السيطرة عليه بالأموال الكثيرة التي قدمها له .

وفي فترة وعيه ما بين الوصايتين بانث عليه بعض مظاهر الرغبة في الاصلاح ، فقد أظهر ميلاً للعميران والبناء ، ووضع الأساس لبناء مدينة جديدة تكون قاعدة للملكة ، وحملت اسم الارغونية ، كما وضع الأساس لمدينة اخرى في منطقة شرو باز لم تكمل ايضاً بالرغم من انفاقه عليهما الأموال الطائلة (٢) .

(١) من ذلك ان السن الطبيعي للزواج عند المفعول هو الخامسة عشر من العمر كما هو الحال في مثال جنكيز نفسه حيث يكون الرجل قد تجاوز مرحلة البلوغ بسنة او سنتين لا اكثر، واذا كان ابنه الكبير غازان قد ولد سنة ٦٧٠ هـ كان تاريخ ولادة ارغون حول سنة ٦٥٥ هـ على الأكثر .

(٢) رشيد الدين م ج ٢ ص ١٥٧ - ١٥٨ ، انظر ايضاً في حاشية ص ١٦٦ -

ولقيت الحركة العلمية في عهده شيئاً من العناية . فقد تفقد شؤون مرصد مراغة بحكم تعلقه بعلم الفلك والنجوم لاستطلاع مستقبله ، وكان يحسن الامتاع الى العالم قطب الدين الشيرازي الذي احتل مكانة النصير الطوسي لدى الايلخانات . والذي كان يشرح لارغون ما توصل اليه من نظريات علمية او مصورات جغرافية (١) . وكانت رغبته الشديدة لمعرفة سر الحياة قد دفعته الى تشجيع علم الكيمياء ، والانفاق على علمائه بلا حساب وحضور جلساتهم وسماع مناقشاتهم تشجيعاً منه لهم لمواصلة البحوث في ذلك ، حتى انه في احدي هذه الجلسات تحدث الى قطب الدين الشيرازي بقوله : « لأنني رجل تركي وانت رجل عالم ، قد تظن أن هؤلاء يسخرونني ويستغفلوني ، والحقيقة اني أردت مراراً أن أصرفهم ، ولكن ما دام المؤكد ان لهذا العلم الشريف وجوداً ، وقد يكون هناك من يعرفه ، ولأنني اذا لم أرفع الجهلاء ولا أجهز عليهم بالسيف فلن يثق بي عالم مطلقاً » (٢) .

وأودي به تعلقه بسر الحياة الى الوقوع في يد بعض كهنة المغول الذين اقتنوه بقدرتهم على اطالة العمر فتناول من أيديهم ما وصفوه له من مساحيق ودهون عجبات

- وصفاً لهذا العمران منقولاً عن نسخة اخرى لجامع التواريخ ترجمة المعارف الاسلامية م ١٢ السلطانية ص ٩٧ .

(١) حمد الله مستوفي القزويني نزهة القلوب ص ٥٥ . ترجمته الانكليزية ص ٦١

Howorth . 3 . P . 335 - 336 .

(٢) رشيد الدين ٢م ج٢ حاشية ص ١٦٦-١٦٧ نقلاً عن نسخة ثانية لجامع التواريخ

D'ohsson . 4 . P . 59 - 90 .

بما بقي من حياته ، فودعها في ربيع الاول ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م (١) .

وليس لدينا ما يشير الى انه ترك وصية لمن بعده ، فضلا عن ان ذلك لم يكن ممكناً بالنسبة لحالته ، اذ انه طرقت الشعور بالحياة قبل رحيله عن الدنيا بأشهر عديدة بحكم العيبوبة التي غرق فيها .

ومنذ هذا التاريخ حتى تولى غازان في ٦٩٤ هـ / ١٢٩٥ م كان الحكم بيد الامراء الذين مارسوه حتى قبيل وفاة ارغون ، واصبح الايلخانان اللذان توليا السلطة خلال ذلك مجرد العوبة بأيديهم ، كما أصبحت حياتهما رهناً لمشيئتهم .

فقد انصرف الاول منهما - كيخاتو - الى شهواته ونزواته تاركاً السلطة بأيديهم ، يعاونه على التبذير والاستغلال وزير كيخاتو المدعو صدر جهان .

ولم يعرف لكيخاتو عمل اصلاحي في فترة توليه سوى ما اشار اليه رشيد الدين من قيامه بتشييد مدينة كبيرة على ضفاف نهر « كر » سماها « قنلغ باليغ » (٢) .

اما بايدو فقد ارتقى العرش على جثة ابن عمه الذي لم يحف دمه بعد حتى قام ابن اخيه غازان يطالب به ، وطيلة الاشهر القليلة التي قضاها يحمل اسم الايلخان لم يعرف عنه انه استقر في البلاط إلا ليطارد او يطارد ، حتى سقط بنفس الطريقة التي ارتقى بها .

واستعادت الايلخانية مكانتها التي كانت عليها في عهد هولاكو وابنه ، عندما تولاهما غازان لانه قضى على تحكم الامراء والوزراء فيها فحسب بل لانها وضعت

(١) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٢

Howorth.3 P.341.

(٢) جامع التواريخ م ٢ ج ٢ ص ١٨٠ .

تخطيطاً شاملاً لمختلف نواحي الإصلاح سارت عليه الادارة تحت اشرافه حتى استحققت فعلا صفة الدولة .

يؤيد هذا ما أشار اليه المؤرخون الاجانب امثال هورث وماالكولم فانهما بعد تقديم مقارنة لما كان عليه الحال أيام الابلخانات السابقين عليه ، قالا : « واختلف هذا الوضع في عهده فقد تولى السلطة بنفسه وأصدر الاوامر لاقامة جهاز اداري سليم ، وكان يستمع الى الجميع كبيراً وصغيراً ... وكان يستقبل الرسل الاجانب بنفسه عند وصولهم بدلاً من قيام الوزير بذلك ... » (١) .

وتعددت نواحي الإصلاح التي أنجزها غازان ، ولكننا قبل أن نشرع في تعدادها لا بد لنا من معرفة العوامل التي لعبت دوراً في هذه الإصلاحات ، اقصد من ذلك الاسلام الذي ملأ قلب غازان ، ونوروز مربيه .

ويمكن القول قبل ذلك ايضاً ان غازان نفسه لم يكن شخصاً عادياً بالرغم من صغر سنه عند توليه ، فقد علمته السنوات العشر التي تولى خلالها مسؤولية خراسان تحت اشراف نوروز وخال لال مطارده له عند تمردده ، ثم تعاونهما معاً في دفع الاعتمادات الخارجية ، والقيام على بايدو ، كل هذه الأحداث أكسبت غازان تجارب خرج منها قوى الشخصية ، طموحاً للانفراد بالسلطة ، علياً ببواطن السياسة ، محدد الاهداف ، ولكنه مع ذلك بقي بعد توليه يمثل دور التلميذ المطيع طالماً بقي نوروز على قيد الحياة يمثل دور المعلم .

(١) Howorth. ج ٣ ص ٤٨٧ وهو يعثور على ما ورد في رشيد الدين

Malcolm. ج ١ ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .

وكان غازان في حالة من القلق والخوف بحكم تمرده على الإيلخان عندما جاءه الإسلام يسعى إلى قلبه فجلب إليه الحب والاخلاص ممثلاً في شخص داعيته نوروز الذي أطعمه بالنصر على عدوه (١) ، فتملق به ودخلت السكينة إلى نفسه وتحقق النصر الذي وعد به ، فازداد اطمئناناً وازداد إيماناً ، واعتلى العرش ، ولكنه بقي طيلة السنتين الأوليتين من حكمه لا يكشف عن نفسه ، إذ فرض عليه أدب التريفة والوفاء أن يتوارى قليلاً بجوار نوروز .

وقد تكون أحداث السنتين هذه ، قد فرضت عليه أن يعطي السفينة ربانها جرياً على ما كان عليه قبل توليه ، ولكنه انطلق كالسهم يثبت وجوده ، ويسجل عهده بعد أن تحرر من حياة نوروز . وهنا نلمس محاولته لتطبيق تعاليم الإسلام ممزوجة بشيء من الدهاء السياسي لكي يتفادي تأثير قتله لنوروز على الناس (٢) ، يشير إلى ذلك (وصاف) بقوله : بعد قتل نوروز قام غازان بتقوية مظاهر الشريعة وتعظيمها والاهتمام بأمور الدين ونشر العدل وتوحيد زي رجال الدين ، وأمر بمنع الربا ، ودعا التجار إلى البيع والشراء وهدد المتلاعبين بالأسعار بالعذاب (٣) .

فكانت محاولته هذه بداية لقيامه بكثير من الإصلاحات التي تدخل في باب

(١) أشار خواندمير م ٣ ج ١ ص ٨٣ إلى تعهد نوروز بذلك بقوله : «ان رغبتى في ان أضع اميرالعالمين على سرير السلطنة عن قريب وأرفع عنه بايدو الكامر، وأخضع جميع الامراء والعظماء على شريطة أن ينير الأمير قلبه بنور الايمان ويسلك طريق الاسلام ويتبع ملة نبي آخر الزمان» انظر نفس المعنى عند هورث ج ٢ ص ٣٨٢-٣٨٤ .

(٢) قتل نوروز بأمر غازان في ذي الحجة ٦٩٦ هـ / اكتوبر ١٢٩٧ م .

(٣) وصاف م ٣ ص ٣٤٤ .

تقوية الشريعة وتنفيذ تعاليم الاسلام التي أصبحت بحكم شمول تعاليم الاسلام مختلف نواحي الحياة (١) .

ففي مجال الاصلاح الديني بالاضافة الى ما سبق أكد غازان على مبدأ العدالة بين الناس ، ومنع القوي او المتمفد من الاعتداء على الضعيف ، فأعاد تنظيم القضاء ووضع الشروط لاختيار القضاة ، وقاضي القضاة ، واستوحى رضى اهل بغداد بذلك واهتم بآل البيت ، والمراکز الدينية المقدسة ، فأوقف الوقوف للانفاق عليها ، وإقالة فقرائها وترميم وبناء ما انهدم من بنيانها ، وبنى دوراً في المدن الكبيرة سماها دور السيادة لتكون تحت تصرف رجالات آل البيت في حلهم وترحالهم وأوقف للانفاق عليها الوقوف الكثيرة من القرى والمزارع والعقارات .

واهتم كذلك في العناية بامور الحج ، وارسال موكبه الى مكة حسب العادة ، واكفاء الكعبة المشرفة وتأمين ذلك بمهاداة امراء مكة وشيوخ العشائر (٢) .

وفي مجال الاصلاح الاجتماعي ، سمى غازان خلق المواطن الصالح ، فأصدر الأوامر بنعم الميسر وشرب الخمر والاقراض بالربا . وضغط على خواتين الأسرة وامرائها الذين كانوا يتاجرون بالربا وهددهم بحرمانهم من استعادة رؤوس اموالهم .

(١) قام خواندمير بتلخيص هذه الاصلاحات في عشرين حكاية . انظر حبيب

السير م ٣ ج ١ ص ٩١ وما بعدها .

(٢) حمد الله مستوفي القزويني نزهة القلوب ص ٣٢ ، خواندمير م ٣ ج ١

ص ٩١ - ٩٤ ، الشبنكارى الورقة ٣١٥ - ٣١٧ ، التاريخ الغياثي الورقة ١٤٦ ،

مصطفى بدر - مغول ايران بين الاسلام والمسيحية ص ٤٥ - ٤٨ .

Howorth·3·P·530 .

وحارب البغاء ، وكان عملياً في ايجاد الحلول لمعالجه كما ينقل ذلك مصطفى بدر
وتدخل في شؤون تكوين الاسرة وحمايتها من الانفصال ، وتشجيع الزواج ومعالجة
ارتفاع الصداق (١) .

وفي مجال الاصلاح الزراعي سعى غازان لتوفير الأمن والاستقرار للفلاحين
لكي لا يهربوا من مزارعهم وقراهم نتيجة لسوء تصرف موظفي الدولة من جباة ورسول
وغيرهم ، كما عمل على تشجيعهم على زيادة الانتاج الزراعي ، وذلك بتسهيل عملية
الجباية منهم وتقسيمها عليهم من ناحية ، واقامة مشاريع الري لهم من ناحية اخرى ،
وكان نصيب العراق من هذه المشاريع اكثرها ، فضلاً عن ان من اغراض انشاءها
بالاضافة الى نفعها الزراعي ، تقربة الى رجال الدين وخاصة آل البيت ، من ذلك
انشاءه ترعة من الفرات في اعلى الحلة لا يصلح المياه الى مدينة كربلاء وارواء وزرع
الصحراء الكبيرة المحيطة بها ، وعرف هذا بالهر الغازاني . وحفر ترعة ثانية لا يصلح
المياه الى مشهد الامام علي في الجحف ، وترعة ثالثة لا يصلح المياه الى الشيخ ابي الوفاء ،
في قرية ام عبيدة القريبة من واسط (٢) .

(١) وصاف م ٣ ص ٣٤٤ ، خواندمير م ٣ ج ١ ص ٩٤ - ٩٦ ، مغول ايران
ايران بين الاسلام والمسيحية ص ٤٣ - ٤٥ .
(٢) وصاف م ٤ ص ٤٠١ ، الشبنكاري الورقة ٣١٧ ، التاريخ الغياثي الورقة
١٤٦ ، الحوادث الجامعة ص ٤٩٧ . العزاوي ج ١ ص ٣٨٢ ، ٣٩٨ ، خصباك -
اجوال العراق الاقتصادية ص ١٢٠ . مجلة كلية الآداب - بغداد م ٤ اغسطس ١٩٦١
وهو يعلق على النهر الغازاني بأنه ربما كان هو نفس النهر العباسي المسمى بالعلقمي حيث
أعاد غازان تنظيفه وفتحه . نزهة القلوب ص ٤٦ في الاشارة الى مرقد الشيخ ابي الوفاء
في ام عبيدة .

وفي مجال الإصلاح المالي تجلّى حزم غازان وبعد نظره ، فقد كانت الخزائن
 خاوية عندما تولى العرش . واضطر هو ونوروز عند خروجهما للدفع اعتداء مغول
 ماوراء النهر عن خراسان ، الى مداراة الناس ومعاملتهم بالحسنى لكي يقروضهم
 الاموال لانفاقها على تجهيز الجيش الزاحف واهداده بالماون ، وعندما استقر في
 سلطانه ، وجد أن هناك أيدي كثيرة تتناهب الاموال فلا يصل منها الى الخزانة
 إلا القليل ، وعندما بدأ في اصلاحه ، بدأ من الأساس معتبراً كأن لم يكن هناك
 تنظيم من قبل ، وقام باجراء مسح شامل لجميع الملكيات الزراعية وحدد عليها الضريبة
 وجعل دفعها على قسطين ، وأنظم عملية الجباية بحيث لا يستوفي الجابي شيئاً اضافياً
 عليها ، وكان على الجابي ان يحمل معه الأمر الرسمي بتفاصيل الضريبة لكل قرية
 من القرى (١) .

ولتأمين سلامة التطبيق عمل على ازالة وضم كل ما من شأنه اعاققة ذلك ،
 ففرض على الجيوش ان لا تسلب وتمتدي على سكان القرى خلال مرورها واقامتها ؛
 بعد أن أمن لهم حاجتهم وخصص لهم الاموال ، كما فرض على موظفي البلاط ، وامراء
 الامرة ان يلتزموا بهذه التعليمات .

ونظم الرسل الذين يتنقلون في البلاد لحمل الاوامر الرسمية ، والذين كانوا
 نموذجاً سيئاً للارهاب والاستغلال ، فحدد عددهم ومنع استخدامهم إلا للعمل
 الحكومي ، وأعاد تقسيم مراحل الطرق وجهاز محطات الراحة لهم بما يحتاجون اليه من
 خيول ولوازم بحيث لا تمتد أيديهم الى اموال الناس (٢) .

(١) *Howorth . 3 . P . 478 ' Sykes . 2 . P . 113*

(٢) خواندمير م ج ٣ ص ٩٨ ، علي ابراهيم حسن - دراسات في تاريخ -

واعتمد على الذهب والفضة كأساس للتعامل عند جمع الضريبة ، فحدد سعرهما ومنع أخذ الضريبة او الصيرفة عند تبادلهما ، وحدد الموازين والمكاييل ، ووحيد عياراتهم على أساس ما هو معمول به في تبريز من عيار وسنجة ، وفي جميع هذه الاعمال كان يعيل الى التخفيف عن الرعية في الضريبة وجبايتها (١) .

وعندما لاحظ تأثير اختلاف موعد الجباية عن وقتها الحقيقي وما يسببه ذلك من تمسف وظلم ، أمر بمعالج ذلك والتوفيق بين السنتين الشمسية والقمرية ، واعتبر يوم ١٢ رجب ٧٠١ هـ بداية لتأريخ جديد عرف بالتأريخ الايلخاني (٢) .

وفي مجال الاصلاح العمراني ، خلف لنا غازان الكثير من الآثار العمرانية ، فأعاد اعمار تبريز واختار احدي ضواحيها التي حملت اسم الشام فجعلها مركزاً لاعماره واستقراره وشيد فيها مجموعة من البنائات بينها ضريحه الذي امتاز بالفضامة والضخامة ، كما أعاد اعمار مدينة اوجان القريبة من تبريز ايضاً والتي كانت مشته

- المماليك البحريةية ص ١٥٩ ، ايران في عهد غازان ص ١٣٣ - ١٣٦ .

Malcolm. l.p.275 ' Sykes . 2 . p . 113 = 114 .

(١) خواندمير م ٣ ج ١ ص ١٠٠ . الحوادث الجامعة ص ٤٩٣ ، العزاوي

ج ١ ص ٣٨٩ ، ايران في عهد غازان ص ١٤٢ - ١٤٤ .

مينورسكي - ترجمة المعارف الاسلامية م ٤ - تبريز - ص ٥٤٥ .

Howorth. 3 . P . 421 .

(٢) تاريخ كزبده ص ٥٩٤ ، العزاوي ج ١ ص ٣٨٩ ، بينما اعتبر فصيحبي

خوافي بداية هذا التاريخ يوم السبت ١٠ رجب . اما هورث . *Howorth* . ج ٣

ص ٥٣٥ فاعتبره يوم ١٣ رجب يعادل ١٤ مارس ١٣٠٢ م .

الأبلخان وسمت اسم مدينة الأسلام .

بالإضافة الى عشرات من المربط والمساجد ودور العلم التي اوقف لها الوقوف المنتشرة في أرجاء البلاد (١) .

اما الحركة العلمية ، فكانت رعايته لها تعبيراً عن تقدير العلماء للعلم ، فقد كان غازان نفسه عالماً ، أشار الى ذلك رشيد الدين عندما وصفه برجاحة العقل وسعة المعارف ، وكذلك وصفه خواندمير .

فكان العلماء يجدون عند وفودهم اليه حاملين نتاج افكارهم ، يجدون كل تقدير ورعاية ، وكانت المدارس والمكتبات اول ما يزورها عند وروده الى المدن الكبيرة مثل بغداد ، فضلاً عن انشائه العشرات منها .

اما دار الرصد في سراغة فكان موضع اهتمامه وتشجيعه ايضاً حتى انه كما يشير بارثولد Barthold ؛ أمر ببناء مركز آخر للرصد في تبريز . وكان اطلاعه واهتمامه بالتاريخ وخاصة المغولي منه ، دليل على سعة اطلاعه وعلى حرصه عليه ، ولعل خير ثمرة قدمها لعلم التاريخ ، هو تشجيعه لوزيره رشيد الدين على تأليف كتابه جامع التواريخ الذي انتهى من تأليفه في الوقت الذي توفي فيه غازان (٢) .

(١) التاريخ الغياثي الورقة ١٤٦ ، مقدمة كاترمير م ٢ ج ١٨ ، ٢٣ .
مينورسكي - ترجمة المعارف الاسلامية م ٤ - تبريز - ص ٥٤٥ . لسترنج - بلدان الخلافة الشرقية ص ١٩٦ ، ١٩٨ .

روبرتوار Repertoire ج ١٤ ص ٤٨ ، ٤٩ ، رقم ٥٢٧٦ ، ٥٢٧٧ .

(٢) الحوادث الجامعة ص ٤٩٢ - ٤٩٣ ، خواندمير م ٣ ج ١ ص ٩١ ،
مقدمة كاترمير م ٢ ج ١ ص ١٧ في استقبال غازان لصاحب تاريخ وصف ، انظر -

وحقق غازان الكثير من اهداف اصلاحاته ، فامتلات الخزائن بالأموال وازدادت واردات الدولة كثيراً عما كانت عليه سابقاً (١) ، وساد الأمن والاستقرار ربوع البلاد ، وانتشر الرخاء ، وبينما كان غازان يستعد لقطع ثمار هذه الجهود ، أدركه الأجل بالرغم من انه لم يكن قد تجاوز الثلاثين من عمره إلا بسنوات ثلاث ويشير رشيد الدين الى انه كان قد عهد بولاية عمده لأخيه اولجايتو قبل ذلك بسنوات خمس ، وانه جدد هذا العهد قبيل وفاته بأيام قليلة حيث جمع الأميرات والامراء وأركان الدولة وأكد عليهم وصيته (٢) .

وقد توفي في يوم الأحد ١١ شوال ٥٧٠٣ / ١٣٠٣ م بعد حكم دام أكثر من ثمان سنوات بشهرين ونصف تقريباً . ودفن في الضريح الذي أعده لنفسه في منطقة الشام بضواحي تبريز . وكان اول ايلخان مغولي يدفن في مكان ظاهر (٣) .

وسار اولجايتو على خطى اخيه في إدارة البلاد والاهتمام باصلاحها ، ولم يكنه - ايضاً ص ٨٢ ، ٢١٣ ، في تكليف غازان لرشيد الدين لتأليف جامع التواريخ

Howorth . P . 451 .

Bortholof . 2 . Chazan . P . 150 . Elliot - I - Biblioigraphical Index . P . 6 .

(١) يذكر بارتولد - ان الوردات بلغت في عمده ٢١٠٠ تومان بعد ان كانت

١٧٠٠ تومان انظر ص ١٥٠ من *Encoflsl . 2 .*

(٢) مقدمة رشيد الدين م ٢ ج ١ ص ١٨٥ .

(٣) مقدمة رشيد الدين م ٢ ج ١ ص ١٨٤ ، وصاف م ٤ ص ٤٥٥ - ٤٥٨

خواندمير م ٣ ج ١ ص ٩١ ، مجل فصيحى حوادث سنة ٥٧٠٣ . الديار بكرى .
الجنس في احوال انفس نفيس ج ٢ ص ٣٨١ . لسترنج - بلدان الخلافة الشرقية ص ١٩٦ .

كانت تنقصه روح اخيه وعزيمته التي كانت قوة تراقب وترهب .

وكان اهتمامه بالعمران اول عمل قام به ، إذ أمر في ربيع ٧٠٤ هـ باكمال البناء الذي كان ابوه ارغون قد وضع أسسه لانشاء مدينة الارغونية في العراق العجمي ، وقد سماها بالسلطانية ، وبنى فيها دوراً للضيافة والسيادة ، ومدرسة علي غرار المستنصرية ، ومستشفى ومسجد الجمعة . واقتدى الامراء به فشيّدوا بجواره حتى تحوّت الى مدينة كبيرة اتخذها عاصمة له ، فتوارد اليها الناس من اقطار الدنيا (١) . وبنى مدينة اخرى سماها سلطان اباد في منطقة كردستان قرب موغان لتكون مصيفاً له بحكم وقوعها في منطقة جبلية (٢) .

واهتم كذلك بتشجيع الحركة العلمية وأحاط نفسه بمدد من العلماء كان علي رأسهم وزيره رشيد الدين الذي كان موضع رعايته وتشجيعه على اضافة بعض الفصول الى كتابه السالف الذكر ، والذي أغدق عليه من الاموال والضياع عند تقديم الكتاب له مما شهد به رشيد الدين نفسه بأنه ليس هناك ملك أظهر نحو أحد رعاياه مثل هذا السخاء الشاسع (٣) .

(١) وصاف م ٤ ص ٤٧٥ - ٤٧٧ ، ابرو ص ٨ ، خواندمير م ٣ ج ١ ص ١٠٩ . ابو الفداء - تقويم البلدان ص ٤٠٦ - ٤٠٧ . مسالك الأبحار ج ٢ ق ٢ الورقة ٢٧٤ .

مينورسكي - ترجمة المعارف الاسلامية م ٤ - تبريز ص ٥٤٥ .

(٢) حمدالله مستوفي قزويني . تاريخ كزيدة ص ٥٩٦ ، نزهة القلوب ص ١٠٧ .

(٣) وصاف م ٤ ص ٥٢٩ ، مقدمة كآرمير م ٢ ج ١ ص ٢٥ .

ولقي مرصده مراعاة نفس العناية التي تعود عليها من الايلخانات ، كما احتل المشرف عليه أصيل الدين الحسن بن النصير الطوسي نفس المكانة التي احتلها في نقض غازان باعتباره منجم السلطان (١) .

وكانت رعاية اولجايتو للعلم والادب انعكاساً لاهتمامه بشؤون الاسلام وجزءاً منه . واذا كنا نلمس بعض الدوافع الشخصية او السياسية في اسلام غازان ، فاننا لا نجد ذلك في اولجايتو الذي ورث عن اخيه التمسك بالاسلام ورعاية شؤونه مثلما ورث عنه الحكيم .

ولكن اولجايتو الذي كانت اوضاع البلاد في عهده اكثر استقراراً مما كانت عليه في عهد اخيه ، لم يكن لديه ما يشغله سوى احاطة نفسه برجال الدين والاستماع الى شروحاتهم ، وقع ضحية تناز هؤلاء العلماء وتنافسهم المذهبي ، الذين لم يحسنوا القيام بواجباتهم الدينية الصحيحة كما اعتقد ، اذ كان عليهم أن يدركوا اولاً أن معركة الاسلام مع الوثنية لم تنته بعد : كالمقول الوثنيين لا زالوا يشكلون جانباً من حاشية الايلخان وبلاطه ، وكانوا من القوة والتمسك بحيث لم يذوبوا أمام شدة غازان عليهم ، وكان عليهم أن يدركوا ثانياً ان اسلام الايلخان مكتسب وليس أصيل ، وبالتالي فان جذوره ليست عميقة في نفسه .

فقد أدى تنازهم أمامه واسفافهم في المناقشة التي فقدت طابعها الديني ، أدى ذلك الى تشويه صورة الاسلام القلقة في نفسه حتى اوشك ان ينصرف عنه نهائياً أمام

(١) كرامرز *Kramers* ترجمة المعارف الاسلامية م ٢ - الجايتو خدابنده

ص ٥١٢ . العيني - وفيات سنة ٧١٥ هـ الورقة ٦١ - ٦٢ .

الإمام رجال المغول الوثنيين وكهنتهم الذين فسروا له الاحداث الطبيعية التي صادف وقوعها في تلك الفترة بأنها من شؤم المسلمين عليهم لتركهم ديانة آباءهم وأجدادهم ، لولا أن أشار عليه بمض المقربين من الحاشية بأخذ التشيع مذهباً له اقتداءً بأخيه غازان (١) ، وسببوا له تفضيل ذلك فأستجاب الى نصيحهم فكان اول ايلخان مغولي اعتنق المذهب الشيعي .

وقد اندفع بعد ذلك لتطبيق تعاليمه على الحكم ، واحاط نفسه بعدد من فقهاءه كان أبرزهم الشيخ جمال الدين ابو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي ، الذي كان تعلق الايلخان به من الشدة بحيث ألزمه بمرافقته وأقام له مدرسة سيارة بجوار بلاطه يفد اليه التلاميذ فيها ، وشجعه على التأليف والارشاد (٢) .
وشجع اولجایتو كل ما من شأنه تقوية الاسلام ورفع مكانته .

ففي مجال الاصلاح الاجتماعي ، أكد على تطبيق تعاليم الاسلام في ازالة الفساد من المجتمع ، فأمر بملق الخمرات ودور البغاء والميسر ، كما منع بيع البنات للمغوليات البكر في سوق الرقيق وأكد على نشر العدل بين الناس ، وأسقط كثيراً من الرسوم

(١) ليس لدينا ما يشير الى اعتناق غازان المذهب الشيعي .

وهناك فرق بين احترام ومجبة آل البيت الذي هو من خلق الاسلام وبين التشيع ، ومن المحتمل ان تقرب غازان من آل البيت كان لتحقيق اغراض سياسية معينة تفيده في صراعه مع المماليك .

(٢) خواندمير م ٣ ج ١ ص ١٠٩ ، ١١٢ ، ابو المحسن م ٢ المنهل الصافي

الورقة ٤٨ - ٤٩ . العاملي - اعيان الشيعة ج ١٤ ص ٢٧٧ وما بعدها ، الصياد -

مؤرخ المغول الكبير - ص ١٤٤ - ١٤٨ .

الاضافية عنهم مؤكداً ان الدولة ليست محتاجة الى مال الرعية ماداموا يدفعون الخراج (١) .

وطالت فترة حكم اولجايتو عما هو مألوف بالنسبة الايلاخانات حيث زادت على ثلاث عشرة سنة ، ترك لنا خلالها كثيراً من الآثار الخيرية التي كان قد أسس بانشائها وأوقف لها الوقوف لادامتها ولا زالت نقوشها شاهدة على جهوده (٢) .

وكان قبيل وفاته في غرة شوال ٧١٦ هـ / ١٣١٦ م وقد بلغ من العمر السادسة والثلاثين ، قد أوصى بولاية العهد لابنه القاصر أبي سعيد ، وأوصى الامراء برعايته . وقد دفن في ضريحه الذي كان أنشأه في السلطانية (٣) .

وتسلم الامراء الحكم ثانية باسم ابي سعيد الذي لم يكن قد بلغ الثانية عشرة سنة من العمر ، وانفرد من بين الامراء چوبان الذي تولى الوصاية عليه اكثر من عشر سنوات ، كان خلالها ابو سعيد مجرد رمز لا يملك سوى الاسم ، بينما كان چوبان مشغولاً في القضاء على الاطماع الخارجية والداخلية التي ظهرت استتصافاً بالاييلخان .

ويمكن القول ان اهم اصلاح في هذه الفترة كان في الميدان الاجتماعي على اثر

(١) وصاف م ٤ ص ٥٢٠ - ٥٢١ ، ابرو ص ٥٥

Howorth . 3 . P . 555 .

(٢) انظر ربرتوار *Repertoire* ج ١٣ ص ٢٥٦ رقم ٥١٧٨ ، ج ١٤ ص ٢٤

رقم ٥٢٣٨ ، ص ٨٠ رقم ٥٣٢٨ .

(٣) وصاف م ٥ ص ٦١٥ . ابرو ص ٦٩ - ٧١ ، اليافعي مرآة الجنان

ج ٤ ص ٢٥٥ .

النكبة الاقتصادية التي حلت بالبلاد والتي أدت الى حدوث المجاعة في سنوات ٧١٨ هـ ،
٧١٩ هـ ، وامتدت ذيلها الى سنوات اخرى لاحقة ، وكانت من الشدة والقسوة
بحيث هلك الناس في دورهم ، وباع آخرون اولادهم . فتطير المسؤولون ولجأوا الى
رجال الدين يسألونهم العون والدعاء ، والذين فسروا لهم ذلك بأنه من غضب الله
عليهم وعقابه لهم لانتشار الفساد والظلم والمعصية .

فأصدر ابو سعيد امره بغلق الخانات ودور البغاء ، ومنع صناعة الشراب ،
وأراق ما وجد منه في البلاد ، وعوقب عدد من الناس بالموت لوجود الشراب لديهم ،
وزوجت البغايا والخاطبات ورفعت بعض المكوس والضرائب (١) .

وتحرر ابو سعيد من وصاية جوبان في محرم ٧٢٨ هـ . ولكنه لم يرتفع الى
مستوى المسؤولية ، اذ دفعه شبابه اليافع والحرماني العاطفي الذي كان يعيشه الى تسليم
مقاليد الامور الى وزيره غياث الدين محمد الذي كان يستوحى السلطان من زوجة
ابي سعيد بغداد خاتون . ابنه وصيه جوبان الذي كان الايلخان قد تعاق بها حتى

(١) شرح النويري ج ٣٠ ق ٣ الورقة ٤١٥ - ٤١٧ هذه النكبة ، وبدأ بها
منذ سنة ٧١٧ هـ وعدد المدن التي حدثت فيها وأحصى عدد الموتى في كل منها . وذكر
أن الموصل مثلاً كان فيها ١٥ الف بيت لم يبق منهم سوى خمسمائة بيت ، وكذا حال
بقية المدن الاخرى . انظر ايضاً الورقة ٤٨٥ - ٤٨٦ . العيني في حوادث سنة ٧٢٠ هـ
الورقة ٢٤١ - ٢٤٣ . السلوك ج ٢ ق ١ ص ٣١١ ، ابن كثير ج ١٤ ص ٩٧-٩٩ .
الذهبي ج ٢ - تذييل دول الاسلام ص ١٧٤ - ١٧٧ ، علي ابراهيم حسن - دراسات
في تاريخ المماليك البحرية ص ١٦١ .

أقره زوجها الشيخ حسن الكبير على طلاقها أيتزوج منها حسبما تقضي تعاليم الياسا (١) وبقى ابو سعيد نتيجة لذلك مجرد رمز للسلطان الذي يمارسه الوزير من خلال رغبات وتوجيهات بغداد خاتون ، مما دفع البعض من المؤرخين من المسيحيين الاجانب الى وصفه بالحاكم الضعيف (٢) .

وقام الوزير مقام الايلخان في مباشرة الاصلاح ، فرعى الحركة العلمية والادبية وجعل ديوانه ندوة من ندواتها ، فأجتمع حوله عدد كبير من العلماء الذين اهدوا مؤلفاتهم اليه نظير تشجيعه ورعايته لهم ومواصلتهم بالاموال والهدايا (٣) .
واهتم الوزير ايضاً باقامة العدل والتخفيف عن الرعية وتقوية شعائر الاسلام ، فرعى مواكب الحج ، وواصل شيوخ العرب بالاموال لحماية الطريق ، وانفق الاموال

(١) ابرو ص ١٤٢ : ابن حجر ج ٤ ص ١٣٥ في ترجمة غياث الدين محمد . اما ابن فضل الله في المسالك ج ٢ ق ٢ فانه يضرب بها المثل بقوله وهو يتحدث عن مشاركة نساء المغول لأزواجهن في الحكم ... إلا ما كانت عليه بغداد خاتون بنت چويان امرأة ابي سعيد فاننا ما رأينا في زماننا ولا سمعنا عن قارب زماننا ان امرأة تحكمت فتحكمها .

(٢) عثر بالقرب من اصفهان على مجموعة من الرسوم لبعض الارمنيين عملها سنة ١٣٣٠ م وسجل فيها هذا الوصف لأبي سعيد انظر

H. Kurdian: An Importantyrmenian M.S. From. A. D. 1330 .

J. R. A. S. 1933. P. 604 - 606.

(٣) تذكرة الشعراء ص ١٤٩-١٥١ في الحديث عن البنكاكتي ، مقدمة كلتومير

لجامع التواريخ م ١ ج ٢ ص ٦٧ - ٦٩ .

لإقامة المشاريع الخيرية باسم الأيلخان ، وأسقط المكوس والضرائب الزائدة عن الناس (١) .

وكان آخر ما سعى للقيام به هو اصلاح ما فسد من نظم الجباية في خراسان التي كانت اموالها تضيع قبل وصولها الى الخزانة ، ولكن وفاة ابي سعيد حالت دون تحقيق ذلك (٢) .

ولم يشذ ابو سعيد عن اسلافه في توديم الحياة مبكراً ، فقد أدركه الموت وهو في ريمان شبابه ، اذ لم يكن قد باوز الثانية والثلاثين من العمر ، بعد حكم طال تسع عشرة سنة ، لم يدرك فيه شيئاً من معاني السلطان ، وكانت وفاته في يوم ١٣ من ربيع الآخر ٧٣٦ هـ بعد مرض مفاجيء . وهو يستعد لصد اعتداء مغول القبچاق . ولم يكن قد أنجب بالرغم من زواجه من عدة نساء (٣) ، فكان بذلك

(١) السلوك ج ٢ ق ٢ ص ٣٨٩ - ٣٩٠ . ربرتوار *Repertoire* : ج ١٤

ص ٢٤٩ . رقم ٥٥٦٦ ، ص ٢٦٨ رقم ٥٥٩٠ ، ج ١٥ ص ٢٧ - ٢٨ رقم ٥٦٤٢ .

(٢) حمدالله القزويني نزهة القلوب ص ١٤٧ في الحديث عن ولاية خراسان -

ترجمته الانكليزية ص ١٤٦ - ١٤٧ .

(٣) تاريخ الجزري م ٣ الورقة ٤٥٤ ، ميرخوند ج ٥ ص ١٧٨ ، براون

ج ٣ ص ٥٨ ، الشواربي - حافظ الشيرازي ص ٦٦ ابرو ص ١٤٣ - ١٤٥ وقد أشار

في حديثه الى هروب دلشاد خاتون زوجة ابي سعيد بعد وفاته والى انها كانت حامل

منه ، والذي أراد ان ابا سعيد كان عاقراً وان الغرض من ادعاء حملها كان سياسياً

لدعم مركز علي بادشاه في صراعه مع الايلخان الجديد ارباؤوف الذي هربت منه

والذي كان قد قتل عمته بغداد خاتون بعد استنكافها من توليه .

آخر الايلخانات من ذرية هولاكو وكانت وفاته ايذاناً بانتهاء حكمهم وزوال دولتهم. ويبدو لي على ضوء ما سبق ، ان مشاكل الحكم واعبائه كانت اكبر من طاقة الايلخانات جميعاً على تحمله . اذ اننا لا نجد بينهم ايلخانياً طال حكمه اكثر من عشر سنوات سوى اباقا ، اما ابو سعيد فلا عبرة لما استغرقه من زمن فإنه كان في اغلب أيامه قاصراً او محجوراً عليه .

كذلك لا نجد بين الايلخانات من مات حتف انفه ، او قتل ، ألا وهو في عز شبابه . ولعل السبب في ذلك بالاضافة الى عجزهم الاداري ، طبيعة الطفرة السريعة التي نقلتهم من حياة البداوة الى حياة الاستقرار ، والتي افقدتهم خصائص حياة الصحراء القاسية المتمثلة بالكفاح المستمر والصبر على المشاق وتمد النظر في معالجة الامور ، ولم توفر لهم سوى الكسل والرخاء والسلطان فاندفعوا بغير روية كالحجرومين وراء عواطفهم وشهواتهم وانغمسوا في الترف والفجور حتى اصبحت الحمة وارضاه الجنس اهم ما يشغل بال احدهم في حياته .

حتى اننا نستطيع القول ان الايلخانات الذين توفوا بصورة طبيعية ، توفوا نتيجة مباشرة لافراطهم في الجنس والحمر مثل اباقا واولجايتو وابي سعيد . وسوف نعود لتفصيل ذلك عند بحثنا العوامل غير المباشرة لزوال دولتهم .

اعوان الايلخان :

نائب الايلخان : — عندما أقام هولاكو نظامه السياسي في البلاد التي صفت له استمان بأبنائه وبني عمه لادارتها بمد أن ساعده في اخضاعها ، على اننا نلاحظ انه لم يكن ابناء جنكيز فقط هم الذين قادوا الجيوش خلال العمليات العسكرية التي

أمّنت فتح هذه البلاد ، بل كان جنكيز قد استعان بجانب ابنائه بعدد من امراء المغول وابطالهم الذين كانوا ملوكاً او امراء لعشائهم ، والذين التحقوا ومعهم اتباعهم في الجيوش الزاحفة ، لذلك فقد نال هؤلاء الامراء نصيبهم في ادارة البلاد بالقدر الذي احتاج اليه الايلخان .

ولما كانت طبيعة العلاقة بين هؤلاء مع الايلخان اشبه بعلاقة العبودية ، لذلك لم يكن يجرأ هؤلاء الامراء على الوقوف أمام الايلخان على قدم المساواة مع الامراء الآخرين من ابناء الأسرة .

واستمر هذا الحال غالباً طيلة عهد هولوكو وابنه اباقا ما دامت الأسرة متماسكة موحدة الزعامة .

وكان الاستقرار النسبي الذي ساد البلاد في أواخر عهد هولوكو قد دفعه بالاضافة الى تنظيم ادارة البلاد ، كما مر علينا ، دفعه الى تنظيم الجيش وتوزيعه على البلاد ليقوم بواجبه في نشر الأمن ودفع الاعتداء ، كل في منطقته ، بعد أن كان الايلخان قبل ذلك يقوم بهذه المسؤولية بنفسه متنقلاً في ارجاء البلاد .

وأدى هذا التطوير الفني في واجبات الجيش الى ضرورة ايجاد قيادة مستقلة تقوم بالتخطيط لهذه الواجبات بالنيابة عن الايلخان وتكون مسؤولة أمامه ومربطة به .

وبالرغم من أهمية هذه المسؤولية ، فان هولوكو لم يختارها واحداً من أبناء أسرته ، لما قد ينشأ عن اشغاله لها من محاذير على الايلخان نفسه ، او على أبناء الأسرة الآخرين ، بل اختار واحداً من امراء المغول الذي كان قد قضى « كما يذكر رشيد الدين » مدة في خدمة الايلخان وعرف بالاخلاص والطاعة وهو ايلكايويان ،

فأعطي قيادة الجيش وسمي بأمير الجيوش أو أمير الامراء او بكلربكي فيما بعد (١) .
وبقي أمير الجيوش بمنصبه طيلة عهد هولانكو ، وأصبح من واجبه أن يفرد
بأباقا باعتباره ولي العهد قبيل توليه المسؤولية ، لكي يقدم له الطعام والشراب ويطلع
على الأحوال وما حدث لأبيه (٢) .

وفي عهد أباقا حافظ ايلكانويان على منصبه كأمر للجيوش بالرغم من اغفال
المؤرخين لذكره ، ولكننا نستدل على ذلك مما رواه رشيد الدين عند وصول
مسعود بك الى العاصمة موفداً من قبل قايدو وبراغ ومثوله بين يدي الايلخان ،
جلس متصدراً جميع الأمراء ما عدا ايلكانويان (٣) .

ومن المحتمل انه توفي بعد ذلك ، إذ ان خواندمير في اشارته الى تنظيمات أباقا
ذكر أن الايلخان عهد بمنصب أمير الأمراء الى سونجاق نويان (٤) .
وكان المفروض أن يستمر الاحترام والهيبية حاجزاً بين الايلخان وأمرته وبين
الامراء لكي تسير عجلة الدولة على النحو الذي نشأت عليه في عهد مؤسسها ، ولكن
الزمن لا يستقر على حال واحد ، فقد طرأت أحداث عديدة أثرت على طبيعة هذه
العلاقة وطورتها .

-
- (١) جامع التواريخ م ٢ ج ٢ ص ١٠ ، ابن فضل الله . مسالك الأبصار ج ٢
ق ٢ الورقة ٢٧٩ . القلقشندي التعريف بالمصطلح الشريف ص ٤٥ .
(٢) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ١٠ .
(٣) نفس المرجع السابق ص ١٥ .
(٤) حبيب السير م ٣ ج ١ ص ٦٢ ، الشبنكاري الورقة ٣١١ ، مع العلم بان
رشيد الدين أشار عند بحثه تنظيمات أباقا الى ان سونجاق نويان تولى مسؤولية منالك
بغداد وفارس .

من ذلك ان صفة الاستقرار أصبحت أكثر انطباقاً على الايلخانية وخاصة في أواخر عهد اباقا ، كما ان اخوة السلاح التي جمعت بين ابناء الاسرة والامراء في ميدان القتال اوجدت نوعاً من الاحترام المتبادل القائم على التقدير ، فضلاً عن فارق السن والتجربة والكفاءة التي امتاز بها الامراء بالنسبة لأبناء الاسرة الذين تقدموا لتولي المسؤولية في هذه الفترة .

ونلمس هذا التطور بوضوح في اجتماع القوريلثاي الذي عقد لاختيار خلف لأباقا (١) ، حيث برز دور هؤلاء الامراء لأول مرة في تحريض ابناء الاسرة على طلب العرش ، وتقرير الايلخانية بعد ذلك لأحمد تكودار الذي كانت شروط الايلخانية أكثر انطفاً عليه ، والذي كان اغلب امراء الاسرة بجانبه ، وكافاً الايلخان الجديد كل من الامراء شبكتور نويان وسونجاق نويان على جهودهم في ايصاله للعرش (٢) . وقد أشرت سابقاً الى ان الاحداث السياسية التي رافقت تولي احمد تكودار لم تسمح له باجراء تغيير كبير في المناصب الادارية والعسكرية ، لذلك فقد استمر سونجاق نويان في منصبه كأمر للجيش .

واستطاب الامراء هذا التدخل الذي قد يحقق لهم بعض الامتيازات والمنافع ، وعاودوا التدخل ثانية لمصلحة ارغون وبقيّة الطامعين في العرش من الامراء ، واذا كانوا قد فشلوا فيما مضى في منع تكودار من الوصول الى العرش ، فانهم نجحوا بعد

(١) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ٩١ ، حيث انقسم المجتمعون الى ثلاث مجموعات

تؤيد ثلاثة مرشحين في أول الأمر .

(٢) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ٩٧ .

ذلك في القضاء عليه ، واسكنهم انقسموا ككرة اخرى في تفضيل المتنافسين (١) على بعضهم حتى فرضت القوة التي هدد بها بوقا ، فرضت ارغون على منافسيه بالرغم من انه كان اضعفهم حجة وأقلهم نصيباً في تعاليم الياسا .

وكافأ ارغون الامير يوقا على جهوده في احقاق الباطل بأن فوضه النيابة عنه في كل كبيرة وصغيرة من مصالح البلاد وأطلق يده في شؤون الوزارة والجيش ، وزاد في اكرامه عندما أمر بأن ينثر على رأسه الذهب حتى اوشك ان يخنقني تحتته (٢). وساهم الخاقان قوبلاي في تقدير عمل بوقا الذي كانت له اهمية خاصة في نظره بالنسبة لمستقبل سلطانه على البلاد (٣) ، وأصر بمنحه لقب چينكانك أي امير الامراء فكان بذلك اول امير مغولي من غير ابناء الاسرة يتلقى هذا التكريم من الخاقان ويحمل هذا اللقب (٤) .

(١) كان هناك ثلاثة مرشحين ايضاً هم هولاجو بن هولاجو ، وجوشكاب بن جمقور بن هولاجو ، وارغون بن اباقا ، انظر في هذا الموضوع ايضاً تعليق مصطفى بدر في رسالته - ايران في عهد غازان - عن دور هؤلاء الامراء في تحديد نفوذ الايلخانات واختيار الضعيف منهم ص ٥٤ .

(٢) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ١٢٨

Howorth. 3. P. 313 . D'Herbelot. P. 118.

(٣) ذلك ان التعاون الذي تم بين مختلف امراء المغول على محاربة تكودار لم يكن لغرض خلعه عن العرش فقط لمصلحة المرشحين الآخرين ، بل للقضاء على فكرة الاسلام التي اعتنقها احمد والتي اصبحت تهدد الكيان المغولي كحكم وثني بالزوال . وبالتالي تقضي على نفوذ الخاقان على الدولة الايلخانية وهو ما حدث في عهد غازان .

(٤) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ١٣٥ . العزاوي ج ١ ص ٣٢٣

Howorth . 3 . P . 320 .

وبفضل هذا التكريم والتفويض ، امتلك بوقا امتيازات واسعة وسلطات مطلقة فقد كان من هذه الامتيازات أنه لا يعاقب اذا صدر منه خطأ حتى تبلغ ذنوبه تسعة ذنوب ، وأن لا يستدعى إلا بواسطة الاياخان نفسه ، وان اوامر الاياخان لا تصبح نافذة ما لم يطلع عليها ويذيلها بختمه الأحمر ، بينما لا تحتاج اوامره الى تصديق الاياخان (١) .

ومن ملاحظة هذه الامتيازات نجد أن بوقا أصبح الحاكم الفعلي للبلاد ، وان ارغون مجرد اسم للاياخان . وباشر ارغون صلاحياته في ادارة دفة الحكم ، حيث عين أخاه وأعوانه حكاماً ومتصرفين بالبلاد . ولكن هذه الامتيازات كانت اكثر من ان تتحملها عقلية بوقا الذي لعب به الفرور فاستخف بالامراء الآخرين وأساء معاملتهم ، فأخذوا يتجمعون عليه ويتألبون ضده ويتقولون على مسمع من الاياخان بما ينقص من قدره ويشير الشك فيه ، وزاد اعوان بوقا في الطين بلة عندما اعتمدوا على قوته ومكائنه ، فأساءوا التصرف واستبدوا بالناس (٢) وبذلك أعطوا مزيداً من الادلة لاعدائهم لكي يعززوا الشك في نفس الاياخان الذي بدأ يستمع اليهم اخيراً وأخذ يقلص من الصلاحيات المعطاة له ، ويعطيها لامراء آخرين من أعدائه .

وتكاثرت الشكاوى وتكاثرت تجريدته وعزل اعوانه من مناصبهم ، وأحس بوقا

Howorth.3 P.322 .

(١)

(٢) من ذلك ان اخاه اروق احتجز أموال بغداد ولم يرسلها للخزانة فضلاً عن عدم احترامه رسل ارغون ، وكان والي تبريز لا يلتفت الى أي رسول يفد عليه حاملاً الفرمان والبايضة ما لم يكن مختوماً بخاتم بوقا الاحمر ، انظر رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ١٤١ - ١٤٢ .

بالخطر يهدده لو انكشف استغلاله لاسلطان واستثثاره بالاموال ، فمزم على استبدال الايلخان بأخر . وسمى لتنفيذ ذلك بتجديد اتصاله ببعض امراء الجيش ، ثم وقع اختياره على الامير جوشكاب أحد منافسي ارغون على العرش فأرسل يشكوه الايلخان ويمدد خدماته له لاجلاسها على العرش ، وكيف ياتي منه الآن . ثم يعرض في آخر رسالته استمداده للتعاون معه لاجلاله محله باعتبارها من ارومة هولاكو(١) . وكان من سوء حظ نائب الايلخان ان سلوكة في أيام عزه لم يترك له حبة من محبة في قلوب امراء المغول تشفع له أيام محنته ، اذ كشف جوشكاب بدافع الانتقام منه . أمره الى ارغون الذي أمر بالقضاء عليه ، فلم يقف بجانبه أحد من أعوانه ، حتى عز عليه أن يجد مكاناً يحمي به .

واتعظ ارغون بدرس بوقا فلم يعهد بمنصب النيابة لاحد من الامراء ، بل وزع القيادات بينهم كل حسب منزلته ورتبته ، وان كان قد برز من بينهم شبكتور نويان باعتبارها اكبرهم سناً (٢) .

ولكن الخطأ الذي وقع بها ارغون هو تحميله وزيره الجديد على الحكم الذي استطاع التفريق بين الامراء فاستخدم قلة منهم في اعماله ، بينما عمد الى التقليل من شأن الآخرين وحرمانهم من كثير من الامتيازات والموارد التي كانوا قد تنعموا بها فثاروا عليه ، واستغلوا غيبوبة الايلخان فانتقموا منه وتسلموا زمام السلطة ، وسموا لنقل الايلخانية من بيت اباقا لكي يخلصوا من مسؤولية اعمالهم السابقة ، ويمنوا

(١) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ١٤٣ - ١٤٤ .

D'ohsson, 4 P.15 - 23.

(٢) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ١٧٣ - ١٧٤ .

على الایلخان الجدید وجوده فی العرش فیسمح لهم بما یتبتون من سلطان ، ولكن انقسامهم على انفسهم مرة اخرى أدى الى فشلهم فی تحقیق ما عزموا علیه (١) .

ولم یتعمل کیخاتو الحزم مع الامراء بمد تولیه الایلخانية ، بل اتبع معهم سياسة اسدال الستار على ما حدث ، وأبقى شبکتور نویان فی منصب النیابة عنه عند خروجه الى بلاد الروم وفوضه كل صلاحيات السلطة المسکریة والمدنیة مدة غیابه (٢) .

ولکنه بمد عودته ، أعاد النظر فی تنظیمات الدولة وخاصة الجيش ، فبالاضافة الى انه قصر عمل الامراء على الشؤون المسکریة فقط ، فانه كذلك وسم من دائرة القيادة العامة للجيش فلم يجعلها بيد أمير واحد كما كان معمولاً به فی السابق بل جعلها مشاركة عندما أعطی الرئاسة فیها لاقبوقا نویان الذي أصبح بمنزلة القائد العام ، على أن یعاونه فیها اثنان من كبار الامراء هما شبکتور نویان القائد السابق ، وطغاجار نویان احد المتآمرین علیه (٣) .

وكان الایلخان كما یظهر یرمی من وراء هذه التجربة الى منعهم من الاتفاق علیه وبالتالي ضمان طاعتهم له . ولكن ذلك لم ینجهم من خیانتهم له وغدرهم به .

وانتقلت الایلخانية من بیت اباقا عندما تولاها یابدو الذي أحسن بفضل الامراء علیه ، فأرضاهم باعادة السلطة الیهم ووزعهم على البلاد لیمارسوا ذلك .

(١) رشید الدین م ٢ ج ٢ ص ١٦٢ - ١٦٥ .

(٢) نفس المرجع ص ١٧٥

Howarth . 3 P . 361 .

(٣) وصاف م ٣ ص ٢٦٥ ، میرخوند ج ٥ ص ١٢٣

D'ohsson . 4 . P . 95 - 96 .

وكافأ طفاجار نويان الذي كان من قدامى اصحابه فجمال منه كما يقول وصاب
بكلاء بيكي وفي قبضته زمام الملك والمال ، واختار لمعاونته اربعة من الامراء وهم
قبجق بال وتوكال وتوداجو ولكزي كوركان (١) .

ولاشك ان بايدو هدف من وراء توسيع قاعدة القيادة بهذا الشكل الى نفس
الفرض الذي سعى اليه كيخاتو فيما سبق ، لذلك جاءت نهايته مثل نهاية صاحبه ،
وعلى يد نفس هؤلاء الامراء الذين رفعوه مثلما رفعوا سلفه من قبل . ذلك ان ولاءهم
كان معرضاً للتغير عند احساسهم بالخطر ، او تغير مصلحتهم التي استطاع الآن نوروز
ان يؤمنها لهم لمصلحة غاران .

وعادت الايلخانية الى بيتها القديم بتولي غازان كرميها ، الذي اختار لنيابته
مدير اموره الامير نوروز فصدر اليرليغ بتفويضه الاشراف على كل عمل في جميع
البلاد من نهر جيحون الى الفرات (٢) .

وقد اشرت سابقاً الى ان نوروز بلغ اوج قوته بعد طرده مغول ما وراء النهر
من خراسان ، حيث اقال الوزير الزنجاني الذي كان قد اختاره الايلخان واستبدله
بالدستجرداني . الذي هو أحد اعوانه ، ووزع اخوته على المناصب الهامة في البلاط
فتولى حاجي الاشراف على الختم الملكي بالاضافة الى الشؤون المالية ، وأشرف اخوه
الآخر على الرسائل الخاصة للبلاط التي أصبحت تخضع لختمه الأحمر عند

(١) وصاب م ٣ ص ٢٨٤

Howorth . 3 . P . 378 .

(٢) وصاب م ٣ ص ٣٢٤ ، خواندمير م ٣ ج ١ ص ٨٤

Howorth . 3 . P . 399 .

صدورها للتنفيذ .

وايكن عز نوروز لم يدم اكثر من سنتين ، اذ أن غازان لم يكن ضعيف الهمة ليستكين على تحمك نائبه به . فسرعان ما تخلص منه وبأشر الامور بنفسه ، واختار لقيادة الجيش قطلوشاه نويان أحد كبار الامراء (١) . الذي لم تكن شخصيته انتظنى مع وجود غازان . ولكن مكانته تعرضت في عهد اولجايتو الذي اعطاه المكانة الاولى في الدولة من بدمه باعتباره بكربكي ، ومنحه من الامتيازات المناسبة لمركزه فأصبح من صلاحياته ان يختم بختمه الأحمر على كل أمر .

وعين اولجايتو لماوته عدداً من كبار الأمراء أمثال چوبان ، وبولاد وحسين وسونج (٢) . على أن قطلوشاه لم يحاول شأن بقية الأمراء الذين سبقوه وتولوا هذا المنصب ، لم يحاول ان يستقل هذه المكانة الكبيرة ، فيعمد الى الاستئثار بالحكم ومزاحمة الايلخان او مضايقته ، بل حافظ على علاقة الاحترام والطاعة التي كان يحملها لأولجايتو .

ومن المحتمل ان الايلخان زاد في تكريمه فمنحه لقب قطلوبوقا ، إذ ان هورث *Houorth* . أشار الى ان چوبان عندما خلف قطلوشاه في منصبه بدم وقاته ، دعي ايضاً باسم قطلوبوقا (٣) .

وعند مقتل قطلوشاه خلال حروب كيلان ، أسند الايلخان منصب أمير الأمراء

(١) ابو الفداء ج ٤ ص ٣٩ .

(٢) وصاف م ٤ ص ٤٦٧ - ٤٧٢

D'ohsson . 4 . P . 481 - 482 .

Hist . of Mongols . 3 . P . 543 . (٣)

الى چوبان (١) الذي استمر في توليه مدة حياة اولجايتو ، وبلغ من اعزاز الايلخان له انه زوجه من ابنته دولندي في أواخر أيامه .

واستطاع چوبان المحافظة على منصبه عند تولي ابي سعيد الايلخانية أمام مزاحمة الأمير سونج اتابك الايلخان القاصر ، وذلك بفضل مساندة الأمراء والوزراء الذين دفعهم الخوف من بطش الأتابك بهم الى التمسك بزعامته عليهم ، الأمر الذي أدى الى توليه منصب الوصاية على الايلخان الصغير والنيابة عنه في الحكم فأصبح الحاكم الحقيقي للدولة (٢) .

وقد استبد چوبان بالحكم أكثر من عشر سنوات ، استعان خلالها بأبنائه فولام أطراف الدولة ، وأعطى الوزارة لأحد اعوانه المدعو ركن الدين صاين بعد وفاة الوزير عليشاه كما تزوج من الأخت الثانية للايلخان المسماة ساتي بيك بعد وفاة الاولى .
وتصرف بأموال الدولة وأموالها بدون رقيب او حسيب ، وبلغ من هلو منزلته ان الخاقان المغولي في الصين أرسل اليه أحد رسله يحمل له خلعة التشریف ويمنحه لقب أمير الأمراء ، ويسلمه رسالة يشني عليه فيها لكفائه وحسن إدارته (٣) .

(١) ابرو ص ١٤ ، خواندمير م ٣ ج ١ ص ١١٠ - ١١١ ، الشبنكارى ص ٣١٩ ، وليس لدينا اشارة الى تاريخ زواجه من ابنة الايلخان ، ولكن من الواضح انه كان متزوجاً منها عند وفاة اولجايتو .

(٢) وصاف م ٥ ص ٦١٨ - ٦١٩ ، ابرو ص ٧٣ ،

D'herbelot . P . 29 .

(٣) ابرو ص ١٢١ - ١٢٣ ،

Howorth . 3 : P . 606 .

وعندما بلغ الايلخان أشده ، أصبح أشبه بالمهجور عليه مع نائب چوبان في البلاط الذي كان يتولى شؤونه نيابة عن الايلخان وچوبان في وقت واحد ، ذلك هو دمشق خراجة بن چوبان الذي كان سوء تصرفه مع الايلخان من أهم الأسباب التي دفعت ابا سعيد الى مغامرة التمرد على وصاية چوبان ونجاحه في القضاء عليه وعلى امرته (١). وتشجع ابو سعيد بعد خلاصه من تحكم چوبان على ممارسة السلطة بنفسه ، فلم يعهد بمنصب امير الأمراء لأحد من الامراء ، وقاوم كل المحاولات التي بذها الامير نارين طغاي لاحتلال مكانة چوبان ، حتى المسلحة منها والتي ادت الى مقتله . على اننا سنرى ان ابا سعيد في الوقت الذي احتفظ فيه لنفسه بقيادة الجيش ، كان قد سلم امور الحكم لوزيره غياث الدين محمد الذي كان يديره بالتعاون مع زوجة الايلخان بغداد خانون .



الوزير الايلخاني - صاحب ديوان الممالك :

ويعمل هذا المنصب نموذجاً لاستمانة المغول بأبناء البلاد لتنظيم امورهم وأحوال بلادهم .

فقد كان المغول رجال حرب فقط ، ولم يكونوا بحاجة الى جهاز إداري لتنظيم حياتهم البسيطة في الصحراء التي تقوم على عدم الاستقرار ، ولكنهم عندما تطلعوا الى البلاد المجاورة وفرضوا عليها سلطانهم ، كان لابد لهم من تنظيم علاقتهم بأبناء

(١) تاريخ كزيدة ص ٦٠٨ - ٦١٠ ، ابرو ص ١١٧ - ١٣٩ ، ابن بطوطة

١٦ ص ١٤٤ - ١٤٥ .

البلاد المفتوحة لتأمين جباية اموالهم على الاقل ، وقد استعان جنگيز ببعض الصينيين وبيعض المسلمين ، وكذلك فعل ابناؤه من بعده ، وكذلك كان شأن هولاءكو عند زحفه نحو بغداد ، فقد كان الى جانبه عدد من المسلمين الذين كانوا يقومون بتدعيمه الصرغ على حملته وتأمين موارد ذلك من الضرائب التي فرضت على امراء البلاد ومتوليها والذين كانوا قد توارثوا هذا العمل عن الدولة الخوارزمية وغيرها من الدول التي كانت قبل الاحتلال المغولي .

وعند قيام الدولة الايلخانية كان لدى هولاءكو اكثر من واحد يقوم بهذه العملية ، ولكن الذي اشتهر من بينهم هو سيف الدين البيتكري الذي كان يسميه رشيد الدين بالوزير الخاص . والذي غضب عليه هولاءكو بسبب بعض الشكاوى فقتله في محرم ٦٦١ هـ / ١٢٦٢ م (١) .

وبالرغم من ان هنا الاعمال من صميم اعمال الوزارة ، إلا ان القائم بها لم يكن يتسمى باسم الوزير ، بل كان يطلق عليه اسم صاحب الديوان ، او صاحب ديوان الممالك ، وفي هذا يشير رشيد الدين الى انه « لما كان هولاءكو قد قتل الامير سيف الدين البيتكري ، فقد رفع الصاحب شمس الدين محمد الجويني ، وفوض اليه منصب صاحب الديوان للبلاد كلها وأطلق يده وقواها في حل الأمور وعقدتها وترتيبها وضبطها » (٢) .

(١) جامع التواريخ م ٢ ج ١ ص ٣٣٣

(٢) نفس المرجع ص ٣٣٨ ، خواندمير م ٣ ج ١ ص ٥٩ - ٦٠ ، الحوادث

الجامعة ص ٣٣٩ ، ترجمة المعارف الاسلامية م ٧ - الجويني ص ١٨٠ . ويعلق -

• اما اتخاذ لقب «الوزير» فقد جاء بمرئء في عهد ابيدو الذي منح هذا المنصب الى جمال الدين الدستجرداني ، وأمر باستبدال لقب صاحب الديوان باسم الوزير تفاؤلا منه بأنه سينجح في تنظيم امور الدولة المضطربة (١) .

وتطورت اعمال صاحب الديوان مع تطور الدولة وتوسم اجهزتها ، فبعد ان كان عمله بسيطاً لا يتعمد جمع الاموال وتنظيم حساباتها وتقديم تقرير للايلخان كل سنة عن موارد البلاد وأوجه انفاقها ، أصبح من واجبه ان يقوم ايضاً بتحرير الرسائل على اختلاف انواعها لارسالها الى الجهات المختلفة ، وأصبح من واجبه كذلك اختيار وعزل متصرفي البلاد ومحاسبتهم وانزال العقاب بهم ان اقتضى الحال ، حتى بلغ من أمر بعضهم ان فوضت اليه البلاد ، ومنع الامراء والخوانين من الاعتراض عليه او مخالفة اوامره ، كما هو الحال بالنسبة لبوقا الذي جمع بين النيابة والوزارة لأرغون ، وصدر الدين الزنجاني - صدر جهان - الذي أصدر له كيخاتو أمراً يؤكد فيه ان ادارة الدولة من جيحون حتى حدود مصر قد عهدت اليه ، وله السلطة في تعيين من يشاء في الوظائف ، وان جميع نواب الخواتين والامراء يعود امرهم اليه ، ومنهم أمراء الاسرة وامراء الجيش من احتجاز أي مبلغ من الضرائب لهم (٢) .

- مصطفى بدر في رسالته - ايران في عهد غازان ص ١٢٠ بقوله في اوائل العهد الايلخاني كان يوجد منصب الوزارة وان لم يوجد اسم الوزير ، وكان متولي هذا المنصب يسمى صاحب الديوان .

(١) وصاف م ٣ ص ٢٨٤ .

(٢) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ١٢٨ - بالنسبة لسلطات بوقا . اما بالنسبة

لتفويض كيخاتو لوزير صدر جهان فانظر

D'ohsson . 4 . P . 98 99 . *Howorth* . 3 . P . 369 .

ولعل الصورة التي يقدمها لنا ابن فضل الله عن واجبات الوزير وصلحياته تمثل ما وصل اليه تطور اعمال الوزارة ، وما تمتع به الوزير من تفوذ ومكانة ، وهي في نفس الوقت تنطبق على آخر الوزراء غياث الدين محمد بن رشيد الدين وزير ابي سعيد . قال ابن فضل الله نقلاً عن نظام الدين بن الحكيم الطياري : « إن السلاطين بها لا التفات لهم الى أمر ولا نهى في البلاد ولا في متحصلات الدخل والخرج فيها ، بل الوزير هو حامل هذه الأعباء وله التصرف المطلق في الولاية والعزل والطاء والمنع ، لا يشاور السلطان الاعلى ما جل من المهمات او في ما قل من الامور ، بل هو السلطان حقيقة ، وصاحب البلاد معنى ، واليه ترجع الامور كلها ويده عقدها وحلها » (١) . ونظراً لعظم هذه المسؤوليات التي اصبح يقوم بها الوزير ، فلا بد لمن يرشح لهذا المنصب ان يتحلى ببعض الصفات التي تؤهله الاستطاعة بها ، من ذلك ان يكون متعلماً واسع الاطلاع على العلوم المختلفة الرأبجية في ذلك الوقت كالحساب والفلك وعلوم الدين والأدب ، وكذلك يجب ان يتقن اكثر من لغة ، وخاصة الفارسية والمغولية والتركية ، ليستطيع التعبير بها عن المعاني المطلوبة ، اذ كثيراً ما يكون في اسلوب الكتابة من قوة التعبير ما يحقق الغرض ويعفي الدولة من ارسال الجيوش ، ويقدم لنا كاترمير نموذجاً لذلك في الوزير رشيد الدين الذي كان يحسن عدة لغات ،

(١) ابن فضل الله - مسالك الابصار ج ٢ ق ٢ الورقة ٢٧٩ . انظر ايضاً الورقة ٢٨٥ في مسؤوليته عن الشكاوى التي تتعلق بامور الجيش . انظر ايضاً التعريف بالمصطلح الشريف ص ٤٦ . وامتنسخ القلقشندي هذه التعليمات في صبح الأعشى ج ٤ ص ٤٢٣ ، ٤٢٤ .

ألف في بعضها العديد من المؤلفات (١) .

على ان هذه الشروط لم تكن تراعى دائماً من قبل الايلاخانات ، اذ كثيراً ما تلعب عوامل اخرى في اختيارهم ، من ذلك الاموال الكثيرة والهدايا التي يقدمها الطامعون في الوزارة الى الايلاخان لكي يفضاهم على غيرهم ، كما فعل صدر الدين الزنجاني مثلاً مع كينخاتو حيث كان ينافسه في طلبها طامع آخر هو شمس الدين احمد لاكوشي (٢) .

وكما فعل ايضاً الوزير عليشاه التبريزي مع اولجايتو ، فقد كان مسماراً في سوق الجواهر والحزير ، ولم يكن يحسن حتى القراءة والكتابة ، ولكن أحسن الوصول الى قلب الايلاخان وحریم قصوره (٣) .

ومن هذه العوامل ايضاً نفوذ الامراء وتدخلهم في اختيار الوزراء من اعوانهم من ذلك ما مر علينا من قيام الامير نوروز بعزل صدر الدين الزنجاني وتعيين جمال الدين الدستجرداني وكما فعل چوبان ايضاً بعد وفاة عليشاه من اختيار ركن الدين صباين للوزارة .

(١) مقدمة كاترمير لجامع التواريخ م ٢ ج ١ ص ٧٤ - ٧٩ ، انظر ايضاً دراسة الصياد لرشيد الدين ومؤلفه جامع التواريخ وما استخلصه من ملاحظات في ص ٤٥٥ وما بعدها .

(٢) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ١٧٨ .

(٣) ابرو ص ٤١ - ٤٨ . انظر ايضاً ابو القاسم الكاشاني ، تاريخ اولجايتو في حوادث سنة ٧١١ هـ الورقة ٨٢ - ٨٦ نقلاً عن مقدمة تاريخ المغول ليلوشيه ، معتمداً في ذلك على ترجمة خاصة بالدكتور فؤاد الصياد . انظر ايضاً مقدمة جامع التواريخ م ٢ ج ١ ص ٤٤ .

وينقل لنا هورث (١) الحديث الذي دار بين هذا الوزير وچوبان والذي يكشف عن مدى تنفيذ هؤلاء الامراء وتدخلهم في ذلك . قال ركن الدين ان العادة جرت بأن يكون منصب الوزارة بمهده احد اتباع اكبر الامراء في الدولة ، ففي عهد ارغون حفظ اردوقيا منصب الوزارة لسعد الدولة . وفي زمن كيخاتو حفظ طقاچار للمنصب لصنيتمه صدر الدين ، وفي عهد غازان حفظ نارين اغا ذلك لسعد الدين الساوجي ، وفي عهد اولجايتو حفظ حسين كور كان ذلك لعاميشاه ، وسيدنا « يقصد چوبان » ليس أقل من هؤلاء .

ولم يكن للوزارة بناية مستقلة بها ، وانما كان مكانها بلاط الايلخان حيث كان على الوزير ملازمة بابه ، وكثيراً ما كان ينفرد بالدخول عليه دون بقية الامراء وقد مر علينا انه خلال اعتكاف ارغون كان الوزير وبعض اعوانه من الامراء ، هم للوحيدون الذين يدخلون عليه ، وكذلك ينقل القلقشندي عن ابن فضل الله قوله :
ويدخل الوزير على القان في بكرة كل يوم (٢) .

اما السجلات وما يتعلق بأمر الديوان فكان الوزير يحتفظ بها في منزله ، يشير الى ذلك رشيد الدين انه عندما غضب ارغون على نائبه يوقا امر بنقل الديوان والسجلات من داره (٣) .

ومن متعلقات الوزارة ، الختم الخاص بها الذي يعلم به الوزير على الأوامر والمراسيم التي تصدر عن الايلخان وكثيراً ما كان الولاة يرفضون تنفيذ ما يحمله اليهم

(١) Howorth . 3 . P . 605 .

(٢) القلقشندي صبح الأعشى ج ٤ ص ٤٢٧ ، ٤٢٨ .

(٣) جامع التواريخ م ٢ ج ٢ ص ١٤٢ - ١٤٣ .

الرسول من أوامر الايلخان نفسه ما لم يكن يحمل بصمة ختم الوزير .
 ونلاحظ انه عندما قام النزاع بين الوزيرين رشيد الدين وعليشاه في زمن
 اولجايتو ، اتهم رشيد الدين زميله بالاستيلاء على اموال الدولة ، ثم جوابه عند
 اعتراض عليشاه عليه بقوله « ذلك لأنك الوزير الحقيقي ، وموضع الثقة ، وانك
 انت وحدك المستحوذ على الخاتم السامي والمكلف بتنفيذ اوامر الايلخان » (١) .
 ولم تنجح فكرة المشاركة بالوزارة التي ابتدعها غازان عندما اصطنع كلا من
 رشيد الدين وسعد الدين الساوجي فيها (٢) .

وأرى ان ذلك كان انعكاساً لانفراده بالسلطة بمد تخلصه من سيطرة نوروز
 عليه ومحاولته ضمان النجاح عن طريق توزيع المسؤوليات على أكثر من واحد من
 الوزراء ، فقد منعت شخصية غازان القوية الوزراء من الاختلاف حتى عهد اولجايتو
 الذي ورث عن اخيه اسلوب المشاركة فلم يغير حتى من افرادها ، لكنه اضطر عندما
 لم تفد نصائحه في إزالة اسباب الخلاف بين الشريكين الى اعدام احدها . ثم لم يبق
 رشيد الدين وحده يتحمل المسؤولية ليحسن القيام بها بل شاركه بعليشاه (٣) .

(١) جامع التواريخ م ٢ ج ١ ص ٤٢ ، م ٢ ج ٢ ص ١٤٢ ، الصياد - مؤرخ
 المغول الكبير ص ١٦٥ ، وينقل هورث ج ٣ ص ٣٦٨ انه عندما منح كيخاتو الوزارة
 لصدر الدين الزنجاني أعطاه ختم ذهبي عليه رأس اسد بالاضافة الى امتيازات اخرى .
 (٢) مقدمة كاترمير لجامع التواريخ م ٢ ج ١ ص ١٥ .

Howorth . 3 . P . 456 .

(٣) الشبتكاري - مجمع الأنساب ، ص ٣١٩ . منجم باشي م ٣ - صحائف

الأخبار ص ٣ .

وبذلك أبقى على اسباب الخلاف .

وانتهت هذه المشاركة بالفشل عندما تولى ابو سعيد الايلخانية واستيلاء
چوبان على الحكم والذي لم يكن حريصاً على ابعاد رأس رشيد الدين عن سيف الجلاذ
أمام مغريات ووسائل شريكه عليشاه الذي انفرد بالوزارة وحده (١) .

وعلى العكس من كان يتمتع به الوزير في العصر العباسي من ألقاب فخمة
فان الوزير الايلخاني كان محروماً من ذلك بالرغم مما وصل اليه بعضهم من قوة وتسلط
ولعل صدر الدين الزنجاني هو الوزير الوحيد الذي منح لقب « صدر جهان » من
قبل كيخاتو ، والذي قد يكون اشتراه منه بالمال كما اشترى الوزارة نفسها (٢) .

بينما يشير هورث الى ان ابا سعيد تقديراً منه للشجاعة التي أبداهها وزيره
عليشاه الذي كان اول من تصدى للعدو ، فقد أنعم عليه بشعار الصيد المغولي (٣) .
وبالرغم من ان الواجب الاساسي للوزير هو الاشراف على التنظيمات المالية
للدولة ، إلا ان بعض الوزراء لم يكونوا مهتمين عن النشاطات العامة للمجتمع
وخاصة في المجالات العلمية والأدبية ، فقد ساهم بعضهم بالحفاظ على الحركة العلمية
ودعمها بتشجيع العلماء والأدباء ، وتخصيص المكافآت لهم وعقد الندوات معهم .
ويمكن القول انه في الفترة الاولى من العهد الايلخاني حتى غازان ، كان الوزير هو

(١) مقدمة كاترمير لجامع التواريخ م ٢ ج ١ ص ٥٠ - ٥٥ ، BR ج ٣

ص ٥١ - ٥٢ .

(٢) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ٧٩ .

(٣) وكان ذلك عندما تأمر الأمراء لقتل چوبان فلاحقوه حتى العاصمة فوقف

الإيلخان والوزير بجانبه .

المسؤول عن رعاية الحركة الادبية في البلاد ، يدفعه الى ذلك شعوره بأهميتها وميله الطبيعي نحو هذا النوع من الثقافة (١) التي هي ثقافة مجتمعة وليس ثقافة السلطة السيامية التي ياتمر بأوامرها ، ونذكر في هذا المجال دور الوزير شمس الدين الجويني وأخيه علاء الدين في بغداد اللذين يعود اليهما الفضل في الحفاظ على ما تبقى من التراث الفكري بعد سقوط بغداد وفي تشجيعهما العلماء على مواصلة البحث والتأليف وتخصيص الاموال الطائلة لهم

وينقل الذهبي صورة لنشاطهما في هذا المجال بقوله : « وحكى غير واحد ان ابنا قدم المراق فاجتمع العيد والصاحب شمس الدين ببغداد ، فأحصيت الجوائز والصلوات التي فرقها ، فكانت اكثر من الف جائزة ، وكان الرجل الفاضل اذا صنف كتاباً ونسبه اليهما تكون جائزته الف دينار .. وكان لهما احسان الى العلماء والصلحاء » (٢) .

وفي الفترة الثانية حيث اعتنق الايلخانات الاسلام ، تعاون الايلخان ووزراؤه على تدعيم النشاط الثقافي كجزء من واجباتهم نحو الاسلام .

وبرز في هذا المجال الوزير رشيد الدين فضل الله الذي كان هو نفسه احد العلماء . كما برز ابنه من بعده غياث الدين محمد الذي حكم دولة ابي سعيد بمدن بحررها من سيطرة چوبان ، والذي كان يجتمع بالعلماء والفقهاء ليلة الجمعة من كل اسبوع

(١) باعتباره مسلماً ، وباعتبارها وجهاً من أوجه التعبير عن حيوية الاسلام .

(٢) الذهبي - تاريخ الاسلام - الورقة ٦ - ٧ في وفيات سنة ٦٨١ وفاة

عطا ملك .

يطارحهم الحديث حول العلوم والآداب ، وكان يگافی البارز منهم بتقريره من مگان جلوسه واغداق الاموال عليه (١) .

ومما ساعد الوزراء على هذه الرعاية وهذا الانفاق ، ما كانوا يحصلون عليه من الاموال نظير خدمتهم للدرلة ، وليس لدينا ما يشير الى مقدار ما يتقاضاه الوزير بشكل واضح ، ولكن ابن فضل الله يذكر ان ارزاقه كانت مائة وخمسين تومانا وهو الف الف وخمسمائة الف دينار في السنة ، ثم يقول : « ولا يقنع بعشرة اضعاف هذا في تقارير البلاد » (٢) .

ويملق حمد الله الفزويني على الوزير شمس الدين الجويني بأنه استطاع بحسن تدبيره ان يحصل لنفسه على ضياع شاسعة وثروة عظيمة ، ويقال ان دخله اليومي من ضياعه بلغ تومانا (٣) .

واسكن شمس الدين يعترف بأن أملاكه وضياعه لا تدر عليه سوى الف دينار كل يوم وذلك في جوابه على أسئلة المحققين معه قبيل مقتله (٤) .

(١) انظر في ذلك مقدمة كترميم لجامع التواريخ م ٢ ج ١ ص ٦٧ - ٦٨ .
الصياد - مؤرخ المغول الكبير ص ٢٠٢ وما بعدها في التدليل على مكانة الوزير ودوره في النشاط الادبي .

(٤) أثرت سابقاً الى ان التومان يعادل هنا عشرة آلاف دينار ، انظر مسالك الابصار ج ٢ ق ٣ الورقة ٣٨١ وهو يعتمد في حديثه على ابي الفضائل بن الحكيم الطياري . انظر ايضاً القلقشندي ج ٢ ص ٤٢٦ .

(٣) نقل ذلك بارنولد في ترجمة المعارف الاسلامية م ٧ - الجويني - ص ١٨٢ .

(٤) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ١٣١ .

ومن هذا نستنتج ان الوزير كان يتقاضى مبالغ ضخمة من عمله بشكل مباشر وغير مباشر ، و اذا كانت هذه الثروة قد مكنت بعض الوزراء للاتفاق منها على عمل الخير ، فانها كانت في نفس الوقت مجلبة للتحصن لهم . ذلك ان الطمر لعب باعطاف الكثير من الطامعيز من اعوانهم ، ودفعهم الى حسدهم واحصاء نعمهم وبالتالي الى التفتيش عن مثالبهم الموشاية والايقاع بهم ، ومن ثم للحلول محلهم .

وكان من نتيجة ذلك ان احداً ممن تولى منصب الوزارة لم يسلم من سيف الجلاد الا واحداً منهم كان الاولي به ان يقع تحت طائلته ذلك هو الوزير عليشاه التبريزي الذي توفي حتف انقه (١) .

ثانياً : النظام الاداري - حكومة بغداد :-

اشرنا فيما سبق الى ان كل ايلخان كان بعد توليه يقوم بتنظيم ادارة البلاد فيرسل الامراء الى الولايات المختلفة ليقوموا بذلك نيابة عنه .

وكان العراق العربي (٢) واحداً من هذه الولايات ، ولكن تنظيمه كان سابقاً على غيره ، اذ ان هولاء كو نفسه قام باجرائه ، بعد اخضاعه بغداد وعوته عنها .

(١) مقدمة كاترمير لجامع التواريخ م ٢ ج ١ ص ٥٩ . براون ج ٣ ص ٥٤ ،

Elliot . I - Et'ographical index . P . 4 .

الصياد - مؤرخ المغول الكبير ص ١٨٧ .

Howorth . 3 . P . 604 .

(٢) تمييزاً له عن العران العجمي الذي يشمل اصفهان وهمدان ، الري ،

اذربيجان ، بلاد الجبال .

ويمثل النظام الإداري الذي أقامه هولانكو ببغداد نموذجاً للنقص الحضاري

عند المغول من جهة ، وإلى استمرار حاجتهم إلى أبناء البلاد من جهة أخرى .

فقد سعى هولانكو إلى استخدام كل من بقي من موظفي الخلافة السابقين الذين

سمعوا لخدمته ، للاستفادة من خبراتهم (١) . كما كاد كل من تقرب إليهم بالخدمة

والسماوية بمنحهم المناصب الكبيرة ليكونوا أداة اغراء للآخرين (٢) .

ويرسم لنا المؤرخون صورة لحكومة بغداد ، فقد كانت السلطة المدنية فيها

بيد أبناء البلاد ممثلة بالوزير ابن العلقمي الذي أبقاه هولانكو في منصبه كوزير

للحكومة الجديدة ، وكذلك صاحب الديوان فخر الدين الدامغاني ، الذي بقي يتولى

رئاسة الديوان ، بالإضافة إلى قاضي القضاة ، ونجم الدين بن الدرناوس وشرف الدين

العلوي المعروف بالطويل ، وأضاف إليهم هولانكو أحد المترلفين إليه وهو نجم الدين

(١) وفي هذا المعنى يشير ابن فضل الله ج ٢ ق ٢ الورقة ٢٨٦ في قوله : ولقد

هولانكو من أول ما أخذ من بغداد على نية إجراء الأمور في مجاريها وإبقاء الأحوال

على ما كانت عليه ، ولكنه ما تهيأ له ذلك لشدة من كان معه على المغولية ، وإفراط

تخوف الناس منهم ، فانهم لكثرة خوفهم تجنبوا لقاءه ، فزال عنهم رتبهم وتغيرت

عليهم أحوالهم ، ولقد كان يقنع منهم بالطاعة والانقياد والمداراة بالمال عن استئصال

البلاد ولكن المقادير لا ترد سهامها ولا تصد أحكامها .

(٢) وهنا ينطبق وصف *D'ohsson* على سياسة المغول قوله : إن حكومتهم

كانت تعمل على نشر الفساد فتقضى كل من عرف بالشرف والنبيل وتقرب كل من اشتهر

بالضعف والحقسة وتجزيمهم على طاعتهم الذليلة . انظر براون ج ٢ ص ٥٥٢ - ٥٥٣ ،

نقلًا عن دوسون ج ١ ص ٦ .

أحمد بن عران الذي كان قد منحه لقب الملك وأعطاه مسؤولية الأعمال الشرقية لبغداد
وخوله التعاون في الحكم مع الوزير وصاحب الديوان .

أما السلطة العسكرية :

فقد فوضها هولاًكو إلى المغول متمثلة في الشحنة على بهادر الخراساني ()
بالإضافة إلى فرقة من الجيش المغولي مكونة من ثلاثة آلاف جندي يقودهم الملكاوتيان
وقرابوقا ، لتقوم بحفظ الأمن الداخلي والدفاع الخارجي بالإضافة إلى قيامها مؤقتاً
بأمر إعمار البلاد بعد التخريب الذي كان قد أصابها (٢) .

وقام الوزير بعد عودته من معسكر هولاًكو بالتعاون مع الآخرين الذين كانوا
قد استلموا مثله أسر التعمين من هولاًكو ، قام بتنظيم إدارة البلاد ، فاختار لها
الصدور والنظار والنواب (٣) ، ومن ملاحظة توزيع هؤلاء الموظفين على أعمال

(١) اعتمد المغول في اختيار الشحنة على بني جنسهم فقط لأهمية هذا المنصب
في إدامة الولاء للحكم المغولي ، ولكننا نلاحظ أن أول هؤلاء لم يكن مغولياً بل
كان خراسانياً ، ويظهر أنه كان من المقربين إليهم حتى استحق توليه ، على أن هولاًكو
كان قد وضع بجانبه حامية عسكرية في هذه الفترة يقودها بعض كبار قادتهم لتحقيق
أغراض الاحتلال المغولي والدفاع عن وجوده .

(٢) ابن العبري ص ٢٧٢ ، الحوادث الجامعة ص ٣٣١ ، رشيد الدين م ٢
ج ١ ص ٢٩٥ ، العزاوي ج ١ ص ٢٠١-٢٠٢ خصباك . الإدارة الإيلخانية في
العراق . ص ١٢ ، مجلة كلية الآداب - بغداد العدد الأول - يونيو ١٩٥٩ م .
(٣) الحوادث الجامعة ص ٣٣٣-٣٣٣ ، العزاوي ج ١ ص ٢٠٢ . والصدر-

العراق المختلفة ، كالأعمال الفراتية وواسط ، البصرة ، والحلة ، الكوفة ، دجيل ،
وشرقي بغداد التي كانت تشمل طريق خراسان ، الخالص البندنيجين حتى خاقين ،
نجد أن المغول لم يغيروا من التقسيمات الادارية التي كان عليها العراق في العصر
العباسي الأخير .

واختار الوزير ايضاً بعض الموظفين لمساعدته في بغداد ، فأبقى عز الدين بن
ابي الحديد في كتابة السلة ، وعين لنيابة الشرطة عز الدين بن الموسوي ، وأعطى
خزانة الديوان للشيخ عبد الصمد بن ابي الجيش .

وتجلى حرص المغول على دعم هذا الجهاز وأنجاحه ، أنهم ورثوا مناصبه
لتحقيق ذلك ، فبعد أشهر قليلة من قيامه توفي الوزير ابن العلقمي ، فخلقه ابنه
عز الدين ابو الفضل ، وتوفي كذلك تاج الدين علي بن الدوامي حاجب الباب الذي
كان قد خرج مع الوزير الى هولاء فولاه صدر الاعمال الفراتية ، فخلقه ابنه
محمد الدين حسين (١) .

وبالرغم من ارتباط هذا الجهاز الاداري بهولاء مباشرة حيث يستمد منه
التوجيهات ، ويعرض عليه الامور ، إلا ان السلطة الحقيقية في البلاد كانت بيد

— هو المتصرف او الحاكم الذي يتولى مسؤولية اقليم من البلاد ويكون مسؤولاً أمام
صاحب الديوان ، اما تعيينه فيكون من قبل صاحب الديوان ، وفي بعض الاحيان
يكون من قبل الايلخان نفسه ، وحينئذ لا يكون لصاحب الديوان عليه سلطان .
(١) الحوادث الجامعة ص ٣٣٢ ، ٣٣٣ . وتوفي الوزير العلقمي في جمادى

الإولي ٦٥٦ هـ .

الشحنة المغولي وليس بيد الوزير الذي كثيراً ما تعرض لاحتقار الشحنة وسوء معاملته (١) .

وعند وفاة الوزير في ذي الحجة ٦٥٧ هـ لم ير المغول تعيين آخر خلفاً له ، وأصبح صاحب الديوان يسد مسده .

ومن المحتمل انه في هذه الفترة اختارت السلطة العسكرية ، او الشحنة ، ممثلاً لها ، يشارك السلطة المدنية فيحضر الديوان مع الجماعة وينقل اليهم التعليمات ، ويشرف على تنفيذها ، وكان هذا المنسوب هو عماد الدين عمر بن محمد القزويني (٢) .

(١) ينقل صاحب الحوادث الجامعة نموذجاً لهذا الاحتقار عندما دخل الشحنة الديوان مرة فرأى فرس الوزير وعليها مظاهر الزينة كما جرت عادة الوزارة في زمن الخلافة ، فوقف وأراق الماء على مشدتها وأمر باخراجها من الدركاة ، وأنكر هذا الوضع . انظر ص ٣٤٠ - ٣٤١ ، العزاوي ج ١ ص ٢٣٥ .

(٢) هناك غموض وتناقض في أمر القزويني ونيابته وتاريخها ، بين المؤرخين . فرشيد الدين م ٢ ج ١ ص ٢٩٥ يشير الى تعيينه نائباً للأمير قرائني ، ولكنه لا يذكر شيئاً عن قرائني ومكانته والعمل الذي يقوم به القزويني نيابة عنه ، ويوضح العزاوي ج ١ ص ١٦٨ ان الامير قرائني البيتكجي كان من اعظم الامراء ومن مدبري مملكة هولاء وقد رافقه في الحملة .

وعند مجئه تنظيمات حكومة بغداد ص ٢٠٣ يذكر ان الامير قرائني عين القزويني نائباً عن الوزير فكان يحضر الديوان مع الجماعة . اما صاحب الحوادث فيذكر في ص ٣٣٢ وصول الامير قرابوغا الى بغداد وانه عين القزويني نائباً عنه للحضور في الديوان . وقد بقي في عمله هذا حتى بعد تعيين عطا ملك الجويني حيث أصبح كما يظهر -

وعند توجهه صاحب الديوان في سنة ٦٥٧ هـ الى بلاط هولابكو «الأردو» كما جرت العادة ، ليعرض عليه امور العراق وبرفته صدور اعمال البلاد . استطاع في أول الأمر ارضاء الايلخان بما عرضه عليه من حسن سير الادارة فيه ، حتى ارشك الايلخان أن يفوض اليه البلاد ، لولا ان وشى به احد اعوان المغول من الصدور وهو نجم الدين بن عمران الذي اتهم صاحب الديوان بأنه اطلق من سجن المدائن احد ابناه الاسرة العباسية ، فأمر الايلخان باعتقاله حيث توفي بعد ذلك فيه ، وامسند الايلخان اعمال الديوان الى الصدر نجم الدين بن المعين الذي كان يتولى صدارة الاعمال الحلية والكوفية ، والذي لم يطل به الأجل ، فقد دامه الموت عند وصوله بغداد فلم يباشر شيئاً من العمل (١) .

وتكاملت صورة الجهاز الاداري ، وتوضحت سلطاته سنة ٦٥٧ هـ عندما تولى مسؤوليته علاء الدين عطا ملك الجويني (٢) ، الذي استطاع إعادة الأمن والاستقرار

– نائباً عن الشحنة في الديوان . انظر ص ٣٣٩ ، ٣٤٦ ، ٣٤٨ .

ويظهر ان القزويني هذا كان من المقربين للمغول ، فقد رافق هولابكو في حملته على الشام وتولى النيابة على حلب بعد احتلالها ، وعند عودة هولابكو أعاده الى بغداد انظر في ذلك : العيني الورقة ٤٢٨ – ٤٢٩ في حوادث سنة ٦٥٨ هـ ، ببشوف – تحف الانباء في تاريخ حلب الشهباء ص ٨٠ .

(١) ابن الفوطي تلخيص مجمع الآداب ج ٤ ق ٣ ص ٩٩ ، الحوادث الجامعة

ص ٣٣٨ .

(٢) هناك خلاف في تاريخ تعيين عطا ملك لولاية بغداد ، وبالتالي في تعيين

أخيه شمس الدين محمد لديوان الممالك ، فرشيد الدين يذكر ذلك في سنة ٦٦١ هـ ؛

الى البلاد، فتوفرت خيراته وزاد رخاؤه حتى قيل ان بغداد في عهده اصبحت اجود مما كانت عليه في أيام الخلافة (١) .

وتمثلت هذه الصورة ؛ في ان علاء الدين اصبح المسؤول المباشر عن ديوان العراق ، او عن شؤون الحكم في العراق .

ومن الناحية الرسمية ، لم يكن علاء الدين منفرداً بهذه المسؤولية ، فقد

— اما صاحب الحوادث الجامعة فيذكر تعيينه في سنة ٦٥٧ هـ وقد أخذت به معتمدا على عاملين اولهما ان العزاوي ج ١ ص ٢٣٦ — عندما أخذ بهذا الرأي استند الى ما جاء عن عطا ملك نفسه في رسالة له يقال لها « تسلية الاخوان » ان تاريخ تعيينه كان سنة ٦٤٧ هـ وتفصيل الخبر كآتي : « ان القادر تعالى ... انتزع بمالك العراق وبغداد ... من أيدي بني العباس وتصرفهم وأودعها ليد السلطان هولاءكو ... وفي شهر سنة ٦٥٧ هـ أي بعد وقعة بغداد بسنة ، قد أسندت هذه المملكة وفوضت إلي لأقوم بمهامها » .

ومما يؤيد أن عطا ملك كان على رأس الديوان في هذا التاريخ ما أورده ابن الفوطي في معجم ألقابه ج ٤ ق ١ ص ١٢٧ - ١٢٨ في حديثه عن عز الدين الحسين بن كندج الذي قبض عليه في الديوان سنة ٦٥٨ هـ مع آخرين من أعوان صاحب الديوان عطا ملك الذي قبض عليه في نفس الوقت بتدبير الشحنة بهادر ومعاونه القزويني كما أشرت الى ذلك اعلاه .

وقد أخذ بهذا الرأي ايضاً الدكتور جعفر خصباك في مقالة الادارة الايلاخانية في العراق ص ١٣ .

(١) الذهبي - تاريخ الاسلام الورقة ٦ - ٧ في وفيات سنة ٦٨١ هـ . فوات الوفيات ج ٢ ص ٧٥ بارتولد ترجمة المعارف الاسلامية م ٧ - الجويني - ص ١٨٤ - ١٨٥ .

كان يشاركه فيها عماد الدين عمر القزويني الذي كان اشبه بالمشرف عليه او الرقيب .
وكان علاه الدين يستعين ايضاً بعدد من الموظفين والكتبة لانجاز اعمال
الديوان في بغداد مثل كاتب السلة (١) ، وكاتب الانشاء ، وخازن الديوان ، كما كان
يستعين بعدد آخر من النواب او الصدور والمظار للاشراف على أعمال البلاد الاخرى
هذا بالاضافة الى عدد من القضاة والمدرسين .

اما مسؤولية الامن :

فقد أشرت الى ان هولاء كانوا قد ترك بعض الفرق المغولية بقيادة بعض كبار
أمرء المغول لتتولى حماية البلاد من الاعتداء الخارجي ، كما ترك الشحنة . او الحاكم
العسكري . وهو من المغول عادة ، وقد أنيطت به مسؤولية الأمن الداخلي ،
بالاضافة الى تعاونه مع القوات المغولية في صد الهجمات التي قد تقع على البلاد من
الخارج كما حصل عندما زحف الخليفة العباسي الجديد المستنصر بالله ابو القاسم
الاسود (٢) بأصحابه لاسترجاع بغداد .

وكان يرتبط بالشحنة صاحب الشرطة وهو من ابناء البلاد عادة ، ويتولى
مساعدته في حفظ الأمن في اطراف بغداد ويراقب اللصوص ويلاحق القتلة .

(١) ليس بين أيدينا ما يوضح حقيقة عمل كاتب السلة ، ولكنني أرى على ضوء
اتصالات الاشخاص الذين تولوها وعلاقتهم ، أرى انها وظيفة تتعلق بالشؤون
المالية للديوان .

(٢) أشرنا فيما سبق الى قيام المماليك باحياء الخلافة العباسية ونقلها الى القاهرة ،
وكان الخليفة المذكور أول من تولاها في القاهرة .

ويبدو ان بقاء القوات المغولية في بغداد لم يطل كثيراً بعد عودة هولانكو من الشام سنة ٦٥٨ هـ ، اذ انه قام بتأمين مسؤولية الدفاع عن حدوده مع المماليك بعد واقعة عين جالوت ، حيث تفرغ لتنظيم ادارة البلاد فقسمها الى وحدات ادارية من الناحية العسكرية ، واختار لمسؤوليتها عدداً من أمراء الأسرة وغيرهم من امراء المغول (١) . وبالتالي اصبحت مسؤولية الدفاع عن العراق مناطة بقيادة ديار بكر ، وبقيادة بلاد الروم ، بينما بقي الشحنة (٢) في بغداد وتحت امرته عدد قليل من الجند المغولي .

ولكن علاء الدين من الناحية العملية اصبحت هو الحاكم الحقيقي للبلاد ، اذ ان ما امتاز به من شخصية قوية وحسن تصرف ، وما يستند عليه من نفوذ في بلاط الايلخان بفضل وجود أخيه شمس الدين ، جعله فوق الرقابة او الخضوع لسلطانها ، الأمر الذي أب عليه شحان المغول ومن يتزلف اليهم وينفق معهم من موظفي الديوان ، ونتيجة لذلك فقد أصبح هدفاً لمؤامراتهم التي كان الغشل حليف أغلبها ، والتي أدت الى تساقط هؤلاء الخصوم بين قتيل وممزول .

من ذلك محاولة الشحنة علي بهادر الذي علونه في تأمره العماد القزويني وعدد من صدور العراق ، ونجاحه في إصاق بعض التهم بعلاء الدين الذي اكنى هولانكو من عقابه بحاق لحيته ، ولكن أخاه شمس الدين استطاع بعد سنة من ذلك إبراء أخيه من التهمة ، وإعادة الاعتبار اليه وتقوية يده في ولايته ، ثم دبر على خصوم

(١) أشرت الى ذلك في بحث التنظيمات الادارية التي أجراها هولانكو .

(٢) وأصبح يسمى بشحنة بغداد تارة ، وشحنة العراق أخرى .

أخيه فساقهم الى الموت حيث أعدم العماد القزويني سنة ٦٦٠ هـ ، ولحق به الشحنة سنة ٦٦١ هـ (١) .

وعزل الشحنة الثاني قرابوغا بعد فشله في التدبير سنة ٦٦٢ هـ على علاء الدين الذي حضر مجلس التحقيق - البارغو - في البلاط الايلخاني وأثبت براءته مما نسب اليه ، وعاد الى بغداد وقد صدر الأمر بتعيين شحنة ثالث هو توكال بخشي الذي استمر حتى سنة ٦٦٥ هـ والذي كانت علاقته حسنة بصاحب الديوان (٢) .

ولم تتأثر مكانة علاء الدين وسلطاته في عهد اباقا بالرغم من ان مسؤولية العراق أصبحت تحت اشراف سونجاق اغا بحسب التنظيمات التي أصدرها الايلخان ، اذ ان المسؤول الجديد جدد ثقته بعلاء الدين كمنائب له . وقام الايلخان بدوره بتقوية سلطاته وانهاء هذا الاشراف الاسمي عليه عندما أصدر اوامره سنة ٦٦٤ هـ بأن يكون علاء الدين حاكماً مطلقاً لا يكون فوق يده يد (٣) .

(١) الحوادث الجامعة ص ٨٤٨ ، ٨٤٩ . خصباك - الادارة الايلخانية في العراق ص ٢٠ .

(٢) الحوادث الجامعة ص ٣٥٢ ، ٣٥٧ ، العزاوي ج ١ ص ٢٤٨ ، ٢٦٣ ، وأخطأ ابن العبري هنا في إشارته ص ٢٨٥ الى محاولة الشحنة قرابوغا ونائبه الأرمني اسحاق الايقاع بالصاحب وإغراء بعض الاعراب للتقول عليه وانكشاف ذلك عند التحقيق حيث اعتبر هذه المحاولة في سنة ٦٦٤ هـ ، وقد جراه في هذا الخطا واعتمد عليه هورث ج ٣ ص ٢٢٠ .

(٣) رشيد الدين م ٢ ج ٣ ص ١٢ ابن العبري ص ٢٨٥ ، تاريخ وصاف م ١ ص ٥٥ . وفي ص ٥٨ - ٥٩ يشير الى وصول بعض اعيان بغداد الى الاردو يلتمسون اعطاء ديوان بغداد الى الصاحب علاء الدين وصدور اليربلغ بذلك .

وبلغ علاء الدين قمة مجده في عام ٦٧٢ هـ حيث نال اعجاب الايلخان الذي لم يكتف باطلاق يده في بلاد العراق بل اضاف اليه بلاداً اخرى هي بلاد تستر وأعمالها فتوجه اليها وتفقد أحوالها وعين بها نواباً له (١) .

على ان هذا النجاح الذي توفى اليه صاحب الديوان لم يكر لير دون اثاره الحسد والبغضاء والطمع في نفوس الآخرين ، فقد عاود الشحنة تتارقيا الذي خاف توكل بنحشي الى محاولة النيل منه والتدبير عليه وذلك سنة ٦٧٧ هـ بتهمة الاتصال بسلاطين الشام ومكاتبتهم مستغلاً حالة الهياج السياسي الذي كان قائماً بين الدولتين في اعقاب واقعة الابلستين ، ولكن المؤامرة انكشفت عندما اعترف البعض على البعض الآخر فسبق بعضهم الى الموت بينما سبق معهم الشحنة الى العزل والاعتقال (٢) .

ويظهر ان الدولة استغنت موقتاً بمد هذه الاحداث عن تعيين شحنة للعراق مراعاة منها لجانب صاحب الديوان الذي كان قد توجه الى الاردن لاستئصال العقاب بالمتأخرين عليه ، واطمئناناً منها الى استقرار الأمن في البلاد مما لا يستوجب وجوده . ولم يكن الشحن وحدهم الذين حققوا على صاحب الديوان انفراده بالسلطان في العراق وتقييده لسلطانهم ، بل شاركهم في ذلك عدد من المترلقين من ابناء البلاد الذين دفعهم الحسد والطمع الى مزاحمة علاء الدين للحلول محله ، وقد مر علينا تعاون بعضهم مع الشحن لتحقيق ذلك وفشلهم ، وبلغ البعض الآخر من الخطورة على صاحب الديوان انهم سمعوا للاتصال بالاييلخان واغرائه بمزيد من المال والهدايا مستغلين بذلك

(١) الحوادث الجامعة ص ٣٧٦ ، ابن كثير ج ١٣ - البداية والنهاية ص ٢٦٦ .

(٢) الحوادث الجامعة ص ٤٠١ - ٤٠٣ . العزاوي ج ١ ص ٢٩٠ - ٢٩٢ .

تعطش الايلخانات الى الاموال واستعدادهم للتخلي عن اعوانهم أمام تأنيده ، وقد اضطر صاحب الديوان ازاء ذلك الى ملاحقة هؤلاء وانزال العقاب بهم بنفسه والتدبير عليهم ، ولعل أخطر هؤلاء كان النقيب تاج الدين علي بن الطقطقي العلوي صدر الاعمال الحلية الذي دبر له صاحب الديوان من قتله ثم أمر بقتل القتلة حتى لا ينكشف أمره (١) . وبالرغم من كل الوسائل التي استعان بها صاحب الديوان لحماية نفسه ، إلا انه لم يستطع في النهاية ان يخلص من تدبير مجد الملك اليزدي الذي نجح في الوصول الى منصب مشرف الممالك والذي استطاع تجريدته من كل ما يملك حتى اضطر الى بيع نسائه وأولاده ثم لم يسلم بعد ذلك من الموت (٢) .

اما واجبات صاحب الديوان وأعماله فينتطبق عليها ما سبق ان ذكرناه في واجبات وزير الايلخان او صاحب ديوان الممالك ، وما استمرناه من وصف ابن فضل الله

(١) انظر تفصيل ذلك في عمدة الطالب ص ١٥٩ - ١٦٠ ، الحوادث الجامعة ص ٣٧٧ ، العزاوي ج ١ ص ٢٧٦ - ٢٧٧ . انظر كذلك تخلص صاحب من احد نوابه وهو نجم الدين خواجه الذي كفر ببعيته والتجأ الى بعض المغول لا يصاله الى الايلخان واضطرار صاحب الى محاصرته وأخذه بالقوة وقتله . الحوادث ص ٣٧٢ . وكذلك في ص ٣٩٥ - ٣٩٦ في محاربة العميد شمس الدين على الاعوج مزاحمة صاحب الديوان ونهايته .

(٢) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ٨١ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٩٨ - ٩٩ ، ابن شاكر ج ٢ - فوات الوفيات ص ٧٥ . ابو المحاسن م ٢ - المنهل الصافي الورقة ٣٧٧ ، ترجمة المعارف الإلهامية م ٧ - الجويني ص ١٨٥

Hqworth . 3 . P . 275 - 276 .

في التدليل عليه ، مع ملاحظة الفارق ان صاحب ديوان العراق كان عمله مقصوراً على حدود سلطانه .

فقد كان اليه أمر تعيين الصدور على البلاد وعزهم ومحاسبتهم وحتى انزال العقاب بهم ان اقتضى الامر . وقد مر علينا انه عندما فوضت اليه ولاية تستر واعمالها خرج اليها وتصفح أحوالها وعين له نواباً بها . وفي سنة ٦٧٢ هـ عندما احس باختلال أمر واسط انحدر اليها وقبض على صدرها فخر الدين بن الطراح واصحابه ونوابه وعزهم وصادرهم ، ورتب عوضه شمس الدين محمد بن البروجردي (١) .

وعندما أوجس خيانة من نائبه نجم الدين خواجة لم يتردد في اعتقاله ، ثم قتله بعد ذلك بالرغم من هروبه والتجائه الى بعض امراء المغول (٢) .

على ان سلطات صاحب الديوان وأوامره لم تكن تنفذ في بعض ولايات العراق في بعض الاحيان . وذلك عندما يحظى احد المتزلفين بتقدير الايخان فيفوضه امر ولاية من هذه الولايات ، من ذلك ما فعله شمس الدين محمد البروجردي الذي توجه الى الاردو وضمن الاعمال الواسطية وتفرد بها ، فلم يكن لصاحب الديوان معه حكم فيها حتى وفاته سنة ٦٧٦ هـ حيث عادت الولاية الى سلطة صاحب الديوان الذي رتب لصدارتها الملك ناصر الدين قتلغ شاه (٣) .

(١) الحوادث الجامعة ص ٣٨١ ، وقد قام بعد ذلك بتعيين الصدر المعزول صدرراً للأعمال الحلية والكوفية والسبب في عزله صدر الاعمال الحلية والقراتية ابن الاعوج عندما أحس بمزاحمته له ثم مصادرتة .

(٢) المرجع السابق ص ٣٧٢ ، انظر ايضاً ص ٣٩٥ - ٣٩٦ م

(٣) الحوادث الجامعة ص ٣٩٥ .

وكان من واجبات صاحب الديوان ايضاً اعمار البلاد وترقيتها واقامة العدل فيها ، وبالغ البعض في تقدير اعمال علاه الدين وأشادوا بنجاحه في اعادة الحياة الى بغداد وازدهارها حتى قيل انها أصبحت اجود مما كانت عليه ايام الخلافة . من ذلك انه اهتم بترقية الزراعة وتشجيع الفلاحين فأسقط عنهم الكثير من مطالب الديوان حتى تسبب ذلك في حصول عجز كبير في دخل بغداد ، وأوشك اباؤه عندما أمر سنة ٦٦٩ هـ بحاسبته ان يتممه بالاختلاس والسرقة وينزل به العقاب لولا انه استطاع تبرير عمله واثبات حسن نيته في هذه المسامحات .

وقام ايضاً بفتح قناة من الفرات في اعلى الانبار لسحب المياه حتى الكوفة والنجف انفق عليه اكثر من مائة الف دينار ، وأنشأ على جانبيه اكثر من مائة وخمسين مزبنة ، فأحيا بذلك اراضي شاسعة وأوجد موارد للخزينة (١) .

واهتم باعمار بغداد واصلاح وتجديد ما تهدم من مدارسها ومساجدها وأنشأ الكثير من القصور والبساتين فيها من ذلك اعادة بناء منارة جامع الخليفة واصلاح مسجد قمريه وعمارة مسجد الشيخ معروف (٢) .

ونظم اوصول المياه الى بركة المستنصرية بانشاء دولاب تحت مصناتها لرفع الماء اليها من دجلة وعندما اشتملت النيران في سوق المدرسة النظامية أمر بتجديد عمارة

(١) خواندمير م ٣ ج ١ ص ٦٠ ، الذهبي تاريخ الاسلام - الورقة ٦ - ٧ في وفيات سنة ٦٨١ ، المقرئ الفيومي ق ٢ نثر الجمان - الورقة ٢٧٤ نقلاً عن تاريخ الحريري ، بارتولد ترجمة المعارف الاسلامية م ٧ - الجويني ، ص ١٨٤ - ١٨٥ .

(٢) الحوادث الجامعة ص ٣٦٥ ، ٣٧١ ، ٤٠٨ ، العزاوي ج ١ ص ٢٦٧ ،

٢٩٥ ، ٢٩٦ .

السوق ، كما أمر بعمل حياض للماء في دروب بغداد ليستفاد منها في اطفاء الحرائق التي كانت تحدث فيها (١) .

ووسم مدينة بغداد عندما أمر ببناء بعض القصور والأروقة والحمامات خارج صورها أمام بابي الظفرية والحلبة وزرع حولها البساتين بأنواع الأشجار المستمرة حتى أصبحت منتزهاً لسكانها (٢) .

ولم يكن جهد صاحب الديوان العمراني مقصوراً على مدينة بغداد فحسب ، بل شمل أنحاء اخرى من العراق باهتمامه ، من ذلك انه أمر بعمارة موضع في نهر جعف من اعمال واسط سماه المأمن وبنى فيه ديواناً وجامعاً وخاناً وحماماً وسوقاً ، فسكنه خلق كثير وانتقم به التجار الذين كانوا ينتقلون بين البصرة وواسط وأمنوا على اموالهم . وقام كذلك ببناء رباط في مشهد الامام علي ليسكنه المقيمون والمجاورون وأوقف عليه الوقوف ، كما أمر بعمل جسر وحمله الى تستر حيث نصب فيها (٣) .

وكان من واجباته ايضاً اختيار قاضي القضاة الذي يقوم بدوره بتعيين القضاة على اطراف البلاد ، وفي هذا يشير القلقشندي الى ميزة ولاية بغداد على بقية

(١) الحوادث الجامعة ص ٣٦٥ ، ٣٧١ ، ٣٩٠ . العزاوي ج ١ ص ٢٦٧ ، ٢٨٥ .

(٢) الحوادث الجامعة ص ٣٥٧ .

(٣) الحوادث الجامعة ص ٣٥٨ ، ٣٧٢ ، ٤١٣ ، العزاوي ج ١ ص ٢٦٣ ،

٢٩٨ ، ابن حبيب الشافعي - درة الأسلاك - الورقة ٧٢ . في الحديث عن صاحب الجويني .

الولايات الايلاخانية التي تخضع في تنظيم قضائها الى اشراف قاضي للقضاة المقيم في
الاردو مع الايلاخان (١) .

وكان يقوم ايضاً باختيار المدرسين على اختلاف طوائفهم ويحلّم عليهم ، واهتم
بنشر العدل وتطبيق احكام الشريعة الاسلامية ومكافحة الفساد ودور البغاء ومماقبة
الذين يعملون على تشويه تعاليم الاسلام ، وسمى لاعادة موكب الحج لأول مرة سنة
٦٦٦ هـ بعد انقطاعه منذ سقوط الخلافة . فدعا الناس للتأهب له واستدعى رؤساء
القبائل العربية الذين ينتشرون على طريق الحج فأرضاهم بالأموال ليقوموا بحماية قوافل
الحجاج وعدم التعرض لها ، وجهز الفقراء من الناس وأحيا وظيفة امير الحج ليتولى
مرافقة الموكب وقيادته (٢) .

وبالرغم من ان مسؤولية حفظ الأمن الداخلي كانت من واجبات الشحنة . إلا
أن صاحب الديوان تولى مسؤولية ذلك في بعض الاحيان في بغداد على الاقل ،
تاركاً اطراف العراق لتصرف الشحنة ، فعندما خلا العراق من الشحنة بعد اعتقال
تتار قبا سنة ٦٧٧ هـ أصبح صاحب الديوان مسؤولاً عن واجباته ، وأصبح نائب

(١) الحوادث الجامعة ص ٣٦٢ ، ٣٧١ ، انظر ايضاً الاشارة في ص ٣٤٣ .

في تعيين قاضي القضاة لبغداد مع وجود أفضى القضاة نظام الدين البندنجي الذي كان
قد عينه هولانكو مع الآخرين ، ومن المحتمل في هذه الحالة ان صلاحيات أفضى القضاة
كانت تشمل اختيار القضاة لأطراف العراق عدا بغداد التي كانت تحت اشراف قاضي
القضاة ، ويظهر أن منصب أفضى القضاة انتهى بوفاة البندنجي . القلقشندي ج ٢
ص ٤٢٤ .

(٢) الحوادث الجامعة ص ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٧٣ - ٣٧٤ ، ٣٧٦ .

الشرطة مرتبطاً به . لذلك فإنه عندما قتل النقيب تاج الدين بن الظفطحي بظاهر سور بغداد تولى الصاحب أمر التفتيش عن قتلته حتى عثر عليهم وقتلهم ، وعندما استشرى خطر بعض الشطار وكثر شرهم ، اعمل صاحب الديوان الحيلة حتى جاب رؤسائهم وعينهم في الشرطة ، ولكنه عندما حكى له قتادة نائب الشرطة عن استغلالهم لمراكزهم وتهديدهم للناس وما يقومون به من فساد أمر بهم فقتلوا (١) .

وكان من واجباته ايضاً تنفيذ ما يفرضه الورد من الضرائب والاعانات على السكان حيث يقوم صاحب الديوان بجمعها بالاضافة الى الضرائب الاخرى التقليدية كالخراج مثلاً ويرسلها الى العاصمة سنوياً كما جرت العادة ، إلا اذا كانت الدولة في ضائقة مالية فإنها كانت تستعجل صاحب الديوان في ارسال ما يستطيع جمعه على وجه المهادنة (٢) .

وقد مر علينا شيء من نشاطه في دعم الحركة العلمية ببغداد وتشجيعه للعلماء واجازته للمبرزين منهم مقتدياً بذلك بأخيه شمس الدين محمد ، فضلاً عن أنه هو نفسه كان أحد العلماء .

وكانت وفاته بعد تعذيب مجد الملك اليزدي له ومطالبة ارغون به بعد ذلك ، نهاية لعصر الاستقرار والرفاه الذي نعم به العراق طيلة الواجد والعشرين سنة التي تولاها .

فقد تعرض العراق بعد وفاته الى تمسف الأمير ارغون الذي قدم ببغداد في

(١) نفس المرجع السابق ص ٣٧٧ ، ٤٠٣ - ٤٠٤ . العزاوي ج ١

ص ٢٧٦ ، ٢٩٢ .

(٢) الحوادث الجامعة ص ٣٣٩ ، ٣٩٨ ، ٤٦٠ .

شتاء ٩٨١ هـ وصادر اهلها ، فلم يسلم منه أحد . وانزاحت غمته قليلا عندما وصل في رجب ٦٨٢ هـ شرف الدين هرون بن شمس الدين الجوبني الذي فوض اليه تدبير أمر العراق على قاعدة عمه عطا ملك ، وكان المشحنة تنازعا قد أعيد خلال ذلك الى منصبه في بغداد (١) .

ولم يستقر صاحب الديوان الجديد في عمله إلا قليلا حتى اعتقل مع غيره من موظفي الايلخان احمد الذي كان قد قتل بتدبير ابن اخيه ارغون .

ويمكس لنا اضطراب ديوان العراق بعد ذلك حالة الفوضى التي طغت على اعمال الايلخانية وتنازع الأمراء على السلطة وطفهاينهم على الايلخانات ، حتى أصبح المتنفذون من هؤلاء الامراء يختارون اعوانهم للاشراف على ادارة البلاد .

ففي عهد ارغون ارسل امير الامراء بوقا اخاه اروق ليشارك امراء الاسرة جوشكاب وبايدو اللذين كان ارغون قد أناط بهما مسؤولية ديار بكر والعراق ، وليتولى الرقابة عليهما ، فاختار بدوره احد اعوانه وهو بدر الدين خاص ليتولى ديوان العراق (٢) .

وعندما حل سعد الدولة محل بوقا في السيطرة على الايلخان ، اختار أخاه فخر الدولة لولاية بغداد وفي عهد كيخاتو تولى قوام الملك ابن عم الوزير صدر جهان منصب حكومة العراق .

وعهد بايدو الى الامير توداجو ببغداد وأعمالها ، اما غازان فقد تولى بغداد

(١) الحوادث الجامعة ص ٤٢٨ ، ٤٣٣ ، ابو الفداء ج ٤ ص ١٦ .

(٢) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ١٢٨ ، الحوادث الجامعة ص ٣٧ .

Howorth . 3 . P . 313 .

في عهده عماد الدين المستجرد أثني شقيق وزيره جمال الدين .
ولم يكن هؤلاء المتولون منفردين بالحكم كما كان عظام ملك ، وإنما شاركهم في
سلطانهم عدد من الموظفين كونوا بمجموعهم حكومة الولاية التي أبح صه ومؤولا
عنها بالدرجة الاولى .

فقد كان الى جانب بدر الدين خاص الذي اختاره اروق لديوان العراق ، كان
الى جانبه سعد الدين مظفر بن المستوفي مشرفاً عليه ، ومجد الدين بن الأمير مشاركاً
في الحكم ، واختير الأمير تمسكاي شحنة ، وقد سمي بشحنة العراق ، فعزل بذلك
تتارقيما الشحنة السابق .

وكان اول عملهم عند وصولهم بغداد اعتقالهم موظفي الديوان السابقين
والتحقيق معهم وتعذيبهم لاستخراج الاموال منهم (١) .

وعملت هذه الحكومة بعد سنة من توليها ، ففي سنة ٦٨٤ هـ عين تاج الدين
على جيبان مشرفاً بالعراق بدلا من سعد الدين بن المستوفي الذي عين لكتابة الدلة ،
لكن الترتيب الجديد للحكومة لم يستطع تحقيق رغبات الامير اروق كما يظهر ، بل
وأصبح موضع اتهامه ، ففي سنة ٦٨٥ هـ فوض أمر العراق الى عزيز الدين الاربلي
ومجد الدين اسماعيل بن الياس وخلص عليهما ، فسيق اعضاء الحكومة السابقة الى
التحقيق والمحاسبة ثم الى المقصلة . ووصل بعد ذلك الملك ناصر الدين قناتغ شاه
الصاحبي وقد رتب مشرفاً بالعراق (٢) .

(١) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ١٢٨ ، الحوادث الجامعة ص ٤٣٦ - ٤٣٨ ،

الغزوي ج ١ ص ٣٢٣ - ٣٢٤ .

(٢) الحوادث الجامعة ص ٤٤٦ ، ٤٤٨ .

ولم يطل الوقت بهذه الحكومة الجديدة التي سرعان ما وقعت ضحية مطامع سعد الدولة اليهودي الذي استطاع التأثير على الايمخان لكي يغير من اعضائها ، حيث تولى هو منصب الاشراف عليها بينما تولى ديوانها الملك شرف الدين السمناني ، ثم لم يلبث بعد انقلاب ارغون على نائبه بوقا ان تولى منصب الوزارة فأرسل اخاه فخرالدولة لولاية بغداد وأرسل معه مهذب الدولة بن الماشعيري ، ورتب جمال الدين الدستجرداني كاتباً لهم . ففعلوا مثل سابقهم في موظفي الديوان من تعذيب وقتل (١) .

وأرسل كيخاتو بعد توليه ، الأيرين ساطي وبكتمر لتصفح اعمال العراق وعمل حسابه ، فوقف بين ايديهما جمال الدين الدستجرداني الذي بعد عودتهما جمع اموال البلاد وتوجه بها نحو كيخاتو ففوض اليه ولاية العراق ورتب معه اثير الدين التستري وتاج الدين علي تاشان ، وسير معهم اميراً مغولياً اسمه تيطاق ليتولى منصب الشحنة (٢) .

وكان صدر جهان الذي تولى وزارة كيخاتو قد اختار ابن عمه قوام الملك لمسؤولية ديوان العراق ، ولكن هذه المسؤولية أصبحت اسمية بسبب قيام كيخاتو في ذلك الوقت برسالة شمس الدين محمد التركستاني المعروف بالسكورجي الى العراق ليزيل عن الرعية ما جسد عليهم من الأثقال ويتولى ولايته ، فوصل واعتقل

(١) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ١٥٢ ، تلخيص مجمع الآداب ج ٤ ق ٣ ص ١٢٨
الحوادث الجامعة ص ٤٠٨ ، خواندمير م ٣ ج ١ ص ٧٦ - ٧٧ ، يوسف غنيمية -
نزهة المشتاق ص ١٤٢ - ١٤٣ .

(٢) الحوادث الجامعة ص ٤٦٩ - ٤٧٠ ، العزاوي ج ١ ص ٣٥٥ .

الدمستجرداني وأصحابه وأظهر العدل والاحسان واستجلب الناس ووعدهم بأشياء يخاطب بها الأيلخان .

ولكنه كما يظهر لم يكن يملك شيئاً من الصلاحيات العسكرية ليقوم بدور الشحنة في القضاء على الاضطرابات التي قام بها جماعة الأعراب في واسط وسواها ، لذلك فقد أوعز الأيلخان إلى بايدو الذي كان معسكراً بالتوجه للقضاء عليها (١) .

وكذلك كانت ولاية الأمير توداجو اسمية على العراق في عهد بايدو الذي كان قد فوض ديوانه إلى جمال الدين الدمستجرداني الذي قام باعتقال السكرورجي وأهله وأرسلهم إلى بايدو ، كما قام بترتيب أمور العراق فعين الصدور والنواب في مسامر الأعمال ، وجمع الأموال من السكان على وجه المساعدة ليتوجه بها إلى الأيلخان بعد أن عين من قبله لحكومة الديوان كل من نور الدين عبد الرحمن بن تاشان وشرف الدين بديم (٢) .

ورتب غازان إمد انتصاره على بايدو رتب لديوان العراق شرف الدين السمناني وسير معه الأمير توغولدار لمنصب الشحنة (٣) ، ولكن جمال الدين الدمستجرداني سرعان ما استعاد مكانته وتولى منصب الوزارة ثانية بفضل حماية الأمير نوروز له ، فعين لديوان العراق أخاه عماد الدين بدلا من السمناني وعاونه في الحكم عز الدين بن

(١) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ١٧٩ ، الحوادث الجامعة ص ٤٧٥ - ٤٧٦ ،

العزاوي ج ١ ص ٣٥٦ - ٣٥٧ .

(٢) وصاف م ٣ ص ٢٨٤ ، الحوادث الجامعة ص ٤٨١ - ٤٨٣ ، العزاوي

ج ١ ص ٣٦٤ - ٣٦٥ .

(٣) الحوادث الجامعة ص ٤٨٤ ، العزاوي ج ١ ص ٣٦٩ ؛

شام كغائب له وشرف الدين بن البديع مشرفاً (١) .

ولكن امر المستعرجاني لم يطل اذ سرعان ما تحرر الايلخان من سيطرة نوروز عليه ، وأوفد الامير توختا لتصفح احوال العراق ، وسير معه سعد الدين اسد بن علي ليكون مشرفاً على الديوان بدلا من شرف البديع الذي اعتقل لمحاسبته ، ولكنه استطاع الفرار والاحق بنوروز (٢) .

ولاشك ان كثرة هذه التبدلات في ديوان العراق ، وما رافقها من اعتقال وتعذيب وقتل ، قد أثرت على حالة الاستقرار فيه ، كما اثرت على اوضاعه المالية التي تدهورت كثيراً حتى عجزت عن الوفاء بما قرر عليه من ضرائب كانت تتزايد يوماً بعد يوم بفضل حالة التبذير التي عرف بها الايلخانات وخاصة كيخاتو ، وكثرة تغير الايلخانات انفسهم حتى ان ثلاثة منهم تناوبوا الحكم في سنة واحدة هي سنة ٦٩٤ هـ (٣) .

وبالإضافة الى ذلك فان الطبيعة لم تنجلى على البلاد بغضبها في هذه الفترة ، فمن انقطاع امطار حتى كان الناس يخرجون للاستسقاء ، الى سقوطها في اوقات غير ملائمة تلحق الضرر بالمزروعات ، الى قيام الجراد بمحصد المزروعات قبل اوانها ، الى فيضان لدجلة والفرات واغراقهما الكثير من البلاد ، الأمر الذي تسبب عن هذا جميعه

(١) ابن الفوطي - تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب ج ٤ ق ٢ ص ٦٩٦

- ٦٩٧ ، الحوادث الجامعة ص ٤٩٠ .

(٢) الحوادث الجامعة ص ٤٩٠ - ٤٩١ ، العزاوي ج ١ ص ٣٧٣ .

(٣) وهم كيخاتو وبايدو وغازان .

نقص في الغذاء وارتفاع في الاسعار وحدوث الفلاء وما ترتب عليه من المجاعة وانتشار الأوبئة (١) .

كل هذه العوامل لا بد انها دفعت غازان الى التفكير في حماية الخزينة من الخسارة وتحميل سكان البلاد وخدم وزرها ، فلجأ الى اتباع نظام الضمان في العراق ، فعقد ضماناً على الشيخ جمال الدين ابراهيم بن السواملي والمملك امام الدين يحيى البكري القزويني عند زيارته للعراق سنة ٦٩٦ هـ . وكان في نفس الوقت قد عزل الشحنة تاوولدار ورتب عوضه الامير أذينة الذي مهد العراق بحسن سيرته وعظم سطوته وشدة وزعته (٢) .

ولم يكن تطبيق نظام الضمان غريباً على العراق ، فقد كان المؤلف عند اتباعه تضمين مناطقه كل على انفراد ، وقد مر علينا ان اباقا ضمن الاعمال الواسطية لشمس الدين محمد البروجردي وجعله مستقلاً عن صاحب الديوان ، كما ضمن فخر الدين بن الطراح اعمال واسط سنة ٦٨٣ هـ ، وتولى مجد الدين اسماعيل بن الياس صمان الاعمال الحلية بالاضافة الى نيابة الديوان والحكم ببغداد سنة ٦٨٦ هـ ، ولكنه تضمينه دفعة واحدة كان في هذه المرة التي هي الاولى والتي اتبعها غازان كنظام جديد لادارة العراق ، وقد اختلف الضامنان بعد سنتين كما يظهر في عملهما ، فكفت يد للشيخ السواملي ، واستقل الملك القزويني بالحكم فيه ، وعند وفاته سنة ٧٠٠ هـ

(١) الحوادث الجامعة ص ٤٤٢ ، ٤٤٦ ، ٤٤٩ ، ٤٥٣ ، ٤٦١ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ .

(٢) الحوادث الجامعة ص ٤٩٤ ، ٤٩٦ ، ابن العماد الحنبلي ج ٦ شذرات

الذهب ص ١٣ في الحديث عن السواملي .

ورث ابنه افتخار الدين ضمانته فأقيم مقامه (١) .

ولم يستقر تطبيق هذا النظام طويلاً ، اذ ان غازان احس في ايامه الأخيرة بما نشأ عنه من إضرار بالملتزمين والاهالي على حد سواء ، فأمر بالغائه في ٢٢ رجب ٧٠٢ هـ (٢) .

وتسكت المراجع بعد هذا عن اعطاء صورة واضحة لاسلوب الحكم الذي اتبعه لادارة العراق ، على انه يمكن القول بأن الشحنة بقي بتولى النصيب الأكبر من الاشراف على الجهاز الاداري فيه ، بالاضافة الى واجباته كشحنة .

فابن عنبة يشير في حديثه عن مقتل النقيب زين الدين ابو طاهر هبة الله الذي كان يتولى النقابة الطاهرية وصدارة الاعمال القرائية ، بأن الشحنة أذينة حاكم بغداد رخص ابني محاسن قتله (٣) . ويشير كذلك ابن الفوطي في حديثه عن فخر الدين ابني بكر عبدالله ، ان شحنة العراق الأمير أذينة فوض اليه الرباط الارجواني بدرب زاخي وخلع عليه (٤) .

ومن المحتمل ايضاً ان الايلخانات قاموا بتفويض اعمال العراق مباشرة لمن توسموا فيه القدرة او المصلحة ، فقد توجه الفقيه الزاهد جلال الدين ابو القاسم بعد قتل اخيه زين الدين ابو طاهر ، توجه الى حضرة السلطان غاران فولاه النقابة

(١) الحوادث الجامعة ص ٤٩٨ ، ٥٠٤ . الذهبي - تاريخ الاسلام - الورقة

٢٤٦ - ٢٤٧ في وفيات سنة ٧٠٠ هـ .

(٢) العزاوي ج ١ ص ٢٩٦ .

(٣) ابن عنبة عمدة الطالب ص ٢٥١ .

(٤) تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب ج ٤ ق ٣ ص ١٩٦ .

الطاهرية ، والقضاء والصدارة بالبلاد الفراتية فقتل كل من دخل في قتل اخيه وُجراً
على سفك الدماء وطالت حكومتها (١) .

وكان الوزراء في هذه الفترة يوفدون نوابهم الى العراق للاشراف على بعض
اعماله ، ففي شوال ٧١١ هـ عندما أمر اوجايتو بقتل وزيره سعد الدين الساوجي ،
أمر بقتل بعض اعوانه معه ومنهم صاحب الديوان الخواجة زين الدين الماستري ،
والملك ناصر الدين يحيى صاحب سنجار وغيرهم وقد قتل هؤلاء في قرية المحول
قرب بغداد (٢) .

وعندما استقر عليشاه بالوزارة عمل على تقريب أصيل الدين الحسن بن
نصير الدين الطوسي من اوجايتو حتى ولاه نيابة السلطنة ببغداد ، ولكنه فشل في
عمله فعزل وصودر (٣) .

وفي زمن ابي سعيد اعتادت الدولة ارسال بعض الكتاب الى العراق لتصفح
أحواله وملاحظة أمواله ، من ذلك ما كان يقوم به سديد الدولة بن الدباس الذي
عزل سنة ٧٢١ هـ حيث أوفدت الدولة فيخر الدين ؟؟ ليقوم بذلك ، وعندما وجهت
شمس الدين محمد بن الحسين الخاني لعمارة العراق اعتمد هذا على فيخر الدين ففوض

(١) ابن عنبه - عمدة الطالب ص ٢٥١ .

(٢) تاريخ كريدة ص ٥٩٧ ، حبيب السير م ٣ ج ١ ص ١١٠ ، الصفدي

ج ٦ ق ١ أعيال العصر الورقة ١٠٤ ، العزاوي ج ١ ص ٤١٨ .

(٣) ابر المحاسن ج ٩ ، النجوم الزاهرة ص ٢٣٢ ، العاملي - اعيان الشيعة

ج ١٤ ص ٢٧١ - ٢٧٣ في الحديث عن تاج الدين محمد بن زهرة الحسيني ، العزاوي

ج ١ ص ٤٣٧ .

اليه أمر غرب بغداد فصار فيها السيرة العمرية وساسها بالسياسة الكمروية ، فاجتهد
ودبر الامور وأمر بأن لا يفتق أهل السوق دكاكينهم ... وأخرج من في الحبوس
وكثرت الأدعية له ولخدمه (١) .

وآخر من ورد ذكرهم من ولاية بغداد الخواجة معروف الذي أشار اليه
ابن بطوطة عندما حوله الايلخان ابو سعيد عليه لكي يعطيه نفقات سفره الى الديار
المقدسة (٢) .

النظام الحربي :

ولعل المزايا الحربية كانت هي الشيء الوحيد الذي لم يستورده المغول من
الآخرين وانما نبع من ذاتهم ، وتطور مع تطور قسوة الحياة عليهم في بيئتهم ،
فخرجوا متماسكين مع بعضهم أشداء على أعدائهم مطيعين لقاداتهم صبورين على تحمل
المشاق واستطاعوا بفضل هذه الصفات ، وبما توافر لهم اخيراً من قيادة جريئة وحكيمة
تمثلت في شخصية جنكيز خان ، ان يفرضوا سطوتهم على البلاد المجاورة وبلغوا
الرب في نفوس اهلهما فتضعف عن معاندتهم والتمرد على طاعتهم .

وتنظمت هذه القوى بعد استقرار أمر جنكيز وقيام خانيته وكونت نواة
للجيش المغولي الذي أصبح مضرب المثل في الشجاعة ، والذي ترك أسوأ الأثر في
البلاد التي وصل اليها .

لقد نشأ الجيش المغولي أولاً في الصحراء من ابناء القبيلة التي نشأ فيها جنكيز

(١) ابن الفوطي - تلخيص جمع الآداب ج ٤ ق ٢ ص ١٦٩ .

(٢) رحلة بن بطوطة ج ١ ص ١٤٧ .

والتي اعتمد عليها عند كبره في اظهار مواهبه وقابلياته في القتال والقيادة ، حتى بزغ اسمه وطارت شهرته فالتفت حوله بعض القبائل وخضعت لزعامته ، فتنقل بها من نصر الى نصر على القبائل الاخرى حتى استقر فوق الجميع .

وكان كل أفراد القبيلة جنوداً مجندين في جيشها ، اذ ان شعار الحياة في هذه البيئمة كان البقاء للأقوى لذلك يشبههم ماكولم بألمهم عالم متنقل من المسكر ، فكل ذكر فيهم محارب ، وكل انثى تتعلم كيف تساعد زوجها ، وطفاهم يعتطي الخيول في السن الذي يماهل فيه في البلاد الاخرى معاملة الاطفال ، وحرقتهم الرئيسية هي الحرب حتى في وقت السلم فانه يخرج للصيد (١) .

وتطورت مهارات هذا الجيش وأساليبه في القتال مع الزمن وعلى ضوء احتكاكه بالأقوام المجاورة ولا شك انه استفاد من احتكاكه بالصينيين أولاً فأخذ عنهم بعض أساليب القتال كحصار المدن واستخدام الآلات الثقيلة مما لم تكن موجودة في الصحراء .

وبقي المغول يعتمدون على الفرد المغولي ككافة للجيش حتى استقرت فتوحاتهم وقامت دولهم في البلاد التي خضعت لهم حينئذ بدأوا يستفيدون من خدمات سكان البلاد المفتوحة في التجنيد لسد النقص في جيوشهم ولزيادة عددها ، كما استعانوا بالأمراء المحليين الذين دانوا لهم بالطاعة والذين كان عليهم ان يقدموا عدداً من جندهم الى الايلخان في حالة الحرب . على انهم لم يمنحوا مطلقاً أية رتبة عسكرية لواحد من غير المغول .

The Hist. Of Persia - I - P 203 ' 205 . Marco polo . 2 . P . 85 . (١)

وقد مر علينا استعانتهم بالأسرى حين زحفهم لفتح سمرقند وبخارى لارهاب
اهلها بكثرة سوادهم ، وكان مع هولاءكو عند زحفه نحو بغداد عدد من امراء
المسلمين الذين خضعوا له على رأس جيوشهم ، وبعد قيام الايلخانية استعان هولاءكو
ببقايا جيوش الخلافة من العرب وغيرهم . ففي حصار الموصل سنة ٦٦٠ هـ أنجد هولاءكو
قائده سنداغو بعشرة آلاف من المتطوعة العرب يقودهم الملك صدرالدين التبريزي (١).
كما فوض جلال الدين بن الدويدار الصغير الذي كان قد عطف عليه وحماه من القتل
في مجزرة بغداد مع ابيه ، فوضه أن يقوم بتجنيد بقايا جند الخلافة من الأتراك
المنتشرين في العراق للاستفادة منهم في الحرب مع بركة خان ، ومنحه من الصلاحيات
لأنجاز مهمته ، بحيث أصبح حاكم بغداد يخضع لحكمه وينفذ أوامره .
وكذلك كان الحال بالنسبة لبقية الايلخانات (٢) .

اما عموم الجيش فكان بسيطاً في اول امره بحكم بخل الصحراء ، ولكنه تنوع

(١) رشيد الدين م ٢ ج ١ ص ٣٢٧ .

(٢) فبالنسبة لأبقا فقد استخدم جيوش الروم والأرمن في حروبه مع المماليك
اما تكودار فقد استعان بجيوش المسلمين والأرمن والجورجيين عند قتاله لابن اخيه
ارغون . وكذلك فعل غازان . انظر رشيد الدين م ٢ ج ١ ص ٣٣٨ - ٣٣٩ ،
م ٢ ج ٢ ص ١٠٣ ، ابن كثير ج ١٣ ص ٢٩٦ ، الدبس ج ٦ - تاريخ سورية
ص ٢٩٣ ، ابن فضل الله ج ٢ ق ٢ - مسالك الأبصار الورقة ٢٢٦ - ٢٢٧ ، التعريف
بالمصطلح الشريف ص ٥٣ - ٥٤ .

Howorth . 3 . P 333 . ' 414 - 415 . Jacob de Huis .
Hist . Ofpalastine . P . 290 .

مع تطور قوته وسعة سلطانه وازدياد غنائه ، على اننا نلاحظ ان الصيد بقي المورد الدائم لتموينه في كل الظروف التي مر فيها هذا الجيش ، وخاصة عندما تعاني البلاد من الضائقة الاقتصادية ، يشير هورث الى ذلك في حديثه عن اضطرار غازان الذي كان يتصدى لتمرّد نوروز في زمن عمه كيكخاتو سنة ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م وكانت بلاد خراسان تعاني من المجاعة ، فاضطر غازان وجيشه للاعتماد على الصيد في تموينه (١) . اما في غير هذه الحالة فكان الصيد ايضاً واجباً على الجيش باعتباره نوعاً من التدريب .

على ان الطبيعة عودت المغول على تناول كل شيء . يقع في ايديهم ويستطاع مضغه . وقد ذكر ذلك ابن الاثير انهم لم يكونوا يجرموا شيئاً من الماء كقول ، بل كانوا يأكلون جميع الدواب حتى الكلاب والخننازير والفئران والققط وغيرها ، بل حتى الاعواد الجافة والبراغيث كما يصف ذلك الرحالة الايطالي كاريني (٢) . وتعودوا كذلك على الاعتماد على لبن خيولهم فقط وخاصة عندما يضطر الجيش الى مواصلة السير أياماً عديدة ، فيحمل الجندي حينئذ معه بطلين من الجلد يحفظ بهما اللبن للشرب ، واذا تمذّر عليه ذلك فقد يبقى أياماً عديدة يعيش على امتصاص دماء حصانه حيث يفتح أحد عروقه ويمتص منه (٣) .

(١) هورث *Howorth* .

(٢) الكامل في التاريخ ج ٩ ص ٣٢٩ - ٣٣٠ ، براون ج ٢ ص ٥٦١ حيث نقل رواية الرحالة الايطالي .

(٣) حافظ حمدي - الدولة الخوارزمية والمغول ص ٢١٦ - ٢١٧

Mareopolo . P . 87 - 88 . *Osbern* . P . 378 .

اما في الظروف والاحوال الاعتيادية فكائنات الدولة تقوم بتأمين تموينه من المناطق التي يمر بها . ويعطينا رشيد الدين نموذجاً لذلك في تأمين حملة هولوكو ، وان الخاقان أمر باختيار الطريق الذي ستمر به ، واعتبروا جميع المزارع والمراعي مناطق محرمة ، وأعد تموين الجيش من جميع أنحاء الدولة وكان نصيب الجندي مقداراً من الدقيق وقربة من النبيذ (١) .

اما تشكيلات الجيش وتقسيماته ، فمن الناحية القيادية كان التقسيم العشري هو المتبع في تنظيمه (٢) ، فكانت اصغر وحدة في الجيش مكونة من عشرة أفراد عليهم رئيس يقال له مقدم عشرة . يشير ابن عبد الظاهر الى لجوء بعض المغول الى الرحبة في سنة ٦٩٠ هـ كان من بينهم مقدم عشرة اسمه تكش بن قدودك (٣) . وكانت كل عشر مجموعات من هذه يقودها امير يقال له امير المائة ، وكل عشرة من امراء المائة يقودهم امير يقال له امير الألف ، ويذكر هورث « انه عندما بدأ نوروز يفكر في اعلان تمرده على طاعة ارغون خوفاً على نفسه من تهمة تأييد بوقا ، اعتزل بجيوشه عن الامير غازان بن ارغون الذي كان يتولى امارة خراسان في ذلك الوقت واستدعى قواد المائة والألف من جيشه وأمراء حرسه وأخبرهم بأنه علم بعزم غازان على قتلهم (٤) .

(١) جامع التواريخ م ٢ ج ١ ص ٢٣٥ ، الجويني ج ٣ ص ٣٧ - ٣٨ .

(٢) الجويني ج ١ ص ٢٣ ، SYKE ج ٢ ص ٨٥

Hart . Enc . Br . 15 . P . 706 .

(٣) ابن عبد الظاهر ج ٣ - الالطاف الحفية ص ٤٨ - ٤٩ .

(٤) هورث ج ٣ ص ٣٣٥ .

وكل عشرة من مجموعات الألف تكوّن مجموعة من عشرة آلاف يطلق عليها اسم التومان ويقودها امير يقال له الذوين او النويان ، يشير غرس الدين الظاهري في حديثه عن وصول رسول الى مصر من احد ملوك الشرق يهدده بالحرب او الخضوع ودفن الجزية ويذكر بأن عنده جيوش كثيرة تضم عدة توامين ، وكل تومان عشرة آلاف فارس « (١) .

وعندما يبلغ الجيش عشرة تومانات يطلق على قائدهم امير المائة الف . ويذكر ماژكويولو بعد أن يمدد هذه التقسيمات ، انه يطلق على المائة الف لفظ توك (*Tuc*) وعلى العشرة آلاف لفظ تومان (٢) .

وقد مر علينا ان القائد العام للجيش كان يسمى امير الامراء او بكلمة بيك ويلحق باسمه عادة كلمة النويان ، اذ انه في اغلب الاحيان يكون قائداً للتومان . ويسمي لنا العزاوي (٣) اسما ببقية الرتب العسكرية فيذكر ان قائد الألف يقال له « بيكباش » وان قائد المائة يقال له « يوزباش » وان قائد العشرة يقال له « اونباش » .

ويكون تعيين النويان وامير الالف من قبل الايلخان نفسه ، بينما يتولى النويان تعيين قواد المائة والعشرة . ولما كان الجيش يعتمد على القبائل المغولية في تكوينه ،

(١) زبدة كشف الممالك ص ١٠٣ - ١٠٤ .

(٢) *Marco polo . Op cit . 87 .*

(٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج ١ ص ١٣١ . وهي اصطلاحات تركية كانت مستعملة في الجمهورية العربية المتحدة حتى سنة ١٩٥٨ حيث عرّبت عندها قوام الوحدة .

فانه روعي عند تشكيل وحداته ، أن تضم الوحدة افراداً من قبيلة واحدة فُذُر
الامكان ليكون التجانس والتعاون بينهما قائماً . يؤيد هذا ما اشار اليه رشيد الدين
في حديثه عن استمدادات الامير بوقا عندما عزم على الانقلاب على ارغون ، وانه
اتصل باتباعه من الامراء والمقدمين ، وبعد ان يعدد اسماهم يقول وهذه الجماعة كلها
من الجلالميين (١) .

ويعتبر هذا التشكيل استمراراً لما كان عليه الجيش عند نشوئه ، اذ ان جنكيز
كان يعتبر القبيلة الملتحقة به وحدة عسكرية واحدة ، ويُدعى زعيم القبيلة على رأسها
باعتباره وثيق الصلة بها وأخير بقيادتها (٢) .

وبفضل هذا التنظيم كانت اوامر القيادة تنتقل بسرعة بين كئائب الجيش لان
كل مسؤول فيه كان يتعامل مع عشرة من التابعين له .

ومما اشار اليه المؤرخون المعاصرون لهذا الجيش ان اهم ما يمتاز به هو الطاعة ،
ويعبر عنها ابن فضل الله (٣) بأنها الطاعة لمجرد الطاعة والاستعداد للتضحية .

وحققت هذه الميزة سيادة النظام بين صفوفه ، واسراعه بتنفيذ الأوامر ،

(١) جامع التواريخ م ٢ ج ٢ ص ١٤٣ ،

Molcolm . of . cit . I - 256 .

(٢) سبق العرب جنكيز خان في اتباع هذا الاسلوب في تكوين الجيش ، فان

الجيش العربي الذي خرج بالاسلام لتحرير العراق من الحكم الفارسي وسورية ومصر
من الحكم البيزنطي كان تشكيله يقوم على اساس قبلي ايضاً .

(٣) مسالك الابصار ج ٢ ق ٢ الورقة ٢٢١ ، ابن طباطبا ص ٢٤ ،

Marco polo . P . 86 .

الأمر الذي مكّنه من تحقيق كثير من الانتصارات .

وكانت الكفاءة والشجاعة أساساً للتقدم في هذا الجيش الذي لم يكن فيه مكان لمتواكل أو كسول ، اذ ان الفاشل فيه او المتمرد على أوامره يكون جزاؤه الموت هو وأهله ، فان الابلخان كان يراقب قواده ويحاسبهم على اعمالهم ويعاقبهم على افعالهم . يشير الى ذلك رشيد الدين في حديثه عن حملة هولوكو وكيف انه عند وصوله همدان استدعى قائده بايجو وحاسبه على ما فعله خلال توليه القيادة واتهمه بالتواكل والكسل ، فلم يملك القائد سوى ان جثا على ركبتيه وأخذ يدفع عن نفسه تهمة التقصير (١) .

اما في حالة الحرب فكان الجيش ينقسم بالاضافة الى تقسيماته القيادية ، ينقسم من الناحية الفنية الى تشكيل آخر تراعى فيه المهارات الأساسية للقتال من هجوم أو دفاع ، فهو ينقسم الى ثلاثة أقسام رئيسية هي للقلب ، والميمنة والميسرة . وبالرغم من ان الجيش يعمل خلال القتال كوحدة واحدة متجانسة تخضع لاشراف وتوجيهات القائد العام الذي يكون مقره في القلب عادة ، إلا ان كل قسم من هذه الاقسام كانت له قيادة خاصة به تتولى تنسيق خططه على ضوء خطط القيادة (٢) . ففي خلال الزحف نحو بغداد تولى هولوكو قيادة قلب الجيش بينما اعطى قيادة

(١) جامع التواريخ م ٢ ج ١ ص ٢٦٠ - ٢٦١ ، براون ج ٢ ص ٥٥٣ ،

الدولة الحوارزمية ص ٢١٥ .

(٢) يشير الى ذلك رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ١٤٠ في حديثه عن منصب امارة

قلب الجيش التي عهد بها ارغون الى قنچقيال .

الميمنة الى كل من جورماغون نويان وبالجونويان وقيادة الميسرة الى كيتوبوقانويان ،
وكذلك فعل عند زحفه نحو الشام فقد تولى بنفسه القلب ووزع الامراء على الميمنة
والميسرة (١) .

ومما يتم هذا التشكيل قسم رابع يطلق عليه اسم الطليعة ، يتقدم الجيش
لاستكشاف طريقة ومناوشة العدو وإرباكه ، وقد تكون الطليعة عدداً محدوداً من
الجند ، وقد تكون جيشاً كاملاً ، فقد أرسل اباقا خلال حروبه مع براق طليعة
لا تتجاوز المائة جندي ، بينما كان هولوكو قد ارسل جيشاً كاملاً بقيادة كيتوبوقا
عند زحفه نحو الشام (٢) .

أما اسلحة الجيش فكانت ابسطها واولها السهام وقصبيها والسيوف والرمح
والحراب ، ويمطينا ماركوبولو وصفاً لتجهيزات الجندي في الحرب فيذكر ان كل
جندي يحمل معه ستين (٦٠) سهماً منها (٣٠) ثلاثين صغيرة تستخدم في الرشق
على العدو ، والثلاثين الاخرى اكبر منها بها نهايات واسعة تستخدم في الاطلاق على
العدو عندما يكون قريباً فتصيبه في وجهه او ذراعه وتقطع خيوط قوسه ، وبعدها
يتناول الجندي سيفه (٣) .

(١) رشيد الدين م ٢ ج ١ ص ٢٨١ ، ٣٥٥ ، بينما عهد اباقا في حروبه مع
بركة خان قيادة الميمنة والميسرة الى اخوته يشعوت وتبشين . انظر م ٢ ج ٢ ص ٣٤ ،
٤١ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٨٣ .

(٢) رشيد الدين م ٢ ج ١ ص ٢٣٥ - ٢٣٦ ، ٣٥٥ ، م ٢ ج ٢ ص ٣٤ ،

Marco Polo . P . 87 .

Marco Polo . P . 360 - 361 .

(٣)

وتسمى هذه الأسلحة ، الخفيفة ، ولكن الجيش بعد تطوره واحتكاكه اقتبس انواع اخرى من الأسلحة عرفت بالأسلحة الثقيلة ، وهي التي اصبحت محتاجها عند حصار المدن خاصة ، ومنها المنجنيق الذي كان يستعمل لقذف الحجارة على المدن المحصورة لتهديم ابراجها وقتل الجنود الذين يدافعون عنها ، وقد اضطر هولاء كوخلال حصاره بغداد وتمذر حصوله على الاحجار اضطر الى قذف اشجار النخيل بدلا منها ومنها ايضاً المرادات التي كانت تتولى عملية ثقب الأسوار لكي ينفذ الجنود منها الى داخل المدن المحصورة ، ومنها قاذفات النفط التي كانت ترمي القوارير المملئة بالنفط المشتعل ، وبالإضافة الى هذا كله كانت هناك الدروع التي يلبسها الجنود والذرق التي يحتمون خلفها (١) . وكان يرافق الجيش عدد من المهندسين الذين يتولون تهديد الطرق واقامة الجسور والمعابر على مجاري المياه (٢) .

ولم يكن الجند ، في اول الأمر يتقاضون اجورهم نقداً وإنما وزعت عليهم اقطاعات من الارض تزرع لحسابهم ويتوارثها ابناؤهم ، يشير الى ذلك ابن فضل الله بقوله : ولكل طائفة ارض لتزولهم توارثها الخلف عن السلف منذ ملك هولاء هذه البلاد ، وفيها منازلهم وبها مزدرع لأقواتهم ، لكنهم لا يمشون بالحزب والزرع (٣) . يؤكد هذا ما اشار اليه رشيد الدين من ان اموال خراسان كانت توزع على

(١) رشيد الدين م ٢ ج ١ ص ٢٨٧ - ٢٨٨ ، ٢٣٥ ، ابن العبري ص ٢٧١ ،

الحوادث الجامعة ص ٣٢٥ .

(٢) الدولة الخوارزمية والمغول ص ٢١٦ .

(٣) مسالك الأبصار ج ٢ ق ٢ الورقة ٢٨١ ، القلقشندي ج ٤ ص ٤٢٥ .

الجند المقيم بها والذي يتولى الدفاع عنها (١) .

وكان الحد الأدنى للاجور هو مائة دينار يتقاضاها كل من الجندي أمير العشرة وأمر مائة ، لا فرق بينهم ، ولكن هذين القائدين الأخيرين كانا يحتجزان لهما مما هو مقرر للجيش بحكم مزيتهما عليه ، ولا يشير ابن فضل الله الى مقدار ذلك ، اما أمير الألف فلمقرر له الف دينار ، بينما قرر للثون عشرة آلاف دينار ، ولكن تطور الاوضاع السياسية للدولة وتحكم الامراء فيها فسح المجال لكبارهم ان يتخطوا ما هو مقرر لهم في الديوان ، فلم يعد الثويان يفتح إلا بأربعين او خمسين تومان . اما كبار الامراء الذين يحملون لقب البكركريك ، فلم يكن هناك قيود تحد من مواردهم ، مثال ذلك ان الامير چوبان الذي تولى الوصاية على ابي سعيد كان يحصل على ثلاثمائة تومان - أي ثلاثة ملايين دينار في السنة بخلاف ما يحصل عليه عند تقدير ضمان البلاد المختلفة (٢) .

وقد مر علينا محاولة غازان لوضع حد للفوضى المالية التي كانت عليها البلاد ، وكان من جماتها اعادة تنظيم اجور الجيش ، فسحب منهم موارد الاقطاعات وحدد لهم اجوراً نقدية يتقاضونها في كل فترة زمنية ، ولا بد أن هذه الاجور لم تكن تتفق ورغبات كبار الامراء الذين وجدوا في استمرار العمل بها بعد وفاة غازان قيماً يحدد من مصروفاتهم وبالتالي يحدد من نفوذهم ، فأبطل العمل بها وتم ذلك في عهد

(١) جامع التواريخ م ٢ ج ٢ ص ١٥٦ .

Howorth . P . 337 .

(٢) مسالك الأبصار ج ٢ ق ٢ الورقة ٢٨٠ - ٢٨١ .

ابي ضميد على الأكثر (١) .

النظام المالي :

أشرنا فيما سبق الى ان المغول استمناوا عند خروجهم من الصحراء بأبناء البلاد التي خضعت لهم ، وكان غرضهم من ذلك ، تحقيق منافع السيطرة والفتح ، ومن أهمها تأمين العلاقة السلمية بين الحاكم والمحكوم وتنظيم جباية خيرات المحكومين لمنفعة الحاكمين .

ورث المغول من جملة ما ورثوا عن الحكومات السابقة وخاصة الخلافة العباسية ورثوا نظامها المالية التي كانت سائدة فيها . ولما كان المغول يفتقرون الى النظم الحضارية ، فقد أخذوا بهذه النظم ولم يغيروا فيها فضلا عن انهم استخدموا معظم رجالاتها ، وقد مر علينا مصداق ذلك في حكومة بغداد .

كان النظام المالي السائد في البلاد الاسلامية يقوم على الموارد التي تحصل عليها

(١) لان السلطة كانت بيد الامراء انفسهم وخاصة چوبان فضلا عن انه لدينا ما يشير الى ان الجند كانوا يتقاضون رواتباً في عهد اولجايتو . انظر مقدمة كاترمير لجامع التواريخ م ٢ ج ١ ص ٤١ ، بينا يشير حمد الله في حديثه عن ولاية خراسان ومحاولة الوزير غياث الدين اصلاح اوضاعها المالية ، يشير الى ان الجيش كانت له اقطاعات فيها ، وانه حاول ان يقوم بحساب هذه الاقطاعات لكي يحمل ضرائب خراسان الى الخزانة ولكن الزمن لم يساعده . حمد الله مستوفي قزويني نزهة القلوب ص ١٤٧ ، ترجمته الانكليزية ص ١٤٦ - ١٤٧ .

الخلافة من الضرائب الشرعية بالدرجة الاولى ، وغير الشرعية في كثير من الاحيان (١).
اما المغول فلم يكن من طبعهم ان يميزوا بين الشرعية وغيرها مادام ذلك يوفر لهم مزيداً من المال ، فقد اعتبروا كل انواع الضرائب التي كان معمولاً بها في السابق مصدراً يهتدي به وأضافوا من عندهم ضرائب اخرى في بعض الاحيان عندما تشتد بهم الحاجة الى المال .

وعلى ذلك أصبحت موارد الدولة الايلخانية تعتمد على الضرائب الآتية :

١ - ضريبة الخراج : - وهي ضريبة الارض ، او ثمن ايجارها يدفعه الفلاح نقداً او عيناً او بكليهما معاً تخفيفاً عنه .

وعندما ورثها المغول كانت قد بعدت كثيراً عن اصولها الشرعية إذ ان المتغلبين على الخلافة ، وحتى الخلفاء انفسهم تلاعبوا بنسبها وأقسامها (٢) كلما

(١) اما الضرائب الشرعية فهي الخراج ، الجزية ، الصدقات ، العشر الذي يؤخذ من التجارة ، وخمس المعادن وخمس سبب البحر وارث الميت الذي لا وارث له ، اما غير الشرعية ، فضرائب الأسواق ، الحوانيت ، الضرائب التجارية والاضافات على الضرائب الشرعية .

(٢) فهناك نوعان من الارض ، الاولى التي امتلكها العرب عند تحريرهم البلاد من الحكم الفارسي مثلاً ، وقد سميت بالاراضي العشرية ، واصلها من اراضي الاسرة المالكة او من الارض التي هرب عنها اصحابها ، ومقدار الضريبة عليها العشر . اما النوع الثاني فهي الخراجية التي ابقاها العرب بيد اصحابها وفرضوا عليهم دفع ايجارها وهو الخراج وكان لا يزيد عن النصف . انظر في ذلك الدوري - النظم الاسلامية ص ١٦٠ وما بعدها .

اجتاجوا الي مزيد من الاموال حتى الف الناس الزيادة فيها . من ذلك ما نقله ابن الاثير ان مدينة بمقوبة اصبحت تدفع في زمن الخليفة الناصر لدين الله ثمانين الف دينار بينما كان خراجها عشرة آلاف فقط (١) .

وتسلم المغول هذه الصورة من الضرائب واعتبروها اساساً لعلاقتهم مع الحكوميين ونسجوا على منوالها ، وليست لدينا معلومات واضحة عن المدى الذي اندفع فيه الحاكون الى التلاعب فيها . وبالرغم مما أشار اليه الدكتور الفيل من ان المغول أبقوا هذه الضريبة كما هي مع ملاحظة نوع الارض المفروضة عليها (٢) ، إلا أن الخراج لم يسلم من التلاعب به من قبل الحاكين عندما يحتاجون الي مزيد من المال . فقد ضاعفه جمال الدين الدستجورداني ، كما ضاعفه من بعده صدر الدين الخالدي (٣) ، هذا بالاضافة الي ان الايلخانات كانوا يعملون دائماً على التخفيف عن الرعية والاحسان اليها وإزالة الأتقال عنها في كل مناسبة مما يدل على استمرار التلاعب به . من ذلك ما قام به اباقا عند زيارته بغداد سنة ٦٧٢ هـ ، بينما أرسل كيميخاتو نائيه محمد السكورجي ليزيل عن الرعية ما جدد عليها من الاتقال ، وكذلك فعل غازان عندما خفف عن الناس ما يقاسونه من أمر الخراج (٤) .

(١) الكامل في التاريخ ج ٩ ص ٣٦١ - ٣٦٢ .

(٢) الجغرافية التاريخية للعراق بين الفتح المغولي والفتح العثماني ص ١٩٩ .

خصباك - احوال العراق الاقتصادية في عهد الايلخانيين - مجلة كلية الآداب - جامعة

بغداد م ٤ أغسطس ١٩٦١ ص ١٣٦ .

(٣) الحوادث الجامعة ص ٤٩٥ .

(٤) نفس المرجع ص ٣٧٥ ، ٤٧٥ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ .

أما أولجايتو فقد اسقط بعض الرسوم الإضافية التي كانت مقررة من قبل
معملاً ذلك بأن الدولة ليست محتاجة إلى مال الرعية ما داموا يؤدون الخراج (١) .
ومن المحتمل أن الخراج كان يستوفى نقداً من الناس ، على العكس مما كان
عليه استيفاؤه في العصر العباسي الذي رخص للناس دفعه نقداً أو عيناً ، وذلك أن
غازان استجاب لشكوى الناس من إلزامهم بالخراج ذهباً احمرأ ، الأمر الذي أضر
بهم ، فأمر بإجرائهم على عاداتهم منذ فتحت بغداد (٢) .

ويشير كذلك ابن الفوطي في حديثه عن هبة الله بن يوحنا النضري الكاتب
الذي كان من أيام استيفاء الخراج من النواحي والبلاد ، يحضر إلى الديوان ومعه
كيس مملأ بالدراهم ليتم به خراج من ليس له طاقة ، ومن عجز عن الخراج (٣) .
ضريبة الجزية . أو الرؤوس : - وتسمى أيضاً بالضريبة الشخصية ، وكانت
مفروضة على أهل الذمة في زمن الخلافة ، وهي تمن حماية المسلمين لهم ، وكانت درجاتها
ثلاثة بالنسبة لحالة الذمي المالية ، فالفقير يدفع اثني عشر درهماً ، ومتوسط الحال
أربعة وعشرين ، والموسر ثمانية وأربعين . وهي تعادل في وقتها من الذنائب ،
ديناراً واحداً . ودينارين وأربعة .

ولم يكن هذا النوع من الضرائب غريباً على المنول حتى في صحرائهم ، فالرحالة
ماركوبولو يشير في حديثه عن بداية أمر التتار أنهم كانوا خاضعين للملك يقال له

(١) ابرو ص ٥٥

(٢) الحوادث الجامعة ص ٤٩٣ .

(٣) مجمع الآداب في معجم الألقاب ج ٤ ق ٢ ص ٩٦٨ - ٩٦٩ .

اونك خان *Unk Kan* وكانوا يدفعون له الضريبة ومقدارها عشر من كل شيء
مما عندهم (١) .

وورث جنكيز وأبناؤه هذا النمط من الضريبة ففرضوها على الشعوب التي
خضعت لهم ، يشير الى ذلك مينورسكي في حديثه عن تبريز ، ان القائد المغولي
جورماغون استدعى أشرف المدينة وأخذ منهم غرامة كبيرة ، وأمر الغزاليين بصنع
التياب الخطائي للملكهم الاعظم اوكتاي وفرض عليهم جزية سنوية معينة (٢) .

ويوضح لنا الرحالة الصيني شانك تي *Ch'ang . Te* الذي تولى السفارة بين
منكوخان وأخيه هولانكو فيقول بمد عبوره نهر سيحون متجهاً نحو الغرب « ان
الناس هنا يدفعون عشرة قطع ذهبية كضريبة على كل رأس كحد أعلى ، ولكن هناك
فروق عملت في الضريبة بالنسبة للفقير والغني » (٣) .

(١) رحلة *Mar* ص ٧٨ .

(٢) مينورسكي ترجمة المعارف الاسلامية م ٤ - تبريز - ص ٥٤٤ .

(٣) *Bretschneider - I - P . 131 .*

ويستعير الناشر في الحاشية رقم (٣٤٠) ما نقله دوسون عن رشيد الدين قوله
بأن منكوخان أمر سنة ١٢٥١ م بملاحظة الضريبة في ايران بأن تؤخذ من الفقير
دينارا واحداً من الذهب ، ومن الاغنياء عشرة دنانير .

ومن المحتمل ان ابن العبري كان هو المرجع الذي نقل عنه هؤلاء فانها في
ص ٢٦٢ - ٢٦٣ يشير الى ان منكو أمر بأن يؤدي المتحول ببلاد الخطا في السنة
(١٥) دينار والوضع ديناراً واحداً . وبلاد خراسان يزن المتحول في السنة ١٠
دنانير والفقير ديناراً واحداً .

وطبق هولانگو هذه الضريبة ، ولم يميز بين المسلمين واهل الذمة عندما أمر
بجمع اهل بغداد وكتب اسماءهم وجعل عليهم اصراء الوف ومئات وعشرات وقرر على
كل واحد منهم ما يؤديه في كل سنة على قدر حالهم ما عدا الشيخ الكبير ومن هو
غير بالغ (١) .

ودفع السكان الجزية مرة واحدة على الأكثر ، اذ ان علاء الدين عطا ملك
اسقطها عنهم عند توليه حكومة بغداد (٢) .

وكان اول تطبيق شرعي لضريبة الجزية في عهد احمد تكودار اول الايلخانات
المسلمين الذي فرضها على اهل الذمة ، وراعى في تطبيقها الاعفاءات الشرعية ، فأعفى
الكنائس والأديرة والقسس والرهبان من دفعها (٣) ، ولا بد انه عين الموظفين
لاستيفائها وأنشأ لذلك ديوان الجوالي .

وليس لدينا ما يشير الى ان ارغون اوقف تطبيقها عند توليه ، وان كنت
اميل الى القول بأن تنفيذها كان يتمثر بسبب صلات ارغون بالمسيحيين خاصة ،
بالاضافة الى ان معظم اعوانه كانوا من اليهود والمسيحيين (٤) . الذين لا يهون عليهم
حتما ان يفرم ابناء طائفتهم كل سنة هذا المبلغ من المال حتى لو كانوا هم بمنجاة من دفعه

(١) الحوادث الجامعة ص ٣٣٩ ، مصطفى بدر - ايران في عهد غازان ص ١٣٧
وايست لدينا معلومات عن مقدار ما فرضه هولانگو على الناس في هذه الضريبة .

(٢) خصباك - احوال العراق الاقتصادية ص ١٤١ مجلة كلية الآداب - بغداد
م ٤ اغسطس ١٩٦١ .

(٣) الصائغ ج ١ - تاريخ الموصل ص ٢٤١ - ٢٤٢ .

(٤) Howarth . 3 . 344 .

بموجب نفوذهم ومكانتهم .

ومما يشير الى استمرار بقاء ديوان الجوالي ، وقيامه بعمله ان وزير كنيختاتو صدر الدين الخالدي - صدر جهان - ارسل اخاه زين الدين محمد الى بغداد ليتولى منصب قاضي القضاة والوقوف والوكالة والتركات والمقاطعات والجوالي (١) .

واستقرت ضريبة الجزية في عهد غازان الذي جعل من الاسلام ديناً رسمياً للدولة ، وأمر أن ينادى بين الناس بضرورة اعتناقه وتطبيق احكامه ، ولاحق الجوس والمشمسة والمنوية ، وفرض الجزية على اليهود وعاملهم باحتقار وأنكر على النصارى ما يعتقدونه ، وشدد في معاملة اهل الذمة وألزمهم بلبس الغيار (٢) .

واقتنى اولجايتو سياسة اخيه في مضايقتهم وتمييزهم عن المسلمين وفرض الجزية عليهم ، ويذكر ابن الفوطي ان الامير سندمر بن اميرك مسؤول ديوان الجوالي في عهده اختار عز الدين ابو محمد الحسن المعروف بالمامجي ليتولى مسؤولية استيفاء الجزية من بعض اهل الذمة ، وكان جليلاً أميناً قيماً بما فوض اليه واعتمد فيه عليه (٣) . وعلى منواله سار ابنه ابو سعيد الذي حافظ على هذه السياسة وصدر في عهده مرسومان في ملاحقة اهل الذمة وتطبيق احكام الشريعة عليهم ، حتى اضطر الكثير منهم الى اعتناق الاسلام تخلصاً من هذه المضايقات (٤) .

(١) الحوادث الجامعة ص ٤٧٨ .

(٢) وصاف م ٣ ص ٣٢٤ ، الحوادث الجامعة ص ٤٨٣ - ٤٨٤ .

(٣) تاريخ كزبيدة ص ٥٩٥ ، مجمع الآداب ج ٤ ق ١ ص ١٠٨ في الحديث

عن عز الدين المامجي .

(٤) كان الاول منهم سنة ٧٢١ هـ ، والثاني سنة ٧٣٤ هـ . انظر : ابو الفداء -

لقد كانت ضريبة الخراج والحزبية من اهم الموارد التي اعتمدت عليها الدولة في زمن الخلافة ومن ثم الايلخانية ، وخاصة ضريبة الخراج .

اما الضرائب الاخرى ، فكانت منها ضريبة الزكاة او الصدقة وهي الضريبة الشرعية الثالثة فليس لدينا ما يشير الى وجودها في العهد الايلخاني ، ومن المحتمل ان المسلمين كانوا يخرجونها بأنفسهم ويوزعونها على مستحقيها بمعرفتهم او بالاستعانة برجال الدين من المسلمين ، خاصة وانها ضريبة اسلامية خالصة ، وان الحكم الايلخاني القائم لا تتوفر فيه شروط الحكومة المسلمة ليكون تقديمها اليها واجباً شرعياً .

وبكانت ضريبة العشر تفرض على التجارة الخارجية ، واستمر استيفائها في العهد الايلخاني ما دامت الحركة التجارية مستمرة وخاصة في فترات السلم (١) . وقد فرض اوجايتو على تجار جيلان الخراج (??) عندما رفضوا الخضوع له والدخول في طاعته (٢) وعزم على حربهم .

- المختصر في اخبار البشر ج ٤ ص ١١٧ ، المقرئزي السلوك ج ٢ ق ٢ ص ٣٧٥ ويوسف غنيمية - نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق ص ١٤٩ .

(١) وبما يلاحظ في ذلك انه بالرغم من انقطاع الصلات السياسية وغلبة حالة الحرب بين الايلخانية والدول المجاورة لها من الشمال والغرب ، فان القوافل التجارية لم تنقطع عن التنقل بين البلاد في الحالات التي تكون الحرب قائمة فعلاً . وكثيراً ما تعرض التجار لغضب الحاكمن في البلاد الاخرى مثل ذلك ما فعله هولاءكو بتجار بركة خان الذين كانوا في بلاده بعد هزيمته ، وما قابله به بركة خان ايضا بعد ذلك .

(٢) واظنه يقصد ضريبة العشر وليس الخراج . انظر تاريخ كزبده ص ٥٩٦

حبيب السير م ١ ج ٣ ص ١١٠ .

وخضعت ضرائب التجارة شأنها شأن بقية الضرائب الاخرى لرغبات الحاكمين وحاجتهم الى الاموال ويعطينا هورث نموذجاً لفداحتها ونقلها عندما ينقل لنا احصائية عن مقدار المفروض منها على البضاعة التجارية القادمة من ايطاليا - فينيسيا - منذ دخولها الحدود حتى وصولها الى تبريز ، فيذكر انها تبلغ (٢٠٩) او (٢٠٣) من الاسبيرز *Aspers* ، وانها تتحمل نفس هذا المقدار عند عودتها (١) علماً بأن هؤلاء للتجار كانوا يتمتعون بموجب الاتفاقية التي عقدها اوجايتو مع فينيسيا سنة ١٣٠٦هـ / ١٣٠٦ م ، والتي جددتها ابو سعيد سنة ١٣٢٠هـ / ١٣٢٠ م ، كانوا يتمتعون بكثير من التسهيلات المشجعة لهم على الوفود الى البلاد والمكوث فيها ، وانه لا تؤخذ منهم سوى الضرائب العادية مع ضرائب الحراسة (٢) .

على ان الايلخانات كثيراً ما كانوا يحسون بفداحة الضرائب المفروضة على الناس ، فيسارعون الى تخفيفها وإزالة آثارها ، وقد مر علينا بعض احصائهم هذا في ضريبة الخراج .

وكذلك فعل ابو سعيد بالنسبة لضرائب التجارة فانه في سنة ٧٢٠هـ بعد ان رأى ما حل بالبلاد من نكبات اقتصادية وبشرية ، أمر بازالة جميع المنكرات وكتب الى الموصل وبغداد وغيرها بابطال جميع المكوس التي تجبى من التجار الواردين

(١) الاسبيرز هو وحدة العملة المتداولة في ايطاليا . انظر . *Howorth* .

ج ٣ ص ٦٣٠ - ٦٣١ وهو يعتمد في ذلك على بيكولوتي في كتابه « ملاحظات على طريق الصين » .

(٢) المرجع السابق ص ٦٣١ - ٦٣٣ .

الى البلاد (١) .

اما الضرائب على التجارة الداخلية فكانت تفرض على ما يتعامل به الناس في الأسواق ، وقد وردت تحت اسماء عديدة منها صربية الطمغا ، ومنها المؤونة ، ومنها مكس الغلة ، بالاضافة الى الرسوم الاخرى والأصل الشرعي في هذه الضرائب انها نصف العشر ، ولكن مضايقة الناس منها وتهربهم من دفعها (٢) يدل على انها كانت اكثر من ذلك بكثير . ويمطينا النقش الموجود في ديار بكر نموذجاً لما كان يتحملة التجار من اضافات . وقد جاء فيه : ان يسقط عن تجار آمد المحروسة ما كان يؤخذ منهم من الأوزان والمقررات والوظائف والطارئات ، وان يطلق لهم ويزال عنهم ضمان الكرى ، وان يستمر الكيل عندهم على عادته المستمرة وقاعدته المستقرة ... وذلك في شهر رجب ٥٧٣١ هـ (٣) .

وقد مر علينا ان الابخانات كانوا كثيراً ما يسارعون الى تخفيف الضرائب عن الناس من ذلك ما قام به اباقا عند زيارته بغداد سنة ٦٧٢ هـ فقد أمر بتخفيف التمامات - الطمغات - وحذف الانتقال عن الناس وأمر بتدوين ذلك على جدران المدرسة المستنصرية ، اما ابو سعيد فقد أبطل مكس الغلة سنة ٧٢١ هـ تخفيفاً عن

(١) السلوك ج ٢ ق ١ ص ٢١١ ، العيني ، الورقة ٢٤١ - ٢٤٣ في حوادث سنة ٧٢٠ هـ وكان من جملة ما اصاب البلاد تعرضها لمجاعة دامت ثلاث سنوات باع الناس فيها اطفالهم واكلوا لحوم بعضهم .

(٢) من ذلك ما اشار اليه صاحب الحوادث الجامعة ص ٤٠٤ من ان احد اهل السواد احضر طاره من الدخن بيعت بدرهم فطولب بالمؤونة عليها درهمين فانهم وتركها .

Repertoire . 15 . P . 9 . No , 5614 .

(٣)

الناس ما لقوه من ضائقة المجاعة ، وعند شفائه من مرضه سنة ٧٣٦ هـ أمر باسقاط المكوس من تبريز وإمداد الموصل (١) .

ومن الضرائب الأخرى نصيب الدولة من الوقوف ، وكان مقدارها عشر مستغلات الأوقاف وقد تولى نصير الدين الطوسي وأبناؤه من بعده مسؤولية الاشراف على الوقوف في البلاد ، وكان لهم في كل بلد نائب يشرف عليها ويحمل عشر مستغلاتها اليه لكي يعرفها على دار الرصد وعلمائه (٢) . على ان الدولة كانت تستغني في بعض السنين عن اخذ هذه الحصة مساعدة منها لأحوال المنتفعين بالوقوف كما حصل ذلك سنة ٦٨٣ هـ حيث حذفت الحصة الديوانية من الوقوف ووفرت على اربابها (٣) .

ومن الضرائب الاخرى ما تحصل عليه الدولة من وراثة المتوفى الذي لا وارث له بالاضافة الى الضريبة على التركات التي فرضوها منذ استيلائهم على بغداد ، يشير الى ذلك ما نقله الدكتور خصباك عن عطا ملك قوله : عندما عهد لي هولاءكو أمر حكم العراق وجدت ضرائب الارث تؤخذ في تلك المنطقة بأجمعها ، ولكنني ألغيتها (٤) .

(١) الحوادث الجامعة ص ٣٧٥ ، السلوك ج ٢ ق ٢ ص ٣٨٩ - ٣٩٠ ، العيني

الورقة ٣٠٣ في حوادث سنة ٧٢١ هـ .

(٢) الصائغ ج ١ تاريخ الموصل ص ٢٤٨ . سليمان الظاهر في مقالة . نصير الدين

الطوسي ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج ٢ م ٣٦ ابريل ١٩٦١ ص ٢٤١ - ٢٤٧ .

(٣) الحوادث الجامعة ص ٤٤٣ . مجمع الآداب ج ٤ ق ٣ ص ٧٤ - ٧٥ في

الحديث عن فخر الدين الآملي التبريزي .

(٤) خصباك - احوال العراق الاقتصادية - ص ١٢٦ مجلة كلية الآداب - بغداد

م ٤ اغسطس ١٩٦١ .

وأنشأت الدولة لذلك ديوان التركات الذي يتولى محاسبة الورثة واقتطاع حصته الدولة منها (١) . وليس لدينا ما يشير الى مقدارها ، ويظهر ان الدولة كانت تلجأ في بعض الاحيان وخاصة ايام ازمتها المالية الى اعطاء مسؤولية التركات لغير المسلمين ليكونوا أقدر على حرمان الورثة من حقوقهم كما فعلت ذلك سنة ٦٨٧ هـ حين عينت يهوداً من تفليس على تركات المسلمين في بغداد فأجروا الأمر على ان لا يورثوا ذوي الارحام وذلك بانكار او عدم الاعتراف بأي صلة نسب بين المتوفى وادعياء ورثته ليكون في امكانهم الاستيلاء على التركة بأجمعها لحساب الدولة (٢) .

وأصبحت المصادرة ضربية شبيهة دائمية يكافأ بها اغلب من يشتغل مع المغول ، والسعيد منهم من ينجو برأسه بعد المصادرة التي اصبحت تشكل دخلاً لا بأس به في ميزانية الدولة ، من ذلك ان عطا ملك الجويني تعهد عند اعتقاله بدفع مبالغ ثلاثمائة تومان ثمن حياته ، ثم لم ينجح بعدها . وكذلك كان شأن غيره من العمال (٣) .

ومن الموارد الاخرى ما تفرضه الدولة من رسوم على الخمرات ودور الفاحشة وأمثالها (٤) .

(١) الحوادث الجامعة ص ٤٧٨ في الحديث عن زين الدين محمد الخالدي .

(٢) المرجع السابق ص ٤٥٥ ، الصفدي ج ٦ ق ١ - اعيان العصر الورقة ٢١٢ - ٢١٤ في الحديث عن الوزير غياث الدين ، يوسف غنيمية - نزهة المشتاق ص ١٤٦ .

(٣) رشيد الدين م ٣ ج ٢ ص ٨٤ ، وكذلك كان حال اخيه شمس الدين محمد ومن بعدهم بوقا وذيهم .

(٤) المعيني الورقة ٣٠٣ في حوادث سنة ٧٢١ هـ . العزاوي ج ١ ص ٥١٣ .

وهناك موارد اخرى غير منظورة ، منها ما تحصل عليه الدولة عند تغيرها العملة وإتباعها نسبة الذهب او القضة فيها ، او فرضها دفع ضرائب بعملة معينة كما فعل الوزير المستجرداني في عهد غازان عندما فرض الخراج بالذهب الاحمر ، او ما فعله صدر جهان وزير كيخاتو عند اصداره عملة الجاو - الورقية ، وفرض تعاملها بين الناس لكي يسحب النقود من السوق (١) .

هذه الموارد التي مرت كانت كلها مألوفة لدى الناس ، ولكن المغول لم يكتفوا بما تدره عليهم من اموال بالرغم من ثقلها على الناس ، فأضافوا اليها ضرائب اخرى . من عندهم ، خفف من ثقلها انها كانت مؤقتة تفرض عند تعرض الدولة للأزمات المالية . من ذلك ضريبة المساعدات الاجبارية ، حيث قام علاء الدين عام ٦٧٧ هـ باستيفاء مبلغ خمسين الف دينار من بغداد وأعمالها على وجه المساعدة ، وكذلك فعل ارغون عندما قدم بغداد سنة ٦٩١ هـ فألزم أهلها بالمساعدة فلم ينج منه حتى قاضي القضاة والمدول .

وقام جمال الدين المستجرداني سنة ٦٩٤ هـ بجمع الاموال على وجه المساعدة من اهل بغداد والتجار والثناة (الملاكين) وغيرهم لتقديمها الى بايدو الذي كافأه وعينه وزيراً (٢) .

وكذلك فعل نوروز سنة ٦٩٥ هـ عند تولي غازان ، فقد كانت الخزانة خالية

(١) الحوادث الجامعة ص ٤٧٧ ، ٤٩٣ ، ٤٩٨ ، خواندمير م ٣ ج ١

ص ٧٩ ، ميخوند ج ٥ ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٢) الحوادث الجامعة ص ٣٩٨ ، ٤٢٤ ، ٤٨٢ - ٤٨٣ .

والجيش بحاجة الى الاموال لدفع الخطر الذي كان يهدد خراسان ، فتقرر ان يقدم جميع القادرين على امداد الجيش بالاموال او الحيوانات (١) .

وفرضت الدولة ايضاً ضريبة العقار او الاملاك عند ما قامت باحصاء الدور ببغداد وفرضت عليها اجرة شهرين مرة وثلاثة اشهر مرة اخرى (٢) .

وفرضت ايضاً الفروض الاجبارية على التجار لمساعدة الدولة في سنة ٦٨٢ هـ .
وسنة ٦٨٦ هـ (٣) .

وبالاضافة الى هذا فقد جرت العادة ان يقوم السكان بالاتفاق على الجيش خلال تنقله في البلاد حيث تفتح الدور لهم وتترك المزارع والمراعي لحيواناتهم ، على ان بعض الايخانات وخاصة الذين اسلموا منهم رفضوا ذلك ومنعوا جيوشهم من مضايقة الناس وسلبهم ما يملكون (٤) .

وكانت آخر وسائل السلب التي لجأوا اليها ما فعله ارغون لعقاب مدينة الموصل التي قتلت رسول البلاط المدعو متى الذي قدم لجمع ضرائبها ، حيث خول ابناء المقتول الانتقام لأبيهم وجباية المدينة مبالغ عشرة آلاف تومان (٥) .
هذه هي الموارد التي كونت ميزانية الدولة الايخانية . اما طارق جبايتها ،

(١) وصاف م ٣ ص ٢٢٥ - ٢٢٦ .

(٢) الحوادث الجامعة ص ٣٩٨ ، ٤٣٠ .

(٣) المرجع السابق ص ٤٣٠ ، ٤٥١ .

(٤) المرجع السابق ص ٤٣٠ ، ٤٩٢ . وصاف م ٣ ص ٣٢٥ - ٣٢٦ .

ابرو ص ٥٥ .

(٥) نقل ذلك عن التاريخ السرياني .

فقد اختلفت بالنسبة لنوع الضرائب . ويمكن ملاحظة ثلاثة طرق اتبعتها الدولة في الجباية ، فقد اتبعت الجباية المباشرة لجمع ضرائب الجزية والتركات والوقوف و بعض الضرائب التجارية . وكانت الجباية بطريقة الضمان او الالتزام اكثر الطرق شيوعاً في جباية العراق حيث اتبعت في جباية الخراج والطمغات ، والخمر والفاحشة وغيرها . وكان صاحب ديوان العراق او حاكمه يعتبر الضامن الاول له أمام الدولة ، حيث يقوم هو بدوره بتضمين ولاياته الى الصدور او النظار ويتولى محاسبتهم (١) . وقد مر علينا ان الايلخان في بعض الاحياز كان يمنح ضمان بعض المناطق من العراق مباشرة الى بعض المقرئين له ، فلا يكون حينئذ لصاحب الديوان سلطان عليهم (٢) .

وقليلاً ما اتبعت الدولة طريقة الجباية بواسطة الاقطاع ، اللهم إلا لتعاقب بعض الأغراض السياسية ، كما فعات مع بعض اللاجئين اليها من زعماء القبائل العربية الفارين من الشام فكانت تقطعهم ضرائب بعض المناطق او المدن لتفريغهم بالبقاء والوقوف بجانبها في صراعها مع الدولة المملوكية ، من ذلك تشجيع هولاء كوزامل ابن علي الذي وفد عليه فأعطاه اقطاعاً بالعراق (٣) ، وكذلك تشجيع آل الجايقو للأمر مهنا بن عيسى ليتعاون معه فأقطعه مدينة الحلة وغيرها ، وكذلك اقطع آل الجايقو سليمان بن مهنا البلاد الفراتية بحيث اصبح نوابه يستخرجون له الاموال من

(١) الحوادث الجامعة ص ٣٨١ ، ٣٨٣ ، ٣٧٧ ، ٤٠٤ .

(٢) نفس المرجع ص ٣٩٥ .

(٣) السلوك ج ١ ق ٢ ص ٥٣٥ ، العيني الورقة ٥٢٠ في حوادث سنة ٦٦٣ هـ .

هيت والحديثة والأنبار وعانة (١) .

وكذلك فعل ابوسعيد عندما اقطع الأمير فضل بن عيسى مدينة البصرة (٢). ولم تكن عمليات الجباية تمر بسهولة أمام تشدد الجباة وغلومهم في استيفائها وعجز الناس عن دفع ما فرض عليهم مما لا قبل لهم به ، لذلك كان يرافق هذه العمليات كثير من الشدة والعسف والقهر ، حتى اصبح التعذيب والقتل الوسيلة التي يلجأ اليها الجباة لاستخراج الاموال . وقد اضطر اهل بغداد سنة ٦٧٧ هـ الى الاختفاء واغلاق الاسواق عندما فرضت عليهم بعض الضرائب ، فطالب المستوفي النساء بما قرر على رجاهن (٣) .

وعندما توصل سعد الدولة اليهودي الى ارغون الذي اوفده لجمع متأخرات الضرائب على بغداد قام بجمعها بضرب العصا والتعذيب (٤) .

وكان المسؤولون عن الجباية مضطرين الى سلوك هذه الأساليب في الجباية لانهم ان لم يوفوا ما عليهم من التزام ، سوف يعاملون بمثل ما يعاملون الناس به ، لذلك فقد كانوا يتوقون هذا اليوم بالاستزادة من الجعم واتباع كافة الأساليب التي تحقق لهم ذلك ما دامت الدولة لا تحاسبهم على ما يحدث لديهم ، بقدر ما تحاسبهم على مقدار ما يقدمون ، ولكنهم بالرغم من كل ذلك لم يخلصوا من المذاب ، اذ قلما

(١) ابو الفداء ج ٤ ، ص ٧٣ ، ابن حجر الدرر الكامنة ج ٢ ص ١٦٣-١٦٤ ،

ج ٤ ص ٣٦٨ - ٣٧١ ، الصفدي م ٥ ق ١ الوافي بالوفيات الورقة ١٤١ .

(٢) ابو الفداء ج ٤ ص ٨٥ ، ٨٧ .

(٣) الحوادث الجامعة ص ٢٩٨ .

(٤) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ١٣٨ .

نحو ما دامت مطالبات الايلخانات ليس لها حدود (١) .

ولم تجر محاولات جديدة لاصلاح الفوضى المالية قبل غازان (٢) . وبالرغم من ان اصلاحاته جاءت متأخرة إلا انها ساعدت كثيراً على انعاش الوضع المالي ، وانقاذ الفلاح من جشم الجباة ومضايقة رسل الدولة ومطالبات الجيوش المارة بالقرى (٣) . وبالرغم من عدم توفر احصائيات لموارد البلاد خلال الحكم الايلخاني ، إلا ان هذا الاصلاح كان له أثره في رفع موارد الايلخانية الى (٢١٠٠) الفين ومائة تومان

(١) يعطينا صاحب الحوادث نماذج لنهايات هؤلاء الموظفين ، ولو قمنا باحصائية لهم لوجدنا ان اغلبهم لقي مصرعه تعذيباً او خوفاً منه ، شأنهم في ذلك شأن جميع وزراء الايلخانية .

(٢) يمكن القول ان هناك بعض المحاولات التي سبقت غازان ، ولكنها لم تكن بنفس الجدوية والشمول والاخلاص ، لذلك فشلت قبل ان تلمس ثمارها ، من ذلك محاولة شمس الدين الجويني بعد عودته في عهد تكودار فقد بدأ عمله بتنظيم النفقات والاقتصاد بها ، وطبق ذلك على المطبخ الايلخاني فأنقص نفقاته من ثمانين تومان الى اربعين ، الامر الذي اثار عليه رئيس الطباخين فخر الدين الذي كان قد رشح للوزارة والذي هددته بالخلع . وكانت المحاولة الثانية التي قام بها سعد الدولة وزير ارهون الذي سعى لتخفيف بعض الضرائب عن الناس ووضع حد لتدخل العسكريين في الجباة .

وكذلك حاول صدر جهات وزير كيخاتو الذي اصدر العملة الورقية الجار ليسرق بها الذهب الموجود عند الناس .

(٣) Sykes ج ٢ ص ١١٣ .

أي (احدى وعشرين مليوناً من الدنانير) بعد ان كانت قبل ذلك لا تزيد عن (١٧٠٠) الف وسبعمائة تومان (أي سبعة عشر مليوناً من الدنانير) (١) .

اما نصيب العراق من هذه الموارد ، فليست لدينا ايضاً احصائية عنه سوى ما قام به حمد الله مستوفي القزويني من تدوين خراج اعمال العراق المختلفة .

وبموجب هذه الاحصائية التي تعود لسنة ٧٣٥ هـ / ١٣٣٥ م نجد أن نصيب العراق من ميزانية الدولة لا يتجاوز (٣٠٠) ثلاثمائة تومان او ثلاثة ملايين دينار (٢) .

اما اوجه النفقات لهذه الموارد فكانت كثيرة ايضاً . فمن ذلك ان الدولة كانت تدفع الرواتب للجند والموظفين ، وقد مر علينا ان الجند كانوا قد وزعوا منذ زمن هولاءكو على البلاد واتخذوا من بعض موارد اقطاعاً لهم ، وان غازان في اصلاحاته استبدل هذه الاقطاعات بأجور نقدية تدفع لهم من خزينة الدولة ، وفي كل هذه الحالات كانت اجور الجيش تشكل القسم الاكبر من نفقات الدولة .

اما رواتب الموظفين فقد تطورت مع الزمن ، فزاد عددهم وتنوعت اعمالهم ، وأخذوا يمتصون الكثير من موارد الدولة قبل وصولها الى الخزينة .

ويعطينا هورث نموذجاً لذلك في وزارة سعد الدين الساراجي وزير اوجليتو .

(١) بينايشير *Howorth* ج ٣ ص ٣٦٩ الى انها كانت تبلغ ١٦٠٠ تومان

في زمن كيخاتو . انظر ايضاً *Enc. Of Isl. 2. Chazin. P. 150*

(٢) حمد الله مستوفي القزويني نزهة القلوب ص ٣٦ - ٤٣ ، ترجمته الانكليزية

ص ٤٣ - ٤٩ . واعتمد الفيل على هذه الاحصائية فعمل جدولاً لموارد العراق منذ

العهد الاموي حتى ابي سعيد ، انظر رسالته : الجغرافية التاريخية للعراق

ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

والعدد الكبير من المستخدمين في ديوانه وتقسيم الاعمال بينهم بحيث اصبح من العسير الوصول الى مقابلة الوزير إلا بعد المرور على (٣٥) خمسة وثلاثين رئيساً منهم (١) .
 وتأتي نفقات الايلخان الشخصية بالدرجة الثانية بعد الرواتب في استهلاك الميزانية . فقد كان الايلخان بعد تتويجه يقوم بتوزيع الهدايا والانعامات على اعضاء القوريلشاي والجيش ، ويدكر رشيد الدين نموذجاً لهذه الانعامات ان احمد تكودار احضر الخزائن الموجودة في جزيرة شاهوتلا ووزع ما فيها على الخواتين والامراء الانجال والامراء المقربين والمحناجين واغدق على جميع جنود الجيش فمنح كل فرد منهم عشرين ومائة دينار (٢) .

وكان الايلخان يقدم ايضاً الهدايا الشخصية للمقربين اليه او المرزين في المعلوم والآداب الذين يتقدمون اليه بتمار عقولهم ، من ذلك ما قدمه اوجايتو لرشيد الدين حين فراغه من تأليفه كتابه جامع التواريخ ، فقد قيل انه اهداه ضياعاً ثقل ثلاثة ملايين قطعة من الذهب تشبهاً بما فعله الاسكندر مع ارسطو ، وتفوقاً عليه (٣) .

(١) العيني - الورقة ٤٢١ في حوادث سنة ٦٥٧ هـ . مقدار اجور علماء الرصد الذين اختارهم الطوسي .

D'ohsson . 4 . P . 542 - 543 . Howorth . 3 . P . 560

(٢) جامع التواريخ م ٢ ج ٢ ص ٩٣ ، Sykes ، ج ٢ ص ١١٣ ، Howorth ج ٣ ص ٤٧٨ ، في خلو الخزانة عند تولي غازان حتى لم يكن لديه ما يستطيع توزيعه على الجنود الذين رافقوه من خراسان .

(٣) مقدمة جامع التواريخ م ٢ ج ١ ص ٢٥ ، الصباد - مؤرخ المغول

الكبير ص ٢٥٣ .

وكانت نفقات القصر الايلخائي تبتلع جانباً آخراً من هذه الموارد ، ويكفي نموذجاً لذلك نفقات مطبخ القصر التي انقصها شمس الدين الجويني الى اربعين تومانا في السنة ، ولكنها ارتفعت في زمن كيكخاتو الى مبالغ (١٦٥) مائة وخمسة وستين تومانا ، حتى عجزت الخزينة بعد ذلك عن توفير مائة للايلخان فاضطر الوزير الى الاقتراض (١) .

ولم يكن اتفاق الدولة مقصوراً على ما سلف ، فانها كانت تتفق في بعض الاحيان عندما تتوفر لها الاموال ، على اوجه اخرى اقل اهمية .

من ذلك المقات الاعمارية ، فقد شيد هولاً كوقلمة شاهوتلة على ضفاف بحيرة اورمية لتكون مخزناً لأمواله ومنتزهاً له ، ووضع ارغون اسس مدينة السلطانية التي كان قد سماها الارغونية ، فأكلها ابن اولجايتو من بعدها .

وجدد غازان اسوار تبريز وعمر ضواحيها ، وكذلك قام علاء الدين الجويني باعمار مدينة بغداد وضواحيها ، وغير ذلك .

وكان اتفاقها على خانات البريد ومرابط خيوله مستمراً وخاصة بعد اصلاحات غازان ليس باعتبارها وسائل نقل الاوامر الرسمية فحسب ، بل طرق مواصلات تسترشد بها الجيوش عند تنقلها في البلاد ، وقد مر علينا قيام علاء الدين بعمل جسر لمدينة تستر .

وكان الاتفاق على مشاريع الري اكثره في العراق ، ففي عهد ابا قاسم الجويني

(١) انظر في ذلك ما نقله Howarth ج ٣ ص ٣٦٩ - ٣٧٠ عن التاريخ

السرياني لابن العبري .

بمخبر فتاة لا إيصال المياه الى الكوفة والنجف من الفرات .

وفي عهد غازان حفرت عدة قنوات لا إيصال المياه الى كربلاء والنجف ومشهد أبي الوفاء وإرواء الأراضي المحيطة بها حتى تحوت الى مناطق زراعية خصبة أنشأت فيها مئات من القرى .

وكان للدين نصيب من هذه النفقات ، فالإبلخانات الوثنيون شيدوا المعابد الوثنية وخصصوا الاموال للكهنة ، وكذلك فعل المسلمون .

فبني هولاءكو معابد في خوي ، وكذلك فعل ارغون الذي خصص الاموال الطائلة للكهنة ، اما غازان فقد بنى قبل اسلامه عدة معابد بوذية في كبوش ، كما ابقى بعد اسلامه على الدخل المخصص لأغراض العبادة في تلك المعابد (١) .

وفي خلال وثنية الإبلخانات كان الجويني في العراق يرعى شؤون الاسلام ، وقد مر علينا ما قام به من اعادة بناء وترميم المساجد والربط في مختلف أنحاء البلاد . وعندما اعتنق غازان الاسلام اهتم هو وخلفاؤه من بعده باعمار بيوت الله التي أصبحت جزءاً من واجبات الدولة ، كما أفرد مكانة خاصة لآل البيت وخصص لهم النفقات ، وكذلك فعل اولجايتو وابنه ابوسعيد .

ولقيت الحركة العلمية قسطاً من هذه النفقات ايضاً ، وقد أشرنا الى قيام هولاءكو بتشجيع النصير الطوسي على انشاء دار الرصد ، وخصص له الاموال الطائلة التي كانت ترد من حصص الدولة من الوقوف ، كما انفق على تشجيع الحركة العلمية

(١) رشيد الدين م ٢ ج ١ ص ٣٣٧ ، م ٢ ج ٢ ص ١٣٨ ، ١٥٨

Howarth. 3. P. 397 - 398 .

الشيء الكثير من الأموال ، وسار أبنائه على منواله من بعده .
 وكان من هذه النفقات أيضاً ما توزعه الدولة على الفقراء وأوجه البر المختلفة
 عند مرض الابلخانات طلباً لدعائهم له بالشفاء . من ذلك ما أنفقه ساعد الدولة اليهودي
 وزير ارغون عند مرض ارغون من الصدقات على الفقراء في تبريز ، حتى انه أرسل
 الاموال الى بغداد وشيراز لتوزيعها والتماس ثوابها .
 وكذلك فعل اولجايتو بعد شفائه من مرضه ، فقد أرسل بالاضافة الى ذلك
 الاموال الى مكة المكرمة لكي يدعى له في وقفة عرفة .
 اما ابو سعيد فقد تصدق بأموال كثيرة وأمر باسقاط المكوس من تبريز وبغداد
 والموصل وغيرها (١) .

وكانت الدولة أخيراً تسامح الناس وتغفيمهم من دفع الضرائب وخاصة في أعقاب
 الفتن والاضطرابات ، بل وتساعدهم بأموال الديوان حتى تفتح الزراعة وال عمران
 ثانية كما فعل ابو سعيد في بلاد خراسان سنة ٧٣٠ هـ (٢) .

-
- (١) وصاف م ٥ ص ٦١٥ ، خواندمير م ٣ ج ١ ص ٧٧ ، ميرخوند ج ٥
 ص ١٢١ - ١٢٢ ، المقرئ ج ٢ ق ٢ ص ٢٨٩ ، BR ج ٣ ص ٢٣ - ٢٤ .
 (٢) ميرخوند ج ٥ ص ١٧٨ ، خواندمير م ٣ ج ١ ص ١٢٤ .

الباب الثالث

السياسة الداخلية

- ١ - موقف الايلخانات من طوائف الشعب المختلفة :
المسلمين ، أهل الذمة ، القبائل العربية
- ٢ - موقفهم من الامارات الداخلية - إمارة الموصل

الباب الثالث

السياسة المراهلية

أولاً : موقف الايلخانية من طوائف الشعب المختلفة :

المسلمين ، أهل الذمة ، القبائل العربية .

دخل المغول بغداد بعد اربعين سنة من احتكاكهم بالمشعوب الاسلامية ، استعانوا خلالها بالكثير من أبناء البلاد لصياغة حياتهم الجديدة بعد خروجهم من الصحراء وتنظيم علاقاتهم بشعوبها ، وتعلموا بالاضافة الى ما سبق ، فن الحكم وسياسة توجيه هذه الشعوب نحو طاعتهم والخضوع لهم بالرغم من التفاوت الكبير بين بداية الحاكمين وحضارة المحكومين .

وكانت هذه البلاد التي احتك بها المغول تضم شعوباً عديدة ، منها ما يمت للمغول بصلة النسب كالترك (١) مثلاً ، ومنها ما لا يمت كالعرب والفرس ، ولكنهم

(١) استفاد المغول من صلة النسب هذه في تفريق جيش خوارزمشاه ، واستسلام

بعض المدن الخوارزمية كبخارى وسمرقند وغيرها .

جميعاً كانوا يختلفون عن المغول في عقيدتهم الدينية .

في الوقت الذي لم يكن فيه للمغول ديانة مميزة المعالم ، فيها من الحيوية والروح ما يشد أبنائها الى بعضهم ويجذب اليها الآخرين (١) ، كانت الشعوب المحكومة تملك من وضوح العقيدة وحلاوة المعتقد ما جعل مجتمعاتها اكثر تماسكاً وانفتاحاً لجذب الآخرين وإذابتهم في بوتقة عقيدتها .

كان الاسلام دين الأغلبية الساحقة لهذه الشعوب ، بينما كانت المسيحية ثم اليهودية تحتضنان عدداً أقل منهم .

ولمعرفة الاسلوب الذي اتبعه المغول لمواجهة هذه الشعوب ، لا بد من القول ان سياستهم لم تكن واحدة مع اتباع هذه الديانات ، ولا بد لنا أن ندرس كلاهما على انفراد لتتوضح لنا هذه الصورة .

١ - موقف الايلخانية من المسلمين :-

احتمى المغول وراء شعار حرية الأديان في دولتهم ، لتفادي نقمة المسلمين

(١) كانت الديانة الرسمية للمغول تسمى بالشامانزم *Shamanism* وتتمثل بعبارة مظاهر الطبيعة وخاصة الشمس ، وتمتاز بشدة الطاعة لكهنتها الذين يتولون بدورهم تنظيم الحياة الخاصة لاتباعها ، كما يدل على ذلك حديث منكوبخان الى الرحالة زويريكي الذي مر ذكره في بحث ديانة المغول ، ولم تستطع تعاليمها الصمود أمام الديانات الاخرى التي احتك بها المغول الامر الذي ادى الى ذوبانها ، وتحول المغول عنها الى البوذية في الصين ، والاسلام في البلاد الاسلامية والمسيحية في روسيا . انظر ايضاً ارنولد ، الدعوة الى الاسلام ص ٢٥١ .

عليهم ، ولجرم الى استمرار الطاعة ، ففتح ملوكهم لذلك ابواب قصورهم أمام رجال الدين عامة ، وأحاطوهم بالرعاية وأعفوهم من الضرائب ، ونجحت هذه السياسة في جلب النفع على المغول ، إذ يسرت عليهم فرض طاعتهم على للناس ، وأدت الى التفاف عدد من رجالات الدين من المسلمين والمسيحيين وغيرهم حولهم طمعاً في منافع الدنيا ، وتسابقوا في اظهار ما لديهم من قيم وما لدى الآخرين من مساوي .

واطلع المغول نتيجة لذلك على طوائف هذه الديانات وأقسامها ونقاط الضعف في علاقات افرادها بعضهم ببعض وبغيرهم ، وكان المغول جد بارعين في استغلال انقسامات المسلمين الطائفية خاصة ، واستخدام البعض من رجالاتهم في التحكمين لهم من اخضاع البلاد .

فقد كان بجانب هولوكو عند زحفه نحو بغداد عدد من رجالات المسلمين يشجعونه على البطش بالخلافة ، ويفلسفون له ما يشاع من موانع بما يحقق الاجهاز عليها .

وكان النصير الطوسي (١) على رأس هؤلاء الضالعين في ركاب هولوكو ، وبالرغم مما يقال عن « تمكنه من هولوكو وسيطرته عليه حتى اصبح لا يركب إلا

(١) ينقل الشيخ الشيبيني في مؤلفه مؤرخ العراق ابن الفوطي - ج ٢ ص ٢٠٧ - ٢٠٨ في حديثه عن النصير الطوسي « انه كان يحقد على الخليفة المستعصم ، ولست اجد مبرراً لهذا الحقد إلا بأنه انعكاس لتأثير تعاليم الاسماعيلية في تفكيره ، اذ المعروف ان النصير كان في خدمة شيخهم علاء الدين محمد حتى سقوط قلاعهم حيث انتقل بعدها الى خدمة هولوكو .

بأمره « (١) فإنه كما ارى ، لم يكن إلا أداة طيعة في تنفيذ سياسة هولاء كوا الذي
أخذ من مكانته العلمية والدينية لدى الشيعة خاصة سبيلاً لتحقيقها بأيسر الطرق
وأقل التكاليف .

فقد تضمنت رسائله التي كان يكتبها على لسان هولاء كوا المشبعة بالتفسيرات
الدينية المناسبة ، والتي يبعث بها الى امراء المسلمين عامة وزعماء الشيعة من السياسيين
ورجال الدين المحيطين بالخلافة ، تبريراً لتخليهم عن الخلافة وقبول موالاته المغول (٢)
وأنت هذه السياسة كلها حتى لقد بلغ من تهافت هؤلاء الزعماء واستخفافهم في
إظهار التعلق والطاعة الى حد الافناء بشرعية تفضيل الكافر العادل على المسلم الجائر
كما فعل ابن طاووس (٣) ، بالرغم مما في هذا للتعليل من مجافة لتعاليم الاسلام التي

(١) الصفدي ج ١ - الوافي بالوفيات ص ١٧٩ - ١٨٣ ، ابو المحاسن م ٣ المنهل
الصابي - الورقة ٢٦٥ - ٢٦٦ ، سليمان ظاهر في مقاله : نصير الدين الطوسي - مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق ج ٢ م ٣٦ ابريل ١٩٦١ .

(٢) واذا اخذنا بنظر الاعتبار ما اتهم به الوزير ابن العلقمي من مواصلة
هولاء كوا والاتفاق معه على خيانة الخلافة فان فضل هذا الاتصال يعود الى نشاط
الطوسي وتأثير رسائله ، وكذلك فان من الزعماء السياسيين الذين جاوروا المغول
واستسلموا لعودهم كان ابن الصلابا العلوي حاكم اربل الذي قتله هولاء كوا فيما بعد .

(٣) رضي الدين علي بن طاووس المتوفى سنة ٦٦٤ هـ . ابن الطقطقي
ص ١٤ - ١٥ . انظر ايضاً تعليق الشيخ الشيباني ج ٢ ص ٢٣٠ - ٢٣٢ ، العزاوي
ج ١ ص ٢٦١ - ٢٦٢ وقام عالم آخر من آل طاووس هو مجد الدين محمد بن عز الدين
الحسن بتأليف كتاب البشارة لهولاء كوا . انظر ابن عنبسة ص ١٦٩ ، الشيباني ج ٢
ص ١٨٩ .

لا تبيح هذه الموالاتة مهما كان السبب ، ثم ظهور دعوات انزامية افقدت الخلافة قدرتها على الدفاع وأدت الى تفريق الجيش والاستغناء عن كثير من فرقته ، واستلم كثير من المدن الاسلامية مثل الحلة والنيل والمشهدين والبصرة والكوفة لجيوش المغول التي لقيت الترحيب من بعض اهلها .

وعلى العكس مما يراه البعض من تبرير هذا التعاون بأنه كان انقاذاً للإسلام (١) من الضياع او الفناء على ايدي المغول ، فان مكانة النصير الطوسي لدى هولاءكو ، واستخذاء هؤلاء العلماء لم تشفع للمسلمين بعد استسلام بغداد ، من السقوط تحت سيوف المغول التي لم تكن تميز بين السنة والشيعة طيلة فترة الاستباحة التي أمر بها هولاءكو ، والتي لم يتوقفوا خلالها عن الذبح حتى تبعوا منه .

ولم تدم طويلا سياسة الشدة التي اتبعها هولاءكو مع الخلافة والتي كانت ضرورية لاختضاعها وارهاب ابناءها ليدخلوا في حظيرة الطاعة ويستسلموا للحكم الجديد فقد عاد بعد ذلك الى سياسة المغول التقليدية التي اتبعوها منذ دخولهم البلاد الاسلامية والتي تقوم على النظاهر بالتساحح الديني ومهادنة الناس .

ولكن هذه السياسة لم تكن تطبق دائماً ، اذ ان المغول خاصة وهم يعيشون في فراغ فكري ، كانوا يحسون دائماً من مخالطتهم للمسلمين ، بتأثير الاسلام عليهم وانه ليس من السهل حكم المسلمين ما لم يمتنعوا دينهم ، فكانوا يقاومون ذلك في انفسهم ، وأدى بهم الهروب من هذا الاحساس الى التفتيش عن ركائز في المجتمع

(١) راجع مقدمة يحيى الخشاب في مقدمته لكتاب - مؤرخ المغول الكبير

الاسلامي يستندون عليها في حكمهم له ، ووجدوا ذلك في احتضانهم للأقليات الدينية وخاصة المسيحية تجنباً للدخول في الاسلام .

ولتوضيح هذه التطورات يمكن تقسيم سياسة المغول بالنسبة للمسلمين الى مرحلتين أساسيتين . الاولى منهما في جاهليتهم والثانية بعد اعتنائهم الاسلام .

اما المرحلة الاولى :

فتمتد من حكم هولاكو وأبنائه حتى سقوط بايدو في سنة ٦٩٤ هـ .

ولم يكن موقف المغول خلالها من المسلمين واحداً ، فقد بدأها هولاكو بحماية النصارى الذين كانوا قد نجوا من مذبحه بغداد ، وسلطهم على املاك المسلمين حيث منح الجائليق (١) حق الاستيلاء على دار الدويدار الكبير والرباط المجاور له وتحويلهما الى مراكز مسيحية ، كما سلط على اوقاف المسلمين كثيراً من المرتزقة من الأطباء والمنجمين من النصارى واليهود الذين اصبحوا يتقاضون حقوقهم من هذه الوقوف (٢) .

وتقبل المسلمون هذا الاغتصاب على مريض منهم ، فقد كانت دماء مذبحه بغداد لازالت في الدروب والأزقة لما تجف بعد .

وتدخلت عوامل خارجية وسعت الشقة بين المسلمين والمغول وزادت من احتضانهم للمسيحيين والبطش بالمسلمين ، ذلك ان الموصل تارت على الحكم المغولي بتشجيع ومساعدة من المماليك الذين اصبحوا بعد انتقال الخلافة العباسية اليهم حماة

(١) الجائليق هو الرئيس الديني الاعلى لبعض طوائف النصارى في البلاد .

(٢) وصاف م ١ ص ١١٠ ، خواندمير م ٣ ج ١ ص ٦٨ - ٦٩ .

للاسلام وأهله ، ولعب بعض المنتفضين من النصارى دوراً في احتباط هذه الثورة وفي مساعدة المغول على البطش بالقائمين بها ، الأمر الذي أدى الى زيادة حقد المسلمين عليهم وانتهاز الفرص للاحاق الأذى بهم ، وتطورت الثارات والأحداث بعد ذلك حتى اصبح الحال كما يقول الشيبى : « كأن هدف المغول هو البطش بالمسلمين » (١) . على ان هولاء كوسعى خلال ذلك للتخفيف من هذا التبعاد ، بل والتقرب الى المسلمين ، عندما أمر باعادة الوظائف الدينية الى سابق عهدا كالتباعد والنقابة وتمييز الأئمة والخطباء في المساجد ، وتطبيق احكام الشريعة في المعاملات كما كان متبعاً في عهد الخلافة ، وأمر نوابه باعادة بناء جامع الخليفة وشهد موسى الجواد وبقية اطراف بغداد التي اصابها الخراب من جراء الحرب (٢) .

وفوض شؤون الاوقاف الى النصير الطوسي وحكمه بها ، ثم استعان به للعمل على تأكيد شرعية الحكم المغولي ووجوب طاعته ، فقام النصير بذلك عندما وجه رسالته الى اهل بغداد سنة ٦٦١ هـ والتي بدأها بقوله : « قد وقفتم على قوله تعالى : » وتلك الايام نداؤها بين الناس « (٣) ، ثم يستمر في تمجيد المغول والتأكيد على رعاية الله لهم في فتوحاتهم .. » (٤) .

-
- (١) بينما اصبح هدف الجيش المملوكي واعوانه الذين كانوا يتوغلون في البلاد هو البطش بالنصارى ابن العبري ص ٢٨٢-٢٨٤ ، الحوادث الجامعة ص ٣٤٦-٣٤٨ ، ٤٤٧ .
- (٢) وقد تولى الاشراف على ذلك عماد الدين عمر القزويني . انظر تلخيص مجمع الآداب ج ٢ ق ٢ ص ٨٠١ ، الشيبى ج ٢ ص ١٤٤ .
- (٣) القرآن الكريم . سورة آل عمران رقم ٣٠ . الآية (١٤٠) .
- (٤) تلخيص مجمع الآداب ج ٤ ق ٣ ص ٥٥٦-٥٥٧ ، في ترجمة جنكيز ، انظر ايضاً ملحق الرسائل .

ومن المحتمل أيضاً تفسير ما لحق النقود الاسلامية من تغيير الى هذه الاستمانة التي استخدم فيها هو لا كرم علم النصير الطوسي وتخرجه لأسباب الطاعة .
 فقد ابقى المغول الشهداءين على احد وجهي العملة ، بينما حذفوا اسم الخليفة وألقابه من على الوجه الآخر واستبدلوها باسم الابلخان والحاقان .
 كما تلاعبوا بالآيات القرآنية المحيطة بوجهي العملة ، فحذفوا بعضها وأبقوا البعض الآخر ، ثم اضافوا من الآيات ما يناسب تفسيرها ما يرجونهم من طاعة الناس لهم (١) .

(١) لتوضيح ذلك نعقد مقارنة بين ما كان عليه النقد في زمن الخلافة وما اصبح عليه بعدها .

فقد حذف المغول من احد الوجهين الآية : لله الامر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون واستبدلوها بالآية « قل اللهم مالك الملك ، تؤتي الملك من تشاء وتزعج الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء بيدك الخير » .
 وكذلك فعلوا في الوجه الآخر الذي اصبح يحمل اسم الخاقان والابلخان ، فقد حذفوا الآية القرآنية « ولو كره المشركون » .
 واستبدلوها بنفس الآية السابقة « قل اللهم مالك الملك » .
 ويلاحظ أيضاً أنهم استبدلوا اسم دار السلام ، بمدينة « بغداد » عند الاشارة الى مكان الضرب

*Lavoix : Catalogue des Monnaies Musulmanes , P . 336,
 No . 1317.*

مدينة الضرب دار السلام ١٤٠ هـ .

واستمر اباقا على سياسة المهادنة والاعتدال التي اتبعها ابوه في ايامه الأخيرة بالرغم من تعرضه لضغط المسيحية عليه ممثلة في زوجة ابيه دو قوزخاتون التي حفظت له العرش ، وزوجته الجديدة ابنة ملك القسطنطينية اللتين كانتا تريدان تأكيد وقوفه بجانب المسيحية ضد الاسلام (١) .

ونلمس هذا الاعتدال والحياة في مجاملته لكل من النصارى والمسلمين في علاقاته معهم في الوقت الذي فتح فيه ابواب بلاطه لرجال الدين المسيحيين ورسل الياپا وملوك اوربا ببادلهم الرسائل والهدايا (٢) ، منح نقته لوزير ابيه الجويني شمس الدين ، وفوض اخاه عطا ملك حكم العراق وأطلق يده في اعماراه فاندفع بدوره لتنفيذ ذلك مستغلاً تفويض الابلخان ، فخفف عن الرعية واهتم بكل ما يؤدي الى تقوية الاسلام من اعمار بيوت الله وتأمين طريق الحج ودعوة الناس اليه ومحاربة الزندقة ودعاة الالحاد والاتفاق على العلماء الامر الذي أدى الى عجز في ميزانية العراق من جراء هذه الأعمال (٣) .

— انظر ايضاً : محمد مبارك - مسكوكات قديمة اسلامية قتالوغي قسم ٣ ص ٨
- ٩ رقم ٧ ، مهاب دريش البكري ، مجلة سومر ج ١ - ٢ م ٢٢ سنة ١٩٦٦ ص ٩٧
العملة الاسلامية في العهد الابلخاني .

(١) براون *Browne* ج ٣ ص ١٧ ، وهو يشير ايضاً الى اصرار زوجته الجديدة عليه باعتراف المسيحية قبل الدخول بها والى انه قد فعل ذلك . الشيببي ج ٢ ص ١٦٥ - ١٦٦ ، مصطفى بدر - مغول ايران بين المسيحية والاسلام ص ١٠ .
(٢) ارنولد - الدعوة الى الاسلام ص ٢٦٠ ، مغول ايران ص ٩٧ ، ٩٠ .
(٣) الحوادث الجامعة ص ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٧١ ، ٣٨٦ ، ٤٠٨ ، ابن كثير ج ١٣ ص ٢٥٣ ، ٢٦٩ ابن عنبه ص ١٤٤ - ١٤٥ .

ويمكن القول ان كفة المسلمين رجحت على المسيحية في سياسة ابا قاعلى الرغم من حذره في سياسته الدينية ، إلا اننا نلمح نوعاً من الالتزام لجانب المسلمين قد يكون مبعثه تأثير الحاشية المسلمة المحيطة به والتي بيدها معظم مقاليد الدولة وعلى رأسها الوزير الجويني ، وقد يكون مبعثه ايضاً رغبته في استمالة المسلمين من اهل العراق خاصة لتأييد سياسته باخلاص في صراعه مع الماليك ، ويتمثل لنا ذلك في سكوته على ما لحق الجائلق ميخا - او مكينخيا - الذي اضطر الى الهرب من بغداد أمام غضبة المسلمين عليه ، والذي لم يجد أذناً صاغية لشكواه في بلاط الايخان فاضطر بعدئذ الى الاقامة في اربل (١) .

ونلمح ذلك ايضاً في زيارته المتكررة الى بغداد وقيامه بالاحسان الى الرعية وتخفيف الضرائب عنهم وتسجيل اعماله هذه على جدران المدرسة المستنصرية لتكون نوعاً من الدعاية له (٢) .

واكثر من ذلك فقد تأثر ببعض عادات وطقوس المسلمين من زيارة قبور الاولياء الصالحين والتماس البركة واللعون ، ويشير رشيد الدين الى قيامه عندما كان يستعد لحرب ابن عمه براق ، انه توجه نحو مشاهد الاولياء وقبورهم وكان يطلب العون والمدد من الله في تضرع وخشوع (٣) .

(١) الحوادث الجامعة ص ٣٥٤ ، الشيبني ج ٢ ص ١٧٣ - ١٧٤ ، رقائق بابو اسحاق - تاريخ نصارى العراق ص ١١٠ - ١١١ .

(٢) زار ابا قاع بغداد ثلاث مرات خلال فترة توليه في سنوات ٦٦٧ هـ ، ٦٧٢ هـ ،

٦٨٠ هـ .

(٣) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ٣٥ .

واستعاد الاسلام مكانته في عهد تكودار الذي كان اول ايلخان مغولي يعترف بالاسلام والذي وقف المسلمون الى جانبه في صراعه على العرش ، وبالرغم من ان الایلخان الجديد لم يكن قادراً على جعل الاسلام ديناً رسمياً للدولة ، إلا انه سعى لتطبيق تعاليمه وثبیت قواعده ، وكان اول عمل قام به بعد توليه ، ان بشر اهل بغداد في رسالة وجهها اليهم « بأنهم مسلمون مثلهم وانه سيعمل على تطبيق قواعد الاسلام وان عليهم ان يفرحوا وينشروا ذلك بين الناس » (١) .

وسمى في خطوته الثانية في استجلاب مودة المماليك ، فأمر بايقاف تجهيز الجيوش التي كانت قد تجمعت في اواخر ايام اخيه للانتقام منهم ، واستبدل ذلك برسالة الى السلطان المملوكي قلاوون يشرح فيها اسلامه ورغبته في اعلاء كلمة الدين واصلاح امور المسلمين ، ويدعوه فيها الى الاقتداء به في حقن الدماء وتسكين الدماء والتمسك بالعرفة الوثقى والتعاون لاحلال السكينة والأمان وتوحيد كلمة الاسلام» (٢) . وقام بدوره بتطبيق ما وعد به الناس فجدد ثقته بال الجويني وأقذهم مما كان يدبر لهم على يد محمد الملك اليزدي واعادهم الى مناصبهم ليكونوا له عوناً في تحقيق اسلامه .

(١) انظر نص الرسالة في تشریف الايام والعصور لابن عبد الظاهر ص « ٥ »

انظر ايضاً ملحق رسائل تكودار ورسائله الى اهل بغداد .

(٢) وقد حمل هذه الرسالة وفد مكون من قطب الدين محمود الشيرازي قاضي

سيواس ، والامير بهاء الدين اتابك السلطان مسعود صاحب الروم والامير شمس الدين محمد بن التتبي وزير صاحب ماردین ، انظر نص الرسالة ايضاً في تشریف الايام والعصور

ص ٦ - ١٠ ، انظر ملحق الرسائل ، رسالة تكودار الى قلاوون .

وأعاد تنظيم شؤون الأوقاف ، فنقل إشرافها من بيت الطوسي وقطع صلتهم بها وفوض ذلك الى الشيخ كمال الدين عبدالرحمن الذي كان له فضل هدايته الى الاسلام وأزال حقوق الاطباء والمنجمين من اهل الذمة الذين كانوا يتقاضونها من مواردها منذ زمن هولاءكو ، وجمع اموال الوقوف المخصصة للحرمين الشريفين وارسلها للمديار المقدسة ، واهتم بأمر الحج ، فنظم موكبه وخصص الاموال للاتفاق عليه وتأمين طريقه ، بالاضافة الى اعماره دور العبادة من مساجد ومدارس (١) .

وأكد على تطبيق تعاليم الشريعة في حماية الاسلام من الفساد ، فأصدر اليرابيع بمنع شرب الخمر والقمر (٢) .

وقام نوابه في العراق بمطاردة الأعداء باسم الدين الذين كانوا قد ظهروا في الحلة وواسط وأوقعوا الناس في غواياتهم ، فلاحقهم وقضوا على جموعهم (٣) . وكان عادلا رحيمًا مع اهل الذمة في تطبيق احكام الشريعة على الذين رفضوا الدخول في الاسلام ، فأخضعهم للجزية وأعفى من نصت الشريعة باعفائه ، وقد اعترف ابن العبري بهذه المعاملة الحسنة بالرغم من محاولات الآخرين تشويه موقفه منهم (٤) .

(١) وصاف م ١ ص ١١٠ ، خواندمير م ٣ ج ١ ص ٦٨ - ٦٩ ، الصياد - مؤرخ المغول الكبير ص ٦٠ .
(٢) القمر : نوع من الشراب يستخرج من لبن الخيل كان مألوقاً عند المغول والترك عامة .

(٣) الحوادث الجامعة ص ٤٣٩ - ٤٤١ .
(٤) ابن العبري ص ٢٨٩ ، الصائغ ج ١ ص ٢٤١ - ٢٤٢ . ترجمة المعارف الإسلامية م ٥ ، تكودار - ص ٤٤٣ - ٤٤٤ .

واستغاث امراء المغول من دعوته للاسلام بينهم واستجاب به عدد منهم له ،
وأحسوا بالخطر يهدد مكانتهم وامتيازاتهم ، فتألبوا عليه والتفوا حول منافسه
ارغون وقرروا الاستمانة عليه بالخاقان قوبيلاي ، ويشير المؤرخ الارمني هيتون
الى انه كتب تقريراً عن اسلامه وجهوده لتحويل المغول وارسله الى الخاقان الذي
غضب من الايلخان وارسل ينذره فلم يستطع تكودار التصدي له ، بل وجه غضبه
على اخيه قونغرناي وابن اخيه ارغون (١) .

ويشير صاحب شجرة الترك الى ان قلوب المسلمين قد وقفت عندما كسروا ظهر
الايلخان وقتلوه (٢) .

على ان الاسلام لم ينتشر طويلاً بعودة تكودار الى حظيرته (٣) ، اذ سرعان
ما تعرض الى اضطهاد ارغون الذي خلفه على العرش ولجأ الى البطش بالمسلمين ،
ويمكن تفسير سياسة ارغون هذه وقسوته على المسلمين بأنها رد فعل لتحزبهم والتفافهم
حول تكودار من ناحية ، والى تأثير الخاشية المسيحية واليهودية المسيطرة على بلاطه

(١) وصاف م ١ ص ١١٨ - ١٢٥ ، الدعوة الى الاسلام ص ٢٦٣ ، ابن

الفرات م ٨ ص ٤

Howorth . 3 . P . 310 .

(٢) نقل ذلك هورث *Howorth* ج ٣ ص ٣٠٧ عن شجرة ترك .

(٣) ينفرد ابن عبدالظاهر في تشریف الايام ص ٤٨ ، ٦٢ ، بانكار حقيقة

اسلام تكودار ويعتبره نوعاً من الخداع والتظاهر لتحقيق اغراض سياسية معينة ،
ولعله يريد بذلك تبرير المعاملة السيئة التي لقيها ، وقد تكودار الثاني من قبل قلاوون
واغتصابه ما كان معهم من اموال وجواهر بعد ان تأكد من مقتل الايلخان .

ودفعها إياه للانتقام منهم .

وتعرض المسلمون في هذا العهد الى محنة جديدة لم تُصيهم في أرواقهم فحسب وإنما مستهم ايضاً في عقيدتهم ، وبقدر ما تمثل هذه المحنة مدى خطر الاسلام على اعدائه وخوفهم من انتشاره بينهم واكتساحه عقائدهم ، تمثل كذلك مقدار الحرص والدهاء الذي جمع بين هؤلاء الاعداء وألف بينهم بالرغم من اختلاف عقائدهم ، وان خرج الاسلام من هذه المحنة قوياً عزيزاً .

فقد بدأ ارغون - وهو لم يكن في اغلب ايام توليه إلا قفازاً بيد هذه القوى المتحالفة المتآمرة - بآل الجويني فلم يسلم من حقه حتى ابناؤهم واحفادهم فيما بعد واعاد شؤون الاوقاف الى اعوان ابيه وجده من قبل آل الطوسي حيث تولاهما من ابنائهم فخر الدين احمد ، ومن المحتمل ايضاً انه اعاد الحقوق التي كانت لأهل الذمة عليها ، اذ لم يكن هناك ما يمنع من ذلك (١) .

وبدأ يصفي الموظفين المسلمين ، فلم يبق احداً منهم في البلاط اولاً ، ثم لاحقهم في دوائر الدولة الاخرى واستبدلهم بأخرين من اهل الذمة ، حتى انه استورد يهوداً من تفليس للإشراف على تركت المسلمين وهي وظيفة اسلامية (٢) .

وكانت خطوته الاخرى التشكيك في الاسلام ، فبينما كان نوابه في العراق

(١) الحوادث الجامعة ص ٤٤٢ - ٤٤٣ ، الصياد - مؤرخ المغول ص ٦١

Howorth . 3 . P . 374

(٢) الحوادث الجامعة ص ٤٥٥ ، يوسف غنيمية - نزهة المشتاق ص ١٤٦ ،

مغول ايران ص ١٠ ، الدعوة الى الاسلام ص ٢٦٣ ، الشبلي ج ٢ ص ١٥٧

Howorth . 3 . P . 332 .

يقومون بتعطيل المدارس والمساجد وهدمها لاستخدام احجارها في بناء قصورهم ،
تشجع بعض اهل الذمة المتسترين في الاسلام ، على التأليف للطعن في الاسلام حيث
قام ابن كمونة اليهودي بتأليف كتابه في العلل الثلاثة (١) .

ثم جاءت الخطوة الاخيرة لمحاولة تحويل المسلمين الى عبادة الفرد ، عندما اوصى
اليه وزيره اليهودي سعد الدولة بذبوة جنكيز خان وبورائته لهذه النبوة وبوجوب
طاعة الناس لأوامره وعبادتهم له . وبرر هذا العمل بأنه ضروري لفصل المسايين عن
اخوانهم في خارج البلاد وتوجيههم نحو الاخلاص للابليخانية .

ومهد سعد الدولة لذلك بين الناس حيث كان يجتمع بالبارزين من المسلمين
فيجرهم الى القول معه بما في ارغون من صفات نادرة لا تتوافر في الرجال ثم يأخذ
خطوطهم على الاعتراف بذلك ، فكان بعضهم يوقع له رهبة او رغبة واندفع البيض
الآخر في تزلفه فكتب عبارة « الناس على دين ملوكهم » وهو ما يريد الزير
اليهودي ان يشيع بين الناس .

وتضاربت الآراء في حقيقة النوايا التي كان الوزير يعمدها للمسلمين حتى قيل
بأنه مهد لارسال حملة الى الديار المقدسة لازالة الكعبة المشرفة وتحويل بيت الله ثانية

(١) وصاف م ٢ ص ٢٣٥ - ٢٣٦ ، يوسف غنيمية ص ١٤٣ - ١٤٤

Howorth . 3 . P . 331 - 332 .

وينفي الشيخ الشيبني ج ٢ ص ١٢٢ - ١٢٥ عن ابن كمونة تهمة الطعن في الاسلام
التي اتهم بها ، ويشير الى عثوره على نسخة من هذا المؤلف مع رسائل اخرى بخط
ابن كمونة في خزانة المشهد العلوي تؤيد ذلك .

الى عبادة الأوثان (١) .

وتذبه المسلمون لما يدبره لهم أعداؤهم ، وأصدوا لهم تارة بالاضرابات والمظاهرات ومهاجمة اهل الذمة بالرغم من حماية الدولة لهم ، وتارة بالتأليف والرد عليهم عندما نظم محضر للطعن باليهود ووزيرهم سعدولة (٢) .

وأحس الوزير اليهودي اخيراً ان المكر المبيء لا ينجح إلا بأهله ، وانه سيفقد قريباً الحماية التي شجعتة على الاندفاع في معاداة المسلمين والتي اصبحت ينفرد الآن بحمل عبئها بعد ان اعتزله امراء المغول ان لم يكونوا يتربصون به ، واصبح الايلخان قاب قوسين او ادنى من الموت ، فأسرع بفتش عن حماية لنفسه بالتزلف الى المساميين والتسج بأذيالهم ، فوزع الصدقات ، واطلق السجناء وارسل الاموال الى الديار المقدسة ، واعلان التمسك بأحكام الشريعة الاسلامية وخفف الضرائب عن الناس ودعاهم الى تقديم ظلاماتهم ، لكن هذه الاعمال لم تفد كثيراً في تأخير اجله وفي إلحاق الأذى والاضطهاد بأهل الذمة من بعده (٣) .

واتتمش الاسلام بوقاة ارغون واستعاد قوته وتأثيره على الحاكمين الذين

اعقبوه بالرغم من بقائهم على وثنيتهم .

(١) وصاف م ٢ ص ٢٤١ ، خواندهير م ٣ ج ١ ص ٧٦ - ٧٧ ، الصياد -

مؤرخ المغول ص ٦٢ - ٦٣ ، مغول ايران ص ١٠ - ١١

Howorth . 3 . P . 340 - 341 .

(٣) الحوادث الجامعة ص ٤٥٥ ، ٤٦١ - ٤٦٢ ، العزاوي ج ١ ص ٢٤٢ ، ٢٤٧ .

(٣) وصاف م ٢ ص ٢٤٣ - ٢٤٤ ، ٢٤٧ ، الحوادث الجامعة ص ٤٦٤ - ٤٦٥ ،

الصياد - مؤرخ المغول ص ٦٣ - ٦٥ .

فقد افتنى كيخاتو سياسة والده اباقا في الاعتدال بين طوائف الشعب ، وأعاد المسلمين الى الوظائف وجعل الوزارة في ايديهم ، واصبح اكثر ميلا اليهم عندما فوضهم امرها وأعفى العلماء ورجال الدين وآل البيت من الضرائب ، ووزع الاموال والصدقات على المحتاجين ، حتى ان رجال الدين من المسلمين اجتمعوا مع بقية رجال الدين من الطوائف الاخرى وصلوا من اجله ودعوا له بالشفاء عندما سقط مريضاً (١).

ولم يكن هوى بايدو مع المسلمين ، ولكن قوتهم وانتشار الاسلام بين المغول فرض عليه التزام جانب الحذر في علاقته بهم . فأبقى الوزارة في ايديهم واضطر في بعض الاحيان الى التظاهر بالاسلام ، او ارسال ابنه علي ليصلي مع المسلمين . ولكن بيته كان مسيحياً متمصباً ، يفرض عليه في كثير من الاحيان التمرد على مسايرة المسلمين ، حتى اضطر في بعض الأوقات الى منع الوعاظ والمبشرين المسلمين من ممارسة عملهم بين المغول الأمر الذي اوقعه في نزاع مع امراء المغول المسلمين الذين انتهوا بهم الامر الى الالتفاف حول غازان بعد اعتناقه الاسلام . وقيامهم على بايدو ، فكان مقتله نهاية لوثنية الحكم الايلخاني (٢) .

المرحلة الثانية :

ويعتبر تولى غازان الحكم المرحلة الثانية التي يمكن ارجاعها ايضاً الى بدء اعتناقه

(١) الذهبي - تاريخ الاسلام - الورقة ١٥٨ في وفيات سنة ٦٩٣ هـ .

D'ohsson . 4 . P . 86 - 87 . Encofiel . 2 . Kaihhritu . P 128 .

(٢) الدعوة الى الاسلام ص ٢٦٣ ، مغول ايران ص ١١ ، الصياد - مؤرخ

المغول ص ٧٠

Howorth . 3 . P . 387 . Sykes . 2 . P . 109 .

الاسلام قبل توليه بأربعة شهور تقريباً بفضل توجيهه وهداية نوروز له (١) . وبذلك أصبح الاسلام الدين الرسمي للدولة . ومهما قيل في الدوافع والاسباب التي دفعته لاعتناقه ، رغبة او مصلحة ، فالنات ان الاسلام كسب الكثير من اسلامه ، وان المسلمين ازدادوا قوة ومنعة بانضمامه اليهم ، ومن المحتمل انه في اول الأمر تعاق بالاسلام طمعاً في الوعود التي وعد بها لا يصاله الى العرش (٢) . ولما سكن الآلاف المؤلفة التي اعتنقت الاسلام باعتناقه ، لم يكن يدور بخلدنا تلك المغريات التي اطعمته من قبل ، وقد أصبحت هذه الجوع الكثيرة بعد ان عد في اسلامها حقيقة لا تقليداً بفضل اختلاطها بالمسلمين واطلاعها على تعاليم الاسلام ، أصبحت سيابجاً وقى الاسلام من كثير من اخطار الوثنية المغولية وخاصة الردة التي كادت تعيد الايلخان اولجايتو فيما بعد الى الوثنية ، هذا بالاضافة الى مرافق المبشرين المسلمين المنتشرين بين المغول من نشاط بفضل حماية الدولة لهم وتشجيعهم في عملهم .

(١) كان اعتناق غازان للاسلام يوم الجمعة ٤ شعبان ٦٩٤ هـ / حزيران - يونيو ١٢٩٥ م ، انظر في ذلك خواندمير م ٣ ج ١ ص ٨٣ - ٨٤ ، تاريخ سلاطين المماليك ص ٣٤ - ٣٥ ، ابن الوردي ج ٢ ص ٢٤٠ ، الذهبي - تاريخ الاسلام - الورقة ١١٧ في حوادث سنة ٦٩٤ هـ ، ابن كثير ج ١٣ ص ٣٤٠ براون Browne ج ٣ ص ٤٠ . (٢) من ذلك ما وعد به نوروز غازان بعد تمرده على الايلخان بايدو وقوله له : « ان رغبتى في ان اضع امير العالمين على سرير السلطنة عن قريب ، وأرفع عنه بايدو الكافر ، واخضع جميع الامراء والكبراء على شريطة ان ينير الامير قلبه بنور الأيمان ويسلك طريق الاسلام ويتبع ملة نبي آخر الزمان . انظر خواندمير م ٣ ج ١ ص ٨٣ .

على ان المؤرخين المسلمين المعاصرين لاسلام غازان لم يشكوا مطلقاً في صحة اسلامه فضلاً عن ان اعماله واقواله بمد ذلك لم تدع لهم مجالاً للطعن في صحة ما وثقوا به .

اما ما تمحجج به بعض المؤرخين من الاجانب خاصة في التشكيك في ذلك متخذين من استمرار معاداته لسياسة المماليك المسلمين دليلاً على صحة شكوكهم ، فليس في ذلك غرابة ، اذ ان الاسلام وحد بين اتباعه في العبادات ، وافترض تبعاً لذلك وحدة مصالحهم الاخرى التي ترك أمر تطبيقها على ضوء الظروف المحلية لكل بلد ، واجتهادات مشرعهم وفقهائهم وفق الاطار العام الذي رسمه لهم .

والحروب بين المسلمين وان كانت غير مرغوب فيها بالنسبة للاسلام ، إلا انها ككثيراً ما وقعت بينهم قبل غازان وبعده ، وحتى الآن ، بسبب اختلاف هذه المصالح والاجتهادات التي تتبع منها (١) .

وبفضل اتخاذ الاسلام ديناً رسمياً للدولة ، اصبح من الواجب على اجهزة الدولة المختلفة ان تعمل وفقاً لتماميم الاسلام وان تصبغ بصبغته ، من ذلك انه اصبح يذكر اسماء الخلفاء الراشدين في خطبة الجمعة والعيدين والمناسبات الاخرى في الجوامع واصبح يدعى للابليخان من بعدهم ، ونقشت اسمائهم على السكة محاطة ببعض الآيات

(١) ناقش الصياد في مؤرخ المغول ص ٧٠ - ٧٥ موضوع اسلام غازان وما لاحقه من شك . وكذلك فعل مصطفى بدر في مؤلفه مغول ايران ص ١٤ - ٣١ ، انظر ايضاً الدعوة الى الاسلام ص ٢٦٣ - ٢٦٥ ،

Malcolm . of . cit . I - 275 - 278 .

القرآنية (١) ، وصارت العمامة لباس الرأس الرسمي للإيلخان الذي اتخذته راية
سوداء اقتداءً بالخلفاء الراشدين ، وأضحت الأوامر الرسمية تبدأ باسم الله واسم
رسوله ، وتطور شكل الختم الإيلخاني فأصبح دائرياً بعد ان كان مربعاً (٢) .
ومن ناحية العلاقات الداخلية ، فقد توثقت العلاقة بين الحكام والمحكومين
من المسلمين ، وأزيلت الحواجز الجذسية والطبقية التي كانت تفصل بينهم ، واختلط
المغول بالمسلمين وازدادوا تأثراً بالبيئة الحضارية الاسلامية مما ساعد على سرعة تطبيع
المغول واندماجهم في المجتمع الاسلامي ، ونشأ عن ذلك ايضاً ان سهل على المسلمين

(١) وصاف م ٣ ص ٣٢٤ ، ابن كثير ج ١٣ ص ٣٤٠ ، براون BRowne
ج ٣ ص ٤٠ . وجاء التغيير على السكة كالاتي ، ففي الوجه الاول احيطت الشهادتين
باسماء الخلفاء الراشدين ، تحيط بهم جميعاً الآية الكريمة « محمد رسول الله والذين معه
اشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً... »
سورة الفتح ٤٨ ، الآية ٢٩ .

وجاء على الوجه الثاني بالاضافة الى الإيلخان وألقابه ومكان الضرب وتاريخه
الآية الكريمة « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض... »
سورة النور ٢٤ ، الآية ٥٥ . انظر في ذلك لوحات النقود المرفقة :

Lane - Poole . 4 . P . 46 . N . I29 .

Enc . of . Isl . 2 . Chazan . P . 149 .

(٢) تاريخ سلاطين المماليك ص ٣٦ ، مغول ايران ص ٤٦ ، الصياد - مؤرخ
المغول ص ٧٤ ، ٧٧ .

D'ohsson . 4 . P . 151 ' Howorth . 3 . P . 399 .

الوصول الى الايلخان مباشرة بعد ان كان يحتاج الى كثير من الالتماسات والوساطات حتى أصبحت هذه السهولة مثار استغراب لبعض أمراء المغول (١) .

وبسبب اسلام الايلخان ايضاً وانخاضهم الاسلام ديناً رسمياً ، تحدد موقف الدولة من الأقليات غير المسلمة التي كانت تحظى منهم بالكثير من العطف والرعاية على حساب المسلمين ، فقد انتهت هذه السياسة ، وفرضت عليهم الجزية بصورة منتظمة وحددت مكانتهم في المجتمع الاسلامي كأهل ذمة ليسوا بمستوى المسلمين .

كما تحدد موقف الايلخانية من تبعيتها للخاقان المغولي الوثني الذي كانت له السيادة الاسمية ، فقد انتهت هذه التبعية وأزيل اسمه من على النقود ، وقطع ما كان يدفع له سنوياً من حقوق على شكل هدايا وغيرها .

وتحوّلت العلاقات بين الدولتين الايلخانية والخاقانية الى علاقات تكافؤ ومساواة وقائمة على اساس من المصالح المتبادلة .

وكان التأثير الأكبر لهذا التحول ، هو في موقفهم من الوثنية وكهنتها ، فقد تعرضت معابد الشرق الى الهدم والتخريب وتحوّلت الى مدارس ومساجد ، كما تعرض الكهنة للضغط والاكراه حتى اعتنق بعضهم الاسلام قناعة او خوفاً ، بينما فضل الآخرون العودة الى ديارهم احتفاظاً بوثنيتهم (٢) .

(١) انظر في ذلك استنكار الامير ايرنجين في حديثه لچوبان عن سرعة وصول عليشاه الى الايلخان اوجليانو . انظر مقدمة كاترمير لجامع التواريخ م ٢ ج ١ ص ٤٤ انظر ايضاً ، الصياد - مؤرخ المغول ص ٧٤ - ٧٥ ، مغول ايران ص ٣٥ .

(٢) و صاف م ٣ ص ٣٢٤ ، علي ابراهيم حسن - دراسات في تاريخ الممالك البحرية ص ١٥٩ - ١٦٠ ، يوسف غنيمه ص ١٤٨ - ١٤٩ ، مغول ايران ص ٤٧ ، -

وبوحي من هذا الايمان قام غازان بكثير من الاصلاحات التي شملت مختلف نواحي الحياة وخاصة ما يتعلق منها بتطبيق احكام الشريعة من بناء مساجد ومدارس وربط ومشاريع ري واعمال البر وغيرها مما سبق ان شرحته مفصلاً في الحديث عن اصلاحاته .

ودفع اهتمام غازان بآل البيت ورعايته لهم وافراد سجلات خاصة بهم وانشاء دور السيادة في المدن الكبرى وتجهيزها بما يحتاج اليها المقيمون فيها من آل البيت وتخصيص الوقوف الكثيرة لهم وزياراته المتكررة لمرافد الأئمة في النجف وكر بلاه وتبرعه بالأموال لسدتها وخدمها ، دفع هذا بعض المؤرخين من الأجانب الى القول بأنه اعتنق المذهب الشيعي (١) .

ولكنني أرى ان هذا الاستنتاج ليس في محله ، إذ ان الاهتمام بآل البيت ورعاية شؤونهم من خاق الاسلام قبل كل شيء ، وهو واجب على المسلمين جميعاً ، تقديرآ منهم لجهاده (ص) في هدايتهم الى الخير ، ومحبة منهم له في اشخاص ذريته . اما التشيع فذلك شيء آخر ، فانه وان كان يقوم في اساسه على دعوى التبرك بحق آل البيت في خلافة المسلمين ، إلا ان الأحداث السياسية التي رافقت تطور الخلافة الاسلامية ، طورت من هذه الدعوة حتى أصبحت غرضاً سياسياً في حد ذاتها يتمسك بها الكثير من المعارضين او الثوار ، لتبرير قيامهم بالثورة على النظم الحاكمة .

— ٥١ - ٥٤ ، الصياد - مؤرخ المغول ص ٧٤

Sykes . 2 . P . 110 . Howorth . 3 . P . 397 - 398 .

Howorth . 3 . P . 453 - 454 . Brice . of . cit . 2 . 632 . (١)

اما غازان فانه لم يعتنق التشيع ، لان التزامات التشيع الحقيقية تفرض عليه التنازل عن كثير مما يشتهي من السلطان ، وهو أمر فوق طاقته .

اما تبرير اهتمامه الشديد بآل البيت ، فقد يكون صادقاً فيما ادعاه من الرؤيا للمرسول (ص) وما وصاه به من حسن معاملتهم ، وان كنت ارى ان اسباب ذلك سياسية ايضاً ، اذ ان تعطش غازان الى وحدانية الزعامة على المنطقة قد دفعه الى محاولة العودة لاختضاع الشام ومصر لسيطرته تحقيقاً لسياسة قديمة ، مستغلاً التفكك السيامي الذي اصاب حكامها في هذه الفترة ، ولكن الرأي العام الاسلامي في بغداد خاصة الذي كان يرى في الحكم المملوكي حامياً للاسلام ومنقذاً لارادة الخلافة الاسلامية التي كانت قد انتقلت الى القاهرة ، لم يشجع غازان ويؤازره في محاولته هذه المؤدية الى قتال المسلمين بعضهم لبعض .

وكان غازان كما يظهر محتاجاً الى هذا التشجيع ، ان لم يكن لتجنيد المسلمين من غير المغول في جيشه الذي خلا منهم ، فعلى الأقل لتبرير عمله امام جنوده المسلمين من المغول الذين اضطر كما يظهر ايضاً الى اصدار فتوى على لسان بعض رجال الدين تبيح قتال اهل الشام الذين لا يصومون او يصلون إلا اذا دفعت لهم اجور على ذلك (١). لذلك فقد يفسر تكرار زيارته للشهدين في النجف وكربلاء وما رافق هذه الزيارات من عناية واحترام وإكرام لآل البيت ، بأنه محاولة منه لكسب ثقة الشيعة وخلق رأي عام منهم يدعم موقفه في صراعه مع المماليك بعد فشله في كسب تأييد اهل السنة ، ولإعطاء زحفه صفة الشرعية .

(١) مغول ايران ص ٤٦ ، ابن ابيك - كنز الدرر ج ٩ ص ٣٣ .

على ان غازان بالرغم من تظاهره هذا ، لم يكن قد قطع صلته برجالأت أهل السنة ومؤسساتهم ، فقد كانت مدرسة المستنصرية تحظى دائماً بزياراته ، كما كان يؤدي صلاة الجمعة في جامع ابي حنيفة عندما يكون في بغداد .

واقفتي اولجايتو سياسة اخيه في رعاية الاسلام ، خاصة وقد انقلب على المسيحية التي اعتنقها وهو صغير (١) ، بتوجيه والدته المسيحية ، كما قلد اخاه في رعاية آل البيت والاهتمام بهم حتى انه قام بنقش اسمائهم واسماء الأئمة الاثني عشر على صحائف ثمانية (٢) .

وقام بتطبيق تعاليم الشريعة على اهل الذمة في استمرار دفعهم الجزية وإلزامهم بلبس الغيار لكي يتميزوا عن المسلمين ، كما اهتم باعمار المساجد والمدارس والمستشفيات وخاصة في مدينته الجديدة السلطانية بالاضافة الى البلاد الاخرى ، ومن اعماله ايضاً في هذا المجال انتزاعه ملكية مشهد ذي الكفل الذي يحج اليه اليهود واعطائه للمسلمين حيث شيد فيه مسجداً وبنيت له منارة ، ومنع اليهود من قصده (٣) .

(١) ترجمة المعارف الاسلامية م ٢ - اولجايتو ص ٥١١ ، براون ج ٣ ص ٤٦ .

(٢) تاريخ وصاف م ٤ ص ٤٧٠ - ٤٧٢ .

(٣) حمد الله مستوفي القزويني - نزهة القلوب ص ٣٢-٣٣ ، الترجمة الانكليزية

ص ٣٩ في الحديث عن الكوفة ، ويشنع ابن عنبه ص ٣٠٧ - ٣٠٨ على الوزير رشيد الدين وبتهمه باليهودية بشكل غير مباشر بسبب موقفه من النقيب تاج الدين ابي الفضل محمد الذي كان قد منع اليهود من زيارة مشهد الكفل ، وأشرف عليه فحقد عليه الوزير وتسبب في اعدامه فيما بعد ، على ان النزاع بين المسلمين واليهود على ملكية المشهد بقي مستمراً حتى مطلع القرن العشرين .

وساعد الاستقرار النسبي الذي ساد البلاد في عهده ، مساعد اوجايتو على قضاء وقته متنقلا بين حلقات الصيد ومجالس العلماء الذين احاط بهم تقمه ، وكان يستمع الى مناقشاتهم ومناظراتهم .

وتسببت هذه المخالطة الشديدة ، بالاضافة الى ما عرف عنه من ضعف شخصيته أمام امراء المغول خاصة الذين أخذوا يستعيدون مكانتهم في عهده ، والى ضعفه ثقافته وقلة معرفته في شؤون الدين خاصة ، تسبب ذلك في سيطرة الحاشية عليه وسهولة تلاعبهم بعواطفه المذهبية والتأثير عليها حتى كان من السهل عليه ان يعود الى وثنيته لو فصح المجال لكهنة المغول الذين لا زالوا يحيطون به ، وأمراءهم ، بالاضفط عليه ، وقد أثمرت في أحاديثي عنه الى انه كان مقلداً لأخيه في كل شيء ورثه عنه ، اذ قلما نجد في أعماله ما يدل على انفراده بعمل او استقلاله برأي (١) .

ومن المحتمل ان مظاهر الضعف هذه في شخص اوجايتو هي التي دفعت بعض المؤرخين من الاجانب خاصة الى اتهامه بكثرة التقلب في آرائه المذهبية ، عندما اشاروا الى انتقاله من المذهب الحنفي الى المذهب الشافعي بتأثير وزيره رشيد الدين ، ثم عدوله عنه وتحويله الى المذهب الشيعي واستقراره عليه فترة ثم عدوله عنه قبيل وفاته (٢) .

(١) اورد الصياد في رسالته مؤرخ المغول ص ٢٤٩-٢٥٠ مقارنة بين الاخوين رفع فيها من مكانة اوجايتو العلمية بينما اشار الى ضعف شخصيته السياسية والادارية .

(٢) ترجمة المعارف الاسلامية م ٢ - اوجايتو ص ٥١١-٥١٢ ، م ١٠

رشيد الدين - ص ١١٦ ،

Hqworth . op . Cit . 3 . P . 557 - 559 . Browne . op . Cit , 3.50

ولكن المراجع الاسلامية المعاصرة التي بين أيدينا لا تشير الى شيء من شافعيته .
لقد كان اولجايتو اول ايلخان مغولي اعتنق المذهب الشيعي إثر الجدل الذي
قام بين علماء الحنفية والشافعية في مجامعهم ، والذي كان التعصب المذهبي الاعمى المجافي
لروح الاسلام قد سيطر على عقول الفريقين المتهاجرين فأنتسأهم طبيعة اسلام المغول
الذين كانوا اشبه بالماؤلفة قلوبهم ، والذين كانوا بحاجة الى من يعمل على تثبيت
الايان في افئدتهم ، لا ان يمرض عليهم هذه الصور من المجادلة التي خرجوا فيها
عن آداب الاسلام عندما فتش كل فريق عن سوءات خصمه ، فأثاروا الاشمئزاز
في نفوس الحاضرين وأعطوا الحجة لكهنة المغول المتربصين في مجلس اولجايتو ومن
معهم من أسراء المغول الوثنيين ليزعزعوا ايمان اولجايتو الذي لا يدل واقم الحال على
رسوخ جذوره في نفسه . وكان دفعه لهذا النداء الشيطاني الذي دعاه الى العودة
الى الوثنية ، ليس زجرآله او انزال العقاب به ، بل اظهار الندم على الجهود التي
بذلتها في سبيل الاسلام والتي ستضيع لو تركه هكذا دفعة واحدة (١) .

واستغل بعض افراد حاشيته من الشيعة حالة القلق والاضطراب التي أصبح
يعانيها بعد هذه الجلسة ، وما نشأ بعدها من أحداث طبيعية أساء تفسيرها له
المفسرون عندما نسبوها الى شؤم الاسلام عليه لتركه ديانة آباءه وأجداده ، استغل
هؤلاء الافراد ، فعرضوا عليه مذهب التشيع ، ودعوه اليه ، وذكروه بميل غازان

(١) نقل الصياد في رسالته ص ١٤٦ هذا الجواب عن مخطوطة بجمع التواريخ
وهو : لقد بذلت جهوداً كبيرة في سبيل الدين الاسلامي واقامة الطاعات والعبادات
ولا استطيع ان اترك هذا الدين هكذا دفعة واحدة .

ورعايته له ، وربطوا له بين تعاليمه وضرورة بقاء الحكم الايلخاني في سلالة جنكيزخان حتى اقتنم بما عرضوه عليه من آراء وتفسيرات ، فاعتنق المذهب وجعله المذهب الرسمي للدولة ، وتم ذلك في سنة ٧٠٩ هـ (١) .

وترتب على اعلان تشييعه ضرورة تغير أجهزة الايلخانية المختلفة بما يناسب تعاليم المذهب الجديد ، فأسقطت أسماء الخلفاء الراشدين الثلاثة الاول من الخطبة واستبدلوا ببقية أسماء الأئمة الاثنى عشر .

وشمل التغيير السكّة ايضاً ، فأضيفت اليها الشهادة الثالثة « علي ولي الله » (٢) .
وفتحت ابواب الفصر الايلخاني لعلماء الشيعة الذين توافدوا اليه من مختلف أنحاء

(١) المرجع السابق ص ١٤٦ - ١٤٧ ، خواندمير م ٣ ج ١ ص ١١٣ ، العيني الورقة ١٠٢ في وفيات سنة ٧١٦ هـ ، العاملي ج ٢٤ اعيان الشيعة ص ٢٧٧ - ٢٣٤ ، برايس ج ٢ ص ٦٣٤ .

D' ohsson . 4 . p . 536 - 541 ' Howorth . 3 . p . 557 - 559 .

Malcolm . 2 . 279 .

(٢) انظر لوحات النقود الملحقة - نقود اوجاييتو ، انظر ايضاً مسكوكات قديمة اسلامية ، قتالوغي ق ٣ ص ٦٩ - ٧٠ رقم القطعة ١٠٢ ضرب تبريز سنة ٧١٠ .
كنموذج لهذا التغيير . وقد جاء على احد الوجهين ما يلي : بسم الله الكريم . لا إله إلا الله . محمد رسول الله . علي ولي الله . يحيط بها جميعاً ما يلي : اللهم صل على محمد وعلي والحسن والحسين وعلي ومحمد وجعفر وموسى وعلي ومحمد وعلي والحسن ومحمد .
انظر ايضاً الصياد - مؤرخ المغول ص ١٤٨ نقلاً عن مخطوطة خلاصة الاخبار ، الشينكاربي الورقة ٣٢٠ .

البلاد حتى أصبحوا يمثلون القوة المؤثرة في حاشيته ، وتجلي ذلك بصورة خاصة في ضعف مكانة رشيد الدين في البلاط وظهور شخصية زميله سعد الدين الساوجي الذي أصبح يتمتع بثقة رجالات الشيعة (١) .

ودفع التعصب المذهبي هذه الحاشية وتأثيرها على الايلخان الى محاولة فرض التشيع على جميع الناس ، يشير الى ذلك ابن بطوطة عندما يذكر ان السلطان أمر بحمل الناس على الرض - أي التشيع - وكتب بذلك الى العراقيين وفارس واذربيجان واصفهان وكرمان وخراسان وبعث الرسل الى البلاد ، ونشأ من جراء هذا الاكراه قيام كثير من الفتن والاضطرابات في البلاد وخاصة في بغداد وشيراز واصفهان وقزوين (٢) .

وبلغ من تعصب الحاشية وتأثيرها عليه انه أمر بعدم ذكر الشيخين (ابي بكر وعمر) كما قيل انه جهز جيشاً بقيادة ابي طالب الدلقندي ومعه الامير حميضة بن ابي نمي أمير مكة السابق ، ليزحف الى المدينة المنورة ، وينقل قبريهما منها ، ثم

(١) الصياد - مؤرخ المغول ص ١٤٩ ،

D'ohsson . 4 . P. 541 .

على ان ذلك لا يعني ان ابواب القصر الايلخاني كانت مغلقة بوجه الشيعة قبل ذلك فقد كان الايلخان على صلة بهم ، ولكن الذي تغير الآن هو تمكنهم من الايلخان الذي اصبح يسمع لهم وينفذ طلباتهم بعد ان اصبح مشاركا لهم بالرأي .

(٢) ابن بطوطة ج ١ ص ١٢٨ ، الصياد - مؤرخ المغول ص ١٤٨ نقلاً عن مخطوطة مجمع التواريخ لابرو ، ابن كثير ج ١٤ ص ٧٧ ، الصفدي - الوافي بالوفيات ج ٢ ص ١٨٥ .

يعمل على فرض التشيع في الحجاز (١) .

واستمر اولجايتو على تشيعه حتى ايامه الاخيرة حيث سقط ضريفاً فأردركما يقول وصاف « يرايعا باعادة ذكر الخلفاء الراشدين في الخطبة جميعاً » .

ويعمل ذلك الشبنكارى بقوله : « بأن جماعة من العلماء اجتمعوا اليه وعرفوه خطورة ما قام به من مخالفه السنة والجماعة ، واكدوا له ان جميع المسلمين يترفون بامامة علي وأولاده » (٢) .

وانعكس هذا التراجع عن التشيع عندما تولى ابو سعيد الايلخانية بعد وفاة ابيه ، فأزيلت التغييرات التي احدثها اولجايتو ، وأعيدت الخطبة باسم الخلفاء لاربعة كما اعيد نقش اسمائهم ثانية على السكة (٣) .

واختلفت مكانة الاسلام في عهد ابي سعيد عما كانت عليه في عهد من سبقوه من الايلخانات المسلمين ، فقد نشأ ابو سعيد في الاسلام ، واحيط منذ صغره

(١) النويرى ج ٣٠ ق ٣ الورقة ٣٤٥ ، ابو المحاسن ج ٩ - النجوم ص ٢٣٩

D' ohsson . 4 . P . 583 - 585 .

(٢) وصاف م ٥ ص ٦١٥ - ٦١٧ ، الشبنكارى - الورقة ٣٢٠ - ٣٢١ .

(٣) انظر لوحات النقود المملوكة - نقود ابي سعيد ، انظر ايضاً مسكوكات

قديمة اسلامية قتالوغى - ق ٣ ص ٨٩ رقم ١٣٤ ضرب ارزنجان سنة ٧١٧ هـ وجاء التغيير فيها كالاتى على الوجه : لا إله إلا الله محمد رسول الله / يحيط بها اسماء الخلفاء الاربعة ابو بكر ، عمر ، عثمان ، علي . تحيط بهم الآية الكريمة « فسيفيكم الله وهو السميع العليم » البقرة السورة ٢ الآية ١٣٧ .

بمحاشية مسلمة توات الأشراف على تربيته وتعليمه ، لذلك خلا إيمانه بالاسلام واحساسه به من ترسبات وثنية او مسيحية ، فلم يعد لكهنة الوثنية مكان في بلاطه ، كما ان نظراته نحو اهل الذمة كانت تتفق وما أدركه من الاسلام وتعاليمه في حسن معاملتهم وضرورة تمييزهم ، فضلا عن ان بيته كانت تسود فيه العادات والتقاليد الاسلامية ، يشير الى ذلك ابن بطوطة الذي رافق موكبه سنة ٧٢٨ هـ فيذكر ان كل خاتون من خواتينه كانت تنزل في محلة على حدة ، ولكل واحدة منهن الامام والمؤذن والقراء (١) .

لذلك اندفع ابو سعيد بفضل توجيه المحاشية المحيطة به ، والتي اصبح على رأسها الأمير جوبان ، اندفع في رعاية الاسلام والعناية بأسبابه ، فأنتق الكثير من الاموال على وجوه البر المختلفة ، وخفف من الضرائب والمكوس ، وقام بتحريم شرب الخمر وإرافة ما وجد منه ، وأنشأ الكثير من المدارس والمساجد مما سبق ان أشرت اليه في حديثي عن إصلاحاته .

ولكن أهم ما تميزت به سياسته الاسلامية هو سعيه الشديد لتحقيق غرضين . أولهما محاولة إعادة موكب الحج الى سابق عهده مثلما كان عليه في زمن الخلافة . وثانيهما تحقيق الصالح مع المماليك على اساس من الاخوة الاسلامية وهو الأمر الذي سعى اليه تكودار من قبل .

وتطورت مساعيه لانجاح الغرض الاول من اختياره امراء الحج الذين عرفوا بالشجاعة والشهامة ، الى محاولة الاتفاق مع العربان المنتشرين على طريق الحج الى

(١) ابن بطوطة ج ١ ص ١٤٦ .

محاولة الاستغلال بالحماية الناصرية وتغيير الطريق وجعله على الشام ، حتى تحقق الصلح مع المماليك وسكنت القبائل العربية الى الطاعة ، فماد الحجاج الى سلوك الطرق القديم الذي وصفه لنا ابن بطوطة عند وصوله الى بغداد سنة ٧٢٨ هـ (١) .

وتحقق الفرض الثاني وهو عقد الصلح بين الدولتين بعد مراسلات دامت اكثر من ثلاث سنوات تبادلوا خلالها الرسل والهدايا حتى استقرت على شروط نافعة للبلدين وفرت لهما اسباب الاستقرار السياسي وفتحت البلاد أمام التجارة والزيارة والتعاون بينهما وذلك سنة ٧٢٣ هـ (٢) .

وتجلى تأثير هذا الصلح على البلدين في الدعاء لأبي سعيد في مكة بعد الدعاء للناصر كما اصبح يدعى للناصر في بلاد الايلخان بعد الدعاء لأبي سعيد .

(١) ابن بطوطة ج ١ ص ١٠٦ - ١٠٩ وكان اسم امير الحج شهاب الدين قلندر فلما توفي خلفه بهلوان محمد الحويج . المقرئ ج ٢ ق ١ ص ١٩٠ ، ج ٢ ق ٢ ص ٢١١ ، ٢١٤ . النويري ج ٣ ق ٣ الورقة ٤٧٧ - ٤٧٨ ، العيني الورقة ٣٤٦ - ٢٥٠ في حوادث سنة ٧٢٠ .

(٢) ابن ابيك ج ٩ - كنز الدرر ص ٣١٢ ، ابن حجر ج ١ - الدرر الكامنة ص ٣٨١ في الحديث عن مجد الدين السلامي ، ص ٤٠١ في الحديث عن كريم الدين وزير الناصر ودوره في عقد الصلح . العيني - الورقة ٢١٩ - ٢٢١ في حوادث سنة ٧٢٠ ، الورقة ٣٥٤ - ٣٥٧ ، ٣٦٥ - ٣٧٢ في حوادث سنة ٧٢٣ هـ .

موير - تاريخ دولة المماليك ص ٨١ - ٨٢ . الشيال ج ٢ - تاريخ مصر الاسلامية العصران الايوبي والمملوكي ص ٢٧٧ - ٢٧٨ .

وحتى ان الناصر لم يمانع فيما قام به الأمير جوبان من اجراء العين في عرفة لسقي الحجيج .

وتجلى ايضاً في انعكاس اعمال الخير التي يقوم بها احد السلطانين في بلاده كالتخفيف من الضرائب والرسوم وتطبيق احكام الشريعة في منع المحرمات والزام اهل الذمة ، على السلطان الآخر الذي يسارع للاقتداء به ففعل فعله .

موقف الايلخانية من اهل الذمة :

أشرنا فيما سبق الى ان سياسة المغول لم تكن واحدة مع سكان البلاد الاسلامية التي خضعت لهم ، وانهم احتضنوا الأقليات غير المسلمة من السكان لتكون ركيزة لهم في البلاد تساعدهم على الحكم ، وتحميهم من تأثير المسلمين عليهم .
وأقصد بالأقليات غير المسلمة ، اهل الذمة الذين كانوا يعيشون في جوار المسلمين من المسيحيين واليهود .

وترجع صلة اهل الذمة وخاصة المسيحيين منهم بالمغول الى الايام الاولى لقيامهم حتى اشيع ان بعض قبائلهم كانت قد اعتنقت المسيحية ، وان جنكيزخان نفسه كان يميل اليها ويحسن الظن بها بعد أن رأى الرؤيا التي ظهر له فيها احد القديسين من رجال الدين (١) . وسوف نأتي على تفاصيل هذه العلاقة فيما بعد .

لقد استفاد المغول من هذه الرعاية التي اظهروها لأهل الذمة خلال زحفهم نحو بغداد فوائد كثيرة اهمها سياسية وعسكرية .

(١) انظر ما اورده ابن العبري في ذلك ص ٢٢٦ ، ٢٣٠

في المجال السياسي ، أصبح اهل الذمة ، تدفعهم عوامل مختلفة اهمها رغبتهم في الحصول على مكانة افضل في المجتمع ، أصبحوا دعاة للمغول يهدون لهم الطاعة بما ينشرونه بين الناس من اخبار ودعايات انهازمية ، كما أصبحوا لهم رسلا يحملون اوامرهم ورسائلهم الى امراء البلاد ، وجواسيس ينقلون لهم الاخبار ويتصدون حركات ابناء البلاد .

وفي المجال العسكري ، كونت جيوشهم فرقاً من الجيش الزاحف نحو بغداد كما أصبحوا بعد ذلك اعواناً على قدم الاستعداد للمشاركة بكل زحف مغولي نحو الشام . وبالرغم من هذه الرعاية ، وهذا التعاون بين الفريقين ، وبالرغم من ان البيت المغولي او الايلخاني فيما بعد كان مشعباً بالمطف على المسيحية خاصة بفضل الزوجات المسيحيات الكثيرات اللواتي دخلن في حياة المغول ، فأنني ارى ان التخطيط التوسعي للمغول كانت تمليه اسباب سياسية ، وليس للتعاون المسيحي معهم تأثير في رسمه او تغير اتجاهاته ، وخاصة فيما يتعلق بالحملة على بغداد (١) .

أما دور المسيحية في ذلك فلم يكن سوى التشجيع عليه والمساعدة في تنفيذه . وكان من ثمار رعاية المغول للمسيحيين ان نجا مسيحيو بغداد من مجزرتهم يشير الى ذلك صاحب الحوادث الجامعة بقوله : ووضع السيف في اهل بغداد فلم يبق من اهل البلد ومن التجار اليهم من اهل الواد إلا القليل ما عدا النصارى فانهم عين لهم

(٢) لا كما يرى ارنولد في الدعوة الى الاسلام ص ٢٥٢ ، حيث يقول بأن

هينون ملك ارمينيا المسيحي هو العامل الرئيسي في اقناع مانكوخان بارسال تلك الحملة التي دمرت بغداد بقيادة هولاء .

شعان حرموا بيوتهم (١) .

وحاول الخليفة المستعصم (٢) استغلال هذا العطف عندما ارسل الجائليق مع الوزير الى هولاء لكي يخفف من شروطه وليفتح باب الصلح ولكنه لم يفلح .
وكانت عواطف المغول في هذه الفترة مع المسيحيين فقط ، اذ ان اليهود في بغداد نفوا ما لقيه المسلمون من العذاب والقتل (٣) .

كان اهل الذمة في العراق ينتشرون على ضفاف الرافدين ، ويتركزون في بغداد باعتبارها مركز الخلافة ومركز رئاستهم الدينية ، وبكثير المسيحيون ايضاً في الموصل وأطرافها ، ويلاحظ ان كلا من اليهود والنصارى الذين كانوا يسكنون في المدن ، كانوا يسكنون في محلات خاصة بهم منعزلة عن المسلمين ، وبقيت آثار هذا الانعزال واضحة حتى الآن في البلاد .

وليس لدينا احصائيات مفصلة عنهم ، اذ ان المؤرخين المسلمين قلما اشاروا اليهم . وينقل صاحب تاريخ نصاري العراق ، ان عدد النصارى الذين كانوا يندفمون الجزيرة في بغداد عند وصول هولاء اليها كان ثلاثة واربعين الف نسمة ، يملكون (٥٦) ستة وخمسين بيعة (٤) .

(١) الحوادث الجامعة ص ٣٢٩ .

(٢) رشيد الدين م ٢ ج ١ ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .

(٣) مصطفى بدر - محنة الاسلام - ص ١٧٦ ، يوسف غنية - ص ١٤٢ .

Coke · Baghdad The City of Peace . P . 152 .

(٤) رفائيل بابو اسحاق - تاريخ نصارى العراق ص ١٠ ، انظر ايضاً . القزاز

الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الاخير ص ١٢٦ .

اما اليهود فمن المحتمل انهم لم يقلوا عما ذكرهم الرحالة بذيامين التطيلي الذي قدرهم بنحو اربعين الف يهودي ولهم في بغداد عشر مدارس مهمة (١) .
وامتحن اهل الذمة في عهد الخلافة مهناً كثيرة اشار اليها القاضي ابن فضلان في رسالته التي رفعها الى الخليفة الناصر لدين الله ، ويمكن القول ان اغلب ما اشتهر به اليهود هو في مهنة الصيرفة واعمال البنوك ، بينما اشتهر النصارى بالطب وكتابة الديوان (٢) .

وتحسنت احوال اهل الذمة في عهد الايلخانات حيث ازيلت الفوارق التي كانت تجعلهم دون المسلمين ، كما اصبحوا موضع عطف ورعاية من الحكام على حساب المسلمين ، بل انهم اصبحوا يستغلون هذه الرعاية في كثير من الاحيان للدلال على المسلمين بها ، الأمر الذي سبب لهم ولاحا كين كثيراً من المشاكل ، على انه يمكن القول ان سياسة الايلخانات لم تكن واحدة مع اهل الذمة في جميع الميادين وبالتالي فان العز الذي تمتعوا به في عهد ، تحسروا عليه عهد آخر ، لذلك فاني ارى كما فعلت بالنسبة لموقف الايلخانات من المسلمين ، ارى تقسيم سياستهم مع اهل الذمة الى مرحلتين ايضاً . مرحلة وثنية الايلخانات ، ومرحلة اسلام الايلخانات .

(١) وكان هذا الرحالة قد زار العراق سنة ٥٦١ هـ في خلافة المستنجد بالله
ابي المظفر يوسف بن المقتفي لامر الله . انظر الرحلة ص ١٣٥ ترجمة عزواحداد .
(٢) انظر رسالة القاضي بن فضلان في الحوادث الجامعة ص ٦٦ - ٦٨ ، القزاز

المرحلة الاولى :

ونلمس في هذه المرحلة تغير موقف الايلخانات منهم تبعاً للمؤثرات الشخصية او المحلية ، إلا انهم بصورة عامة كانوا اكثر التزاماً لأهل الذمة على المسلمين . لذلك جاءت تعليقات اغلب المؤرخين لهذا العهد ، جاءت بالثناء على حسن معاملتهم ، وبتحسين أحوالهم وارتفاع منزلتهم حتى ان اهل الذمة اصبحوا ينظرون الى المغول او هولاءكو خاصة كمنقذ لهم بالنسبة لما كانوا عليه في زمن الخلافة (١) .

فقد احتضن هولاءكو النصارى وسلطهم على رقاب المسلمين ، حيث خول الجانبى ميخا الاستيلاء على دار الدويدار الكبير علاء الدين الطبرسى فسكها ودق الناقوس في أعلاها ، كما استولى على دار الملك التي كانت رباطاً للنساء تجاه هذه الدار ، وعلى الرباط البشرى المجاور لها ، وهدم الكتابة التي كانت على البابين وكتب عوضها بالسريانى (٢) ، ومنحه سلطات واسعة ليس على النصارى فحسب ، بل تعدت حتى الى المسلمين حيث اصبح له رجال يأمرون بأمره ، وأصبحت البيعة اشبه بالسجن يمتقل فيها من يشاء ويصدر عليهم الاحكام حتى الاعدام .

كما سلطهم على ارزاق المسلمين عندما جعل للأطباء والمنجمين من اهل الذمة حقولاً على اوقافهم .

(١) رفائيل بابو اسحاق - تاريخ نصارى العراق ص ١٠٩ .

Howorth . 3 . P . 140 - 141 .

Inc of Isl . 2 . Hulaco . P . 332 .

(٢) الحوادث الجامعة ص ٣٣٣ - ٣٣٤ .

وفتحت أمامهم ابواب الوظائف التي لم يتولوها من قبل ، وفضلوا على المسلمين في اشغالها كماصاب بعض الولايات في شمال العراق خاصة .

وبالرغم من ان الحاشية الايلخانية اصبحت تضم عدداً كبيراً من اهل الذمة ، إلا ان الايلخانات كانوا كثيراً ما يستدعون زعماء اهل الذمة ورؤساءهم ويشركونهم في مجالسهم الخاصة ويناقشونهم في شؤونهم الدينية مظهرين لهم الاحترام ، يشير الى ذلك المؤرخ الجورجي وارتان الذي استدعا هولاء لحضور احد هذه الاجتماعات فوجد فيها عدداً من هؤلاء الزعماء ... ثم يقول ان هولاء قدموا له الخمر بنفسه ثم سأله عن المسيحية وممانيتها ، وعن محبته لها ، وان امه كانت مسيحية ، ثم طلب منه في الأخير ان يدعو له بالخير (١) .

وبلغ من رعاية المغول للمسيحيين انهم ساهموا في اعادة الاعتبار لا مسيحية كديانة معترف بها من قبلهم عندما ساهم بعض الايلخانات او ممثلوهم في تنصيب رئيسهم الديني الأعلى (الجائليق) في احتفالات رسمية تقام تحت رعايتهم ، على العكس مما كانوا عليه في عهد الخلافة حيث كان هذا الرئيس يتسلم عهد توليه من الوزير نيابة عن الخليفة الذي كان يتضمن رأي الاسلام في ديانتهم ومكانتهم من المسلمين (٢) .

(١) وكذلك اشيع عن اباقائه كان يشارك المسيحيين في اعيادهم بالحضور الى الكنائس ، بينما كان آخرون من الايلخانات يحملون الشعار المسيحي - الصليب على صدورهم .

انظر ابن العبري ص ٢٨٩ ،

Howorth . 3 . P . 206 - 207 .

(٢) انظر في ذلك القراز ، ملحق الباب الثالث - عهد الخليفة المقتفي لامر الله -

وينقل لنا الشيخ الشبلي وصفاً لهذه الرعاية عن كتاب المجدل للطير هاني المؤرخ المسيحي بعد ان اغفلت المراجع الاسلامية ، الفارسية والعربية ، وحتى بعض المراجع المسيحية ايضاً اغفلت ذكر ذلك .

ومن ملاحظة مراسم هذه الرعاية التي هي اشبه بمناورة سياسية مغولية لاضعاف مكانة الاسلام في البلاد وارهاب امله ، نجد ان اختيار الجائليق في العهد الايلخاني كان يتم أولاً بترشيح من زعماء النصارى حيث يقول : اجمع وجوه النصارى وقساوستهم على اختيار ... » والمقصود هنا بالنصارى ، نصارى بغداد . . ثم نظموا بذلك محضراً مديلاً بتواقيعهم وخطوطهم ، ويحمل المرشح هذا الترشيح الى الايلخان الذي يخلم عليه ويشرفه ، « بالخلعة السنية والفرمان والبايضة والجتر » (١) ، ويطلق له من الاقنات الشيء الكثير ، ثم يوفد معه من يتولى تمثيله في احتفال التنصيب وقد مثل اباقا في حفل تنصيب الجائليق ونحى الذي كان اول من نصب في العهد

— الجائليق النصارى ص ٢٩٥ وعهد الخليفة الناصر لدين الله لرأس الجالوت اليهودي ص ٢٩٦ - ٢٩٧ .

(١) الفرمان - ويسمى ايضاً باليرليغ وقد مر ذكره . وهو عبارة عن منشور او عهد امان .

البايضة : وقد مر ذكرها ايضاً ، وهي عبارة عن لوح من الذهب مرسوم عليه رأس اسد وتعطى لمن هو في منزلة كبيرة .

الجتر : وهو العلم ، او المظلة ويسمح برفعها على رأس ذوي المنزلة الكبيرة في الدولة .

الإيلخاني بعد وفاة الجائليق المخضرم ميخا سنة ٦٦٤ هـ / ١٢٦٥ م الذي كان قد نصب بأمر من الخليفة الممباري المستمعهم بالله سنة ٦٥٣ هـ ، أقول : وقد اناب اباقاعنه ثلاثة من كبار امراء المغول ، بينما اناب عنه في حفل تنصيب الجائليق بابلاها الثاني أميراً كبيراً من أمراء الاسرة .

ويتوجه المرشح بعد ذلك الى بغداد حيث يتجهز الموكب منها وينحدر الى مكان الاحتفال الذي كان يقام عادة في دير المدائن (١) .

ويصف الطبرهاني ايضاً وصول موكب المرشح بابلاها الثاني الى الدير بقوله : « وكان وصوله يوماً مشهوداً ، ودخل البيعة بحف به عدد كبير من المطارنة والأساقفة جاؤا من اقاصي بلاد الترك وپارس والروم ومن بلاد الجزيرة والموصل وفلسطين ومصر فكان مطران المالح وتكنت على حدود الصين ممن شهد هذه التظاهرة » ، ثم يقول : « وما كان لأحد في الهيكل موضعاً يقف فيه من كثرة الناس » .

وكان من المراسيم ايضاً نثر الذهب والفضة خلال الاحتفال ، ثم ينحدر الجائليق بعد الانتهاء منه الى دير مارماري في السليح القريب من مكان الاحتفال وبعد ذلك أصدع الى بغداد (٢) .

(١) المدائن : وهو المدينة الفارسية القديمة - طيسفون - او طاق كسرى . وكانت عاصمة للفرس الساسانيين أيام امتيلائهم على العراق قبل الاسلام ، وآثارها تبعد الآن عن جنوب بغداد بحوالي عشرين كيلومتراً ، وكان فيها دير يعرف بدير قنا تقام فيه هذه الاحتفالات .

(٢) نجد تفصيل هذه الاحتفالات فيما نقله الشيبني في مؤلفه « مؤرخ العراق -

ويعمل البعض من المؤرخين هذه الرعاية الى تأخير نساء الايلخانات المسيحيات اللواتي كن يفرضن هذه الحماية لمصلحة المسيحيين ، فقد كان هولاء كو يستم الى فصائح وتوجيهات زوجته المسيحية دوقوز التي ورثها عن ابيه والتي اوصاه أخوه منكوخان بمشاورتها ، والتي استمر نفوذها حتى في عهد اباقا الذي يعترف بفضلها عليه في وصوله الى العرش .

وخضع اباقا بالاضافة الى ذلك الى تأخير زوجته الجديدة ماريا التي حملت اسم (سبيننا) ابنة امبراطور القسطنطينية التي كانت قد خطبت لهولاكو قبيل وقائه فتزوجها اباقا عند وصولها ، وقيل انه بلغ من سلطانها عليه انه اعتنق المسيحية لارضائها (١) ، وقد بقيت تتمتع بهذا النفوذ حتى عهد بايدو .

ولكنني أرى كما اشرت سابقاً الى ان المصلحة السياسية وليست العاطفة هي التي كانت تلمي هذا السلوك المغولي وتخطط له . وسوف نرى ان مجاملة الايلخانات لهذه العواطف كانت تنتهي عندما تتعارض مع مصالحهم .

واختلفت نتائج امكاسات سياسة الرعاية المغولية على المسيحيين ، ففي الوقت

— ابن الفوطي ، ج ٢ ص ١٦٨ - ١٧٩ ، عن كتاب المجدل للطيرهاني . انظر ايضاً ما نقله

Howorth . 3 . 355

عن المؤرخ الارمني ستيفن اوربليان الذي يشيد برعاية ارغون للاحتفالات الدينية ، وانه ألبسه بنفسه رداء الكهنوتية وامر الجميع بالتبرك به .

(١) مغول ايران ص ١٠ ، دراسات في تاريخ الممالك البحرية ص ١٤٤ ،

براون ج ٣ ص ١٧ مالكولم ج ١ ص ٢٦٦ ، عاشور - الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١١٢ .

D' ohsson . 3 . p . 270 ' Howorth . 3 . p . 218 .

الذي اعتقد فيه مسيحيو اوربا ان المغول اعتنقوا ديانتهم ، اوفي طريقهم لذلك ،
فمارعوا لاستغلاله عندما أرسل البابا اسكندر الرابع مثلاً رسلة الى هولاءكو في سنة
٦٥٩ هـ / ١٢٦١ م يحملون رسالة يثني عليه فيها ويملن فرحته بما سمعه عنه من رغبته في
الانضمام الى صفوف المسيحية ، وكذلك فعل البابوات اللاحقون في مراسلاتهم لأبائنا
وأبنائنا من بعده (١) .

واستغلال المغول بدورهم لهذا الوم عندما سعوا لتحويل هذه المراسلات الى
عمل سياسي وعسكري يجمع بينهم وبين اوربا لمواجهة خطر المماليك عدوها المشترك
كان النصرارى في الداخل قد اندفعوا ثقة منهم بهذه الحماية وهذا التأييد ، اندفعوا
للتصريح عما في نفوسهم من غيظ وحقد على المسلمين ، وظنوا ان الامور دانت لهم
في البلاد ، فنالوا من المسلمين بالتحريض عليهم أولاً ثم بمباشرة الانتقام منهم بأنفسهم .
وقد مر علينا استيلاؤهم على بعض دور المسلمين وإزالتهم ما بها من آثار
المسلمين ، وفي تكريرت (٢) لم يكتبوا بما ذبحه المغول من المسلمين من سكانها بل قاموا
م بدورهم بالاعتداء على بعض المسلمين (٣) .

(١) مغول ايران ص ٧ - ٩ ، براون ج ٣ ص ١٩ ، موير - تاريخ دولة
الممالك ص ٥٧ - ٥٨ .

Macler . C . M . H . 4 . P . 175 - 176 . Sykes . 2 . P . 99 , 103 .

(٢) تكريرت مدينة صغيرة تقع شمال بغداد على دجلة ، وكانت مركز
للكنيسة الكاثوليكية .

(٣) نقل ذلك هورت

Howorth . 3 . 140 - 141 .

عن التاريخ السرياني لابن العبري .

وفي الموصل لعب ابن الباعثي دوراً كبيراً في الوشاية بحاكمها الصالح اسماعيل الأمر الذي تسبب بعد ذلك الى حصارها من الجيش المغولي ومن لحق بهم من نصارى الأطراف ثم فتكوا بسكانها بعد استسلامها لهم (١) .

وكان موقف النصارى في الشام عند وصول المغول اليهم أشد من موقفهم في العراق « فقد شتمت النصارى في دمشق كما يقول ابو شامة » بفضل ما حصلوا عليه من هولاء ، فدخلوا من باب توما وصلبانهم مرتفعة وهم ينادون حولها بارتفاع دينهم واتضاع دين الاسلام ، وأخذوا يعتمدون على المسلمين و يرشون عليهم الحجر في الطرقات وعلى ابواب المساجد في رمضان وألزموا الناس بالوقوف عند مرورهم بالصليب عليهم ، وطالبوا بتحويل المساجد الى كنائس (٢) .

واستمر المسيحيون في اندفاعهم غير مدركين بأنهم لم يكونوا إلا أداة حركتها السياسة المغولية لارهاب المسلمين واخافتهم ، وان المغول عادوا بعد تحقيق غرضهم ، عادوا الى سياستهم التقليدية القائمة على التناح والتوازن بين طوائف الشعب المختلفة مع المسلمين ، وأصبحوا لذلك غير راضين عن هذه الاعتداءات .

ومن الناحية الثانية ، احس الايلخانات بضرورة مسايرة المسلمين والانتفاع بهم في إدارة البلاد لضمان نجاح حكمهم ، ومن المحتمل انهم تركوا علاج المشاكل المحلية لكل بلد لاجتهاد وتصرف الحاكمين فيه وفق الأطار العام لسياسة الاعتدال التي رسموها لأنفسهم في حالة السلم .

(١) ابن العبري - ص ٢٨٢ - ٢٨٤ .

(٢) ذيل الروضتين ص ٢٠٨ ، اليونيني ج ١ ص ٣٦٢ - ٣٦٣ ، المقرئبي

ج ١ ق ٢ ص ٤٢٥ .

لذلك جاء هذا التطور لسياسة المغول في غير صالح اهل الذمة الذين صدموا به وأدى بهم عدم إدراكهم له الى الوقوع في كثير من المشاكل مع المسلمين . من ذلك ما لقيه الجائليق ميخا الذي كان قد استهان بشعور المسلمين ، واستولى على بعض املاكهم وحوّلها الى بيعة للنصارى ، عندما حاول انزال العقاب ببعض المسلمين الذين كان قد اعتقله في البيعة وعزم على اغراقه في دجلة بحجة انه قد ارتد عن المسيحية ، فقد هاجم المسلمون عندما سمعوا بذلك ، هاجموا داره وأحرقوها فهرب محتسماً بصاحب الديوان الجويني الذي هرب به الى اربل ، والذي قصد بعدها البلاط الايلخاني فلم يجد لشكواه أذناً صاغية فعاد ، ونقل مركز رئاسته الى اربل حتى توفي (١) .

وكان رد الفعل لسلوك النصارى في الموصل واربل اوضح مما رأيناه في بغداد بالرغم من ان حماة المسيحيين فيهما كانا من المغول المسيحيين ، حيث لم يستطع المسلمون السكوت على اعتداءات المسيحيين عليهم ، فأنفجروا يهاجموهم بالعصي والأحجار حتى فرضوا عليهم ما يبتغون ، وحرّموا عليهم الخروج من دورهم لفترة من الزمن (٢) .

ولعبت السياسة المملوكية بالتعاون مع المسلمين في الداخل دوراً في إثارة الشك في نفس اباقا نحو احد كبار رجال الدين المسيحي الأمر الذي أدى الى اعدائه

(١) الحوادث الجامعة ص ٣٥٤ ، تاريخ نصارى العراق ص ١١١ ، الشيبى

ج ٢ ص ١٧٣ - ١٧٤ .

(٢) نقل ذلك

Howorth . 3 . P . 247 .

عن التاريخ السرياني لابن العبري .

سنة ٦٦٧ هـ / ١٢٦٨ م . واضاف مكانة المسيحيين في نفسه (١) .

وتوات هذه الأحداث التي اشعرت النصارى بضعف موقفهم أمام المسلمين وخطأ سلوكهم معهم فيما سبق ، وكان من الممكن ان تعود الثقة بينهم وبين المسلمين الى سابق عهدا لو انهم ادركوا خطأهم وعملوا على إزالة اسبابه مع المسلمين ، ولكنهم لم يفعلوا طمعاً ببقية تأثير لهم على المغول ، فجاه الاعتداء على صاحب الديوان الجويني في بغداد الذي فسر بأنه من تدبيرهم نهاية لكل وفاق لهم مع المسلمين الذين تظاهروا على الجائليق ماردنجا سنة ٦٦٨ هـ واضطروه الى الرحيل عن بغداد الى اربل ومنها الى اذربيجان ليكون قريباً من حماية الايلخانات بعد ان تعذرت عليه حماية نوابهم وذلك سنة ٦٧٠ هـ / ١٢٧١ م (٢) .

واستعاد اهل الذمة شيئاً من نفوذهم ومكانتهم ثانية في عهد ارغون الذي وجد في الاعتماد عليهم سبيلاً لبقائه في العرش .

وما يلاحظ في موقفه منهم ، انه وزع عواطفه ورعايته بالتساوي بين اهل الذمة حيث فصح المجال لليهود للمشاركة في السلطة لأول مرة في التاريخ الايلخاني ، بعد

(١) ابن الفرات م ٧ ص ٤ ، المقرئزي ج ٢ ق ١ ص ٦١١ .

Howorth . 3 . P . 245 - 246 .

ورجل الدين الذي اعدم هو اسقف الجزيرة حنا يشوع كما اشار الى ذلك ابن العبري في تاريخه السرياني .

(٢) مغول ايران ص ١٠ .

Enc of Isl . 3 . Mara Gha . P . 265 .

D' ohsson . 3 . P . 469 - 471 . Howorth . 3 . P . 247 .

أن كانوا مبغدين عنه في عهد الايلخانات السابقين .

وكان التفاف اهل الذمة حول ارغون قبل توليه العرش ، كرد فعل لما كانوا يلقونه من اهل منذ او اخر ايام ابيه ، وخلال حكم عمه تكودار ، وقد لعبوا دوراً كبيراً في امساده في صراعه على العرش وفي ارسال الرسائل الى الخاقان يفرونه بتكودار (١) .

لذلك فانهم بعد نجاحهم في إجلاس ارغون ، عملوا على طرد جميع الموظفين المسلمين من البلاط الايلخاني ووظائف الدولة الاخرى ، وتوزيها بينهم حتى اصبحت تركت المسلمين يتولاها اليهود (٢) .

وتحالف دهاه اليهود وخبثهم مع مكانة النصارى القوية في نفس ارغون تحالفوا على العمل في استمرار سيطرتهم على الحكم من ناحية ، وعلى تهديم الاسلام عدوم المشترك من ناحية اخرى .

فقد تولى سعد الدولة منصب الوزارة ، ونجح بأساليه اليهودية في الوصول الى قمة السلطان ، ولكنه لم يفس ان يحتفظ بثقة النصارى به ، فكان كما يذكر مالكولم يعطف عليهم ويحميهم من الاعتداء (٣) .

ولم يحارب الاسلام صراحة ، ولكنه بفضل سيطرته على عقلية الايلخان ،

(١) انظر في ذلك الرسالة التي كتبها المؤرخ الارمني هيشون الى الخاقان قوبيلاي والتي يستعديه فيها على تكودار كما نقل ذلك :

Howorth . 3 . P . 310 .

(٢) تولى يهود تغليس تركت المسلمين في العراق - الحوادث الجامعة ص ٤٥٥ .

Malcolm . op . Cit . I . 268 .

(٣)

اوشك ان يجعل ارغون يدعو الى ديانة جديدة يكون الاسلام ضحيتها الاولى (١) .
ومكروا ومكر الله ، والله خير الماكرين (٢) .

وبوفاة ارغون لقي اهل الذمة شر اعمالهم وخاصة اليهود منهم حيث هوجت دورهم ونهبت كنائسهم وقتل عدد كبير منهم ، حتى انه في بغداد وحدها لقي اكثر من مائة من أعيانهم ، لقوا النذل والمهانة وفقدوا اموالهم (٣) .

ولم يستطع خلفاء ارغون بالرغم من التزامهم اهل الذمة ، حمايتهم من اضطهاد المسلمين الذين كانوا قد عادوا الى تولي المسؤولية ، فنقموا عليهم ما فعلوه في عهد تسلطهم ، وكان الايلخانات مضطرين الى التضاضي عن ذلك بسبب مشاكلهم الكثيرة مع أمراء المغول ، وشعورهم بالحاجة الى مداراة المسلمين وكسب تأييدهم ، حتى أن آخر الايلخانات الوثنيين بايدو ، بالرغم من انه كان يعلق الصليب على عنقه ، كان يرسل ابنه علي لكي يصلي مع المسلمين (٤) .

المرحلة الثانية : موقف الايلخانات المسلمين :

وضعت مكانة اهل الذمة عندما اعتنق الايلخانات الاسلام وجمالوه الديانة الرسمية للدولة . فقدوا بذلك ما كانوا يتمتعون به من امتيازات وإعفاءات .

(١) وصاف م ٢ ص ٢٤٠ - ٢٤١ .

(٢) القرآن الكريم - سورة آل عمران - ٣ - الآية ٥٤ .

(٣) وصاف م ٢ ص ٢٤٥ ، الحوادث الجامعة ص ٤٦٥ - ٤٦٦ ، تاريخ

الموصل ج ١ ص ٢٤٤ .

(٤) مغول ايران ص ١١ .

Howorth op . Cit . 3 . 387 .

وبدأ ذلك بتولي احمد تكودار الذي كان اول الايالات المسلمين والذي تشير
الأخبار الى انه نشأ في احضان المسيحية حتى قيل انه عمده في الكنيسة وسمي نيقولا
ولكنه تحول عنها بسبب احتكاكه بالمسلمين حتى اعتنق ديانتهم وتسمى بأحمد .
وقد أشرت الى انه كان رحيماً بأهل الذمة ، لم يزد على تطبيق احكام الشريعة
عليهم من فرض الجزية وتحديد مكانتهم في المجتمع الاسلامي وإلغاء حقوقهم غير
الشرعية التي كانت قد فرضت لهم على اوقاف المسلمين (١) .

ويشهد بحسن معاملتهم هذه المؤرخ المسيحي المعاصر ابن العبري الذي أكد
على حسن معاملته للناس وخصوصاً زعماء النصارى (٢) ، على العكس من محاولة
البعض من المؤرخين المسيحيين تشويه موقفه واتهامه باضطهاد المسيحية وتخريب
الكنائس وقتل رجال الدين ، ليبرروا بذلك على الاكثر موقف اهل الذمة المعادي
منه وتحالفهم مع ارغون للاطاحة به (٣) .

وجاء التحول الحقبتي في مكانة اهل الذمة عندما تولى غازان العرش بعد عشر
سنوات من استشهاده تكودار ، فقد كان اول عمل قام به ان اعلن اعتبار الاسلام

(١) وصاف م ١ ص ١١٠ ، ترجمة المعارف الاسلامية م ٥ - تكودار
ص ٤٤٣ - ٤٤٤ .

(٢) ابن العبري ص ٢٨٩ ، تاريخ الموصل ج ١ ص ٢٤١ - ٢٠٢ .

Howorth . 3 . P . 286 .

(٣) نقل ذلك هورث Howorth ج ٣ ص ٢٨٧ - ٢٨٨ عن المؤرخ الارمني

هيثون ، مالكولم ج ١ ص ٢٦٦ .

تاريخ نصارى العراق ص ١١١ .

الديانة الرسمية للدولة ، وأمر بتطوير جهاز الحكم الى مايتفق واحكام الشريعة الجديدة .
وحدد غاران موقفه من غير المسلمين عامة عندما اعلان انه لن يقبل منهم غير
الاسلام فلاحق الجوس والمشمسة والمغنوية وكهنة المعابد الوثنية حتى اضطروا الى
اعتناق الاسلام او الرحيل الى بلادهم .

اما اهل الذمة ، فقد تعرضوا لمعاملة قاسية من الاحتقار والاستخفاف ، فقد
اعيد فرض الجزية عليهم ، وألزموا بلبس الغيار ، فكانت علامة النصارى شد الزنار
في اوساطهم ، واليهود خرقة صفراء في عمائهم .

واستعيد منهم دار الدويدار الذي كانوا قد حولوه الى بيعة ، بينما جعلوا من
دار الفلك مدفناً لبطارقتهم ، فنبشت القبور وأزيات الكتابات السريانية وحول الى
دار للوعظ جلس فيه الشيخ محمد بن عكبر .

وكانت الأوامر قد صدرت بتهديم الكنائس والبيع او تحويلها الى مساجد
ومدارس حتى قبل أن يعتلي غازان العرش اذ ان نوروز كان قد أمر بذلك منذ ان
لاحت له تباشير النصر عند مطارده بايدو (١) .

وليس غريباً ما لقيه اهل الذمة خلال هذا التحول من اضطهاد واعتداء شامهم
في جميع المدن الايلخانية تقريباً ، حتى اصبح حالهم كما يصفه متمم تاريخ ابن العبري
في بغداد « أصبح من غير الممكن ان نصف مقدار الاحتقار الذي يتعرضون له

(١) وصاف م ٣ ص ٣٢٤ . الحوادث الجامعة ص ٤٨٣ - ٤٨٤ ، مغول

ايران ص ٥٠-٥٩ ، تاريخ نصارى العراق ص ١١٢ ، الشيبى ج ٢ ص ١٧٩ - ١٨٠ ،
يوسف غنيمية ص ١٤٨ .

حتى لم يمد يجرأ احدهم على الظهور في الشوارع ، واضطرت نساؤهم الى القيام
بعمليات البيع والشراء لأنهن غير متميزات عن نساء المسلمين « (١) .

أقول : ايس غريباً ما لقوه في هذه الفترة ، فهو يمثل رد الفعل لما عاناه
المسلمون من تسلطهم عليهم ايام ارغون خاصة .

ونشأ من جراء هذا الاضطهاد ان هجر النصارى خاصة بغداد والبصرة ومدن
العراق الاخرى عدا الموصل والتجأوا الى الجبال او بلاد فارس حتى انقطع ذكرهم من
بغداد لفترة تزيد على قرن من الزمن قبل ان يعودوا اليها ثانية ، وعلى العكس من
ذلك اليهود كما يقول « يوسف غنيمه » (٢) فانهم رضخوا لتقلبات الزمن وصروف
الدهر وجاملوا الحكم والامراء .

وعاد اهل الذمة من هذا للتاريخ وحتى نهاية الحكم الايلخاني ، عادوا الى
مكائنتهم القديمة في المجتمع الاسلامي كطائفة تعيش في حمايتهم ولا تساويهم في الحقوق .
على ان الشدة التي لقيها اهل الذمة خلال مرحلة التحول هذه لم تستمر إلا
اشهرأ معدردات لأنها ليست من طبيعة الاسلام والمسلمين ، وانما كانت حالة طارئة
أملتها انفجارات العواطف المكبوتة التي قاست من الظلم والاهانة فيما سبق كثيراً .
وعندما عاد الاستقرار الى المجتمع ، وعاد للناس الى حالتهم الطبيعية ، استطاع

(١) نقل ذلك :

Howorth . 3 . P . 396 .

مقول ايران ص ٥٣ .

(٢) نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق ص ١٥١ - ١٥٢ ؟

اهل الذمة التخلّص حتى من لبس الفيار بفضل اسما اليهم المختلفة (١) .

لذلك نجد ان الابلخانات كانوا يؤكّدون على ذلك كلما ذكرهم مذكر .

فقد أمر اولجايتو بالزامهم بلبس الفيار عند تولي العرش ، اما ابو سعيد فقد

أصدر اوامره مرتين بذلك كانت الاولى سنة ٧٢١ هـ والثانية سنة ٧٣٤ هـ (٢) .

على ان السياسة فرضت على الابلخانات ان يجاملوا قليلاً في معاملة اهل الذمة

تحقيقاً لبعض المصالح من ذلك ان حاجة غازان الى تأييد الامارات المسيحية المتحالفة

معه في صراعه مع المماليك ، دفعته الى مطالبة المسلمين بالتخفيف من مضايقة اهل

الذمة ، لاسيما المسيحيين منهم .

لذلك فانه تنصل من الأعمال الاعتدائية التي لحقت النصراري أما هيثوم الثاني

ملك ارمينيا الصغرى الذي كان قد قدم بمناسبة توليه العرش ، وأتى غازان تبعة

ذلك على عاتق نوروز ، كما استجاب لكثير من الطلبات والشفاعات التي تقدم بها

الملك المسيحي ، والتي كان منها ايقاف هدم الكنائس ما دام يعبدها فها الله ، ومنها

ايضاً حماية ورعاية الجائلق بابلاها الثاني (٣) الذي كان قد اتى الأسرى من ملاحقة

(١) الحوادث الجامعة ص ٤٨٣ ، وهو يشير الى ان ذلك تم بعد تسلط العوام

والجهال عليهم . والذي أراه ان اهل الذمة كانوا يشترطون هذه الاعفاءات من الرؤساء

ببذل الاموال لهم .

(٢) تاريخ كزبده ص ٥٩٥ ، المقرئبي ج ٢ ق ٢ ص ٣٧٥ ، يوسف غنيمية

ص ١٤٩ .

(٣) مغول ايران ص ٥٤ ، ٥٩ .

Howorth . 3 . P . 402 - 403 .

نوروز له ولا تباؤه بالمصادرة والارهاب .

ووضحت هذه المجاملة بصورة خاصة بعد تخلص غازان من نوروز وتأثيره ،
حيث استعاد اهل الذمة الكثير من حريتهم الدينية ، حتى ان غازان أخذ يزور الجائليق
ويصطحبه في كثير من تنقلاته ويهاديه ، وسمح له في ايامه الاخيرة ببناء دير
في سراغة (١) .

وحقق غازان اهدافه من هذه المجاملة ، في وقوف جيوش جورجيا وارمينيا
الصغرى بجانبه في صراعه السياسي مع المماليك ، وحمالاته العسكرية على بلاد الشام ،
كما جعل منها ايضاً وسيلة اغراء لبقايا الامارات الصليبية في قبرص وأسمراء اوربا للتعاون
معه في اعادة الحروب الصليبية وإنقاذ البلاد المقدسة من ايدي المماليك وتسليمها اليهم
مما سوف نبحثه فيما بعد .

ومن المحتمل انه بتأثير وجود هذه الجيوش معه عند احتلاله الشام ، أصدر
اوامره بمنع الاعتداء على اهل الذمة فيها ماداموا يدفعون الجزية ، وتهديده بانزال
العقاب بمن يخالف ذلك (٢) .

(١) مغول ايران ص ٥٨ - ٦٠ ، بينما سمح اوجلايتو خلال مراسلته للبابا
لاقامة أسقفية في السلطانية تمثله وتتولى الاشراف على الكاثوليك في بلاده وبلاد كايدو
واثيوبيا والهند ، وقد صدر الامر البابوي المؤرخ اول مايو ١٣١٨ م بتعيين فرانسيس
البروسيا لمسؤوليتها .

Howorth , 3 . P . 603 .

(٢) مغول ايران ص ٦٠ - ٦١ ، يوسف الديس - تاريخ سوربة ٦٣ =

وانتهت اسباب هذه المجاملة في عهد ابي سعيد وخاصة بعد عقده الصالح مع المماليك حيث تشير بعض المذونات الأثرية التي تعود الى سنة ٧٣٠ هـ / ١٣٣٠ م ، والتي جاء فيها انه في عهد ابي سعيد لم يعامل المسيحيون الارمنيون معاملة حسنة وكانت الضرائب عليهم باهظة (١) .

موقف الايلخانية من القبائل العربية :

ترجم القبائل العربية في العراق الى اصولها في الجزيرة العربية وهي التي هاجرت اليه قبيل الاسلام وخلالها وحتى الآن وأعطت للعراق طابعه العربي . استوطنت هذه القبائل اراضي السواد بين دجلة والفرات وانتشرت شمالا في الجزيرة حتى الموصل وسنجار ونصيبين .

— ص ٣١٥ ٣١٦ ، موير — تاريخ دولة المماليك ص ٧١ .

Howorth . 3 . 446 , 454 - 456 .

ويشير النويري ج ٣١ ق ١ الورقة ١٤ أ في حوادث سنة ٧٢١ هـ الى ان اليهود استغلوا هذه الحماية التي وفرها لهم غازان خلال احتلاله دمشق فقاموا بتحويل أحد بيوتهم الى كنيسة بعد توسيعها وتجديد عمارتها ، عرفت بكنيسة اليهود القرابين من دون معرفة المسامين بذلك .

(١) انظر في ذلك الرسوم التي عثر عليها قرب اصفهان والتي دونها احد الارمنيين المدعو جراكوس .

H. Kurdian . An Important Irmen?an .

Ms . From A . D . 1330 . P . 604 - 606 ,

J . R . A . S . 1933 .

وبالرغم من انها لم تستقر في مكان واحد بحكم سعيها وراء الماء والكلا ، إلا انها مع مرور الزمن تحددت لها مواطن معينة أصبحت تعرف بها .

وفي مطلع القرن السابع الهجري ، كانت أشهر هذه القبائل هي قبيلة ربيعة التي كانت منازلها غربي الفرات تحت سورا ، وكانت فروعها منتشرة حول ضفتيه ، فمنهم بنو معروف والمنتفق في البطائح حتى البصرة . ومنهم آل فضل الذين ينتشرون شمالا حتى الرحبة وقلمة جعبر (١) .

واستقرت بنو أسد حرل واسط وأم عبيدة حتى الحلة ، وكان من فروعها بنو مزبد الذين كانوا قد أقاموا لهم ملكاً في الحلة دام حقبة من السنين (٢) . وانتشرت قبائل خفاجة حول الكوفة الى الحلة بينما استوطنت بعض بيوتها حول بغداد الى هكبرا ، ومن فروعها بنو كعب وبنو حزن المنتشرين في السواد حتى البصرة (٣) .

وتناثرت بنو عقيل بعد ان زال ملكها من الموصل والجزيرة ، تناثرت بطونها

(١) ابن الاثير - الكامل ج ٨ ص ٢٣٤ ، ج ٩ ص ٣٢٨ ، القلقشندي - قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ص ٧٦ ، نهاية الارب في معرفة انساب العرب ص ١١١ .

(٢) ابن الاثير ج ٩ ص ٨٣ ، ابن بطوطة رحلته المسماة تحفة النظار ج ١ ص ١١٤ ، نهاية الارب في معرفة انساب العرب ص ٤٢٠ .

(٣) ابن الاثير ج ٩ ص ١٢١ ، رحلة ابن جبير ص ١٩٧ ، ٢١٧ ، ابن بطوطة ج ١ ص ١١٣ ، قلائد الجمان ص ١٢٢ .

بين النهرين ، فبعض مضاربها استقرت على ضفاف الفرات حول الأنبار ، بينما رجعت أقسام أخرى منها الى منازلها الأصلية في البحرين والاحساء حيث كانت قد خرجت منها فيما مضى .

واستقرت بنو عبادة وهي إحدى بطونها على دجلة حول سامراء حتى الموصل بينما عبرت بعض أفرانها دجلة واستقرت بين نهري الزاب والخابر قرب الموصل وعرف هؤلاء بمرب شرف الدولة (١) .

وهناك بنو تغلب وهم من وائل . ومضاربهم بالجزيرة بين سنجار ونصيبين وديارهم تعرف بديار ربيعة ، ومن بني عمومتهم بكر من وائل أيضاً . وهم منتشرون بجوار تغلب حتى حلب في بلاد الشام ، ومنهم أيضاً بنو شيبان المنتشرون حول الموصل وشرقي دجلة (٢) .

واستقرت مضارب بني عامر حول البصرة حتى الاحساء (٣) .

أما بطون طي فقد توزعوا جهات العراق المختلفة ، ومنهم بنو زيد الذين انتشروا بيرية سنجار شمال الموصل .

(١) ابن الاثير - الكامل ج ٩ ص ٩٢ ، ابن الساعي ج ٩ ، الجامع المختصر ص ١٧٦ ، القلقشندي - نهاية الارب في معرفة انساب العرب ص ٣٦٥ ، فلائذ الجمان ص ١١٩ - ١٢٠ .

(٢) وكانت بعض بطونهم قد استقرت في اليمامة حتى البصرة وهم بنو عجل . انظر فلائذ الجمان ص ١٣١ - ١٣٢ ، نهاية الارب ص ٣٠٩ ، ٣٥٠ - ٣٥١ .

(٣) ابن الاثير ج ٩ ص ٢١٩ ، نهاية الارب ص ٣٣٠ .

وَبَنُو سُلَيْمِ بْنِ الدِّينِ انْتَشَرَتْ فُرُوعُهُمْ مِثْلَ الخَزَاعِلِ وَعَبِيدٍ وَجَمُوحٍ فِي بَطَاخِ العِرَاقِ مِنْ اَرْضِ السَّوَادِ .

وَمِنْهُمْ بَنُو غَزِيَّةَ الَّذِيْنَ اسْتَقَرُّوا فِي الْبَادِيَةِ غَرْبَ الْفِرَاتِ عَلَى طَرِيقِ الْحِجَجِ الْبَغْدَادِيِّ حَتَّى الْحِجَازِ (١) .

وَهُنَاكَ قَبَائِلٌ أُخْرَى اسْتَوطنَتْ مَنطِقَةَ الْمَسْتَنقَعَاتِ الْممتدَّةِ فِي السَّوَادِ بَيْنَ الْحَلَّةِ وَوِاسِطِ حَتَّى الْبَصْرَةِ وَالَّتِي تُعْرَفُ بِالْبَطَاخِ ، وَمِنْهُمْ عَرَبٌ آلُ نَطَاحِ الَّذِيْنَ يَنْتَسِبُونَ إِلَى عَرَبِ الْمَذَارِ ، وَمِنْهُمْ الْجَبُورُ .

وَشَاهِدُ ابْنِ بَطُوطَةَ خِلَالَ تَجْوَالِهِ بَيْنَ الْحَلَّةِ وَوِاسِطِ فِي هَذِهِ الْمَسْتَنقَعَاتِ عَرَبِيًّا سَمَّاهُمْ بِالْمَعَادِيِّ ، وَهُمْ يُسَمُّونَ الْآنَ بِالْمَعْدَانِ (٢) .

وَكَانَ لِكُلِّ مِّنْ هَذِهِ الْقَبَائِلِ مَنطِقَةٌ عَرَفَتْ بِهَا ، وَمَعَ ذَلِكَ فَانْ اسْتَقْرَارَهَا بِهَا كَانَ يَتَوَقَّفُ عَلَى طَبِيعَةِ عِلَاقَاتِ الْجَوَارِ مَعَ الْقَبَائِلِ الْمُجَاوِرَةِ لَهَا أَوْ عَلَى مَوْقِعِهَا مِنَ السَّلْطَةِ الْحَاكِمَةِ .

وَكَثِيرًا مَا تُعْرَضُ هَذِهِ الْعِلَاقَاتُ إِلَى الاضطرابِ ، الْأَمْرُ الَّذِي يُوَدِّي بِالْقَبِيلَةِ إِلَى الرَّحِيلِ عَنْ مَنَازِلِهَا لِفَتْرَةٍ قَدْ تَطَوَّلَ وَقَدْ تَقَصَّرَ أَمَامَ تَحَاوُفِ الْقَبَائِلِ عَلَيْهَا أَوْ مَطَارِدَةِ جِيُوشِ السَّلْطَةِ لَهَا .

وَغَالِبًا مَا كَانَتْ الْبَادِيَةُ غَرْبَ الْفِرَاتِ خَاصَّةً ، هِيَ الْمَكَانُ الَّذِي تَلجَأُ إِلَيْهِ هَذِهِ الْقَبَائِلُ الْهَارِبَةُ .

(١) نَهَايَةُ الْاَرَبِ ص ٣٦٩ ، قَلَائِدُ الْجَمَانِ ص ٨٧ - ٨٨ .

(٢) نَهَايَةُ الْاَرَبِ ص ١١٣ ، ١٣١ ، ابْنُ بَطُوطَةَ ص ١١٣ .

واعتمدت هذه القبائل في معيشتها على منتجات حيواناتها أولاً ، فكانت تستهلك بعضها وتبادل بالبعض الآخر القوافل المارة بأراضيها وخاصة في موسم الحج او مع المدن القريبة منها .

وكان لبن الابل وخبز الشعير هو الطعام المتوفر لديها في اغلب الاحيان . وفي زمن الخلافة كانت هذه القبائل تحصل على رسوم منها في كل سنة مقداراً من النمر والطعام ، ولكن هذه المعونة كانت معرضة للمنع عندما تفضب الخلافة على القبيلة (١) . وكانت ضريبة الخفارة التي تفرضها القبيلة على القوافل او المواكب المارة بأراضيها مصدراً من مصادر معيشتها .

وكانوا عندما تشتد بهم الحاجة يلجأون الى قطع طرق المواصلات ونهب القوافل ، او مهاجمة المدن المجاورة لهم ، وكثيراً ما تعرضت الكوفة والبصرة وحتى بغداد الى هذه الاعتداءات (٢) .

وكان اول اتصال للمغول بهذه القبائل حين تعرضهم للخلافة العباسية ، فقد استجابوا لنداء الخلافة عند دعوتها لهم الى الجهاد ، ونفروا خفاً ونقلوا للتطوع في جيوشهم ، وتجلى ذلك في سنوات ٦٣٤ هـ ، ٦٤٢ هـ (٣) .

(١) ابن الاثير ج ٩ ص ٧٦ ، العيني - الورقة ٣٤٠ ق ٢ ج ٢١ ، ابن جبير ص ١٩٢ ، ١٩٤ ، ابن بطوطة ج ١ ص ١٠٨ .

(٢) ابن الاثير ج ٩ ص ٢١٩ ، ٣٢٨ ، الحوادث الجامعة ص ٢٦ ، ابن الجوزي

ج ١٠ ، المنتظم ص ٢٠٦ ، ابن بطوطة ج ١ ص ١٣٧ .

(٣) الحوادث الجامعة ص ٨٥ ، ٢٠٠ .

ومن المحتمل انهم بعد ذلك لقوا من اعتداءات الجيش المغولي الزاحف ماجعاهم
ينصحبون الى البوادي ويحتمون بها حتى هـ بدأت موجة الاضطهاد المغولي الذي
رافق زحفهم .

اما موقفهم من المغول بمقديام الحكم الايلخاني فيكاد الغموض يحيط به نظراً
لقلة ما كتب عن ذلك (١) .

ومن خلال الاشارات القليلة التي تناقلتها بعض المراجع يمكن القول ان موقف
هذه القبائل من الحكم الايلخاني كان أقرب الى العداء منه الى الرضى في الفترة الاولى
من قيامهم على الاقل ، يفسر ذلك ميلهم الى التعاون مع الحكم المملوكي المسلم
للإطاحة به .

على ان هذا القول لا ينبغي اعتباره قاعدة عامة لهذه العلاقة ، إلا لفترة ،
اذ ان المصالح المختلفة لهذه الاطراف لعبت دوراً في التأييد على هذا الولاء ونقله من
جهة الى اخرى .

فبالرغم من ان هذه العشائر كانت مسلمة ، وان التصدي للغزو المغولي اصبحت
واجباً دينياً بالإضافة الى ضرورته السياسية ، فان بعض زعماء هذه القبائل لم يترددوا

(١) لم تشر المراجع الفارسية التي عاصرت الحكم الايلخاني الى احداث هذه
القبائل ، اما المراجع العربية فوضعها يختلف ، فالعراقية منها أشارت الى بعض
الاضطرابات التي قام بها الاعراب في البطائح . اما السورية او المصرية التي كان مؤلفها
يعيش في ظل الحكم المملوكي فقد أشاروا الى اخبارها عند وصول زعمائهم او رسلها الي
السلطان ، وما يروونه من احداث .

في الانضمام الى هولاء والوقوف بجانبه ضد الحكم المملوكي الذي أصبح يمثل الخلافة
الاسلامية بعد انتقالها الى القاهرة .

على انني أرى ان هذه القبائل التي كانت تتمتع بالكثير من الاستقلال فيما
مضى ، وقعت الآن تحت تأثير كثير من المغريات .

فقد أسرعت السياسة المملوكية الى استغلال فزعها من الارهاب المغولي وإثارة
عاطفتها الدينية في الانتقام للخلافة الاسلامية ، فوفرت لها الأرزاق والرسوم التي
كانت تقدمها لها الخلافة فكسبتها بذلك الى جانبها في صراعها مع الخطر المغولي ،
فكان أفرادها رسلا وجواسيس ينقلون أخبار التحرك المغولي ، وهم الذين أخفوا
وحموا الهاربين من أبناء الاسرة العباسية الذين نقلت باسمهم الخلافة الى القاهرة ، كما
ساهموا في جيش الخليفة المستنصر بالله الأسود الذي جهزه السلطان الظاهر بيبرس
لاسترجاع بغداد ، وفي غيره من الجيوش الاخرى (١) .

وبقيت السياسة المملوكية تملك التأثير الأكبر على هذه القبائل فيما بعد .
وأحسن هولاء الدور السياسي والعسكري الذي تقوم به هذه القبائل
وخطره على الحكم الايلخاني ، فسمى لكسب ودها وإغرائها بالوفود اليه ، ومن
المحتمل انه وفر لها ما كانت توفره لها الخلافة من رسوم وأرزاق ليكون ذلك وسيلة
اتصال بهم وارتباط معهم .

ولم يفتش هولاء فيما سعى اليه ، فان رشيد الدين يشير الى ان الجيش الذي

(١) البيهقي ج ٢ ص ٣١٨ ، المقرئ ج ١ ق ٢ ص ٤٧٦ ، ٥٠١ - ٥٠٢ ،

قلائد الجمان ص ١٢٣ في الحديث عن خفاجة .

أرسله هولاءكو لاحتلال الموصل بعدخروج الملك الصالح اسماعيل عنها الى بلاد الشام
والذي كان يقوده الملك صدر الدين التبريزي كان يتألف من عشرة آلاف من
الجند العرب (١) .

كما ان الجيش المغولي وحلفاءه من الأرمن والروم الذي هاجم عينتاب سنة ٦٦٢هـ
كان يضم الفأ من قبيلة بني كلاب (٢) .

واستطاع هولاءكو أخيراً إغراء الأمير زامل بن علي اميرال فضل الذي كان
قد عزل من الامارة لمصلحة ابن عمه عيسى بن مهنا ، استطاع هولاءكو اغراءه
بالوفود اليه وتشجيعه علي بني عمه ، فهاجم مضارهم وأفسد وقبض علي قصاد السلطان
المملوكي المتوجهين الي شيراز وأخذ منهم الكتب وسار بها الي هولاءكو وأطمعه في
البلاد ، فأعطاه هولاءكو اقطاعاً بالعراق (٣) .

واستمر هذا التعاون بعد ذلك في حدوده الضيقة في عهد اباقا الذي تعاونت
معه قبيلة خفاجة سنة ٦٧٢هـ عند وصوله الي بغداد وكان يعتمزم مهاجمة الشام فتوات
خفاجة مسؤولية الطليعة في جيشه وكشف أخبار عدوه ، ثم قامت بالتصدي للأهمل
عيسى بن مهنا الذي كان قد وصل في توغله حتى الانبار فقاتلته حتى منتصف النهار

(١) جامع التواريخ م ٢ ج ١ ص ٣٢٧ .

(٢) ابن بهادر المؤمني - فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر ، الورقة ١٠٦
في حوادث سنة ٦٦٢ هـ .

(٣) المقرئزي ج ١ ق ٢ ص ٥٣٥ ، العيني - الورقة ٥٢٠ في حوادث سنة ٦٦٣
المقرئ الفيومي - نثر الجمان في تراجم الاعيان - الورقة ١٤٢ في وفيات سنة ٦٧٥ .

وإنما تمكن أباقا من الرجوع بمسكروه الى بغداد معتقداً ان السلطان المملوكي وراء
الامير عيسى (١) .

ويظهر ان التعاون انقطع بعد ذلك بين الايلخانية والقبائل العربية حتى توفي
غازان العرش ، والذي ربما كان اعتناقه الاسلام مشجعاً لبعض القبائل على اعادة
التعاون معه ، من ذلك لجوء بعض أمراء آل كلاب وآل فضل في جماعة من عشائرم
اليه ، ومكوثهم في خدمته مدة ايلخانيته فكانوا كما يقول « ابن ايبك » مضرة على
الاسلام خصوصاً على القنول الواردة والصادرة من الشرق ، وابتكروا بعد وفاته
عادوا الى طاعة السلطان لانهم لم يجدوا من خلفه ماعهدوه منه من الرعاية والاكرام (٢).
وفي عهد اولجايتو وابنه ابي سميد ، أصبح التعاون بين القبائل العربية والحكم
الايلاخي أمراً طبيعياً بعد ان زال الاختلاف الديني الذي كان يحد منه .

وسعى اولجايتو بعد أن فشلت محاولاته لعقد الصلح مع المماليك ، سعى
لاستغلال هذه القبائل في تحقيق نفس الأغراض التي كانت تقوم بها لمصلحة السياسة
المملوكية . لذلك فإنه رحب بلجوء احمد بن عميرة أحد فرسان العرب المشهورين

(١) ابن الفرات م ٧ ص ٦ ، المقرزي ج ١ ق ٢ ص ٦١٠ - ٦١١ .

(٢) ابن ايبك ج ٩ ص ١٢٧ ، النويري ج ٣٠ ق ١ الورقة ١٠٤ في حوادث

سنة ٥٧٠٤ هـ ، المقرزي ج ٢ ق ١ ص ٣ ، العيني الورقة ٣٣٤ في حوادث سنة ٥٧٠٤ هـ .
وقد يكون السبب في مضايقتهم وإخراجهم رغبة اولجايتو ففتح صفحة جديدة من
العلاقات مع المماليك حيث كان قد أطلق سراح رسل السلطان المملوكي الذي كان غازان
قد اعتقلهم ، وأرسل رسله معهم لفتح باب المفاوضات .

سنة ٧٠٨ هـ الذي كان قد تمرد على طاعة بني عمه آل فضل لاسباب عائلية ، والذي أعلن استعداده لتنفيذ سياسة اوجلايتو في مهاجمة الحكم المملوكي في الشام وانتزاعها من ايديهم .

وتحققت بعض هذه الاهداف ، عندما تولى ابن عميرة قيادة جيش العراق وديار بكر وهاجم به نصيبين وقلمنة الروم ونهب احوال التركان وأوقع الفزع والخراب في شمال الشام (١) .

وانعكست آثار هذه الرعاية التي حصل عليها ابن عميرة من الايلخانية ، على الحكم المملوكي في الشام الذي بدأ يفقد سلطانه على هذه القبيلة التي وجدت في الوفود الى العراق سبيلا للتخلص من طاعة المماليك التي كانت تضيق بها في كثير من الاحيان الأمر الذي أضعف من سلطان المماليك عليها (٢) .

فقد سارع اوجلايتو الى قبول وساطة امير العرب مهنا بن عيسى في لجوء بعض امراء المماليك الذين كان قد حاصم من غضب السلطان المملوكي .

وشجعت الحفاوة الكبيرة التي لقيها هؤلاء اللاجئين من اوجلايتو ، شجعت أمير العرب نفسه على استبدال طاعة السلطان المملوكي بطاعة اوجلايتو سنة ٧١٢ هـ ، بعد ان ساءت العلاقة بينهما ، بسبب اتهامه بتشجيع الامراء على الهروب ، وارسال

(١) العيني - الورقة ٦ - ٢٢ في احداث سنة ٧٠٨ هـ ، العزاري ج ١ ص ٤١٢ .

(٢) فضلاً عن تطلع امراء المماليك انفسهم الى هذا اللجوء فيما بعد ، بعد ان

ساءت علاقتهم بسلطانهم . كما فعل فبجتي واصحابه في عهد غازان . وقره ستقر واصحابه في عهد اوجلايتو .

ابنه سليمان الى خربندا ، الأمر الذي شجع الأيلخان على غزو الرحبة (١) .

ويشير ابو الفداء (٢) الى ان خربندا اقطم الأمير مهنا مدينة الحلة بالعراق ، بينما بقي اقطاعه بالشام وهو مدينة سرمين وغيره على حاله ، وان مهنا جعل ولده سليمان منقطعاً لخدمة خربندا ومتردداً اليه ، بينما استمر ابنه موسى في خدمة السلطان ومتردداً اليه ، بينما استمر مهنا على ذلك بأخذ الاقطاعين بالشام والعراق ، وتصل اليه الرسل من الفريقين وإمامهما وهو مقيم بالبريد ينقل الى شط الفرات من منازل لا يروح الى احد الفئتين .

ورجحت كفة اوجلايتو عندما انحاز الى جانبه أمير العرب مهنا بسبب تهور السلطان المملوكي الذي انتزع منه امرة العرب وقطع اخباره وحرّم عليه البقاء في البلاد ، وبالرغم من ان السلطان أحس بعد أقل من سنة بخطأ سياسته فأمرع يسترضي مهنا ويعيد اليه ما سلبه منه ، بل وزاد في اقطاعه مبالغ مائتي الف درهم ، فان قبائل مهنا وأولاده لم ينقطعوا عن الاغارة على أطراف الشام بتشجيع ومساندة من الايلخانية .

من ذلك ما حدث سنة ٧١٣ هـ حيث قطع اولاده وعربانه الطرقات على القفول التجارية ، وما قام به ابنه سليمان سنة ٧١٥ هـ من الاستعانة بالنتار ومهاجمة التركمان النازلين بين تدمر والقريتين وسلبهم ما يملكون (٣) .

(١) وصاف م ٤ ص ٥٥٢ - ٥٥٣ ، المقرئزي ج ٢ ق ١ ص ١١٤ ، ١١٩ ،

العيني - الورقة ٣٤٠ - ٣٤٥ في حوادث سنة ٧١١ هـ .

(٢) المختصر في أخبار البشر ج ٤ ص ٧٣ .

(٣) ابو الفداء ج ٤ ص ٨٠ ، النويري ج ٣٠ ق ٢ الورقة ٣١٨ في حوادث -

وفي سنة ٧١٦ هـ قدم مهنا لزيارة اولجايتو ، في الوقت الذي كان يأبى زيارة
السلطان المملوكي خوفاً من مكائده . فاجتمع به بالقرب من عاصمته السلطانية ،
فأكرمهم اولجايتو وقرر له معه امر الراكب العراقي للحج فتمهد به مهنا وأعطاه عصاه
خفارة لهم ، وعندما خيره في المقام عنده ، اختار العودة الى دياره لاصلاح ذات البين
مع السلطان (١) .

وكان اولجايتو بالاضافة الى اعتمائه بهنا قد اكرم ابنه سليمان منذ انقطاعه
لخدمته ، فأقطعه بلاد الفرات حتى أصبح كما يقول الصفي « كان له بالبلاد الفراتية
نواب وشحان يستخرجون له الاموال من هيت والانبار وعانة » (٢) .
وسار ابوسعيد في اول امره على سياسة ابيه في احتضان امراء القبائل العربية
وخاصة امراء آل فضل الذين كانوا يملكون السيادة الحقيقية على البادية بين القطرين
العراق والشام .

فقد وفد اليه بعد توليه مباشرة الأمير فضل بن عيسى مصطحباً معه هدية من
الخيول العربية ، فرحب به ابو سعيد ونائبه جوبان وأقطعه البصرة (٣) .

— سنة ٧١٥ وابن ابي الفضائل ج ١ - النهج السديد ص ٧٦٠ ، المقرئ ج ٢ ق ١
ص ١١٨ ، ١٢٨ .

(١) ابو الفداء ج ٤ ص ٨٢ ، النويري ج ٣٠ ق ٢ الورقة ٣٢٩ في حوادث
سنة ٧١٦ ، ابن حجر ج ٤ - الدرر ص ٣٦٨ - ٣٧١ ، في الحديث عن مهنا بن عيسى .
(٢) الصفي م ٥ ق ١ ، الوافي بالوفيات الورقة ١٤١ في الحديث عن سليمان
ابن مهنا ، ابن حجر ج ٢ ص ١٦٣ - ١٦٤ .

(٣) وهو شقيق أمير العرب مهنا ، وكان السلطان المملوكي يسند اليه الامارة
عندما يغضب عليه اخوه ، ابو الفداء ج ٤ ص ٨٥ ، العزاوي ج ١ ص ٤٥١ .

ولكن ابا سعيد بعد ذلك بتوجيه من وزيره عليشاه لم يستمر طويلا على هذه السياسة المشائرية التي كان ابوه قد خطط لها ، فان رغبة الوزير المذكور في إقامة الصلح مع المماليك فرضت عليه التنازل للمشائرية التي كانت قد وجدت في اختلاف سياسة السلطانين المملوكي والایلخاني رحمة ، فكان شيوخها ينتقلون في الطاعة بينهما وبأكلون ارزاقهما ، حتى اصبح العراق اقطاعاً لهم ، يشير العيني في ذلك الى وصول قاصد من قبل عليشاه الى مصر ومعه تقادم وبخاتي وقماش وماليك وجواري ، وقد ذكر ان سلطانهم قطع اخبار العربان من عندهم وهم مهنا وأولاده واخوته وقرايبه (١). وانما كانت سيئات هذا التحول في سياسة الایلخانية على الایلخانيين انفسهم الذين اضطروا بعد ذلك الى طلب حماية السلطان المملوكي لموكب الحج العراقي الذي كان امير العرب مهنا قد اعطى ذمامة له فيما مضى .

ذلك ان هذه القبائل عادت الى اساليبها القديمة في قطع الطرق وسلب القوافل كوسيلة لتعيشهم بعد ان سارع السلطان المملوكي الى استغلال هذا التحول فقطع اخبارهم بدوره وأرسل الجيوش لطردهم من البلاد تأديباً لهم ، فتركوا منازلهم في الرحبة وعانة وغيرها (٢) وهربوا الى البادية ، فكان ان تعرضوا لموكب الحج المذكور الذي لم يحمه سنجق السلطان الناصر منهم . وكان جواب الامير مهنا لابن اخيه سيف الذي قدم يشفع باسم السلطان المملوكي في الموكب ، كان جوابه « اتني آكل من كسب سيفي ، فكيف ارجع عن هذا الركب وفيه مكسب يقوتني سنة كاملة ، وأنا

(١) عقد الجمان - الورقة ٣١٦ في حوادث سنة ٧٢٠ .

(٢) ابو الفداء ج ٤ ص ٩١ ، المقرئ ج ٢ ق ١ ص ٢٠٨ .

رجل است تحت طاعة سلطان ... ثم خاطب الركب قائلاً لنا خفر عليكم خمسة آلاف دينار وبذلك جرت مادة العرب « (١) .

واضطر ابو سعيد الى التراجع قليلا عن تشدده مع هذه القبائل ، ورحب بزيارة مهنا سنة ٧٢١ هـ الذي قدم اليه بهدية كبيرة ، ثم أغراه بالتعاون على السلطان المملوكي .

ولكن ذلك لم يطل كثيراً إذ ان شروط الصلح التي فرضها السلطان المملوكي كانت تقضي بإبعاد عرب آل مهنا ، وتعاون السلطانين على اخراجهما من البلاد (٢) ، وكان قبول ابي سعيد لهذه الشروط يعني قطع كل صلة له بهذه القبائل ، وبالتالي اسقاط دورها في علاقاته السياسية ، الأمر الذي دفع بعض ابناء مهنا واخوته الى الدخول على السلطان الناصر وأتباعه عقبه بعد أن ضاقت بهم البلاد بسبب هذا الصلح (٣) . ولم يقف استغلال الايلخانية لهذه العشرات في صراعها مع المماليك وتهديد أطراف بلادهم فحسب ، بل تعدى ذلك الى محاولة منافستهم على بلاد الحجاز لغرض انتزاعها من دائرة نفوذهم .

وبدأت هذه المحاولات في زمن اولجايتو الذي كان قد سعى لكسب ود القبائل وإغرائها بالتعاون معه ، وفتح ابواب العراق أمام شيوخها وامرائها الهاربين من تحكم السياسة المملوكية فيهم .

(١) العيني - الورقة ٠ ٢ - ٢١٦ في حوادث سنة ٧٢٠ هـ ، العزاري ج ١ ص ٤٦٤ - ٤٦٧ .

(٢) ابو الفداء ج ٤ ص ٩٣ ، العزاري ج ١ ص ٤٧٣ - ٤٧٦ .

(٣) ابو الفداء ج ٤ ص ٩٦ ، المقرئ ج ٢ ق ١ ص ٢٤٦ .

وكان الامير حميضة بن ابي نعي احد امراء مكة ، من هؤلاء الذين وفدوا اليه سنة ٧١٦ هـ طالباً مساعدته للعودة الى امارة مكة التي كانت قد طرد منها لمصلحة أخيه رميثة .

والتقت مصلحة غلاة الشيعة المحيطين بأولجايتو مع مصلحة حميضة الذي أنس فيه اولجايتو شجاعة ، لتجهيز حملة لمساندته ، على ان يعترف بعد نجاحه بسيادة الايلخانية على مكة والخطبة لأولجايتو فيها .

ولكن الفشل كان حليف هذه الحملة التي ضمنت بالاضافة الى التتر ، ضمت جماعة من عرب خفاجة وعقيل ، إذ ان اولجايتو توفي بعد مغادرتها البصرة بأيام قليلة ، فانقسم الرأي فيها ، في الوقت الذي هاجمتها فيه القبائل الاخرى التي كان قد جمعها محمد بن عيسى شقيق مهنا ، طمعاً فيما تحمله من اموال ، وانكاراً لما تعتمز القيام به بعد استيلائها على مكة ، فنجح حميضة بنفسه تاركاً عياله وأمواله أسرى (١) . وسوف نرى فيما بعد ان السياسة الايلخانية نجحت في السيادة على مكة في عهد ابي سعيد ، ولكن لفترة قصيرة ، ونتيجة لعوامل اخرى .

ان ما رأيناه الآن يمثل موقف الايلخانات من عشائر معينة اغلبها من ربيعة وطي ، تنتشر مناطق سكنها على جانبي الحدود المشتركة مع المماليك ، وتملك السيطرة الحقيقية على طرق المواصلات مع الشام والحجاز لذلك رأينا تعلق الايلخانات لزعمائها وسميها لكسب محالفهم منها .

(١) كانت الحملة تعتمز بعد نجاحها ، نبش قبر الشيخين في المدينة المنورة ونقل رفاتهما ، ابو الفداء ج ٤ ص ٨٣ ، ابن ابي الفضائل ج ٣ ص ٧٦٣ ، المقرئ ج ٢ ق ١ ص ١٤٧ - ١٤٨ .

ولكن هؤلاء الايلخانات كان لهم موقف من العشائر المنتشرة داخل العراق البعيدة عن هذا التأثير السياسي ، إذ انهم تركوا كما يظهر أمر معالجة شؤونها الى مسؤولية ولاية العراق ونوابهم .

وكان لهذه القبائل تأثير على السياسة الداخلية للعراق ومايبدأ عنها من استقرار الأمن وازدهار الوضع الاقتصادي .

وبالرغم من سكوت المراجع الرئيسية عن الاشارة الى دور هذه القبائل إلا اننا نستطيع القول ان علاقتها مع حكام العراق لم تكن حسنة ، وانها كثيراً ما تمردت عليهم وقطعت طرق المواصلات ونهبت القوافل التجارية حتى اصبحت الطرق غير مأمونة ، وتعدر على المسافرين او القوافل ، الانتقال في البلاد ما لم يحصلوا على حماية القبائل التي تقوم بالحفارة على طرق المواصلات بين المدن المختلفة .

ويعطينا ابن بطوطة صورة لهذه الأوضاع التي اصبح عليها العراق في الأيام الأخيرة الايلخانية ، عند زيارته له . فانه يقول بعد خروجه من النجف وتوجهه نحو البصرة « وسافرت الى البصرة صحبة رفقة كبيرة من عرب خفاجة وهم اهل تلك البلاد ، ولهم شوكة عظيمة وبأس شديد ، ولا سبيل للسفر في تلك الأقطار إلا في صحبتهم » ثم يذكر ما لقيه بعض المسافرين الذين تأخروا عن القافلة فتعرضت لهم قبائل المعادي وسلبوهم حتى النعال (١) والكشاكل .

وليس هذه الصورة التي يرويها ابن بطوطة ، حديثة العهد بالنسبة لتاريخ

(١) رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ١١٣ ، انظر ايضاً ص ١١٤ في حديثه عن

بني أسد وانهم كانوا يجمعون الطرق حول واسط وأم عبيدة .

زيارته وانما هي استمرار لما كان عليه الوضع العشائري في العراق طيلة العهد الايلخاني .
والذي أعتقده ان النواب في العراق كانوا قد قطعوا عن هذه العشائر ما كانوا
يتقاضونه من ارزاق كانت تقدمها لهم الخلافة لتكسب بها طاعتهم ، لذلك اضطروا
لاحتراف السلب والنهب ما دام يوفر لهم معاشهم ، واضطر النواب معهم الى قيادة
الجيوش وملاحقتهم والدخول معهم في صراع طويل لم يكن يفشأ عنه إلا إرهاب للحكم
القائم واضطراب في احوال البلاد الاقتصادية .

يشير ابن الفوطي الى هذا الصراع في حديثه عن فخر الدين بن الطراح الذي
تولي صدرية واسط والحلة ، حيث يقول : « وكان شجاعاً له في قتال الاعراب
الخارجين عن سنن الصواب اليد البيضاء » (١) .

وقد مر علينا ما قام به علاء الدين الجويني من محاولات لتأخير طرق المواصلات
وحماية القوافل التجارية من ذلك الموضع الذي شيده في نهر جعفر من اعمال واسط
وسماه « المأمن » ليأمن اليه التجار والمسافرون (٢) .

وسام بايدو في القضاء على تمرد هذه العشائر التي كانت قد استغلت ما اصاب
الايلاخانية من فوضى وانقسام ، عندما أمره كيمخاتو بذلك فقدم العراق سنة ٥٦٩٣
واستقر في واسط ، ولكنه عجز عن الوصول الى الاعراب الذين كانوا قد احتموا
بالبطائح ، فأفرغ غضبه في القرى التي صادفها في طريقه فنهبها وأخذ اموالها وحيواناتها
وسبي نساءها ، وصادف بعض السفن التجارية فسلب بعض ما فيها من اموال ،

(١) تلخيص مجمع الآداب ج ٤ ق ٣ ص ٤١٠ - ٤١٢ .

(٢) الحوادث الجامعة ص ٣٧٢ .

ولما تركها ، خرج عليها الاعراب فأكلوا نهبها واصبح التجار حفاة عراة (١) .
 وضلك غازان مسلماً مخالفاً لبأيدو فقد لاحق الاعراب بنفسه عندما قدم
 العراق سنة ٦٩٨ هـ وسير المسافر الى البطانح وحصرهم فيها ، واكثر فيهم القتل ،
 ثم ترك بعد ذلك جيشاً في واسط لمع من تخاف من العرب عن الفساد (٢) .
 وكان آخر من استعانت به الايلخانية لمطاردة هذه القبائل وحماية البلاد منها
 هو الشريف احمد بن رميثة بن ابي نعي احد أسراء مكة الذي كان ابو سعيد قد
 كاداه فأقطعه الحلة وفوض اليه أمر الأعراب فأكثر فيهم الغارة والقتل حتى نشر
 سيطرته على البلاد وفرض النظام فيها ، الأمر الذي مكنه بعد ذلك من الاستقلال
 بالحلة بعد وفاة ابي سعيد لفترة من الزمن وجباية اموالها لنفسه حتى تغلب عليه الشيخ
 حسن الكبير (٣) .

ثانياً - العلاقات الداخلية :

موقف الايلخانية من الامارات الداخلية :

وأفصد بالامارات الداخلية ، الكيانات السياسية التي كانت قائمة في أواخر أيام
 الخلافة العباسية ، والتي جبن امراءها عن مواجهة الزحف المغولي ، فدخلوا في

(١) المرجع السابق ص ٤٧٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٩٧ ، ابن ابيك ج ٩ ص ٩ ، الذهبي - تاريخ

الاسلام الورقة ١٢٢ في حوادث سنة ٦٩٨ هـ .

(٣) ابن عنبه ص ١٢٥ - ١٢٦ ، في الحديث عن الشريف شهاب الدين

ابو سايجان احمد بن رميثة بن ابي نعي .

طاعتهم مسلماً وقبلوا شروطهم .

واستغل المغول طاعة هؤلاء فتدرجوا معهم في فرض الشروط . فقد أبقوهم في اماراتهم وأظهروا لهم الاحترام ترغيباً لهم على استمرار الطاعة ، وإغراء الآخرين بالدخول في الطاعة والتخلي عن المقاومة .

واكتفوا في أول الأمر من هؤلاء الأمراء ، دفع مبالغ من المال سنوياً وقبول شحنات مغولي عندهم .

ثم طالبوهم بعد ذلك بالتعاون معهم عسكرياً وتقديم عـدد معين من الجند فرساناً ومشاة الزحف نحو بغداد . وبذلك سهل على المغول الاستيلاء على كثير من البلاد الاسلامية ، والقضاء على الخلافة العباسية بجهود مغولية محدودة ، بينما نجت المدن المستسلمة من الخراب والتدمير والقتل الذي اصاب الاخرى (١) .

وانكشفت لهؤلاء الأمراء حقيقة موقف المغول منهم بعد أن هدأت نار الحرب حيث بدأ هولاء كـو يعيد امتحان طاعتهم ويتصرف بهم وبأبنائهم ويستزيد من فرض الشروط عليهم ، فاستيقظوا بعد فوات الأوان ، وندموا على ما فرط منهم حيث لا ينفع الندم . يشير اليونيني الى ذلك في حديثه عن صاحب ماردين الذي كان هولاء كـو قد احتجز ابنه عنده ، كما احتجز أولاد صاحب الروم عز الدين وركن الدين وبدأ يتحجج عليهم « فندم على ارسال ولده وأرسل يستحث الملك الناصر على الحركة

(١) الجوزجاني - دور تاريخ آل جنكيز ص ٤٧ ، في الحديث عن موقف صاحب فارس وكرمان ، ابن دتماق - نزهة الانام الورقة ١٠٩ - ١١٠ في الحديث عن موقف بدر الدين لولو .

الى حلب ، وكتب الى ابنه يوصيه بالهرب ، والى أولاد صاحب الروم ينكر عليهما
مجيئهما وينصحهما باتباع الحيلة والهرب ، فقال عز الدين : والله ما خرجت البلاد
عن أيدينا إلا بتخاذل بعضنا عن بعض ، فلو كانت الكلمة مجتمعة لم يجر علينا
ما جرى « (١) .

ولم يمد بعد ذلك في وسع هؤلاء الامراء إلا تنفيذ ما يريد الممول .
وبعد استقرار الايلخانية ، ومع مرور الزمن توضحت العلاقة بين الايلخان
وامراء هذه البلاد ، فإذ هم ليسوا إلا عبيداً لا يملكون من أمرهم شيئاً ، وان بقاءهم
في كرسي الحكم واستمرار ذلك في أسرهم من بعدهم ليس إلا تحقيقاً لمفحة يراها الممول
او تجنباً لمشكلة تلحق الضرر بهم .

على اننا يجب أن لا ننسى أيضاً ان هؤلاء الامراء كانوا يتمتعون بشيء من
القوة والسلطان في الفترات التي ينقسم فيها الايلخانات على بعضهم ويدب النزاع
فيما بينهم .

ويمكن تحديد هذه العلاقة بين الايلخانية وامراء هذه البلاد بما يلي :
لقد أصبح الايلخان المالك الحقيقي لهذه البلاد ، اما الامراء فان عليهم ان
يحصلوا على موافقته لبقائهم في الحكم .

ولم تكن هذه الصورة غريبة على هؤلاء الامراء الذين استبدلوا طاعة الخلافة
بطاعة الايلخان ، ولكن الجديد فيها ، ان الايلخان كان قادراً على تنفيذ رغبته
في عزل او قتل او نفي من لا يريد من هؤلاء الامراء او المرشحين للامارة بمكس

(١) ذيل مرآة الزمان ج ١ ص ٣٤٣ - ٣٤٤ .

ما كانت عليه الخلافة التي كانت ترضى بالأمر الواقع .
فقد أمر منكوخان بعزل صاحب كرمان ركن الدين الذين كان قد استلم
التقليد من اوكتاي خان لمصلحة اخيه قطب الدين .
كما أمر بتقسيم بلاد الروم بين الأخوين عز الدين وركن الدين .
وعندما توفي بدر الدين لولو صاحب الموصل وانق هولاكو على إمارة ابنه
الصالح اسماعيل من بعده (١) .

وتبعاً لهذه العلاقة ، أصبح على الأمير ان يابي استدعاء الايلخان ، فبتوجه
نحو بلاطه في الحال قبل أن يثير غضبه عليه ويتهمه بالتمرد .
وكثيراً ما احتفظ الايلخان بالأمير او أحد اخوته في بلاطه كرهينة او كمقاب
بينما يقوم أحد نواب الامير بتصريف شؤون الحكم في إمارته مدة اقامته الاجبارية .
فقد استدعى اباقا صاحب هرات شمس الدين آل كرت بسبب الشك في ولائه
وتعاونه مع العدو ، وأبقاه محجوراً عليه حتى توفي بعد ذلك مفتحراً . وكان
يوسف شاه صاحب لورستان مقيماً في بلاط اباقا بينما كان نوابه يحكمون البلاد نيابة عنه ،
ولم يسمح له بالعودة الى بلاده إلا بعد أن قام بفعل بطولي ، عندما أنقذ حياة اباقا
من اعتداءات بعض المتمردين ، حينئذ استحق تقدير الايلخان وثقته فأعاده الى
بلاده وأضاف الى املاكه اقاليم اخرى .

(١) الجويني ج ٢ ص ٢١٦ ، خواندمير م ٣ ج ١ ص ٥٧ ، ابن العبري
ص ٢٦٦ ، ٢٧٨ ، تاريخ الموصل ج ١ ص ٢٣٦ ، ابن خلدون ج ٥ - العبر
ص ٥٥٨ - ٥٥٩ .

D'ohsson . 3 . P . 94 . Howorth . 3 . P . 35 - 36 .

وفي عهد غازان كان صاحب فارس محمد شاه صغير السن يقيم في بلاط الايلخان
بينما كان قاضي شيراز فخر الدين الهرازي يتولى الاشراف على ادارة البلاد (١) .
وتعبيراً عن هذه التبعية ايضاً ، فقد أصبح على الأمير أن يحصل على تفويض
بإمارته من الايلخان ، وكانت مراسم التعيين تتم ، اما بحضور المرشح او أحد ممثليه
الى البلاط الايلخاني لاستلام أمر التعيين الذي يصدر فيه يريفا - أمراً سلطانياً -
من الايلخان بتقليد البلاد له لكي يقرأ على الناس ، وقد ينقش هذا التقليد على بائيزة
ذهب ، تقدم للأمير تكريماً له ، كما قد يمنح لقباً في بعض الأحيان .

ومن متمات مراسم التعيين ايضاً ان يرسل الايلخان الجتر او السنجق لكي
يرفع فوق رأس الأمير عند جلوسه او تنقله ، كما قد يرسل اليه سيفاً وبعض الثياب
التي يرتديها في حفل الجلوس الذي يكون عادة بحضور ممثل الايلخان في الامارة (٢).
وكان على الامير أن يقوم مقابل ذلك بتنفيذ كثير من الالتزامات المختلفة التي

(١) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ٦٦ ، ٦٩ ، البدليسي - الشرفنامه ص ٤٩ .

Howorth . 3 . P . 250 - 252 ' 357 - 358 ' 417 .

(٢) التاريخ الغازاني ق ٣ الورقة ٦٠١ - ٦٠٢ في الحديث عن مراسم تولية
صاحب كرمان الدواداري م ٩ ، زبدة الفكرة - الورقة ٣ - ٥ في مراسم تولية
عز الدين كيكاس صاحب الروم ، العيني - الورقة ٤٧٤ - ٤٧٥ ، في حوادث سنة
٦٥٩ هـ في الحديث عن تمرد التركان على سلاجقة الروم واتصالمهم بهولاكو واعلانهم
الطاعة له وطلبهم السنجق والفرمان والشحنة .

Howorth . 3 . P . 543 - 544 .

في حضور ملك جورجيا الطفلي الى الاوردو ومنحه لقب حاكم قفليس .

وتنظيم علاقته بالاييلخان لضمان بقاءه في إمارته ، من ذلك :

الالتزامات المالية : فقد كان عليه ان يحمل الى خزانة الايلخان مبلغاً متفقاً عليه من المال سنوياً ، هو أشبه بضمانة للبلاد .

ويحمل كذلك موارد دار الضرب او السكة ، بالإضافة الى كثير من الهدايا الى الايلخان والحواتين وأمراء المغول الآخرين لكي يداري مكانته في البلاط أمام خصومه او الطامعين في كرسیه من اخوته او بني عمه .

وهناك الالتزامات العسكرية : فقد كان على الأمير أن يكون مستمداً للتعاون مع الايلخان في حالة الحرب ، وذلك بتقديم عدد معين من جيشه اليه ويطلق عليها الكوتة المقررة .

على اننا نلاحظ في كثير من الحالات ان التعاون بين الاثنين كان اوسع بكثير من هذه الحدود ، اذ قلما دخل الايلخان في حرب مع البلاد المجاورة إلا وكان برفقته امراء البلاد المجاورة لميدان الحرب .

فقد شارك امراء جورجيا وارمينيا الصغرى المسيحيون الايلخانات في جميع الحروب التي خاضوها مع المماليك ، بينما شارك امراء الموصل وماردين والروم في بعضها فقط .

ولم تقتصر المشاركة العسكرية على الحروب الخارجية فقط ، بل ساهم بعضهم في النزاع الداخلي الذي قام بين الايلخان ومنافسيه من أبناء الاسرة على العرش ، من ذلك مشاركة امراء لورستان وجورجيا وارمينيا الصغرى في جيش احمد تكودار

عندما تمرد عليه ابن اخيه ارغون (١) .

وكان الامراء بدورهم يعتمدون على مساعدة الايلخان في الدفاع عن اماراتهم عند تعرضها للخطر ، فقد قام غازان بحملته على الشام سنة ٦٩٩ هـ انتقاماً لما فعله أهلها بمباردين ، بينما استعان ملك ارمينيا بأبي سعيد الذي أمده بعشرين الف من الجنود لدفع هجمات المماليك عن بلاده سنة ٧٢٢ هـ قبيل عقد الصلح بين الايلخان والناصر محمد بن قلاوون (٢) .

بالاضافة الى ذلك فقد كان علي الأمير أن يستأذن الايلخان ويأخذ موافقته عند قيامه بأي اصلاح لجهازه العسكري ، من ذلك تحصين مدنه او ترميم قلاعها ، او زيادة عدد قواته .

وينقل لنا هورث أسباب غضب غازان على صاحب هرات « انه لم يحافظ على الوعد الذي أعطاه للايلخان ، فقدم قام بتحصين مدينة هرات وزاد من عدد جيشه حتى بلغ ستين ألفاً . كما اخذ يتملص من دفع الضريبة السنوية المقررة عليه » (٣) . وكان من هذه الالتزامات ايضاً التعاون في المجال السياسي لتحقيق الاغراض التي تهدف اليها الايلخانية في علاقاتها الخارجية . من ذلك ما قام به اباقا عندما عجز

(١) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ١٠٣ .

Howorth . 3 . P . 358 .

(٢) وكذلك القول بالنسبة لمعركة الابستين سنة ٦٧٦ هـ فقد خرج اباقا لدفع

الاعتداء المملوكي على بلاد الروم ، الحوادث الجامعة ص ٥٠٢ .

D'ohsson . 4 . P . 664 - 665 .

Hist . of . Mongols . 3 . P . 414 - 416 ,

(٣)

عن تحقيق نصر عسكري على الماليك بعد معركة الابلستين سنة ٦٧٦ هـ ، فقد استعان بملك ارمينيا واتفق معه على ان يكتب الى البابا في روما وملوك اوربا يدعوهم للتعاون مع الايلخانية عسكرياً لاسترجاع البلاد المقدسة من ايدي الماليك . وكذلك مساهمة امراء ماردين والروم في تحقيق الصلح الذي سمى اليه تكودار مع قلاون حيث ساهم وزير صاحب ماردين ، وانا بك صاحب الروم مع قاضي القضاة في حل المراسلات والتنقل بين الايلخانية والماليك (١) .

وعندما عجز اولجايتو عن حماية ارمينيا من هجمات الماليك المستمرة ، اضطر الى الموافقة على الحل السياسي الذي اقترحه صاحبها والذي يقضي بضرورة مصالحة السلطان المملوكي والاعتراف بطاعته بالاضافة الى التبعية الايلخانية ، بعد أن خيره اما بقبول هذا الاقتراح او بإفاد من يتولى حكم الامارة مباشرة بعد تنازله عن عرشها .

وكذلك وافق ابوسعيد على مثل هذا الازدواج في الولاة بالنسبة لهذه الولاية ايضاً ما دام عاجزاً عن حمايتها (٢) .

(١) ابن عبد الظاهر - تشریف الأيام والعصور ص ٥ ، ٦٩ ، ابن الفرات م ٧ ص ٢٤٨ ، ٢٧٨ ، ابن رجب ج ٢ ذيل طبقات الحنابلة ص ٣٥٢ في الحديث عن وزير صاحب ماردين .

Howorth . 3 . P . 260 . Macler . C . M . H . 4 . P . 175 - 176

(٢) العيني - الورقة ٢٣ - ٣٥ في حوادث سنة ٧٠٨ هـ . ابو الفداء ج ٤

١٠٢ - ١٠٣ هـ

Howorth . 3 . P . 604 .

وكانت هناك التزامات اخرى للأمرء تتعلق بالسياسة الداخلية للإيلخانية ،
من ذلك وجود ممثل للإيلخان لدى الأمير ، وهو الذي يتولى عادة قيادة الجيش
المغولي في الامارة (١) .

وتختلف منزلة هذا الممثل بالنسبة لأهمية الامارة ووقعها ، واتخذت في
حديثي عن التقسيمات الادارية للإيلخانية وتوزيع الأمرء او الحكام عليها في عهد كل
إيلخان تقريباً ، ان الولايات ذات الموقع العسكري الهام كان يتولى مسؤوليتها بعض
أمرء الاسرة ، من ذلك ولاية خراسان التي تقع ضمنها امارة هرات ، بقدر تولائها
أغلب الإيلخانات قبل توليهم الإيلخانية . وكذلك ولاية بلاد الروم التي تشمل
امارة سلاجقة الروم ، فقد مثل الإيلخان فيها منذ أواخر أيام أبا بقا بعض
أمرء الاسرة .

على العكس من ذلك الامارات الاخرى التي كان يتولى الامرء فيها ، او تمثيل
الإيلخان بعض أمرء النويان من المغول ، او ما يسمون بالشحنة عندما تكون الامارة
صغيرة وقليلة الأهمية مما لا يستوجب وجود جيش كبير فيها .

وكان ممثل الإيلخان في الامارة أشبه بالرقيب على الأمير ، يلاحظ مدنى اهتمامه
بتنفيذ سياسة الإيلخان وتمسكه بالولاء له في علاقاته الاخرى . يشير ابن ابي الفاضل
الى أهمية وجود ممثل الإيلخان في تأمين الطاعة الإيلخانية في المحاوره التي دارت بين

(١) وكان هناك في بعض الامارات اكثر من قائد للجيش المغولي بحكم وجود
اكتر من تومان من الجيش فيها ، وفي هذه الحالة يتعاون هؤلاء القواد على القيام
بواجبات النيابة .

هولاكو وصاحب ماردين الملك المظفر قره ارسلان ، حيث خاطبه هولاكو بقوله :
« إن اصحابك اخبروني انك تريد الرواح الى صاحب مصر ، وقد رأيت ان يكون
عندك من جهتي من يمنعك عن ذلك ، ثم جهز معه امراء يقيمون عنده » .
وكذلك ما فعله البروانا (١) من الايقاع بصاحب الروم ركن الدين قليج
ارسلان بن كيخسرو عندما وشي به الى اباقا متهما اياه بتغيير نيته في طاعة الايلخانية
وعزيمه على مكاتبة صاحب مصر ، واقترح التخلص منه ، فكان جواب اباقاله ، بأنه
اذا ثبت ذلك عند نوابي من المغول فأفعل ما تختار » (٢) .

وكان علي الأمير كذلك كسابة اسم الاياخان وألقابه على الحركة المتداولة في
اماراته اعترافاً منه بتبعيته له ، تشير الى ذلك قطع النقود التي ضربت في الموصل
سنة ٦٥٦هـ ، ٦٥٧هـ ، في عهد اميرها بدر الدين لولو ، وابنه الملك الصالح اسماعيل

(١) البروانا : معين الدين سليمان بن علي بن محمد وزير ركن الدين صاحب
الروم ، كان قد حاز ثقة هولاكو عندما اجتمع به على أسوار حاب ، فأمر أن
يكون السفير اليه عن ركن الدين وبفضل هذه الثقة تحكم بالسلطان وتفرد بالحكم في
البلاد حتى أصبح يجتمع بين وزارة السلطان ونيابة اباقا في إدارة البلاد .
وقد حاول في اواخر أيام اباقا ان يلعب دوراً سياسياً في إضعاف سيطرة المغول
بالتعاون مع الحكم المملوكي ولكنه لم يخلص النية في عمله فانكشف أمره لأباقا الذي
قتله بعد معركة الابلستين .

(٢) النهج السديد ج ١ ص ٩٠ - ٩١ ، اليونيني ج ١ ص ٤٥٧ - ٤٥٨ ،

ج ٢ ص ٤٠٣ - ٤٠٦ .

الذي خلفه (١) .

ولكن بعض الايلخانات كانوا يتساهلون مع الامراء في تنفيذ هذا الالتزام فاننا لا نجد مثلاً في نقود سلاجقة الروم ما يشير الى هذه التبعية حتى سنة ٧٠٠ هـ حيث حملت النقود التي ضربت في قونية في هذه السنة اسم الايلخان غلزان بالاضافة الى اسم السلطان السلجوقي (٢) .

ومما يؤيد هذا التساهل من جانب الايلخان ، ان اولجايتو عندما ارسل جيشه لتأديب صاحب هرات ، أمر قائده بضرب اسمه على السكة ، ومحاسبة صاحب هرات على اهماله ذلك بالاضافة الى أشياء اخرى (٣) .

وكان من الالتزامات الأدبية التي حرص الامراء على المحافظة عليها الصلة المباشرة مع الايلخانات ، وذلك عن طريق الزيارات الشخصية لبلاطه وما يرافق ذلك من تقديم الهدايا للايلخان وخواتينه ومن يملك النفوذ في بلاطه . وتشير التقاليد التي نعارف عليها البلاط المغولي الى نوعين من هذه الزيارات ، الاولى منها ، مشاركة

(١) انظر في ذلك قطع النقود التي نقلها الحسيني في رسالته العملة الاسلامية في العهد الاتابكي ص ٦٠ عن مسكوكات المتحف الاسلامي بالقاهرة برقم ١ / ٧٧١٤ ، والمتحف العراقي برقم ٧٨٦٢ - ع ، انظر ايضاً ص ٦٥ برقم ١٨٤٩٠ - ع - المتحف العراقي .

(٢) احمد توحيد - مسكوكات قديمة اسلامية قتالوغي ق ٤ ص ٤٨ رقم ٧٦٠ ، وكتب على أحد وجهيها - غازان الخان المعظم - اما الوجه الآخر فيجعل - السلطان الاعظم علاء الدنيا والدين كيقباد بن فرامرز خلد الله دولته .

Howorth . 3 . P . 544 - 555 .

(٣)

الامير في حفل تتويج الايلخان وذلك بحضوره مجلس القوريلتاي المنمقد لهذه المناسبة وقد يتيب عنه أحد افراد أسرته او كبار امرائه ان تعذر عليه الحضور .

يشير رشيد الدين في حديثه عن مراسم تتويج اباقا « وانه بعد مضي اسبوع اصدر اباقا الأوامر الى كافة البلاد بحمل البشرى بجلوسه المبارك ، وأعاد الصلاطين والملوك والامراء والحكام » .

وكان الايلخانات يهتمون بزيارة الامراء في هذه المناسبة ويحاسبونهم في حالة التقصير او التماس منها ، لانها في نظرهم جزء من الطاعة الواجبة .

وقد كان من الاسباب التي زادت من غضب اولجايتو على فخر الدين صاحب هرات انه لم يأت لتهنئة بمناسبة جلوسه « (١) » .

اما النوع الثاني ، فهي الزيارة الرسمية التي تكون عادة في فترات معينة من الزمن ، وقد تكون سنوية او اكثر ، ولكنها زيارات لا بد للاخير أن يؤديها يشير ابوالفداء « الى قيام الملك الصالح صاحب ماردين في سنة ٧١٥ هـ بزيارة خربندا ملك التتر وقدمل معه التقادم على عادة آباءه فأحسن اليه خربندا ثم عاد الى ماردين » . وقد يحل الايلخان الامير من الارتباط بهذه المواعيد المعينة للزيارة ويترك له تنفيذها في الوقت المناسب ، بعد ان يكون قد وثق من ولائه ، كما فعل غازان مع

(١) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ١٢ ، ابرو - ذيل جامع التواريخ ص ١٩ - ٣٠ ،

براون ج ٣ ص ٤٩ . وينقل

Howorth . 3 . P . 587 .

عن المؤرخ الجورجي ان ملك جورجيا قدم الى بلاط ابي سعيد لتهنئته حالما سمع باعتلائه العرش .

فخر الدين صاحب هرات الذي كان قد استحق هذه الثقة لغدره بالأمر نوروز (١) .
وكان الايلائخانات يكافئون الامراء الذين يخلصون لهم تشجيعاً لهم وتقديراً
لأعمالهم . من ذلك ما اشرفنا اليه من قيام اباتا باطلاق حرية يوسفشاه صاحب لورستان
الذي كان قد فرضت عليه الإقامة في البلاط ، ولم يكتف باعادته الى امارته فحسب
بل اضاف اليه بلاداً اخرى مثل خوزستان وغيرها .

وما قام به غازان من كفاة الملك المنصور صاحب ماردين الذي آزره في حملاته
على الشام والذي يقول عنه رشيد الدين « انه كان مخاصماً لغازان الى حد كبير »
فقد منح التاج والمظلة الملكية ، وجعله من اقرانه وفوض اليه حكم ديار بكر وديار
ربيعة بالاضافة الى بلاده (٢) .

وفي نفس الوقت كان الايلائخانات لا يترددون في نزع ملكية الامارة من الامراء
الذين يحسون منهم تواطؤاً مع العدو عقاباً لهم بالاضافة الى ما ينزلونه بهم من عقاب.
من ذلك ما عزم عليه اباتا بشأن امارة الروم ، فانه بعد ان تكشفت له خيانة
الوزير البروانة وتواطؤه مع السلطان المملوكي في معركة الابلاستين ، لم يكتف باعدامه
فحسب ، بل قرر نقل السلطة في الامارة الى اسرة حاكمة جديدة ، فاستدعى
صاحب ارمينيا وعرض عليه ذلك ، فاعتذر الملك الارمني عن قبولها لصعوبة حكم

(١) المختصر في أخبار البشر ج ٤ ص ٧٩ .

Howorth . 3 . P . 414 - 415 .

(٢) رشيد الدين م ج ٣ ص ١ ص ٢٢٦ ، تلخيص مجمع الآداب ج ٤ ق ٣ ص ٢٧٧

في الحديث عن فخر الدولة ابو محمد عيسى الحاكم على الموصل .

المملكتين بالإضافة الى ما سينشأ عن ذلك من مشاكل (١) .

ومما يلاحظ أخيراً في هذه العلاقة ، ان منصب القضاء في الإمارة بقي أمره مرتبطاً بالاييلخان وليس بالأمير ، اذ ان قاضي القضاة الذي كانت اقامته عادة في بلاط الاييلخان ، هو الذي يرسل القضاة الى اطراف البلاد ، اشار الى ذلك ابن فضل الله العمري في الحديث الذي نقله عن أبي الفضائل الطياري والذي استثنى فيه ولاية بغداد فقط التي كانت مستقلة بتنظيمها القضائي وهو ما أشرنا اليه في الحديث عن حكومة بغداد .

ومما يؤيد ذلك ان الصحاح شمس الدين الجويني وزير ابا قافوض قضاء ممالك الروم الى قطب الدين محمود الشيرازي الذي استعان به بعد ذلك تكودار في السفارة الى المماليك (٢) .

ويمكن القول على ضوء هذه الملاحظات والالتزامات التي عهدها آتقاً ان هؤلاء الامراء لم يكونوا يملكون شيئاً من السلطان الحقيقي في اماراتهم ، وان تصرفهم في الإمارة لا يتعدى حدود ما يرسمه لهم الاييلخان او امرائه ، على ان ذلك ليس دائماً ، لان طاعة هؤلاء الامراء كانت في اغلب الاحيان طاعة اكرام ، لذلك فانهم كثيراً ما حاولوا التلمس من هذه الطاعة والتربص بالاييلخانية ، وخاصة في

(١) Howorth . 3.P . 260 ' Macler . C . M . H . 4 . P . 175 - 176 .

(٢) مسالك الابصار ج ٢ ق ٢ الورقة ٢٨١ ، السلامي تاريخ علماء بغداد

المسمى منتخب المختار ص ٢١٩ - ٢٢٨ ، في الحديث عن الشيرازي ، العيني الورقة

٢٥٣ في وفيات سنة ٧١٠ .

فترات ضعفها وانقسام امرائها على انفسهم .

وكانت الدولة المملوكية في الشام ومصر هي القبلة التي يتجه اليها هؤلاء الامراء في محاولاتهم ، كما ان سلاطين هذه الدولة كانوا يجدون في مراسلات هؤلاء الامراء او اتصالاتهم بهم ، الوسيلة التي تساعدهم على معرفة خطط المغول واستعداداتهم العسكرية ضدهم .

يذكر الدكتور الشيال ان من اسباب تولية المظفر قطز السلطان المملوكي لعلاء الدين بن بدر الدين لولو مدينة حلب ، ما آداه ابوه المدولة المملوكية من خدمات جليلة ، فقد دل سلاطينها على حركات المغول وعلى اسرار مشروعاتهم الحربية لاتتقدم نحو الشام (١) .

وكان اعتصام الملك الصالح اسماعيل في الموصل سنة ٦٥٩ / ٦٦٠ هـ اول محاولة لهؤلاء الامراء للتمرد على طاعة الايلخانية والتخلص من سيطرتهم عليها .
وأعقب ذلك محاولات عديدة اختلفت اساليبها بين استخدام الجيش في ثورة مسلحة ، او استخدام الرسل والرسائل للتدبير على المغول وكشف خباياهم .

من ذلك ما قام به سلجوقشاه صاحب فارس عندما أمر بقتل نائبي هولاكو الموجودين لديه واعلان الانفصال عن طاعته ، والاتصال بالسلطان المملوكي بيبرس لتنظيم التعاون العسكري معه ، لولا ان جيوش هولاكو لاحقته وقضت عليه سنة ٦٦٢ هـ / ١٢٦٤ م (٢) .

(١) الشيال ج٢ - تاريخ مصر الاسلامية - العصران الايوبي والمملوكي ص ١٧٠ .

(٢) المقرئزي ج١ ق ٢ ص ٤٨١ ، ٥٠١ - ٥٠٢ ، ٥١٠ - ٥١٢ ، ٥٣٥ ، -

وقد أشرت الى ان قتل ركن الدين قليج ارسلان صاحب الروم سنة ٦٦٦ هـ كان لاتهمه من قبل وزيره البروانة بأنه يرأسل صاحب مصر ليسلم اليه البلاد ، كما ان البروانة نفسه لقي حتفه بنفس التهمة من امراء المغول ايضاً .

واستغل افراسياب صاحب لورستان فترة الانقسامات التي وقعت بين امراء المغول في اواخر ايام ارغون ، فأعلن استقلاله في امارته ، ثم هاجم اصفهان وشيراز وقتل امراء المغول فيها وشحنهم وضرب السكة باسمه ، وهزم عدة كتائب مغولية قدمت للقضاء عليه ، حتى تولى كبيخاتو الذي وافق على اصدار العفو عنه ان عاد الى الطاعة (١) .

وكذلك كان صاحب ماردين على اتصال بالمماليك حتى أسقط في يده عندما التحق الأمير المملوكي قبيجق أمير حلب والذي كان واسطة الاتصال ، التحق بالايخان غازان ، فانه كما يقول ابن ابيك « لم يساهم بالحملة التي قادها غازان نحو الشام سنة ٦٩٩ هـ ، واكتفى عند مرور الجيوش بماردين بأن انزل اليهم الضيافة ، ولم ينزل بنفسه خوفاً ان يكون قبيجق قد نبه عليه انه كاتب صاحب مصر » (٢) .

هذه هي صورة العلاقة التي كانت بين الايلخانية والامارات التابعة لها ، والتي

- ابن بهادر المزماني - فتوح النصر - الورقة ١٠٦ في حوادث سنة ٦٦٢ هـ .

D'ohs: on . 3 . P . 400 - 402 . Howorth . 3 . P . 203 .

(١) تاريخ كزيدة ص ٦١٨ ، البدليسي - الشرفنامه ص ٥١ - ٥٢ .

Howorth . 3 . P . 359 .

(٢) كنز الدرر ج ٩ ص ٩ - ١٠ ، انظر ايضاً ابن ابي الفضائل ج ٢ ص ٧٥٨

في الحديث عن وصول رسل صاحب ماردين الى مصر .

مر ذكر اسمائها خلال هذا الحديث .

على ان اغلب هذه الامارات لم يطل بها الأجل كثيراً ، لان السياسة المغولية كانت تهدف عندما سمحت ببقائها في اول الامر ، تهدف الى استغلال وجودها السياسي والعسكري للتخفيف عن المغول انفسهم ، وهو ما أشرت اليه سابقاً ، ولكنها بعد ان تحققت هذه الاغراض ، عملت على إذابة الشخصية الاستقلالية لهذه الامارات ، او اضعاف وجودها قدر الامكان وامتصاص ما يمكن امتصاصه منها عن طريق المصاهرة الى نساءهم وسحب رجالهم للاقامة في البلاط الايلخاني ، حتى اختفت بهذه الوسيلة عدة امارات منها فارس واذربيجان وكرمان وسلاجقة الروم . كما استغلت في نفس الوقت بالنسبة لامارات اخرى قيام بعض الاحداث العسكرية فيها ، فمجلت بالقضاء عليها وضممتها الى حكمها المباشر كما هو الحال بالنسبة للموصل مثلاً .

بينما اكتفت بالنسبة لامارات اخرى ، اقامة امراء من ابناء الاسرة جردتهم من كل مزايا الامرة كما هو الحال بالنسبة لامارات لورستان وهرات . وتكفي الاشارة هنا الى امارة الموصل كمثال لهذه الامارات بحكم وقوعها في حدود العراق الطبيعية .

امارة الموصل :

تحتل امارة الموصل القسم الشمالي من العراق ، وكانت أراضيها في هذه الفترة موزعة بين اقاليم العراق العربي الذي تنتهي حدوده شمالاً بمحديثة الموصل . واقليم الجزيرة واقليم الجبال او ما يسمى بالعراق .

وكانت أملاكها تشمل مدينة الموصل والجزيرة العمريّة وسنجار وخصيبيّ
والبوازيج وعقروس وداراً وأعمالها وقلاع العمادية وكولي وبلدانها (١) .
وقد أشرت الى انها دخلت في طاعة المغولي منذ سنة ٦٤٢ هـ بعد أن تعرضت
لهجماتهم عدة مرات ، وبعد أن يئس صاحبها بدر الدين لولو من يقظة الخلافة وقيامها
بعمل جدي لدفع خطرهم عن البلاد .

ولا بد ان بدر الدين كان مكرهاً على هذا التعاون ، لانه لم يقطع صلته بالخلافة
خلال هذه الفترة وحتى سقوط بغداد ، فان اليونيني يشير الى انه كان يكتب الخليفة
سراً بما يطلع عليه من أمر المغول ويحذره من التهاون في أمرهم ، وهو عندما أحس
بأن الوزير لا يوصل رسله الى الخليفة ، استعان بنائبه في اربل الشريف تاج الدين
ابن الصلايا الذي أخذ ينقل بدوره الى الخليفة تحذيرات بدر الدين وتنبهاته (٢) .
وبالرغم من قيامه بتنفيذ طلبات المغول وامدادهم بالسلاح والميرة والهدايا عند

(١) انظر في توضيح ذلك النهج السديد ج ١ ص ٩٤ - ١٠٠ ، خصباك -
احوال العراق الاقتصادية في عهد الايلخانيين المغول ص ١١٧ . مجلة كلية الآداب -
بغداد م ٤ أغسطس ١٩٦١ .

الفيل - الجغرافية التاريخية للعراق ص ٥٩ ، المسالك والممالك للاصطخري
ص ٥٢ - ٦١ في الحديث عن اقاليم الجزيرة والعراق ، الخطيب البغدادي ج ١ -
تاريخ بغداد ص ٢٤ في الحديث عن تعريب اسم العراق ، ابن الوردي - خريدة
العجائب ص ٣٦ في الحديث عن ارض الجزيرة .

(٢) ذيل مرآة الزمان ج ١ ص ٨٧ .

زحفهم نحو بغداد ، إلا أن جيشه الذي أرسله بقيادة ابنه الصالح اسماعيل للمشاركة في فتح بغداد لم يصل إلا بعد سقوطها ، وبالتالي لم يساهم في حصارها الامر الذي أغضب هولاءكو ودفعه الى محاسبة الصالح واتهام أبيه بالمخاتلة في الطاعة ، واستمرار موالاته للخليفة (١) .

ولكن بدر الدين استطاع ارضاء هولاءكو عندما توجه لزيارته بعد عودته من بغداد مباشرة ، وحمل معه مفاتيح المدينة وما فيها من حلي وجواهر حتى أنه انتزع ما لدي نسائه وأولاده من الذهب فقبل هولاءكو اعتذاره ورحم شيخوخته وأعادته الى موضعه في الموصل (٢) .

ومنذ عودته وحتى وفاته بعد سنة تقريباً ، لم يتخل عن سياسته القديمة في التدبير عليهم من جهة والتخفيف من آثامهم على الناس من جهة اخرى . فقد استمر على سياسة التظاهر بالموالاته لهم وتلبية ما يأمرونه به مما لا يستطيع معه التردد في تنفيذه .

فقد دعي مثلاً للمشاركة في فتح اربل التي كانت قد عصت عليهم ، فتمهد لهم

(١) أشار الى ذلك ابن العبري الذي نقل من حديث هولاءكو الى الصالح قوله : « انتم بعد في شك من أمرنا ، ومطلتم نفوسكم يوماً بعد يوم وقدمتم رجلاً وأخرتم اخرى لتنظروا من الظافر بصاحبه ، فلو انتصر الخليفة وخذلنا لكان مجيئكم اليه لا الينا .. ص ٢٧٦ . انظر ايضاً ابن كثير ج ١٣ ص ٢٠٠ .

(٢) ابن العبري ص ٢٧٦ - ٢٧٧ ، خواندمير م ٣ ج ١ ص ٥٥ ، ابن دقماق نزهة الانام - الورقة ١٠٩ - ١١٠ في حوادث سنة ٦٥٦ هـ .

Heworth . 3 . P . 139 .

بها وتولى أمرها بنفسه حتى استسلمت له بالحيلة والتدبير ، ويظهر انها أضيفت الى مسؤوليته بمثل ذلك مقابل ضمانها بمبلغ سبعمين الف دينار يدفعها له لولاكو كل سنة (١). ودعي كذلك للمشاركة في حملة الشام حيث انيطت بحيشه الذي كان يقوده ابنه الصالح مسؤولية الاستيلاء على مدينة آمد في الوقت الذي كان فيه خبثاؤه في استخدام المنجنيق يساهمون مع الجيش المغولي في حصار ميافارقين (٢) .

وفي نفس هذا الوقت كان بدر الدين يوالي حكام الشام ومصر بأسرار المغول وحر كانهم ومشاريهم ، وقد تكون هذه المعلومات التي أمدهم بها قد ساعدت المماليك على الانتصار في عين جالوت ، الأمر الذي دفع المظفر قطز السلطان المملوكي الى الاشادة بذلك ، ومكافأة بدر الدين في شخص ابنه علاء الدين الذي كان قد لجأ اليهم فاختره لولاية حلب بعد طرد المغول من الشام (٣) .

وتوفي بدر الدين في يوم الجمعة ٣ شعبان ٦٥٧ هـ بعد ان قارب المائة سنة من العمر ، وبعد أن تولى حكم الموصل نصف قرن من الزمن ، فتوزع ابناؤه الامارة من به — ده ، فخلقه على الموصل ابنه الكبير الصالح اسماعيل بينما تولى ابنه الثاني علاء الدين على حكم سنجان ، وسيف الدين اسحاق الحكم في الجزيرة العميرية ، وأقر

(١) رشيد الدين م ٢ ج ١ ص ٢٩٨ - ٢٩٩ ، الصائغ - تاريخ الموصل ج ١ ص ٢٤٦ - ٢٤٧ نقلًا عن التاريخ السرياني لابن العبري .

(٢) رشيد الدين م ٢ ج ١ ص ٣٢٠ ، خواندمير م ٢ ج ١ ص ٥٥ - ٥٦ .

برايس ج ٢ ص ٥٦٣ - ٥٦٤ .

(٣) الشيال ج ٢ - تاريخ مصر الاسلامية - ص ١٧٠ .

هولاكو هذه التقصيمات (١) .

وسار الأبناء على سياسة آبيهم في مهادنة المغول وموالاةهم ، ولكنهم لم يقطعوا صلتهم بالقوى الإسلامية الأخرى التي لا زالت بمنأى عن سيطرتهم وخاصة المماليك في مصر .

ويظهر أن علاء الدين على صاحب سنجار لم يستطع تمثيل دور المفاوضة مع المغول فيظهر الوفاء ويبطن الغدر ، ففضل الالتحاق بالمماليك مباشرة .
ومن المحتمل أن ذلك تم بالاتفاق مع أخوته ، لأننا لا نجد أي رد فعل لدى المغول لهروبهم هذا ، حتى كأنهم لم يحسوا به .

ويحدد ابن العبري تاريخ التتحاق علاء الدين بالمماليك سنة ٦٥٩هـ (٢) . ولكن الوقائع التاريخية لا تتفق مع هذا التحديد ، إذ أنه تولى ولاية حلب بأمر من المظفر قطز بعد واقعة عين جالوت التي حدثت في الثالث الثالث من رمضان ٦٥٨هـ .
فهو إذن قد وصل خلال هذه الفترة من سنة ٦٥٨هـ .

والذي أراه بالرغم من عدم وجود ما يشير إلى مساهمته في المعركة المذكورة ، بأن أنسب وقت لالتحاقه بقطر كان بين تاريخ عودة هولاكو من حلب إلى بلاده والمصادف في ربيع الثاني ٦٥٨هـ وحتى وقوع المعركة المذكورة ، إذ أن قطز لم يقم

(١) خواندمير م ٣ ج ١ ص ٥٧ ، تاريخ الموصل ج ١ ص ٢٣٦ ، الغزوي

ج ١ ص ٢٢٧ وقد اعتمدت في تجديد الوفاة على ما نقله الغزوي عن ابن خلكان في ترجمته لابن المشطوب .

(٢) ابن العبري ص ٢٨٢ .

ببلاد الشام بعد المعركة إلا أياماً معدودات لم تتجاوز الشهر ، عاد بعدها الى حيث
لقي مصرعه في طريق عودته الى القاهرة في اول ذي القعدة تقريباً .

وتعززت ثقة الصالح اسماعيل بنفسه بعد انتصار المسلمين في عين جالوت التي
سرت آثارها ليس على الامراء في الشام فحسب ، بل تمدتها حتى الى الامراء الذين
كانوا قد خضعوا للذل المغولي مثل سلجوقشاه صاحب فارس بالاضافة الى الصالح
اسماعيل الذي اصبح بعدها اكثر جرأة في التدبير على المغول واضطهاد المشايخين لهم
في بلده وخاصة النصارى ، حتى انه فقد الحذر فيما يجب بقاؤه مستوراً من
التخطيط والتدبير .

وكانت مراسلاته مستمرة مع اخيه علاء الدين الذي كان قد تولى امرة حلب
والذي اتصل بخدمة السلطان المملوكي الجديد بيبرس ، وأخذ يدعو أخاه الصالح في
احدى هذه الرسائل الى الالتحاق به والتعاون مع المماليك لضمان مستقبل امارته .
وقد أسقط بيد الصالح اسماعيل عندما وقعت احدى هذه الرسائل بيد احد
كبار امراءه المدعو محمد بن يونس الباعشيتي (١) فأخذها وهرب بها نحو المغول
الأمر الذي دفع الصالح الى التمسك بالخروج الى الشام قبل انكشاف امره لدى المغول
وتوجه جيوشهم نحوه .

(١) وهو أحد أمراء ابيه ، من قرية بعشيقة المسيحية شرقي الموصل . والذي
أعتقه على ضوء ما أورده ابن العبري في ص ٢٨٢ - ٢٨٣ ، ان الباعشيتي هذا هو
من المسيحيين الذين تحولوا الى الاسلام في زمن بدر الدين طمعاً بالامتيازات وتخلصاً
من المضايقات .

واضطربت أحوال الموصل بعد خروجه ، فقد سيطرت عليها زوجة الصالح
الممماة ترکان الخوارزمية (١) بالتعاون مع الشحنة في انتظار وصول الجيش المغولي .
لذلك فأنها أغلقت الأبواب بوجه الامراء الذين انفصلوا عن زوجها الصالح وقرروا
العودة الى الموصل بزعامه الامير علم الدين سنجر الذي اضطر الى محاصرة المدينة ثم
الاستيلاء عليها بالتعاون مع بعض السكان من المسلمين ، حيث اعقب ذلك وقوع
مذبحة في النصارى من سكانها .

ولقي سكان القرى المسيحية المجاورة للموصل في نفس الوقت الشيء الكثير من
اعتداءات القبائل الكردية التي كانت قد انفقت مع الصالح على ذلك لولا خروجه
الاضطراري (٢) .

ويشير المقرئزي الى وصول الصالح اسماعيل وأخيه سيف الدين اسحاق الى
الظاهر بيبرس الذي اكرمهم وقبل شفاعتهم في اخيهم الثالث ملاء الدين على الذي كان
قد أتى في غياهب الاعتقال بسبب اساءته السيرة مع الامراء عندما كان في ولاية
حلب ، فأفرج عنه وأعيد اليه اعتباره (٣) .

(١) ترکان الخوارزمية ابنة جلال الدين التي كانت قد سقطت في أسر المغول ،
فزوجها هولاء من الصالح اسماعيل عندما التحق به في زمن والده .

(٢) انظر ابن العبري ص ٢٨٢ - ٢٨٣ فهو المرجع الرئيسي وخاصة الاصل
السرياني - لجميع حوادث هذه الفترة بحكم وجوده في الموصل او بقربها ، وبحكم مكانته
لدى المغول ، انظر ايضاً ما نقله عنه تاريخ الموصل ج ١ ص ٢٣٦ .

(٣) المقرئزي ج ١ ق ٢ ص ٤٦٠ - ٤٦٢ ، تاريخ الانبياء وملوك الاسلام ،

مجهول المؤلف - الورقة ١١٢ في حوادث سنة ٦٥٩ هـ .

ولعب أحد هؤلاء الاخوة الثلاثة دوراً سيئاً في إفساد نية السلطان المغولي نحو إعادة الخلافة وتجهيز الجيش مع الخليفة العباسي الجديد الزاحف نحو بغداد ، إذ ان أحدهم خلا بالسلطان وأشار عليه أن لا يفعل « فان الخليفة اذا استقر أمره ببغداد نازعك وأخرجك من مصر ، فتردد السلطان لذلك ولم يرسل مع الخليفة سوى ثلثمائة فارس بعد ان كان جهز له عشرة آلاف فارس » (١) .

ورافق الصالح واخوته الخليفة في طريق زحفه نحو بغداد حتى وصل الرحبة فانفصلوا عنه متوجهين نحو الموصل بالرغم من إلحاح الخليفة عليهم بالسير معه نحو بغداد .

وكانت الموصل عند وصوله اليها تقاسي من حصار الجيش المغولي الذي كان يقوده القائد المغولي سمراغو والملك صدر الدين التبريزي والذي اخرج عن المدينة حتى دخلها الصالح وأتباعه ثم أطبق عليها ثانية . ودام الحصار اشهرأ معدودات قلت فيها الميرة لدى المحصورين ، وفشلت النجدة التي قادها شمس الدين البراو من حلب لفك الحصار عنها .

ولقي الصالح بعد ذلك مصرعه على أيدي المغول الذين نكثوا الوعود التي قطعوها له بضمان حياته ، ثم عذبوه عذاباً شديداً في رمضان ٦٦٠ هـ .

اما اخوته ، فيظهر انهم كانوا قد توجهوا الى بلادهم ولم يدخلوا الموصل ثم التحقوا بعد ذلك بالشام فراراً من الوقوع بأيدي المغول ونجاة بأنفسهم من العذاب

(١) البقريزي ج ١ ق ٢ ص ٤٦٢ .

واستقروا أخيراً في رفقة السلطان الظاهر بيبرس في مصر (١) .
وانقضت بهذه النهاية أسرة بدر الدين لو او ، وألحقت الموصل بالحكم المنغولي
المباشر حيث سلمها المنغول الى شمس الدين محمد بن يونس الباعشيقي مكافأة له على
موالاته لهم وغدره بصاحبه (٢) .

(١) ينقل مصطفى جواد في تحقيقه لكتاب ابن الفوطي - تلخيص مجمع الآداب
ج ٤ ق ١ حاشية ص ٣٨ - ٣٩ في ترجمة عز الدين ابو المظفر ابيك بن عبدالله البدري ،
ينقل عن مجلة المشرق م ٥٠ ج ٢ ص ١٤٢ سنة ١٩٥٦ في حوادث سنة ٦٦١ هـ ان
سيف الدين اسحاق أرسل أحد مماليكه من مصر الى مالوكه جمال الدين جولياغ الذي
كان يتولى الجزيرة ، يطلب منه ارسال بعض الدفائن في مكان عينها له ففعل .
(٢) ابن العبري ص ٢٨٣ - ٢٨٤ ، الحوادث الجامعة ص ٣٤٦ - ٣٤٨ ،
رشيد الدين م ٢ ج ١ ص ٣٢٧ - ٣٣١ ، اليونيني ج ١ ص ٤٩٢ - ٤٩٥ ، المقرئزي
ج ١ ق ٢ ص ٤٧٥ ، تاريخ الموصل ج ١ ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .

الباب الرابع

السياسة الخارجية :

علاقة الايلخانية مع المايك

علاقة الايلخانية مع اوربا - الباباوات والملوك

علاقة الايلخانية مع المغول :

الخاقان ، مغول القبجاق ، مغول ما وراء النهر .

الباب الرابع

السياسة الخارجية

لم يعر قيام الايلخانية في هذه المنطقة من البلاد الاسلامية دون حدوث رد فعل في المناطق المجاورة لها ، فبالاضافة الى المشاكل الداخلية ، واحداث العصيان والتمرد التي قام بها ابناء البلاد لازاحة هذا الكيان الغريب من بينهم ، فان الكيانات السياسية في البلاد المجاورة احست بخطره عليها واتصدت له بدورها وسمعت للقضاء عليه .
وتمثل ذلك في موقف المماليك (١) خاصة من ناحية الغرب ، ومغول القبيحاق من ناحية الشمال .

(١) قامت دولة المماليك في مصر سنة ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م على اثر مقتل السلطان تورانشاه بن الصالح ايوب واتفاق بماليك ابيه على اختيار زوجة الصالح المسماة شجرة الدر لحكم البلاد ، ولكنهم امام امتنكار المسلمين لحكم النساء اختاروا احد زعمائهم عز الدين ايبك الذي تزوج منها وتولى السلطنة نيابة عنها ، وسميت دولتهم بالمماليك البحرية ، لأنهم كانوا مماليك الأيوبيين ، ولأن الصالح ايوب كان قد اسكنهم في قلعة بناها في جزيرة الروضة على بحر النيل .

واختلفت الاسباب التي دفعت هاتين الدولتين لاتخاذ هذا الموقف ، ولكننا نستطيع القول انه بالرغم من ان الخلاف الديني كان السبب الظاهري لهذا الصراع الذي قام في المنطقة بين هذين المعسكرين ، إلا ان السبب الحقيقي كان اختلاف المصالح السياسية بينهما ، يدل على ذلك ان الاستقرار لم يسد بينهما عند زوال السبب الظاهري واتخاذ الايلخانية الاسلام ديانة رسمية لحكمهم ، فقد استمر الصراع بينهما قائماً ان لم يكن قد ازدادت حدته وتوسعت تأثيراته .

ولجأ الايلخانيون حفاظاً على وجودهم الى الاتصال والتعاون مع البلاد الاخرى التي اتفقت مصالحها مع اهدافهم وخاصة مع مسيحيي اوربا واتباعهم من بقايا الامارات الصليبية التي كانت لا زالت قائمة في هذه المنطقة من البلاد الاسلامية .

على ان الخطر الذي هدد الايلخانيين لم يكن مقصوراً على الدولتين السالفتين وانما تعرضوا ايضاً لحسد وأطماع ابناء عموماتهم مغول ما وراء النهر الذين ما انفكوا يواصلونهم بالاعتداءات لمحاولة اقتطاع بعض اراضيهم الشرقية .

وبالاضافة الى ذلك فقد كان للايلخانيين علاقة مع الرئيس المغولي الأعلى وهو الخاقان الذي كانت له السيادة الاسمية على جميع المغول ، وتطورت هذه العلاقة عندما امتنع الايلخانيون عن الاعتراف بسيادته بعد اعتناقهم الاسلام في زمن غازان .

- على ان الشيال - تاريخ مصر الاسلامية ج ٢ ص ١٤٥ - ١٤٧ يعرض رأياً آخراً لتسميتهم بالبحرية ، انهم جلبوا من وراء البحار .

وكانت دولة المماليك في بداية نشأتها عندما اصطدمت بالمغول ، لذلك امتازت سياستها معهم بالقوة والحوية .

ولدراسة هذه العلاقات المتشابهة ، وتبني اساليب الصراع الذي دار بين اطرافها ، رأيت دراسة كل منها على افراد لتكون الصورة اوضح والبحث أتم .

اولا : علاقة الايلخانية مع المماليك :

كان المماليك يمثلون المدو الاكبر لقيام الحكيم الايلخاني في هذه المنطقة الاسلامية ، وبالرغم من حتمية الصراع الذي كان لابد من وقوعه بين هاتين الدولتين الفئتين ، إلا ان الايلخانيين هم الذين بدأوا به نتيجة لاستمرارهم في تنفيذ سياستهم التي كانت قد خططت لهم عند ارسال حملة هولاكو ، واستعجال هولاكو بتحقيقها عندما ارسل رسله الى القاهرة سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠م يطالب سلطان المماليك بتقديم الطاعة له والاعتراف بسيادته عليه ، وما أدى اليه من الزحف المغولي الذي كان سببه كما يقول خواندمير (١) « وصول ايلجية ورسل » هولاكو من ديار الشام لعلم مطاوعتهم وخضوعهم ، ولكن بقي بعض امراءهم متملقين بحكام مصر فقرر هولاكو السيطرة على هذه الولايات .

ونجح هولاكو في الوصول الى اسوار حلب ، بعد ان كان قد لجأ الى اسلوب المغول التقليدي في استغلال سكان البلاد المفتوحة في حروبهم ، فقد استغل امراء البلاد الذين دخلوا في طاعته ليجن ولائهم ، فأمرهم بسوق جيوشهم لمعاونته ، من ذلك مشاركة صاحب الموصل الذي أناب عنه ابنه الصالح اسماعيل ، وصاحب الروم الذي شارك في حصار حلب (٢) .

(١) حبيب السير م ٣ ج ١ ص ٥٥ .

(٢) رشيد الدين م ٢ ج ١ ص ٣٠٥-٣٠٦ ، ابوشامة - ذيل الروضتين ص ٢٠١

ابن دقماق - نزهة الإنام الوردية ١١٨ في حوادث سنة ٦٥٧ هـ :

ولقيت حلب بعد سقوطها بيد هولاء في اول صفر ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م من الخراب والتدمير ما لقيته بغداد ، الأمر الذي افزع سكان البلاد وأوقع الرعب في نفوسهم ، ففرقت الجيوش التي كان الناصر يوسف زعيم الاسرة الايوبية في هذه الفترة ، قد جمعها لمواجهة الزحف المغولي ، ودانت مدن الشام بالطاعة ولما تجاوز هولاء مملكة حلب في حلب ، فقد وفد اليه بعض امراء الايوبيين مثل الاشرف موسى صاحب حمص ، وأعيان حماة وبعطبك ودمشق يلتئمون آمانة لبلادهم وانقسم فكان يقبل طاعتهم ويرسل معهم شحنة ليمنله في بلادهم (١) .

ووفد اليه كذلك امراء الغرب من بني بختيار الذين يشرفون على بلاد الساحل ، يلتئمسون اقراره على ما بدأ يديهم من البلاد الجبلية المطلة على الساحل والمدونة في المنصور الناصري الممنوح لهم من الحاكم الأيوبي (٢) .

ونشأ التهديد المغولي للمماليك أولاً عندما تجاوزت حدودها معاً حيث امتد النفوذ المغولي عملياً الى غزة ، وان كان هولاء قد قدم في هذه الحدود حتى اوصلها العريش كما نص على ذلك الفرمان « او الأمر » الذي اعطاه للقاضي محي الدين بن

-
- (١) ذيل الروضتين ص ٢٠٣ ، ٢٠٦ . ابن شداد - الاعلاق الخطيرة ق ٢ ص ٥١ - ٥٢ ، اليونيني ج ١ ص ٣٥٢ ، ابن الشحنة - ابو الوليد - روضة المناظر ص ٢٦٠ - ٢٦١ . يوسف الديس - تاريخ سورية م ١ ص ٢٧٦ - ٢٧٧ .
- (٢) ابن بختر - تاريخ بيروت وأخبار الامراء البحترين في الغرب ص ٥٦ - ٥٧ ابن شداد - الاعلاق الخطيرة ق ٢ ص ١٥٩ وهو يشير الى تعاون البحترين مع المغول حتى - لبنان في التاريخ ص ٤٠٤ .

الركبي والذي جعل فيه سلطانه يمتد من قنسرين حتى العريش (١) .
ولكن التهديد الحقيقي جاء عندما ارسل هولاءكو قبيل عودته عن بلاد الشام(٢)
في جمادى الآخرة (٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م) رسله الى سلطان المماليك مظفرالدين قطز(٣)
بذكره بما فتح الله على بيت جنكيز من نصر ، وما آل اليه معاندوه ، ويدعوه
الى أخذ العبرة من ذلك والاعتراف بطاعته وحمل الفدية اليه وقبول شحنة في بلاده (٤).
وكانت معركة عين جالوت التي وقعت في منتصف رمضان ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م .
اول صدمة اجاب بها المسلمون على غرور المغول ، فقد زحف المماليك بعد أن
وحدوا صفوفهم بقيادة قطز ، وتصدوا لهم في وادي بيسان عند عين جالوت ووقعوا
بهم هزيمة منكرة ، قتل فيها قائدهم كيتوبوقا « كتيبغا » وأبيد أكثر الذين معهم منهم
بينافر الناجون من ميدان المعركة لا يلوون على شيء ، تاركين بلاد الشام حتى

(١) ذيل الروضتين ص ٢٠٥ ، الاعلاق الخطيرة ق ٢ ص ٢٦٦ . السبكي -

طبقات الشافعية ج ٥ ص ١١٧ .

(٢) اضطر هولاءكو الى العودة عن الشام في جمادى الآخرة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م
بسبب وفاة أخيه منكوخان وتنازع اخوته على العرش . وقد استخلف على الشام
قائده كيتوبوقا ، وعين بيدرا لنيابة الشام وفخر الدين لنيابة حلب .

(٣) كان قطز وصياً على السلطان القاصر علي بن المعز ابيك ، ولكنه عندما
تهددت البلاد ، استشار زعماءها في ضرورة وجود سلطان قوي ، فتقرر خلعه في
سنة ٦٥٧ هـ ومبايعة قطز بالسلطنة .

(٤) انظر ملحق الرسائل : رسالة هولاءكو الى قطز ، انظر ايضاً سرور

دولة الظاهر بيبرس ص ٣٩ . عاشور - العصر المماليكي ص ٣١ .

عبروا الفرات وجعلوه سداً بينهم وبين مطارديهم .

وأصبحت عين جالوت بعد ذلك نقطة تحول في مجرى الأحداث السياسية في هذا الجزء الهام من العالم ، فقد تغيرت موازين القوى التي كانت تسود المنطقة ، وتغيرت نظرة الناس أيضاً الى هذه القوى .

فقد ترتب على هذه المعركة تأثيرات مختلفة شملت كل الاطراف المتنازعة ، ومن يحتمي وراءها او يتعلق بها ، ويعنيها منها انها كانت البداية للصراع المستمر الحيامي والمسكري بين المغول من جهة ، والمماليك من جهة اخرى .

فبالنسبة للمغول كانت نتائجها قاسية عليهم ، اذ كان فيما القضاء التام على كل أمل بتحقيق اهدافهم السياسية التي خطط لها من قبل للوصول الى مصر ، ونحوات سياستهم بعدها الى الدفاع فقط بعد ان كانت هجومية ، وأصبح كل همهم الاحتفاظ بنهر الفرات كعند طبيعي لحدودهم مع المماليك . ولذلك يمكن القول ان كل محاولاتهم العسكرية بعدها لاجتياز الفرات ، كانت الفرض منها التأديب والارهاب وليس الاستيلاء والاستيطان .

اما اهميتها بالنسبة للمماليك فكانت عظيمة جداً ، اذ انها اعطت اسكيانهم لسياسي قبل كل شيء السند الشرعي لحكم مصر والبلاد الاسلامية التي حرروها من الاستيلاء المغولي ، بعد أن كان يشوب حكمهم شيء من الانكار والانفة بحكم فوض اصولهم وانحطاط مكائنتهم ، وجاء نجاحهم بعد ذلك في إحياء الخلافة العباسية ونقاها الى القاهرة ، وكذلك هذه الشرعية باعتبارهم حماة الاسلام ومنفذي ارادة الخليفة .

ومن هذه الأهمية أيضاً في الميدان السياسي ، تحققي الوحدة بين مصر والعام

بزعامتهم وامتداد حدودهم من جهة الشمال الشرقي الى نهر الفرات الذي اصبح يحجزهم عن المغول ، الأمر الذي مكّنهم بعدها من تحقيق كثير من الانتصارات السياسية والعسكرية على المغول وحلفائهم من الامارات المسيحية في شمال الشام والامارات الصليبية على الساحل الشامي (١) .

وهناك نتائج اخرى لمركة عين جالوت ، اهمها (٢) تحطيم الاسطورة القديمة التي اشاعها الخوف والتخاذل بين المسلمين ، والتي تؤكد ان المغول قوة لا تقهر ، وبالتالي يجب الاستسلام لطاعتهم والرضى بحكمهم وان ذلك قضاء من الله قدره على الناس (٣) ، فقد أنهشت الهزيمة معنويات المسلمين الذين كانوا يرزحون تحت حكمهم

(١) ولكنه يؤخذ على المهاليك في نفس الوقت ان الرغبة في السلطان والاستئثار به دفعهم الى التاهل المتعمد ، وترك الجدية في محاولة اعادة الخلافة الى بغداد ، وبالرغم من انه لم يكن مضموناً نجاحهم في تحرير بغداد لو اخلصوا النية في عملهم ، إلا انهم مع ذلك نجحوا على الخليفة المستنصر بالله ابي القاسم الاسود ان يزوده بالعدد الكافي من الجند ان لم يكن الواجب يحتم على السلطان نفسه قيادة الحملة .

(٢) من هذه النتائج ايضاً تأثيرها على الحضارة العربية الاسلامية التي نكبت في بغداد وقامت القاهرة بالحفاظ على بقية تراثها ، فلو نجح المغول في عين جالوت لأصاب الشام والقاهرة ما أصاب بغداد من الضياع ، ولفقدنا كل أثر تراثنا الحضاري ، ولا امتد الظلام الفكري الذي خيم على العراق فشمّل الشام والقاهرة وربما اصل سيره حتى المحيط .

(٣) عبر ابو الفداء ج ٣ ص ٢١٤ عن تأثير هذه الاسطورة بقوله : فان القلوب كانت قديست من النصر على التتر لاستيلائهم على معظم بلاد الاسلام ولانهم ما قصدوا اقلها إلا فتحوه ، ولا عسكرياً إلا هزموه .

فاسترجعوا أنفسهم بأنفسهم واستبشروا خيراً بهذا النصر ، وتشجعوا على تحدي سلطات المغول والتمرد عليهم ، وتبجلى ذلك بالنسبة لأهل الشام مثلاً الذين ثاروا على حكمهم حالما وصلتهم انباء الهزيمة فشاركوا في عرقة هروب المغول وابادة الكثير منهم ، فضلاً عن مشاركتهم في مطاردة الآخرين .

وكذلك تبجلى أثرها على المسلمين الذين كانوا تحت النير المغولي ، فإن امراءهم عملوا على الخلاص من سيطرتهم فثاروا عليهم وسعوا للاتصال بالمماليك والاستعانة بهم لانتجاح هذه الثورات ، مثال ذلك ما حدث في الموصل وشيراز (١) .

وتخاص من ذلك الى ان عين جالوت وضعت الابلخانيين وجهاً لوجه أمام عدو قتي جديد ، يختلف في ذكائه وحيويته ونظراته للأمر عما ألفوه من امراء المسلمين الذين اكل الهرم والنواكل حياتهم ، وأصبح لزاماً على المغول أن يعيدوا تقييم قوة خصمهم ويحسبوا لها حسابها ، ولكن ، ومن حسن حظ المسلمين ، وسوء حظ المغول ، انهم كانوا أعجز عن ذلك ، اذ ان الخلاف كان قد ذرقرنه بينهم فمزق وحدتهم وأضعف قدرتهم ، يشير الى ذلك رشيد الدين في حديثه عن محارلة هولاكو الانتقام لهذه المعركة بقوله (٢) : « ولكن لم تكن الظروف في ذلك الوقت تسمح بذلك بسبب وفاة منكوقاآن وبسبب الخلاف الذي ظهر بينه وبين اقاربه ، ولهذا عدل عن الفكرة » .

-
- (١) استفدت عند مناقشة هذه النتائج من كثير من الملاحظات التي أشار اليها البشبال رحمه الله في مؤلفه - تاريخ مصر الاسلامية ج ٢ ص ١٦٢ - ١٧٠ ، وكذلك ملاحظات سعيد عاشور - العصر المماليكي ص ٣٢ - ٣٨ .
- (٢) جامع التواريخ م ٢ ج ١ ص ٣١٧ .

وثنوعت اساليب المواجهة بين المغول والمماليك واختلفت حدة الصراع الذي قام بينهما قوة او ضعفاً ، تبعاً لظروف المحيطة بكل اياخان او سلطان ، وكانت تتوفر في الحدود الطويلة بينهما دائماً اسباب الخلاف وعوامل اذكاء نار الحرب حتى في الفترات التي كان فيها دعاء السلام يفتنون بين العاصمتين يحملون معهم امنيات السلام. وعلى ضوء تطورات الاحداث التي تسببت العلاقة بين المماليك والمغول يمكننا القول ان هناك نوعين من الأساليب السياسية اتبعتا جنباً الى جنب من قبل الطرفين خلال هذا الصراع ، وهما الاسلوب السلمي ، والاسلوب العسكري .

الاسلوب السلمي في العلاقات : وأقصد به كل الوسائل والحيل وانواع الخدع

التي لجأ اليها الفريقان للاحاق الضرر بعضهم ببعض .

ونلمح من خلال هذا الصراع ان كفة المماليك كانت أرجح فيه ، ذلك ان الحكم الايلخاني الذي ساد في العراق خاصة ، لم يكن قائماً على أساس من رضى الناس الذين كانت مشاعرهم متعلقة بالحكم المملوكي الذي كان يمثل في نظرهم المدافع عن الاسلام أمام وثنية المغول ، لذلك كان اعوان المماليك او رسلهم يجدون الحماية والعون من أبناء البلاد الذين أصبحوا في موقفهم هذا يمثلون اشبه ما نسميه اليوم بالطابور الخامس ، وعلى العكس من ذلك لا نجد هذه الميزات متوفرة للمغول في بلاد الشام ومصر إلا نادراً .

ولم تكن العلاقات السلمية هذه مقتصرة على اسلوب واحد في العمل ، وانما كانت تتشعب بكل وسيلة تساعدها على تحقيق اهداف النصر ، ولذلك فانا نستطيع تمييز عدة وسائل او اساليب مثلت هذا الجانب من العلاقات من ذلك :-

محاولة الاتصال بأمراء البلاد وإغرائهم بالتعاون معهم ، وفي هذا المجال كانت مهمة المغول صعبة جداً ، لان أعمالهم الوحشية في الشام على قصر احتلالهم لها لم تترك لهم محبة في قلوب اهلها ، لكي يستطيعوا استغلالها فيما بعد ، لذلك تم نذر عليهم الحصول على اعوان او عملاء لهم فيها ، فاضطروا الى طرق ابواب عملائهم القدامى من الامراء الأيوبيين الذين فقدوا الكثير من امتيازاتهم في ظل الحكم المملوكي الجديد الذي تفضل عليهم بما ابقاه في ايديهم من سلطان على ان يخلصوا الطاعة والولاء له .

وفشلت مساعي هولاء في اغراء الملك المنصور صاحب حماة للتعاون معه عندما أرسل له بعض الرسل سنة ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م يحملون اليه فرماناً منه ، فقام المنصور بارسال القصاد والقرمان الذي حملوه الى السلطان الظاهر بيبرس (١) ليرى نفسه من فكرة مواطاة العدو ويثبت اخلاصه لاسلطان ، وبذلك قطع الطريق على هولاء (٢) .

ولكن شباك هولاء لم تفشل مع الملك المغيث صاحب السرك الذي رضي بالمعاملة له ، فأخذ يرأسه ويكشف له احوال البلاد ، ولم يكتف بذلك بل عمد الى مراسلة بعض امراء الجيش المملوكي من الشهرزورية (٣) واصادهم على السلطان حتى

(١) كان الظاهر بيبرس قد تولى السلطنة بعد غدره بقطز وقتله في طريق عودته الى القاهرة في أول ذي القعدة ٦٥٨ .

(٢) الدواداري م ٩ زبدة الفكرة الورقة ٦٢ .

(٣) الشهرزورية نسبة الى سهل شهرزور في منطقة الجبال الشمالية الشرقية من العراق ، والامراء الشهرزورية هم امراء الأكراد الذين التحقوا بالسلطان صلاح الدين-

انكشف أمره واتي جزاءه سنة ٦٦١ هـ فأسقط في يد هولاءكو ونفشت خططه (١) .
ولم يياس هولاءكو من العثور على اعوان آخرين او حتى ايهام السلطان
المملوكي بوجودهم لكي يربك سياسته خصمه ويوقم الفرع في صفوفه ، فقد جرب
الاتصال بالأمير فارس الدين اقطاعي الأتابك الذي كان من اعوان قطز والذي تولى
نيابته على القاهرة عند خروجه لقتال المغول ، ولو نجح هولاءكو بالاتصال بهذا
الأمير الكبير وإغرائه بالتعاون معه ، لكان قد نجح فعلا في شق صفوف المماليك ،
ولكن وقوع الرسل الذين حملوا فرمان هولاءكو اليه ، بيد السلطان أفسد على هولاءكو
خططه وقضى على آماله ، كما أن السلطان « تنبه الى حقيقة اغراض هولاءكو وعلم أن
ذلك مكيدة منه » (٢) .

واذا كان هولاءكو قد فشل في الحصول على ما يبتغي من عملاء ، فإن ابنه
اباكا كان أقدر منه في ذلك حيث توصل الى اغراء عدد غير قليل من أمراء السلطان
تكنمت المراجع العربية في ذكر اسمائهم او حتى الاشارة اليهم ، ولا بد أن اباكا استفاد
من مراسلاته مع هؤلاء الامراء الذين قد يكون نظم معهم عملا للاطاحة بالسلطان
او تحقيق منافع سياسية او عسكرية من جراء اتصالحهم به ، ولكن بقظة السلطان
وسلامة جبهته الداخلية قوتت على الابلخان استغلالهم في مزيد من الاعمال الاخرى
-الايوبي مؤسس الاسرة وحرر القدس في وقعة حطين وتوارث هؤلاء الامراء مناصبهم
مع ابنائهم واحفاده حتى قيام الحكم المملوكي فتعاونوا معه .

(١) ابن شداد الاعلاق الخطيرة ق ٢ ص ٧٧ - ٧٨ ، اليونيني ج ١ ص ٥٢١

- ٥٣٢ ، المقرئزي ج ١ ق ٢ ص ٤٨٢ .

(٢) العيني - عقد الجمان الورقة ٥١١ في حوادث سنة ٦٦٢ هـ ؛

فقد قبض عليهم وحقق معهم سنة ٦٧٣ هـ / ١٢٧٤ م ثم تقرر اعدام اثني عشر أميراً منهم (١) .

ورحب اباقا في أيامه الأخيرة بمراسلة الامير سنقر الاشقر (٢) نائب الشام له والذي دعاه الى التعاون معه على السلطان قلاون (٣) ، وعزز من هذه المراسلة ، مراسلة الأمير عيسى بن مهنا امير العرب الذي وعده بالأحياء اليه عند وصوله ومساعدته في حملته .

وتصور اباقا ان الفرصة قد واثته للاستيلاء على بلاد الشام بفضل هذا الانشقاق الذي حصل في صفوف المماليك ووقوف بعضهم الى جانبه ، فأمرع يجهز الجيوش ويخطط لرحلتها بما يضمن له تحقيق النصر ، ولكن السلطان المملوكي قلاون استطاع بحسن تصرفه ومرورته سياسته ، التأثير على الامير المتحرد عليه وإثارة غيرته الدينية على الاسلام « من التعرض لهلاك بسبب هذا الانقسام » فاستطاع بذلك إعادة سنقر الى نوع من الطاعة بحيث جملة لا ينقلب على المغول فحسب بل ويقف في صفوف

(١) D'ohsson . 3 . P . 471 . Hcworth . 3 . P . 247 .

(٢) الامير سنقر الاشقر أحد امراء المماليك وكان السلطان قلاون خلال وصايته على السلطان العادل سلامش بن الظاهر بيبرس قد ولاه النيابة على الشام ، فاستغل قيام قلاون بخلع العادل وتولى السلطنة فامتنع عن الاعتراف بسلطنته وأعلن انفصاله في الشام واستقلاله بها ولقب نفسه بالكامل ، لكنه عجز عن مواجهة جيوش قلاون فهرب الى بعض القلاع وراسل اباقا يدعوه للتعاون معه .

(٣) السلطان قلاون احد زعماء المماليك في عهد الظاهر بيبرس ، تولى الرصاية على ابنه الصغير سلامش ثم خلفه سنة ٦٧٨ هـ وأعلن عن سلطنته حتى توفي سنة ٦٨٩ هـ م

المسلمين للقضاء على جيوشهم (١) .

وبدو ان الايلخانيين لم يستطيعوا الحصول بعد ابا على اعوان لهم في صفوف المماليك بالرغم من تطور كثير من الاحداث السياسية في داخل الكيان المملوكي ، ولا يعتبر هذا المجال لجوء بعض كبار المماليك الى الايلخانيين في عهد غازان وأخيه اولجايتو وتأثيرهم المباشر في كثير من الاحداث العسكرية التي باعقت ذلك ، لأن هؤلاء الامراء لم يكونوا على اتصال مسبق بالمغول ، وانما دفعهم الخوف على انفسهم من السلطان المملوكي الى الاحتماء بالايلخانيين الذين رحبوا بهم وشجعوهم على الوفود اليهم رغبة في استغلالهم او الاستفادة من خبراتهم .

وعلى العكس من ذلك فقد كان المجال واسعاً أمام المماليك لرصد حركات المغول والاطلاع على مخططاتهم او مشاريعهم وهي في مهدها ، بسبب روح العطف والتأييد التي كانت لهم في قلوب اهل العراق خاصة ، يتساوى في هذا التأييد والمؤازرة لهم ، الكثير من امراء البلاد وأغلبية ابناء الشعب الذين كانوا مكرهين على طاعة المغول ، والذين كانوا يعتقدون ان خلاصهم من هذا الحكم لن يتم الا بتعاونهم مع المماليك (٢) .

وكان السلطان المملوكي قد وثق صلته حتى مع بعض الامراء المسيحيين الموالين

(١) ابن الفرات م ٧ ص ١٧٤ ، الحوادث الجامعة ص ٤١٣ ، ٤١٥ ، المقرئزي

ج ١ ق ٣ ص ٦٧٥ - ٦٧٧ .

(٢) ذكرنا من هؤلاء الامراء بدر الدين لولو صاحب الموصل وابنائنه من بعده

الذين كانوا يباطنون الايوبيين والمماليك حتى انهم دفعوا حياتهم ثمناً لذلك .

ومنهم ايضاً سلجوقشاه صاحب شيراز الذي تمرد على هولاء في أواخر أيامه

ودفع حياته ثمناً لذلك .

للمغول والذين دفعهم الخوف على بلادهم من هجماته الى تقديم الولاء له ايضاً في نفس الوقت ، وامداده بما يستطيعون من معلومات ، من ذلك ما أشار اليه اليوناني في سنة ٦٦٣ هـ / ١٢٦٥ م من وصول رسول صاحب سيس يبشر الملك الظاهر بيبرس بهلاك هولاكو (١) .

وفي زمن اباكا كان هناك مزيد من الاسراء المسلمين الذين يبيتون على كره للحكم المغولي ويسعون للخلاص من سيطرته ، وقد مر علينا منهم السلطان السلجوقي ركن الدين قليج ارسلان الذي قتل بيدم سنة ٦٦٦ هـ / ١٢٦٧ م بعد ان اُشيع عنه انه كاتب المماليك وتعاون معهم (٢) ، لكن مقتله لم يؤد الى انقطاع صلة بلاده بهم ، ذلك ان اسراء البلاد وعلى رأسهم الوزير السلجوقي معين الدين سليمان البروناه الذي كان الحبيب في مقتل ركن الدين ، ندم على موافقاته للمغول ، وأخذ يواصل المماليك بأخبار المغول وحركات جيوشهم التي كان أعدها اباكا لمهاجمة الشام . وكان آخر هذا التعاون دعوة هؤلا الاسراء لاساطان الملوكي الزحف على بلادهم ووعدوه بالقيام معه عليهم ، وكانت عمرة ذلك معركة الابلستين التي ايسد فيها الجيش المغولي سنة

(١) والمقصود بصاحب سيس ملك ارمينيا الصغرى . اليوناني ج ٢ - ذيل مرآة

الزمان ص ٣٢٢ . وبشير ابن الفرات م ٧ ص ٢٥ - ٣١ الى ان صاحب سيس هذا انقطع عن مرادة السلطان بالاخبار الصحيحة كما انقطع عن حمل الرسوم المقررة عليه سنوياً . لذلك فقد تجهز له السلطان سنة ٦٧٣ هـ وهاجم بلاده وخربها وقضى على الجيش المغولي الذي قدم لنجدته .

(٢) ابو الفداء ج ٤ ص ٥ ، ابن العماد الحنبلي ج ٥ - شذرات الذهب

ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .

٩٧٩ هـ / ١٢٧٧ م والتي اتهم الايلخان فيها الوزير البروانا وأمر باعدامه (١) .
وعمد السلطان المملوكي الى استغلال تماون هؤلاء الاسماء لانخاض من اعوان
المغول الذين كانوا يلحقون الأذى بالمسلمين في بلادهم ، فاتفق مع صاحب سميساط
شمس الدين بهادر على تدبير حيلة للايقاع ببعض اساقفة النصارى الذين كانوا أشد
وطأة على المسلمين من المغول .

وأخذع اباقا عندما وقعت في يده رسالة موجهة من السلطان الى اسقف الجزيرة
حنانيا يشوع وتصور خيانة هذا الاسقف له فأمر باعدامه سنة ٦٦٧ هـ / ١٢٦٨ م ،
لكنه احس بعد ذلك بتسرع وانكشفت له حيلة صاحب سميساط فقبض عليه بعد
هروب اصحابه الى الشام ، لكن شمس الدين استطاع الهرب بعد ذلك ولحق بالشام
حيث اكرمه السلطان (٢) .

ولم يقطع كثير من امراء المسلمين عن مواصلة المماليك باخبار المغول تكليفا
بهم ، من ذلك صاحب مارددين المنصور غازي بن قره ارسلان (٣) الذي اشار ابن

(١) ابن الفرات م ٧ ص ٤١ - ٤٣ ، ٦٥ - ٦٨ . المقرئزي ج ١ ق ٢
ص ٦١٦-٦١٧ ، ابو محمد الطيب ج ٣ قلادة النحر الورقة ٩٤٢ في حوادث سنة ٨٦٥ هـ .

(٢) ابن الفرات م ٧ ص ٤ ، المقرئزي ج ١ ق ٢ ص ٦١١ . ونفس هذه
الحيلة دبرها السلطان المملوكي مع هولاء كوا الذي أمر بقتل الزين الحافظي أخذ الخونة
المسلمين الذي كان من اعوان الناصري يوسف صاحب الشام والذي التحق بمخدمة هولاء كوا
وأخذ يذله على وسائل اضعاف المماليك انظر النهج السديد ج ١ ص ١٢٦ - ١٢٩ .

(٣) المنصور غازي بن قره ارسلان تولى الحكم بعد اخيه السعيد داود من سنة

٦٩٢ - ٨٧١٢ . ابن حجر ج ٣ ص ٢١٦ .

إبيك إلى امتناعه عن النزول لجيوش غازان التي مرت في طريقها إلى الشام سنة ٩٩٩ هـ / ١٣٠٠ م ، بل اكتفى بانزال الضيافة إليهم خوفاً لئلا يكون الأمير المملوكي اللاجئ ، إلى غازان قد نبه عليه بأنه يكاتب السلطان ، ولم تنقطع مراسلاته في عهد اولجايتو الذي كان قد أصهر إليه ، فكان يوضح السلطان وكانت رسلة تفد إليه باستمرار (١) .
 وحتى بعض امراء المغول لم يترددوا من مراسلة المماليك لما تقموا على ايلخاناتهم من سوء التدبير وقبح السيرة ، وخاصة بعد اعتناقهم الاسلام ونكولهم عن تطبيق أحكامه ، ومن هؤلاء الامراء بدر الدين چنگلي المعزوف بابن البابا الذي كان يمسك في آمد « ديار بكر » فكانت مكاتباته تصل السلطان لفترة طويلة من الزمن يبذل فيها النصيحة للاسلام ويطلع السلطان على عورات التتر (٢) .

وكان چوبان يرسل السلطنة في عهد اولجايتو ، كما أصبح ابنه تيمورتاش يرأسها في عهد ابي سعيد حتى انه قام بايحاء من السلطان المملوكي ببعض الأعمال العسكرية ضد الامارات المسيحية الموالية للايلخانيين أنفسهم من ذلك حملته على ارمينيا الصغرى سنة ٧٢١ هـ / ١٣٢١ م ، ثم تعاونه العسكري مع المماليك في اخضاع آياس سنة ٧٢٢ هـ (٣) .

(١) كنز الدر ج ٩ ص ٩ - ١٠ ابن ابي الفضائل ج ٣ ص ٧٥٨ ، ابو المحاسن المنهل الصافي م ٢ الورقة ٥٠٢ ، زيترستين - تاريخ سلاطين المماليك ص ٤٧ - ٤٩ .
 (٢) النويري - نهاية الارب ج ٣٠ ق ١ الورقة ٩٢ - ٩٣ ابن ابيك ج ٩ ص ١١٣ ، ابن كثير ج ١٤ ص ٢٩ .
 (٣) ابن ابيك ج ٩ ص ٢٦٨ - ٢٧٩ ، ابن كثير ج ١٤ ص ١٠٠ ، العيني الورقة ٣٢٤ - ٣٢٥ في حوادث سنة ٧٢٢ هـ ، المقرئ ج ٢ ق ١ ص ٢٦٣ - ٢٦٤ .
 انظر تعليقي زيادة في الحاشية (٦) .

وكان الأيلخانات يعاقبون هؤلاء الأمراء عندما يكتشفون أمر اتصالهم
 وخياناتهم ، وقد مر علينا ما لقيه بعضهم من عقاب ، كالسلطان الساجوتي ووزيره
 البروانة ، ونشأ من جراء ذلك اعتبار الاتصال بالمماليك جريمة يعاقب مرتكبها بالموت
 الأمر الذي أصبحت معه هذه التهمة موضع استغلال في كثير من الأحداث السياسية
 او الخصومات الشخصية ، من ذلك ما تعرض له صاحب الديوان الجويني وأخوه
 عطا ملك من تهمة الاتصال بالمماليك والتعاون معهم التي دبرها لهم مجد الملك اليزدي
 وبالرغم من عدم ثبوتها عليهما بنقل ما بذلوه من احوال وشفاعات ، إلا انها تسببت
 في اضعاف موقفهما فيما بعد وأدت الى القضاء عليهما (١) .

ولفقت هذه التهمة في عهد غازان لانتخلص من نوروز واخوته ايضاً ، عندما
 قام الوزير صدر الدين احمد الزنجاني « صدر جهان » بتحرير بعض الرسائل وتزوير
 خط أحد اخوة نوروز وإيهام غازان بخيانتة له ، وجعلوا من هذه الرسائل الدليل
 على صحة اتهامهم الأمر الذي أدى بعد ذلك الى القضاء على نوروز واخوته (٢) .
 وتعرض كذلك اثنان من كبار علماء المسلمين في بغداد وهما شهاب الدين
 السهروردي وجمال الدين الماقلوي في عهد اولجايتو الى تهمة الاتصال بالمماليك ،
 فحملوا الى البلاط الايلخاني وكادا يلقيان نهايتهما لولا تدخل الوزير رشيد الدين الذي

(١) رشيد الدين م ٢ ج ٣ ص ٧٦ - ٧٧ ، ابن الشحنة ابو الوليد - روضة

المناظر ص ٢٧٩ . الشواربي - مصادر فارسية في التاريخ الاسلامي ص ٨٩ .

(٢) ميرخوند - روضة الصفا ج ٥ ص ١٣٢ - ١٣٣

Howorth . P . 30409 .

شغف فيهما وأظهر براءتهما من التهمة (١) .

وكان من هذه الأساليب السلمية ايضاً التشجيع على اللجوء السياسي والهروب الى البلاد الاخرى لاضعاف الجبهة الداخلية ، فضلاً عن كشف كثير من الخفايا السياسية او الأسرار العسكرية ، وكانت الدولتان تبدلان الكثير من الاموال ووسائل الاغراء لتشجيع هروب امراء الدولة الاخرى اليها .

وعند المقارنة في هذا المجال بين نشاط الدولتين ، نجد ان المماليك كان لهم النصيب الاوفر ، إذ في الوقت الذي لا يزيد عدد الهاربين من امراءهم الى الابلخانية ، لا يزيد على عدد اصابع اليدين ، يمكن القول ان امراء المغول الذين هربوا من الحكم المغولي لا يحصى عددهم لسكوتهم ، بالاضافة الى العديد من ابناء البلاد الاسلامية الرازحة تحت حكمهم وخاصة من بقايا رجالات الخلافة .

وبدأ سيل هجرة المغول الى المماليك في عهد هولاكو سنة ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م ، إذ أنه بعد ان ساءت العلاقة بينه وبين ابن عمه بركة ، خشيت قوات بركة خان التي كانت قد ألحقت بامرة هولاكو عند زحفه نحو بغداد ، خشيت أن ينتقم هولاكو منها لهزيمة أمام بركة خان فتنفرت في البلاد ، ووصل عدد من أفرادها بلاد الشام بناء على وصية من بركة خان كما يقولون ، وكان السلطان المملوكي ونوابه يستقبلون كل طائفة عند وصولها ويقدمون لها حقوق الضيافة ، ثم يعرضون على افرادها الاسلام ، وقد أسلموا جميعاً ، واستفاد المماليك من هجرة هؤلاء اليهم ، إذ أن

(١) مقدمة جامع التواريخ م ٢ ج ١ ص ٢٢ . الصياد - مؤرخ المغول

السلطان فتح بهم باب المراسلة مع بركة خان الذي رحب بدعوته للتصالح معه على أساس من وحدة الاسلام ، وتنسيق التعاون لعمل عسكري مشترك ضد هولاء (١). وفي عهد هولاء أيضاً هرب من بقي من رجالات الخلافة وامرائها الذين كانوا قد اختفوا أبان شدة المنول عليهم ومطاردتهم لهم ، ويروي « ابن واصل » في حديثه عن سيف الدين بن السلار الذي كان والياً على منطقة الفرات في اواخر أيام الخلافة ، والذي كتب بمد لجوئه الى مصر ، كتب الي من تأخر من اعوانه يخبرهم بما ناله من السلطان من الاحمان فلاحقوا به (٢) .

ولعب شيوخ العشائر من خفاجة وعبادة دوراً في إخفاء هؤلاء الهاربين وايصالهم الى الشام ، ولم يقتصر أمر اللجوء على رجالات العراق فحسب ، بل تددى ذلك الى أمراء شيراز وخاصة خلال تمرد صاحبها سلجوقشاه الذي سبقت الاشارة اليه ، وكذلك بعض الخوارزمية من غلمان الانابك سعد بن زنيكي صاحب فارس وغيرهم ، وكان السلطان المملوكي يرحب بالوافدين ويكرم شيوخ العشائر ليكونوا عيوناً له على التتار (٣) .

وكان من هؤلاء اللاجئين ايضاً جلال الدين ابن الدويدار الصغير الذي كان

(١) ذيل الروضتين ص ٢١٩ - ٢٢٠ ، ابن واصل م ٢ - تاريخ الواصلين ، الورقة ٤٠٦ ، ٤٠٩ . اليونيني ج ١ ص ٤٩٦ - ٤٩٧ . المقرئزي ج ١ ق ٢ ص ٤٧٣ - ٤٧٤ ، ٥٠٠ - ٥٠١ .

D'ohsson . 3 . P . 386 .

(٢) المقرئزي ج ١ ق ٢ ص ١٧٦ ، انظر مانقله زيادة في الحاشية عن ابن واصل .

(٣) المرجع السابق ص ٥١٠ - ٥١٢ .

هولاكو قد اصطفاه لنفسه بعد معركة بغداد وأوصى بتربيته ، ويحدثنا رشيد الدين عن الحيلة التي لجأ إليها جلال الدين ليخلص من هولاكو ، حيث أوهمه باخلاصه له ورغبته بتجنيد بقايا جند الخلافة للمشاركة في حرب القبيحاق التي كان هولاكو يستعد لها ، وبعد أن حصل جلال الدين على صلاحيات الايلخان المطلقة لتنفيذ مهمته ، جم ما استطاع جمعه من الرجال والاموال ، وتوجه بهم الى الشام ، فكان هروبه أفسى ما وجه الى هولاكو من الضربات حتى قيل أن تأثيرها كان من أسباب وفاته لما لحقه من الالم والغيظ (١) .

وخفت حدة الهروب بين المغول في اول ايام اباقا نظراً للاستقرار النسبي الذي ساد البلاد بعد توقف الحرب بسبب وفاة بركة ، لكن النزاع لم يلبث ان وقع بين امراء المغول المقيمين في بلاد الروم لأسباب شخصية على الأكثر ، ويبدو ان لأمرام سلاجقة الروم الذين كانوا في هذه الفترة يتعاطفون مع المماليك ، وخاصة الوزير البروانة الذي كان مصاهر لبعضهم ، كان لهم دور في توسيع شقة الخلاف بين امراء المغول الذي أدى الى اشهار السلاح بينهم وتدخل الايلخان الذي استدعى بعضهم الى بلاطه ، فامتنع هؤلاء عن طاعته بعد ان خوفهم الوزير البروانة من غدر اباقا بهم ثم نصحهم بالاجوء الى السلطان المملوكي ، فتوجهوا اليه بأهوالهم وعشائرم سنة ٦٧٥ هـ (٢) .

(١) جامع التواريخ م ٢ ج ١ ص، ٢٣٨ - ٢٤٠ . الحوادث الجامعة

ص ٣٥٠ - ٣٥٢ .

Howorth . 3 . P . 199 - 200 .

(٢) ابن ابي الفضائل ج ٢ ص ٢٣٩ ، ابن الفرات م ٧ ص ٦٨ وكان منهم -

وفي اواخر ايام اباقا في شوال ٦٨٠ هـ / ١٢٨١ م التحق صاحب منجارج بأهله وحريره بالشام داخلا في طاعة السلطان (١) ، ولعل سبب لجوئه يتصل بهزيمة الجيش المغولي التي لقيها قبل ايام بالقرب من حمص خاصة وان منجارج تقم على طريق حركة هذا الجيش الذي قاده منكوتيمور بن هولانكو .

وأسفرت الانقسامات الشديدة بين امراء المغول وتنازعههم على السلطة والتي راح ضحيتها ثلاثة من الأيلخانات (٢) ، أسفرت في اعقاب تولي غازان العرش ، عن اكبر هجرة مغولية الى الشام شملت ابناء قبيلة الأويرات الذين كان يرأسهم الأمير طرغاي ، وتراوح عدد النازحين بين عشرة آلاف الى ثمانية عشر الف من الفرسان ، وقد سبب المؤرخون المعاصرون هذه الهجرة الى خوف طرغاي وعشيرته من انتقام غازان منهم بسبب مشايعةهم لابن عمه بايدو ، ولقي هؤلاء الوافدون ترحيباً من السلطان المملوكي كتبغا (٣) الذي يمت اليهم بصلة النسب والذي استقدم زعماءهم الى

الامراء نيكتاي وأخيه جاورجي ، وفرمشي وأخيه سكتاي من قبيلة ببسوت ، ثم لحق بهم حسام الدين بنجار مقطع خرتبرت وولده بهادر .

وأحصى الشيال - تاريخ مصر الاسلامية ج ٢ ص ١٩٤ - ١٩٦ مجموع الفرسان الذين وفدوا على السلطان الظاهر بيبرس فقط من المغول بثلاثة آلاف فارس ، وقد استقدمهم السلطان الى القاهرة واستخدمهم في جيوشه بعد أن منحهم الرتب المناسبة لهم ، وكون منهم نواة للفرقة الوافدية في الجيش المملوكي .

(١) المقرئ الفيومي نثر الجمان - الورقة ٢٤٠ .

(٢) وهم احمد تكودار ، كيجاتو ، بايدو .

(٣) العادل زين الدين كتبغا من اسرى المغول في عين جالوت ، استخدمه قلاوون -

القاهرة وأسكنهم حتى الحسينية (١) ، ولم يتشدد معهم في اعتناق الاسلام الأمر الذي أثار حوله كثير من الانكار والشك خاصة وانه ألحقهم بفرق المماليك وأمر جماعة منهم واتخذهم بطانة له ، اما الباكون فقد أسكنوا في منطقة الساحل الشامي حيث اختلطوا بالسكان وضاعوا في اوساطهم (٢) .

ومن المحتمل ايضاً ان يكون لجوء الامير بدر الدين چنگلي بن البابا في أعقاب وفاة غازان ، له علاقة بفشل حملة الايلخان الاخيرة على الشام التي قادها قائده قطلوشاه إذ أنه وصل دمشق في ١١ ذي القعدة ٧٠٣ هـ أي بعد شهر من وفاة غازان ، وقبل أن يصل اولجايتو العاصمة ليتولى العرش ، فيكشف أمر اتصاله الطويل بالسلطان المملوكي قبل ذلك (٣) .

— ثم اصبح من ممالك ابنه الاشرف ، ثم تولى نيابة السلطنة للناصر محمد في سلطنته الاولى واستغل صغره فخلعه وتولى السلطنة في ٦٩٢ - ٦٩٥ هـ .

(١) ومحدثنا المقرئ في المواعظ والاعتبار بذكر الحطط والآثار ج ٢ ص ٢٢ - ٢٣ حارة الحسينية عن الآثار الاجتماعية التي أحدثتها هذه الهجرة في اوساط المماليك لما امتاز به أفرادها من جمال الصورة وتنافس الامراء على التزوج من نساءهم واقتناء أولادهم . حتى انهم ارسلوا الى البلاد الشامية واستدعوا منهم طائفة كبيرة فتكاثروا نسلمهم في القاهرة وأصبح اهل الحسينية يوصفون بالحسن والجمال البارع ، انظر ايضاً الشيال - تاريخ مصر الاسلامية ج ٢ ص ١٩٧ - ١٩٨ .

(٢) ابو الفداء ج ٤ ص ٣٤ ، ابن الوردي - تسمية المختصر ج ٢ ص ٢٤١ ، تاريخ سلاطين المماليك ص ٣٨ ، ابن الفرات م ٨ ص ٢٠٣ ، المقرئ ج ١ ق ٣ ص ٨١٢ .

(٣) النويري - نهاية الارب ج ٣٠ ق ١ الورقة ٩٢-٩٣ في حوادث سنة ٧٠٣ هـ -

وبعد تولي اوجليانو بأشهر قليلة هرب الى الشام جماعة آخرون بينهم عدد من خاصة غازان ، حيث وصلوا في مطلع جمادى الاولى ٧٠٤ هـ ، بذسائهم وأولادهم (١). على ان انتشار الاسلام بين المغول وهدوء العلاقات بين البلدين أضعف من حركة اللجوء بين المغول طيلة فترة اوجليانو وابي سعيد ، كما أدى قيام الصالح بين البلدين بعد ذلك سنة ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م الى تعزيز الاستقرار السياسي بينهما فلم يؤثر عليه لجوء الامير تيمور تاش بن چويان سنة ٧٢٨ هـ ذلك ان السلطان المملوكي الماصر محمد بن قلاون (٢) بالرغم من ترحيبه بلجؤه في اول الأمر ، وبالرغم من صلات التعاون والخدمات العسكرية التي سبق ان قدمها تيمور تاش للسلطان أبان توليه مسؤولية بلاد الروم ، بالرغم من ذلك فان السلطان لم يتردد حفاظاً على صداقة الاياخان لم يتورع عن الغدر بضيفه متعجباً عليه بحجج افتلمها لتبرير خيانتة لهده ، فساوم أولاً على تسليمه مقابل تسليم عدوه قره سنقر (٣) الذي كان قد احتفى بالاياخان

– تاريخ سلاطين المماليك ص ١٢٨ ، ابن كثير ج ١٤ ص ٢٩ ، وكان غازان قد توفي في ١١ شوال ٧٠٣ هـ .

(١) النويري ج ٣٠ ق ١ الورقة ١٠٥ في حوادث سنة ٧٠٤ هـ ، ابن ابيك ج ٩ ص ١٢٨ . وقد تولى اوجليانو في ٢٣ ذي الحجة ٧٠٣ هـ .

(٢) الناصر محمد بن قلاون تولى السلطنة ثلاث مرات ، وحكم اطول فترة حكمها سلطان مملوكي ، تولاها وهو طفل لا يدرك وتوفي عنها وقد قارب الستين من عمره ، ولم يترك العرش إلا سنوات قليلة كان يخضع فيه من السلطنة .

(٣) قره سنقر احد امراء المماليك كان يتولى النيابة على حلب ثم خاف على نفسه من السلطان فالتجأ الى اوجليانو .

المغولي ، ثم عدل عن ذلك وقرر اعدامه بعد ان احس بخطأ ايفاده حياً الى ابي سعيد
وخطر ذلك على مستقبل العلاقات بينهما فيما لو بقي حياً (١) .

اما بالنسبة لنشاط السياسة الايلخانية في صفوف المماليك فاننا لانكاد نحس به
إلا قليلا إذ لم يفكر أحد من المماليك في اللجوء الى المغول طيلة فترة وثقتهم ،
باستثناء تنقلات شيوخ العشائر الذين كانوا لا يستقرون على ولاء لأحد من
الايلخانات او السلاطين (٢) .

وبدأ لجوء أمراء المماليك الى المغول بعد اشهارهم الاسلام وانتشاره بينهم ،
ولم يكن ذلك لنشاط السياسة المغولية في صفوفهم ، إذ ليس لدينا ما يشير الى وجود
تعاون مسبق بين هؤلاء اللاجئين وبين السياسة الايلخانية قبل ذلك ، كما كان قائماً
بين المغول والسلطان الملوكي .

وتعود اسباب حركة اللجوء بين المماليك بالدرجة الاولى الى حالة الضعف التي
تعرضت لها السلطنة في السنوات العشر الاخيرة من القرن السابع الهجري ، والسنوات
العشر الاولى من القرن الثامن الهجري (٣) ، حيث تفتزع الامراء المتنفذون على

(١) ابو الفداء ج ٤ ص ١٠١ - ١٠٢ ، ابن حجر ج ١ ص ٥١٨ في ترجمة
تيمور تاش . تاريخ سلاطين المماليك ص ١٧٩ .

(٢) وقد مر علينا تقلب هؤلاء الشيوخ في بحث موقف الايلخانية من العشائر
في الباب الثالث وكان منهم شيوخ آل فضل ، نور الدين زامل ، ومهنا بن عيسى
وابنه سليمان وغيرهم .

(٣) بدأت مرحلة الضعف هذه عند وفاة السلطان المنصور قلاوون في ذي القعدة
٦٨٩ هـ وانتهت عند تولي ابنه الناصر محمد السلطنة للمرة الثالثة في جمادى الآخرة -

الحكم فاستهانوا بحياة السلاطين وبتشوا بمعارضتهم من الامراء ليخلصوا من منافستهم للوصول الى السلطة ، الأمر الذي شجع الايلخانيين على معاودة الهجوم في هـ ٥٠٤ الفترة عدة مرات واحتلال الشام .

وبدأت حركة اللجوء بين المماليك في فترة استيلاء السلطان لاجين المنصوري على الحكم ومحاولته تصفية زعماء المماليك الذين يتوقع قيامهم عليه ، فأحس هؤلاء بحقيقة غرضه فأجتمعا الى بعضهم في الشام ولجأوا اولاً الى اطراف الصحراء بالقرب من سلمية انتظاراً لما سيفعله اخوانهم في القاهرة ، ثم عبروا الفرات بعد ذلك الى ماردين وهم الامراء قبيجق وبكتمر والبكي ، الذين استقبلوا من غازان الذي كان يمسك في بغداد في ربيع الآخر ٦٩٨ هـ / ١٢٩٩ م . ويشير ابن ابي الفضائل الى فرحة غازان بلجوئهم انه زوجهم من نساء التتر ، وزوج قبيجق من أخت زروجنه وهو لا يعمل عند التتار إلا مع الأكارب والخانات (١) .

— سنة ٧٠٩ هـ ، وتولى السلطنة خلال هذه الفترة خمسة من السلاطين هم :

- ١ - الأشرف خليل بن قلاوون من ٦٨٩ - ٦٩٣ هـ وقتل بيد الامراء
- ٢ - الناصر محمد - السلطنة الاولى ٦٩٣ - ٦٩٤ هـ خلع عن العرش
- ٣ - كتبغا المنصوري ٦٩٤ - ٦٩٦ هـ خلع عن العرش
- ٤ - لاجين المنصوري ٦٩٦ - ٦٩٨ هـ قتل بيد الامراء
- ٥ - الناصر محمد - السلطنة الثانية ٦٩٨ - ٧٠٨ هـ خلع عن العرش ثانية
- ٦ - بيبرس الجاشنكير ٧٠٨ - ٧٠٩ هـ تنازل ثم قتل
- ٧ - الناصر محمد - السلطنة الثالثة ٧٠٩ - ٧٤١ هـ .

(١) ابو الفداء ج ٤ ص ٣٩ ، ابن ابي الفضائل ج ٢ ص ٤٤٥ ، ابن شاكر

عيون التواريخ - الورقة ١٨٣ - ١٨٥ .

وجاءت حادثة اللجوء الأخيرة في عهد اولجايتو سنة ٧١٢ هـ ، وأسبابها تعود
 ايضاً الى سوء سياسة السلطان المملوكي الناصر محمد الذي أراد تصفية زعماء المماليك
 لكي لا يتلاعبوا به ثانية ، ولم يميز في تصفيته حتى اولئك الذين وقفوا بجانبه
 وقت محنته الأمر الذي اضطر معه الامراء قره سنقر والافرم وبدر الدين الزروكاش
 خوفاً على انفسهم من السلطان ، اضطروا الى الهرب واللجوء ، ومما يلاحظ ان
 هؤلاء الامراء لم يكونوا راغبين في اللجوء أول الامر بالرغم من وسائل الاغراء
 التي عرضها الايلخان عند سماعه بمزمهم على اللجوء والذي كان حريصاً على كسبهم
 الى جانبه ، فأرسل احد نوابه اليهم ومعه نسخة الخمين التي حلفها لهم وفيها مائة عيّن
 بتوفير الامان والاستقرار لهم ، وانه سيقطعهم بغداد وديار بكر وسنجار لو قدموا
 اليه ، وبالرغم من ذلك فإن هؤلاء الامراء احتتموا أولاً بالامير مهنا بن عيسى شيخ
 العرب ورجوه اصلاح حالهم مع السلطان ، فلما فشلوا في ذلك او قدموا حريصهم
 وأولادهم الى السلطان ليكونوا وديمة عنده ، وليذكروه بأنه كان السبب في فراقهم
 له ، وقد استقبل الايلخان اللاجئين واكرمهم واقطعهم مراغة وهمدان وفوضهم
 الاشراف على تدبير مملكته (١) .

ومن هذه الاساليب التهديد بالزحف والدعوة الى استرجاع البلاد ، حيث لجأ
 الفريقان في كثير من الاحيان الى ممارسة الحرب الكلامية وإطلاق التصريحات الطنانة

(١) وصاف م ٤ ص ٥٥٢ - ٥٥٣ ، ابرالفداء ج ٤ ص ٦٦ - ٦٨ ، ابن ابيك

ج ٩ ص ٢٢٦ - ٢٣٤ ، خواندمير م ٣ ج ١ ص ١١١ ، المقرئزي ج ٢ ق ١

ص ١٠٧ - ١١٤ .

وارسال الرسائل التي تحمل النذير بالحرب وإظهار العزم على استرجاع او تحرير البلاد .
ولم يكن الغرض من كل هذه الجمجمة سوى ارباب الفريق الآخر ليرضي بما
تحت يده من البلاد ويكف عن التحرش ومحاولة التوسم على حساب املاكه .
وكانت الشام هي البلاد التي ساوم المغول عليها وهددوا باسترجاعها ، بينما كانت
بغداد هي الامل الذي تاجر به المماليك ، فكأنوا يهددون المغول بتحريره من
سيطرتهم ، ويشيرون عليهم مشاعر المسلمين فيه للخلاص من حكمهم (١) .

ويمكن القول على ضوء الاحداث ان المغول في هذا المجال كانوا فعالين اكثر
منهم قوالين ، على العكس من المماليك الذين لم يحاولوا سوى اطلاق الكلام .
فقد سعى المغول فعلا لاستعادة الشام وقاموا لتحقيق ذلك بعدة محاولات
فشل أغلبها ، ونجح بعضها مؤقتاً ، ولم ياجأوا الى الاسلوب الدعائي إلا في الفترة
التي غلب عليهم فيها الانقسام والضعف ، وذلك عندما قام كيخاتو (٢) سنة ٦٩٢ هـ
بايقاد رسول الى الاشرف خليل ليقول له : « ان الايلخان عزم على اتخاذ مدينة
حلب عاصمة له لانها مما فتحها جده هولوكو ، ثم ليذكره بأنه ان لم يسمع بها فانه
سيزحف لاحتلال بلاد الشام » (٣) وكان غرضه من ذلك إيقاف روح الحماس الديني

(١) واستفاد المماليك في نفس الوقت من هذا الشعار في سياستهم الداخلية ،
حيث ثبتوا به عروشهم وجمعوا مزيداً من الاله واللائق على تحقيقه .

(٢) كيخاتو بن اباقتولى الايلخانية بعد وفاة اخيه ارغون في رجب ٦٩٥ هـ /

١٢٩١ م - ٦٩٤ هـ / ١٢٩٥ م .

(٣) المقرئزي ج ١ ق ٣ ص ٧٨٦ .

Howorth . 3 . P . 363 .

التي سرت بين المسلمين في اعقاب استيلاء الاشرف على قلعة الروم التي سماها قلعة المسلمين تيمناً بهـ هذا النصر ، وانبعث الدعوة من الخليفة والسلطان بالتحريض على الجهاد لاسترجاع بلاد الخلافة .

اما المماليك فكانوا في هذا المجال اكثر ممارسة لهذا الاسلوب من العمل السياسي ان لم يكن لارهاب المغول واصناف عزائمهم ، فلا اقل من تثبيت سلطانهم على الناس بترديده واشغالهم به عن التفكير والتطلع الى شؤون الحكم .

ولقد صدقوا في دعواهم مرة واحدة عندما جهز بيبرس الخليفة العباسي المستنصر بالله ابا القاسم الأسود بجيش لتحرير العراق ، ولكنهم حتى في هذه المرة البتيمة ، لم يوفروا لهذا الجيش اسباب النصر الحقيقية بعد ان احسوا بخطر انتصاره على سلطانهم (١) .

وبعدها اكتفوا بجهاد الكلام ولم يحاولوا معاودة التنفيذ حتى في الفترة التي تدعى فيها الحكم الايلخاني بعد وفاة ابي سعيد واستعداد كثير من اصراء المغول الدخول في طاعتهم .

وبدأ الجهاد الكلامي في عهد بيبرس سنة ٦٦٧ هـ عندما وصلته رسالة الايلخان اباقا يدعوه فيها لصلح يقوم في اساسه على الارهاب والاستسلام فأجاب بيبرس على الرسالة بقوله : « اعلم اني وراه بالمطالبة ، ولا ازال انتزع من يده جميع البلاد التي استحوذ عليها من بلاد الخليفة وسائر اقطار الارض » (٢) .

(١) انظر في هذا ملاحظة الشيبان ج ٢ تاريخ مصر الاسلامية ص ١٧٩-١٨١ .

(٢) اليونيني ج ٢ ص ٤٠٧ ، سرور دولة الظاهر بيبرس ص ٩٦ ، الشيبان

ج ٢ ص ١٨٦ - ١٨٧ .

وتولى الأشرف السلطنة بعد وفاة أبيه قلاوون الذي كان قد توقف عن امضاء
عهده له بالعرش ، فاجأ الى الخليفة العباسي يستمده التأييد والتفويض ، واستغل
الخليفة ذلك للتنفيس عن نفسه وللتعبير عن واجباته أمام الناس في إلقاء خطب الجمعة
بعد ان تكفل له السلطان بالانتقام من التتار والسعي لاسترجاع العراق فكان في خطبة
بحث الناس على الجهاد ويشير حميتهم الدينية لتنفيذ ذلك ، وجاء في احدى خطبه البليغة
قوله (١) : « ولا يقدم علم الجهاد إلا باجتماع كلمة العباد . . . فلو كنتم شاهدتم
اعداء الله واعداء الاسلام حين دخلوا بغداد ، دار السلم وكيف استباحوا الدماء
والاموال ، وكيف قتلوا الرجال والأطفال ... فشمروا عن ساعد الجبد والاجتهاد
في إحياء فرض الجهاد ... فلم تبق معذرة في القعود عن اعداء الدين ... وقد رزقكم
الله سلطاناً لا يدخر عن نصره الدين نفساً ولا مالا ... » .

وبتأثير من هذا الشحن والحث ، اندفع الأشرف على رأس الجيش واستنقذ
قلعة الروم من المغول ، وأرسل يبشر المسلمين « بهذا الفتح الذي ما يكون بعده
إن شاء الله إلا فتح المشرق والروم والعراق » وهو الذي اجاب على رسالة كيخانو في
تسليم حلب بقوله : بأنه قد وافق الايلخان ما كان في نفسه ، فاني كنت على عزم
من أخذ بغداد وقتل رجاله ، فاني ارجو أن أردّها دار اسلام كما كانت ، وسينظر
أينا يسبق الى بلاد صاحبه (٢) .

(١) ابن عبد الظاهر - الاطراف الحفية ج ٣ ص ٦ - ٩ ، ٩ - ١٣ . ابن

كثير ج ١٣ ص ٣٢٢ ، ٣٣٥ .

(٢) ابن الفرات م ٨ ص ١٣٧ - ١٣٨ . المقرئزي ج ١ ق ٣ ص ٧٨٦ .

Howorth . 3 . P . 362 - 363 . D'ohssen . 4 . P . 87 - 89 .

وجاء التلويح الأخير بالتهديد على لسان الناصر محمد الذي كتب الى غازان في اعقاب انتصاره عليه في معركة صرح الصغر سنة ٧٠٢ هـ في رسالة يندد به ويذكره عاقبة الغرور ثم ينصحه في آخرها بالرجوع الى الحق والتمسك بأهداب الدين قائلاً : « وانت تزعم ان الاسلام ممك وبه تدين ، نقف نحن وانت على الكتاب المبين ، ولا نعشوا في الارض مفسدين ، نخرج نحن وانت من بغداد والعراق ونعيدها الى خليفة رسول الله بالاطلاق ونقيم نحن وانت اوامره ... » (١) .

الاسلوب العسكري في العلاقات : - لم يقتصر الصراع السياسي على هذه المفاصل السلمية لتحقيق اهدافه ، وانما كان يتصاعد خلال ذلك ، وفي كثير من الأحيان الى مرحلة المواجهة واستخدام السلاح ، ولكن ذلك لم يكن فجائياً ، وانما كان يتدرج حسب الظروف والعوامل التي تحيط بالفريقين المتنازعين ، ولهذا كذلك من خلال دراستنا لمراحل هذه المواجهة ، اتباع العسكريين عدة وسائل لتحقيق اهدافهم حسب درجة تصاعد الحرب .

أولاً : ومن هذه الوسائل الاغتيالات السياسة باستخدام الفدائية لتحقيق بعض الاغراض السريية التي لا تحتاج الى سوق الجيش ، ويمكن القول ان اتباع هذه الوسيلة كان مقصوراً على المماليك فقط ، اذ استغلوا طائفة الاسماعيلية وعداوتها للتتار فساوموا اتباعهم في القلاع الشامية على التعاون معهم في هذا المجال مقابل احتفاظهم ببعض قلاعهم .

(١) انظر ملحق رسائل غازان الى الناصر ، انظر ايضاً سرور . دولة بني قلاوون

ص ٢٠١ - ٢٠٣ .

وكان الظاهر بيبرس اول من استخدم هذا الاسلوب لاغتيال اعوان المغول بمن وجد في بقائهم خطراً على دولته ، من ذلك ما ورد في رسالته التي أرسلها سنة ٦٧٠ هـ من الشام الى الاسراء في مصر يخبرهم فيها عن اعماله وتقلباتهم بين القلاع والشغور ثم يقول : ان صاحب مرقية الذي أخذنا بلاده توجه الى التتار مستصرخاً ، وسيرنا وراءه فداويه فقتلوه (١) .

واستخدم الناصر محمد هذا السلاح ايضاً للتخلص من خصومه اسراء المماليك الذين كانوا قد لجأوا الى المغول وهم قره سنقر وأصحابه ، وبالرغم من فشل محاولات الفدائيين الذين أرسلهم سنة ٧١٥ هـ وسنة ٧٢٠ هـ (٢) بسبب خيانة بعضهم ، ويقظة قره سنقر ، وبالرغم من ان السلطان لم يقصد من وراء ارسالهم سوى قره سنقر فقط إلا ان ابا سعيد وبقية زعماء المغول اعتقدوا انهم المقصودون بذلك ، فكان خوذتهم الشديد من الاغتيال دافعاً لهم الى الاسراع بعقد الصلح ، وكان اول شروطهم في ذلك الامتناع عن ارسال الفدائيين الى البلاد (٣) .

ثانياً : ومن هذه الوسائل ايضاً ارسال الحملات الصغيرة للقيام بالغارات المحمية

(١) المقرئزي ج ١ ق ٢ ص ٥٩٩ ، وينقل ابن الفرات م ٨ ص ١٥٥ عن مقتل شحنة عانة المدعو حنا في سوق بغداد سنة ٦٩٢ هـ حيث قفز عليه أحد الفداوية فقتله واختفى في خرائب بغداد .

(٢) ابو الفداء ج ٤ ص ٧٩ ، ابن كثير ج ١٤ ص ٧٤ .

(٣) ابو الفداء ج ٤ ص ٩٢ ، المقرئزي ج ١ ق ٢ ص ٢٠٧ ، ٢٠٩ . العيني

الورقة ٢٢٩ - ٢٢٣ في حوادث سنة ٧٢٠ .

على بعض الثغور او القلاع لارهاب العدو او منعه من إجراء التحصينات فيها لأهميتها العسكرية .

وقد أخطأ المغول عندما بدأوا هذه الحملات إثر هزيمتهم في عين جالوت ، متصورين ان الانقسام الذي حدث بين المماليك بعد مقتل قطز ، مشجعاً لهم على غسل عار الهزيمة من ناحية وعلى استعادة هيبتهم في قلوب الناس من ناحية اخرى . ولكن الذي حدث ان المماليك تذبهبوا الى خطر المغول المستمر عليهم ، فتناسوا خلافتهم وأجمعوا أسرمهم على طاعة بيبرس واتخذوا من ثغورهم على حدود المغول معسكرات دائمة يفزون منها عدوهم حتى أوقعوا الرعب فيه ورجحت كفتهم عليه . ففي عهد هولاكو توجهت ثلاث حملات من هذا النوع قام بها امراء المغول المحليون ، كانت الاولى سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦١ م حيث تجمع المغول الذين نجوا من عين جالوت بقيادة بيدرا ، وانضم اليهم مغول حران والجزيرة ، فهاجوا البلاد واستولوا على حلب وحماة ولسكنهم اصطدموا بمقاومة المماليك ومن اجتمع اليهم من امراء الايوبيين عند حمص ، فكانت « كسرة المغول فيها لا تقل عن كسرتهم في عين جالوت » (١) .

وتعاون المغول في الحملة الثانية سنة ٦٦٢ هـ / ١٢٦٤ م مع أتباعهم امراء ارمينيا الصغرى وسلاجقة الروم وبعض العرب من بني كلاب وهاجوا عينتاب ، كما حاصروا

(١) ذيل الروضتين ص ٢١١ ، اليونيني ج ١ ص ٤٣٤ - ٤٣٦ . الذهبي دول الاسلام ج ٢ ص ١٢٧ - ١٢٨ وهو يشير الى غضب هولاكو لهذه الهزيمة وقيامه بقتل الناصر يوسف وأخيه الظاهر غازي .

في محرم ٦٦٣ هـ قلعة البيرة ، ولكن المماليك كانوا يسارعون عند سماعهم بأنباء الاعتداء ، الى ارسال الجيوش لطرد المهاجمين من جهة والقيام بهجمات مقابلة على فلاح المغول فيلحقون بهم الخسائر الكبيرة (١) .

وورث اباقا هذه المداوة ، وكان متفرغاً لها اكثر من أبيه بسبب انتهاء الحرب مع بني عمه مغول القبچاق من ناحية وما وفره ذلك من استقرار نسبي للبلاد في فترة حكمه الطويلة من ناحية اخرى . ويدو انه سعى لاقرار الصلح غير المتكافئ مع المماليك لاستكمال الاستقرار لبلادهم ، فكان رسله يحملون دعوته اليهم بعهد أن يجرحوا من شعور المماليك وينسبونهم الى الرق والغدر ، وكان اصراؤه يغيرون على اطراف الشام كل سنة تقريباً ليؤدبوا من المماليك ويحملونهم على اقرار هذا الصلح المهين ، ولكن النتائج كانت وبالا عليهم .

ففي خلال السنوات العشر الاولى من حكمه لم تنقطع هجمات المغول بأنفسهم مرات ، وبلاستمانه بأعوانهم من جيوش الأرمن والروم وفرنج الساحل مرات اخرى لم تنقطع عن الاغارة على جميع الشغور المواجهة لهم ، بل وصلت بعضها الى حلب . فقد تعرضت البيرة مثلاً خلال هذه الفترة لهجماتهم اربع مرات ، وتعرضت الرحبة مرتين وحلب مرتين ايضاً والساجور وعيقتاب ، والعمق ، وحارم مره واحدة (٢) .

(١) اليونيني ج ٢ ص ٣١٨ ، المقرئزي ج ١ ق ٢ ص ٥٢٣ ، ابن بهادر

Howorth . 3 . P . 205

المؤمني - فتوح النصر الورقة ١٠٦ .

(٢) تعرضت البيرة لهجماتهم في سنوات ٦٦٥ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٦٧٤ هـ . والرحبة

في سنوات ٦٦٥ ، ٦٧١ هـ . وحلب في سنوات ٦٦٦ ، ٦٧٠ هـ . والساجور سنة -

وعزم ابا قاسم سنة ٦٧٢ هـ على قيادة الزحف بنفسه لغرض صلحه على المماليك بعد أن رفضوا دعوته الثالثة ، فقدم بغداد وأرسل طلابه الى ضفاف الفرات ، ولكنه نكص على عقبيه عندما توهم ان السلطان بيبرس ينتظره على الحدود (١) ، ثم اضطر الى الخروج بنفسه الى بلاد الروم سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م للملاحقة السلطان الذي انزل بجبوشه هزيمة ساحقة في الابلاستين ، ولكن امراء المغول بعد وصولهم ميدان المعركة عدلوا به عن الملاحقة خوفاً من تغير المناخ عليه ، وأقنعوه بتأجيل ذلك لوقت آخر ، على انهم تشجعوا بما أصاب المماليك من انقسام بعد وفاة بيبرس واستيلاء قلاوون على السلطة فهاجت كتابتهم حلب وحماة سنة ٦٧٩ هـ / ١٢٨٠ م لمعرفة تأثير هذا الانقسام على قوتهم كقائمة لحملة كبيرة كان الايلخان يستمد لها (٢) .

وتوقف النشاط العسكري للمغول تقريباً في الفترة التي اعقبت وفاة ابا قاسم سنة ٦٨٠ هـ / ١٢٨١ م وحتى تولي غازان سنة ٦٩٤ هـ / ١٢٩٥ م وذلك بسبب اسلام الايلخان تكودار ودعوته الحقيقية للصلاح ، وما أعقب ذلك من مقتله وتنازع امراء

٦٦٨ هـ ، وعينتاب والعميق وحارم سنة ٦٧٠ هـ . انظر في ذلك اليونيني ج ٢ ص ٣٦١ ، ٤٥٧ ، ٤٦٧ ، ابو الفداء ج ٤ ص ٧ ، ابو المحاسن - النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٥٨ ، الذهبي - دول الاسلام ج ٢ ص ١٣٥ ، المقرئ ج ١ ق ٢ ص ٥٥٨ ، ٥٦٤ ، ٥٨٥ ، ٦٠٠ ، ٦٠٦ ، وصيف شاه . الورقة ٦٩ .

(١) ابن الفرات م ٧ ص ٦ ، المقرئ ج ١ ق ٢ ص ٦١٠ - ٦١١ .

Howorth . 3 . P . 245 .

(٢) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ٦٣ ، الذهبي ج ٢ دول الاسلام ص ١٤٠ .

Howorth . 3 P . 257 - 258 .

الاسرة وزعماء المغول على السلطة ، ففي خلال هذه الفترة الطويلة لم تتعرض حدود المماليك إلا لغارة بسيطة قامت بها بعض كتائبهم على اطراف الرحبة سنة ٦٩١ هـ (١). اما غازان فقد قضى نصف أيامه في تصفية الانقسامات التي كانت قد أضعفت المغول ، بينما قضى النصف الآخر من حكمه يستعد لتجنيد الجيوش وقيادة الحملات لاختضاع المماليك مما سوف نبحثه فيما بعد .

وعندما تولى اولجايتو ، مال الى السلم ودعا اليه ، ولكنه لم يسمع لتحقيقه السعي المشكور ، فبقي النزاع معلقاً ، وبقيت ثغور البلاد متوترة الأعصاب متفتحة الأعين حتى انتهى من بعض مشاكله الداخلية ، حينئذ استجاب لاغراء فرسان العرب (٢) الناقلين على المماليك والذين شجعوه على استغلال التفكك السياسي لهم وعوده بالنصر ، فغامر نائبه سوناي ببعض الجيوش وهاجم بعض الثغور مثل حصن منصور وبهسنا وكركر وقلعة الروم في سنة ٧٠٨ هـ (٣) .

وتعلق اولجايتو بعد فشله في الحملة التي قادها بنفسه على الرحبة ، تعلق بوعود بعض المغامرين من فرسان العرب (٤) ، فكان يشجعهم على اعمال الغزو ويمدهم

(١) ابن الفرات م ٨ ص ١٣٥ ، المقرئزي ج ١ ق ٣ ص ٧٧٧ .

(٢) وهو الفارس احمد بن عمرة من ابطال العرب المشهورين وقد مر الحديث عنه عند بحث القبائل .

(٣) الدواداري م ٩ زبدة الفكرة . الورقة ٤٦٤ ، المقرئزي ج ٢ ق ١

ص ٤٢ . ابن اياس . وقائع الدهور ج ١ ص ١٤٧ - ١٤٨ .

(٤) من هؤلاء ايضاً الأمير حميضة بن ابي نبي امير مكة الذي كان قد لجأ اليه

ووعده بالخطبة له في الحجاز .

بالأموال والرجال لتحقيق ما عجز عنه من نصر ، من ذلك تشجيعه لسليمان بن مهنا سنة ٧١٥ هـ حيث أمده بجماعة من التتر الذين هاجوا اطراف تدمر ووصلوا حتى البيضا ، وفي سنة ٧١٦ هـ أوفد جماعة آخرين هاجوا اطراف حلب وقلعة الكيخنتا (١) وبوفاة الجايغو انتهت الاعمال العسكرية التي كانت تعكر العلاقات بين المغول والمماليك وانفتح الباب واسماً أمام مساعي الصالح وتحقيقه بين البلدين ، ذلك ان المسؤولين عن توجيه الايلخان الصغير أمسوا بحراجه ووقفهم أمام انقسام أمراء المغول وأطماهم في السلطة من ناحية ، وعجزهم عن مواجهة قوة المماليك المتنامية بفضل استقرار الناصر محمد في السلطنة من ناحية اخرى ، فركنوا للسلم الذي تحقق للبلدين بعد ذلك بفترة قصيرة وحقق لهما الأمن والاستقرار .

ثالثاً : وكان من هذه الوسائل ايضاً الحملات العسكرية الكبيرة وقيادة الايلخانات لها أملا في تحقيق انتصارات كاملة ، وذلك كلما أنسوا من المماليك ضعفاً وانقساماً ويمكن القول أن جميع هذه الحملات التي قادها الايلخانات على المماليك كانت بتشجيع من أمراء المماليك أنفسهم الذين انقسموا على أنفسهم فدعوا المغول ، أو لجأوا اليهم وشجعوهم على غزو بلادهم ، من ذلك أن اباقا لم يجرأ على مهاجمة الشام بنفسه إلا بعد أن دعاه الأمير سنقر الأشقر الذي كان قد تمرد على طاعة قلاوون واعتصم ببعض القلاع بالشام ، دعاه الى مهاجمة البلاد ووعده بالمساعدة على ذلك ، وعزز من هذه الدعوة ، دعوة الامير عيسى بن مهنا شيخ العرب الذي كان قد تحالف مع سنقر

(١) ابو الفداء ج ٤ ص ٨٠ ، الزيري ج ٣٠ ق ٢ الورقة ٣١٨ في حوادث

سنة ٧١٥ هـ . ابن ابي الفضائل ج ٣ ص ٧٦٠ ، المقرئ ج ٢ ق ١ ص ١٦٢ .

الاشقر بذلك ، فقصور ابانا نتيجة لذلك ان الفرصة قد حانت للاستيلاء على الشام
فقاد بنفسه الجيش نحو الرحبة ، في الوقت الذي تولى أخوه قيادة جيش آخر ، ضم
بالإضافة الى المغول ضم جيوش ارمينيا وجورجيا وتوغل به داخل البلاد حيث اصطدم
به السلطان قلاون عند حمص في جمادى الآخرة ٦٨٠ هـ / ١٢٨١ م وألحق به هزيمة
منكرة فقد فيها معظم جيشه وفر جريحاً الى أخيه الايلخان الذي أنهى حصار الرحبة
وعاد الى البلاد وقد أكل الغيظ قلبه فلم يمش بعدها إلا اشهرأ معدودات (١) .

اما غازان ، فقد شجعتة عدة عوامل على محاولة الاستيلاء على الشام أهمها
لجوء أمراء المماليك اليه وعلى رأسهم الامير قبچق الذي كشف له عن حالة الضعف التي
تسود البلاد بسبب استيلاء الامراء على السلطنة وتنازعهم عليها ، وشجعه على استغلال
هذه الاوضاع ووعدته بسهولة انهيار المقاومة أمامه (٢) .

ومن المحتمل ان غازان قبل زحفه على الشام في ربيع ٦٩٩ هـ ١٣٠٠ م أرسل
رسولا الى المماليك يدعوهم الى الدخول في طاعته والخطبة له ، فان « ابن القوطي »
يشير الى أن غازان أرسل سنة ٦٩٨ هـ رسولا الى الشام هو نصير الدين محمد بن
صدر الدين التبريزي (٣) .

(١) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ٨٢ - ٨٤ ، ابن العبري ص ٢٨٨ - ٢٨٩ ،
ابو الفداء ج ٤ ص ٤ ص ١٥ - ١٦ ، ابو المحاسن - مورد اللطافة ص ٤٢ - ٤٣ .

Lane - Poole . Hist . opciy . P . 279 - 280 .

(٢) ابو الفداء ج ٤ ص ٣٧ ، علي ابراهيم - دراسات في تاريخ المماليك البحرية
ص ١٤٨ - ١٤٩ . سرور . دولة بني قلاون ص ١٧٦ .

Lane Poole . Hist . opciy . P . ٤95 .

(٣) تلخيص مجمع الآداب ج ٤ ق ١ ص ١٤١ .

وأصابت مشورة قبيجق لغازان مقتلاً من المماليك الذين كان الانقسام والتردد واضحاً على تجمعهم الذي وصل متمباً « بجمع المروح » في وادي الخازندار بين حمص وسلاجية فلم يستطع الاشتباك مع المغول في يوم ٢٧ ربيع الاول اكثر من جولة واحدة تفرق بعدها هارباً وفي مقدمته السلطان الصغير الناصر محمد تاركاً الشام لغازان (١) .

ويبدو ان الايلخان لم تكن لديه خطة عمل واضحة لما بعد الانتصار مما يدل على ان الهدف من حملته لم يكن الاستيلاء والاستقرار ، بل مجرد تأديب المماليك وإيقاف اعتداءاتهم ، يؤيد هذا أن فترة الاحتلال المغولي لم تطل اكثر من مائة يوم مكث غازان منها شهراً في الشام الى ان انتهى من جمع أموال الناس (٢) ثم غادرها الى بلاده في ١٢ جمادى الاولى بعد أن أناط مسؤولية الحكم فيها الى الامير قبيجق نيابة عنه (٣) ، وعين لمساعدته بقية امراء المماليك الذين لجأوا معه الى المغول .

وبالرغم من اعلانه بقاء جيشه في الشام يقوده نائبه قطلوشاه وبولاي نويان ، وانه سيعود في الخريف القادم ، إلا ان هذا الجيش بدأ في العودة بعد عودة الايلخان

(١) ابو الفداء ج ٤ ص ٤٤ - ٤٥ ، ابن ابيك ج ٩ ص ١٥ - ١٧ ، الدواداري

م ٩ الورقة ٣٥٦ ، ميرخوند ج ٥ ص ١٣٧ . ابو المحاسن - النجوم ص ١٢١ - ١٢٢ .

(٢) ابن ابي الفضائل ج ٢ ص ٤٩٦ وهو ينقل عن علم الدين البرزالي ان المبلغ

الذي حمل حُرَازة الايلخان كان ثلاثة ملايين وستائة الف درهم سوى ما لحق ذلك من الرشاوي والبواطيل وما استخرج للأمراء والوزراء .

(٣) انظر مرسوم تولية قبيجق - تاريخ سلاطين المماليك ص ٦٦ - ٦٨ . انظر

ايضاً ملحق رسائل غازان - الناصر .

مباشرة ، بعد أن جمع لنفسه أموالاً أخرى ، فقد غادر قتلوشاه البلاد بعد أقل من اسبوعين من عودة سيده ، بينما لم يمكث بولاي نويان بعد ذلك أكثر من شهر آخر (١) .

وأرى ان عودة هذه الجيوش بهذا التدرج لم تكن عقوبة ، وإنما باتفاق مسبق مع الايلخان ، علماً بأنها لم تتعرض لأي مقاومة او اعتداء من بقايا جيوش المماليك او من الأهالي ، بالإضافة الى ذلك فان الرسالة التي أرسلها الايلخان الى السلطان كانت تحمل دعوة الى السلام .

وقهرت الظروف الطبيعية حملة غازان الثامنة التي زحف بها في الجمادين من سنة ٧٠٠هـ / ١٣٠١ م حتى وصل اطراف حلب ثم توزعت بين سرمين وانطاكيا وقرون حماة والمرة ، لكنه لم يستطع التوغل في الداخل بسبب الامطار والثلوج والمواصف التي صادف وقوعها في هذه الفترة ، والتي أدت الى إتلاف حيواناته وإهلاك رجاله فعاد الى بلاده وهو يظن أن غضب الله سبحانه وتعالى قد حل عليه (٢) .

ودارت الدائرة على جيوشه في حملته الثالثة التي قادها بعد أن يئس من مطاوعة المماليك له ودخولهم معه في صلح تكون يده فيه هي العليا ، فقد تقدم بعد حجزه رسل المماليك تقدم على ضفاف الفرات حتى حاصر الرحبة ، بينما أرسل الشطر الأكبر

(١) ابن ابيك ج ٩ ص ٣١ - ٣٧ ، ابن حجر ج ٣ ص ٢٤١ - ٢٤٣ ،

ميرخونند ج ٥ ص ١٣٨ .

(٢) وصاف م ٤ ص ٢٩٦ ، أبو الفداء ج ٤ ص ٤٧ ، ابن ابيك ج ٩ ص ٤٥

- ٤٦ ، المقرئ ج ١ ق ٣ ص ٩٠٦ ، ابن شاكر - عيون التواريخ - الورقة

٢٠٦ - ٢٠٧ .

من جيوشه بقيادة نائبه قطلوشاه الذي توغل في داخل البلاد حيث اصطدم بالمماليك في مرج الصفر قرب حماة في اول رمضان ٥٧٠٢ هـ / ١٣٠٣ م ، ولقي على أيديهم هزيمة منكرة ، حتى أن الذين نجوا من المعركة لقوا نهايتهم غرقاً في نهر الفرات او ضياعاً في أودية الصحراء ، فلم يتحمل غازان سماع انبائها حتى غادر الحياة بعدها بقليل (١) .

وانزاق اولجايتو بعود الامراء اللاجئين اليه من المماليك الذين أغروه ببني قومهم وتمهدوا له بأخذ البلاد بغير قتال ، فزحف بعودهم نحو الرحبة اولاً لتكون قاعدة لأعماله العسكرية بعد أن أخبره الامراء اللاجئون ان صاحبها هو أحد عتقائهم وانه سوف يسلم لهم مفاتيحها عند وصولهم ، لكن حصاره لها طال شهراً عندما امتنعت صاحبها عن خيانة سيده السلطان ، وعجزت مجانبق الاياخان عن هدم معنويات المحصورين الذين استطاعوا بالهدايا وحسن التصرف ، التأثير على حاشية الاياخان ليقبل منهم طاعة شكائية كانت كافية للاياخان لكي يهرب بجيشه من حصار الجوع وقسوة المناخ الذي كان ينتظره في هذا المكان الصحراوي الفقير ، فترك أنقاله في ٢٣ رمضان ٧١٢ هـ وقفل عائداً الى بلاده فكان آخر اياخان يزحف نحو الشام (٢) .

(١) وصاف م ٤ ص ٤٠٩ ، ٤١١ . ابو الفداء ج ٤ ص ٤٩ - ٥١ ، ابن ابيك ج ٩ ص ٨٤ - ٨٨ ، الدواداري م ٩ الورقة ٤٢٠ - ٤٢٧ ، المقرئبي ج ١ ق ٣ ص ٩٣٠ - ٩٣٨ .

Howorth . 3 . P . 465 - 467 . ' 469 - 475 .

(٢) ابو الفداء ج ٤ ص ٧٢ ، ابرو ص ٥٤ ، انظر ايضاً حاشيته المنقولة عن تاريخ مفصل ايران لعباس اقبال ج ١ ص ٣٢٠ - ٣٢١ . ابن ابيك ج ٩ ص ٢٤٥ ، ابن ابي الفضائل ج ٣ ص ٧٢٨ .

أما بالنسبة للمماليك ، فقد أشرت الى ان كفتهم كانت راجعة في هـ هذه العمليات العسكرية بالرغم من إيقاع المغول الخراب في المدن والاطراف الشامية التي وصلوا اليها ، ذلك ان المماليك كانوا يستمدون في عملياتهم العسكرية على جهاز من الاستخبارات المنتشرة في جميع البلاد الاسلامية التي تخضع للحكم المغولي ، وخاصة المجاورة منها لحدودهم مثل عانة وسنجار وغيرها ، بحكم تعاطف الرأي العام الاسلامي مع المماليك ، وحتى عواصم الايلخانيين لم تكن تخلو من عيونهم ، يشير الى ذلك ماورد في جواب الناصر محمد على رسالة غازان قوله : « ولم يعلم أنه لو تقاب في مضجعه من جانب الى جانب ، او خرج من منزله راجلا او راكباً ، كان عندنا علم من ذلك في الوقت القريب » (١) .

لذلك كان المماليك على بينة من اكثر تحركات الجيوش المغولية المتوجهة نحو بلادهم ، فكانوا يستمدون لها قبل وصولها ويلحقون بها الخسائر الكبيرة ، وكانوا من ناحيتهم ، يوالون الأطراف المغولية بالهجمات المستمرة ويتوغلون في اعماق البلاد حتى أصبحت ، كما ذكر الناصر في جوابه لغازان قوله : « أصبحت بلادكم لغارتنا مُقام ، ولجيوشنا قرار » (٢) .

(١) انظر ملحق رسائل غازان - الناصر . انظر أيضاً ما أورده العيني - الورقة ٣٥٩ - ٣٦١ في حوادث سنة ٧٢٣ هـ عندما حاول السلطان المملوكي ارسال فدائي مع وكيله التاجر مجد الدين السلامي ، وامتناع السلامي عن أخذه ، فأمره السلطان أن يوصله فقط الى فلان المقيم بتبريز ، وكان مباطناً للسلطان لكي يزود القصاد باخبار البلاط الايلخاني .

(٢) نفس الملحق السابق .

لكن المماليك لم يكونوا قادرين على فعل ما يفعله المغول ببلادهم من تخريب وقتل بالجملة ، بل كانوا يتلقطون المغول فقط ومن يشايمهم من اهل البلاد وخاصة النصارى ، حتى أصبحت المدن المسيحية في ارمينيا الصغرى وملاطيا وانطاكيا المنتشرة في شمال الشام هدفاً مستمراً لغزوات المماليك السنوية ، حتى اضطرت مملكة ارمينيا الى الاعتراف بسيادة السلطان المملوكي عليها في كثير من السنين بالاضافة الى ولائها للمغول .

وامتدت هجمات المماليك في فترة الانقسام المغولي في أعقاب وفاة اباقا حتى بلغت الموصل وإربل ، فكانوا يختصون النصارى في أغلب الأحيان بهجماتهم ، فيقتلون رجالهم ويستحيون نساءهم ويعودون محملين بالغنائم والسبايا (١) .

وامتدت هجماتهم من ناحية اخرى حتى وصلت أطراف الأنبار (٢) على الفرات كما حدث ذلك سنة ٦٧٢ هـ عندما أزمع اباقا على الزحف نحو الشام .

واستطاع المماليك خلال هـ- هذا الصراع الطويل انتزاع بعض القلاع التي كان المغول قد استولوا عليها فيما مضى ، من ذلك قلاع قطيبيا والكيختا التي استرجعها المنصور قلاوون في ربيع ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م وحوّلها الى حصون قوية لحماية الحدود

(١) ابن عبد الظاهر - تشرين الأيام والعصور ص ١٣٤ - ١٣٦ . الحوادث الجامعة ص ٤٤٧ ، تاريخ نصارى العراق ص ١١٢ .

Howorth . 3 . P . 317 - 318 . ' 327 .

(٢) إحدى عواصم العباسيين الاولى قبل بغداد ولا تبعد آثارها الآن عن بغداد اكثر من خمسين كم .

بعد أن شجعنها بالرجال والصلاح (١) .

ولا يجب أن نغفل في هذا المجال أخيراً أهمية موالاة المشائير للسياسة المملوكية ودورهم في حماية القصاد ، ونقل الاخبار ومهاجمة مؤخره العدو مما كان له اكبر الأثر في انجاح سياستهم وترجيح كفتهم ، مما دفع المغول الى تكرار عرضهم الصالح على المماليك للاحتفاظ بما في أيديهم من البلاد .

محاولات الصلح : وبدأت المساعي له منذ عهد اباقا الذي كان قد ورث عن

ابيه تركة مثقلة من الحروب مع البلاد المجاورة ، فبالإضافة الى حروبه مع المماليك كانت المعارك تذكظه مع بني عمه مغول القبچاق ، فضلاً عن أن حدوده الشرقية التي كان يتولى شؤونها في حياة ابيه فقد تركها مضطربة أمام اطماع بني عمه مغول ماوراء النهر . لذلك سعى اباقا بعد توليه العرش ، سعى لاستمالة المماليك ودعوتهم للصلح لكي يأمن جانبهم من ناحية ويضعف من تعاونهم السياسي الذي كان قد بدأ بينهم وبين مغول القبچاق قبل أن يتحول الى تعاون عسكري عليه ، فأسرع بعد جلوسه الى ارسال الرسل الى السلطان المملوكي يحملون اليه الهدايا ويدعونه للصلح (٢) . وكرر اباقا الدعوة ثانية وثالثة ، لكنه لم يلق استؤاله جواباً (٣) .

(١) ابن عبدالظاهر . تشريف الايام والعصور ص ٢٧ - ٣٠ ، المقرئزي ج ١

ق ٢ ص ٧١٤ - ٧١٦ .

Howorth . 3 . P . 310 . D'uhson . 3 . P . 615 - 616 .

(٢) المقرئزي ج ١ ق ٢ ص ٥٥٣ ، سعيد عاشور - العصر المماليكي ص ٤٣ .

(٣) كانت الثانية سنة ٦٦٧ هـ ، انظر اليونيني ج ٢ ص ٤٠٧ ، سرور . دولة

الظاهر بيوس ص ٩٦ ، وكانت الثالثة سنة ٦٧٠ - ٦٧١ هـ ، المقرئزي ج ١ ق ٢

ص ٦٠١ ، ٦٠٤ ، المقرئ الفيومي - الورقة ١٣٨ .

وليس من شك ، بأن الصلح كان مفيداً للسلطان المملوكي الذي سيتفرغ بعده لمواجهة الجبهة الثانية التي كانت لا تزال تمشش في بلاده ، اعني بها العدو الصليبي المتمثل ببقايا امارات الساحل ، بالإضافة الى خطر ارمينيا الصغرى التي كانت ردهاً للمغول وحلقة الوصل بينهم وبين الصليبيين ، ولكن بيبرس لم يفعل ، لأن الشروط التي عرضها المغول كما يبدو لم تكن واضحة او مطمئنة للسلطان بالرغم من ان اليوناني (١) نقل لنا جانباً مما دار في آخر هذه المفاوضات قول رسول الايلخان « وأقرب ما في هذا ان يبقى كل واحد منا على ما في يده » .

وكذلك كان من اسباب الرفض ايضاً ان عقلية الحاكم المغولي ونظراته للسلطان المملوكي كانت عقلية متعجرفة متمالية ، إذ ان الايلخان بالرغم من كونه صاحب الدعوة ، وصاحب الحاجة في تحقيقتها ، تصور انه يمن على المماليك ، فكان في موقفه أقرب ما يكون الى فرض الشروط وليس عرضها ، بالإضافة الى محاولته الجريح من مكائهم .

وجاءت المحاولات الحقيقية للصلح من جانب احمد تكودار الذي كانت تدفعه الى ذلك بالإضافة الى تأمين الاستقرار والرخاء ، وبإينشأ عن ذلك ايضاً من تفرغه لمطاردة خصومه من بني أبيه الذين نافسوه على العرش ، يدفعه الى ذلك ايضاً اسلامه الذي اهتدى بهديه ، ورغب في العمل على اقامة منارة .

وتمطينا الرسائل المتبادلة بين الايلخان والسلطان (٢) صورة لروح الاسلام التي

(١) ذيل مرآة الزمان ج ٢ ص ٤٧١ .

(٢) انظر ملحق رسائل تكودار وقلاون ، وقد حمل رسالة الايلخان الاولى -

كانت تطل على احاديث الجانبين في الدعوة الى المحبة والاخوة ، لكن تخوف أمراء المغول من قيام هذا الصلح وما ينشأ عن ذلك من سيادة احكام الاسلام وتعاليمه التي سوف تحرمهم من كثير من الامتيازات ، دفعهم الى التحالف عليه واتخاذ ابن اخيه ارغون الذي كان يزاحمه على العرش ، اتخاذه ستاراً للقضاء على الايلخان والتخلص من دعوته فكان أول ايلخان مغولي سقط شهيد اسلامه ، كما كان ذلك قاضياً على فكرة الصلح .

وجاءت الدعوة الثالثة على لسان غازان الذي لم يمنعه اسلامه من المبادرة بالمداورة والحرب أولاً ، ثم يمد احساسه بالعجز عن تحقيق الغلبة ، فتح باب المفاوضات للصلح والدعوة الى حقن الدماء ، ولم تخل رسالته التي حملها رسوله الى القاهرة في ذي الحجة ٧٠٠ هـ ، من شيء من الغرور والتعالي مما لا يتفق وتواضع المسلم ، فكان جواب الناصر اليه من نفس نوعه ، الأمر الذي اغضب غازان وجعله يحتجز الرسل الذين

— المؤرخة في اواسط جمادى الاولى ٦٨١ هـ وفد مكون من قطب الدين الشيرازي والأتابك بهاء الدين ، وشمس الدين بن صاحب ، وحمل نفس الوفد جواب قلاون الذي كتب في شهر رمضان ٦٨١ هـ على الاكثر ، وحمل رسالة الايلخان الثانية وفد مكون من الشيخ عبدالرحمن وابن صاحب وصمداغو وكانت مؤرخة اواسط ربيع الاول ٦٨٢ هـ انظر في ذلك تشريف الايام والعصور ص ٦ - ١٠ ، ١٠ - ١٦ ، ٦٩ - ٧١ . وقد سبق أن أشرت الى محاولة ابن عبد الظاهر التشكيك في ديانة الشيخ عبدالرحمن وبالتالي في اسلام الايلخان ، وان ما يتظاهر به من تقوى ليس إلا خديعة لكي يأمن الايلخان جانب السلطان ، فيتفرغ بذلك للقضاء على بني اخيه ، انظر تشريف الايام ص ٤٨ .

حملوا اليه الجواب لكي يباشر بالعدوان ثانية (١) .

وكان اول عمل قام به اولجايتو ، فتحه باب المودة مع السلطان ، حيث اطلق سراح رسله المحتجزين ، وأوفد مهمم رسلا من عنده هما علاء الدين علي والقاضي صدر الدين سليمان الدين وصلوا في ذي القعدة ٧٠٤ هـ يحملون دعوته التي يخاطب فيها السلطان بالأخوة ويدعوه الى عقد الصلح لمدة خمسين عاماً ، ولا يرضى بأقل من عشرة سنوات لكي تعمم البلاد ، ولكن الاتفاق مع ذلك لم يتم بالرغم من استمرار المراسلة بينهما (٢) لكن الهدوء والاستقرار ساد حدود البلدين حتى كانت حادثة لجوء امراء المماليك الى الابلخان فاشتعلت نار الحرب ثانية .

وفرض الصلح نفسه على الجانبين في عهد أبي سعيد الذي لم يكن قد جاوز سن البلوغ عند توليه العرش ، فتاب عنه في الحكم وصيه چوبان متعاوناً مع الوزير عايشاه ولذلك فقد تغيرت كلياً سياسة المغول نحو المماليك ، فبالرغم من ان ابا سعيد لم يكن يفقه شيئاً في امور السياسة ، فانه ايضاً ، نشأ منذ ولادته في بيئة اسلامية ،

(١) انظر ملحق رسائل غازان - الناصر . وقد حمل رسالة غازان وفد مكون من قاضي الموصل كمال الدين موسى بن محمد الشافعي ، ونصير الدين التبريزي ، وثالث تركي . ويشير وصاف م ٤ ص ٣٩٧ الى اشتراط غازان اقامة الخطبة له ، وتقديم الحراج السنوي ، بينما لا نجد اشارة الى ذلك في نص الرسالة ، ولا في جواب السلطان المملوكي ، وحمل جواب الناصر وفد مكون من ازدمر الجبيري والقاضي ابن السكري .

(٢) ابن ابيك ج ٩ ص ١٢٧ ، ١٣٠ ، ابن ابي الفضائل ج ٣ ص ٦١٠ - ٦١١ ، النويري ج ٣٠ ق ١ الورقة ١٠٥ ، العيني الورقة ٣٣٥ ،

Howorth . 3 . P . 537 .

فلم يرث في تكوينه العقلي من أخلاق المغول عقدة السيطرة والانفة التي كانت قوية في عمه غازان ، والتي كانت تجدد في اشغال الحرب والاستهانة بأرواح الخلق سبيلا للتعبير عن سلطانها .

وكان چوبان مغولياً ، ولكنه كان مسلماً حسن الاسلام ، فضلاً عن انه سبق ان تلوع وقاسى الكثير من الحروب مع المماليك حتى انه ضرب بالعصا مرة من قبل غازان بسبب ذلك فلم يكن له مصلحة في ايقاد نار الحرب معهم ، بالاضافة الى ان الحرب ان تزيد من مجده وقد بلغ قمته .

وأهم من هذا ، ان الحكم الايلخاني الجديد ، كان في حالة من التفكك والانقسام بين امراءه بحيث لا يستطيع مواجهة المماليك عسكرياً ، فضلاً عن عودة أطماع مغول ما وراء النهر ومغول القبچاق في البلاد بسبب ضعف الايلخان (١) .

لذلك كان چوبان أول من سعى لعقد الصلح ، وبفضل مساعيه تمحق ، اشار الى ذلك ابن ابيك بقوله (٢) : « وكان سبب هذا الصلح المبارك چوبان فانه كان مسلماً صحيحاً » على اننا لا يجب أن نغفل دور الوزير عليشاه في ذلك ايضاً .

وبدأت اولى مساعي الصلح في سنة ٧١٧ هـ / ١٣١٧م أي بعد جلوس ابي سعيد مباشرة ، حيث أرسل مجد الدين اسماعيل السلامي (٣) رسالة يخبر فيها السلطان برغبة ابي سعيد وچوبان والوزير رشيد الدين وعليشاه بعقد الصلح ، وأرسل كذلك

(١) اشار الى هذا المعنى ايضاً علي ابراهيم - مصر في العصور الوسطى ص ٢٨٥ .

(٢) كنز الدرر ج ٩ ص ٣١٢ .

(٣) التاجر السفار كانت اكثر اقامته في عاصمة الايلخانيين وكان اشبه بالمثل

التجاري للسلطان .

هدية من جهة رشيد الدين (١) .

وتوقفت المراسلات قليلا حتى سنة ٧٢٠ هـ بسبب الضائقة الاقتصادية الشديدة التي أصابت البلاد ، ثم اشتدت بعدها الدعوة الى الصلح حتى اصبح الرسل يتنقلون بين البلدين اكثر من مرة في السنة الواحدة (٢) .

وتنوعت خلال انتقال هؤلاء الدعاة ، تنوعت مطالب الابلخانيين من المماليك بالاضافة الى تأكيدهم على الدعوة الأساسية ، فقد طلبوا مرة ارسال سنجق سلطاني ليستظل به موكب الحج العراقي ، واتمسوا ثانياة ارسال ملاكين من الديار المصرية ثم كان من هذه المطالب ايضاً الرغبة في اصهار الابلخان وتزوجه من ابنة السلطان ، وفي خلال ذلك كانت الهدايا الكثيرة تنقل مع غدو الرسل ورواحها الأمر الذي ساعد على توثيق او اصر المحبة بين الطرفين وإضفاف عوامل التفرقة والجفاء بينهما (٣) .

ومن العوامل الاخرى التي دفعت المغول الى التمجيل بمقد الصلح خوفهم من اءمال الفدائيين الذين كان السلطان يرسلهم باستمرار لاغتيال خصومه من امراء المماليك ، إذ اعتقد ابو سعيد وغيره من زعماء المغول انهم المقصودون بذلك ، وكان من جملة ما اشترطوه من الشروط ، ايقاف ارسالهم .

(١) المقرئزي ج ٢ ق ١ ص ١٧٥ .

(٢) احصى ابو الفداء هذه المراسلات في ج ٤ ص ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ .

Howorth . 3 . P . 601 .

(٣) ابن ابيك ج ٩ ص ٣٠٨ ، الزويري ج ٣١ ق ١ الورقة ٣ ب في حوادث

سنة ٧٢١ هـ ، العيني الورقة ٢١٠ - ٢١٩ في حوادث سنة ٧٢٠ ، ٧٢٢ هـ ، المقرئزي

ج ٢ ق ١ ص ٢٠٩ ، ٢٢٧ .

اما بالنسبة لسياسة المملوكية فقد كان الصالح مفيداً لهم ايضاً ، فبالاضافة الى تأمين الاستقرار للبلاد الذي بدوره يوفر الرخاء الاقتصادي ويؤدي الى اعمار البلاد ، فان شعار تحرير العراق وإعادة الخلافة الى دار السلام ، قد ضعف تأثيره على الناس بعد اعتناق المغول الاسلام وتلفظهم بالشهادتين ، فام يعد ممكناً تحريك الجماهير باسمه ودفعهم الى بذل الاموال او التطوع لتحقيقه . بالاضافة الى ان وقوع الصلح قد يفيد في تحقيق بعض الأغراض السياسية وللشخصية لسلطنة في السيطرة دلي العشاير التي كانت تجد في اختلاف السياستين رحمة لها .

وتحقق الصلح في عام ٥٧٠٣ / ١٣٢٣م بعد أن تمهدت قواعده وشروطه خلال هذه الاتصالات التي استغرقت اكثر من ثلاث سنوات ، ففي محرم ٥٧٢٣ توجه رسول السلطان وهو الامير ايتمش المجهري الى تبريز ليستمع الى قسم الاياخان ونائبه ووزيره على الشروط التي اتفق عليها ، وانكي يحمل نسخة من هذا القسم الى سيده . كما وصل بعد عودة ايتمش الى القاهرة ؛ وصول رسول ابي سعيد في جمادى الآخرة لكي يستحلف السلطان على الصالح وشروطه ، والذي اصبح نافذاً بعد توقيعه من قبل الفريقين ، والذي كانت مدته عشر سنوات وعشرة ايام (١) .

وتحققت أغراض السلطان في هذا الصلح ، حيث تقرر توحيد سياسة البلدين نحو العشاير التي اضطر شيوخها بعد ذلك الى الدخول في طاعة السلطان .

اما بالنسبة لحقده على خصمه قره سنقر ، فام ينته بمقد الصالح لأن الاياخان

(١) ابن ايبك ج ٩ ص ٣١٢ ، النويري ج ٣١ ق ١ الورقة ٤٤ ب - ٤٥ م في حوادث سنة ٥٧٢٣ ، المقرئزي ج ٢ ق ١ ص ٢٤١ - ٢٤٢ ، ٢٤٥ ، العيني الورقة ٣٥٤ - ٣٥٧ ، ٣٦٥ - ٣٧٢ .

لم يفرط فيه الأمر الذي دفع السلطان بمد ذلك الى خيانة قسمه وإرسال الفدائية لاغتياله فلم يفوزوا بطائل .

وتضمن عقد الصلح الشروط التالية (١) :

١ - توحيد سياسة البلدين نحو العشائر بما يؤدي الى اخضاعها .

٢ - الاعتراف بحق اللجوء السياسي ، وعدم المطالبة باعادة اللاجئين او ارسال

المدائية وراهم .

٣ - تقوية التجارة بين البلدين وتشجيع انتقال التجار وحسن معاملتهم .

٤ - احتماً ، موكب الحج العراقي بالسنجق السلطاني ، وتحديد مكانته في موسم

الحج بأن يكون تالياً لموكب السلطان .

أهمية الصلح : وتحققت اهداف الصلح الرئيسية في تأمين الاستقرار والسلام

بين البلدين فلم تتعرض حدود السلطنة المملوكية لاعتداءات المغول لفترة تزيد على السبعين سنة حتى ظهور تيمور لنك .

وبالرغم من أن المصاهرة (٢) لم تتحقق بين الحاكمين ، إلا أن العلاقة الحسنة

بقيت تربطهما ، وبقي الرسل يتنقلون بالرسائل والهدايا بين البلدين بكثرة .

واستفاد ابو سعيد من هذا الصلح ، فتخلص من بعض خصومه الذين احتموا

بالسلطان خلافاً لما حصل الاتفاق عليه ، إذ قبل الناصر محمد على الغدر بضيفه تيمور تاس

(١) المقريري ج ٢ ق ١ ص ٣٠٩ ، العيني الورقة ٢١٩ - ٢٢١ .

Howorth . 3 . P . 600 .

(٢) ابو الفداء ج ٤ ص ١٠٣ ، تاريخ سلاطين المماليك ص ١٨٠ ، المقريري

ج ٢ ق ١ ص ٣٥٧ ، ٢٧٢ ، ٣١١ .

ابن جوبان سنة ٧٢٨ هـ إرضاءً منه لأبي سعيد (١) ، كما قام السلطان سنة ٧٣٤ هـ بالتدبير على أحد أمراء المغول وهو « يساور » خلال موسم الحج في مكة لخشية ابي سعيد من منافسته له على العرش ، ثم قبل الناصر بعد ذلك ايضاً شفاعتة ابي سعيد وأمراء المغول في صاحب ارمينيا الصفري الذي كان قد تعرض لبعض رسله ، فعفا عنه وأوقف سير الجيوش الى بلاده (٢) .

وسنحت الفرصة أخيراً للسلطان المملوكي لتحرير العراق وضعه الى مملكته وذلك بعد وفاة ابي سعيد وانقسام امراء المغول على انفسهم ، وقيام بعضهم بدعوته الى البلاد والمخاطبة له فيها ، وكان كل ما يحتاجه ، حركة عسكرية بسيطة لدعم هؤلاء الأمراء ، فبرح بذلك العراق مما كان ينتظره من فوضى وإراقة دماء على أيدي الأمراء الذين تولوا مقاليدهم بعد ذلك ولكنه لم يفعل ، غفر الله له ذلك .



(١) ابو الفداء ج ٤ ص ١٠١ - ١٠٢ ، تاريخ الجزري م ١ الورقة ٩٧ - ١٠٦ في حوادث سنة ٧٢٨ هـ ، موير - تاريخ دولة المماليك ص ٨١ - ٨٢ وهو يشير الى المساومة التي طالب بها الناصر قررة سنقر وما أعقب ذلك من وفاته في نفس العام بما يشير الى احتمال مواطأة ابي سعيد على تدبير وفاته ، ابن خلدون ج ٥ - العبر ص ٥٥٠ - ٥٥١ .

(٢) ابن ابيك ج ٩ ص ٣٩٨ - ٣٩٩ ، المقرئ ج ٢ ق ٢ ص ٣٦٧ - ٣٦٨ ، العيني - الورقة ١٢٤ - ٤٢٥ في شفاعتة جوبان لصاحب ملطية .

Howorth . 3 . P . 617 .

ثانيا : علاقة الايلخانية مع اوربا والباباوات والملوك :

ورث الايلخانيون هذه العلاقة عن الدولة المغولية الأم ، فحاروا على نفس تخطيطها وعلما على تحقيق اهدافها .

فقد كنا أشرنا ان المغول عندما انطلقوا في توسعهم ، توجهت بعض حملاتهم عبر الدربند وقفقاسيا الى روسيا ومنها الى وسط اوربا فأوقعوا فيها الخراب والدمار مثلما فعلوا في بقية البلاد التي وصلوا اليها .

واستيقظت اوربا على دوي تخريبهم ، فتحرك البابا جريجوري التاسع بحث الأسماء والملوك على تلافي هذا الخطر للقوي ، ويدعوم الى التكتاف والاستعداد لدفعه(١) ولكن هؤلاء الأسماء عندما علموا باستقرار هذه الأقوام في روسيا ، وانتهاء تعرضها لبلادهم ، أحصوا بامكانية استغلال هذه القوة الجديدة في تحقيق أغراضهم القديمة في استعادة بيت المقدس التي كان الأمل باستعادتها قد ضعف . وبدأت كنيسة روما وهي القوة الموجهة لأسماء اوربا في هذه الفترة ، بدأت تخطط لتحقيق هدفين رئيسين هما :

١ - كسب هذه القوة الجديدة لخدمة الكنيسة ودعوتها لاعتناق المسيحية خاصة وان الاخبار التي وصلت اوربا تفيد ان المسيحية منتشرة بينهم .

٢ - استغلالها او التحالف معها لضرب القوة الاسلامية واسترجاع البيت المقدس

(١) براون ج ٢ - تاريخ الأدب في ايران ص ٥٧٣ ، الصياد - المغول في

التاريخ ص ١٢١ .

Loewe . The Mongols . C . M . H . Vol . 4 . PP . 638 - 640 .

قررت اوربا ذلك في الاجتماع الذي عقده البابا اينوسنت الرابع في ليون سنة ١٢٤٣هـ / ١٢٤٥ م . ثم تفرغ لتنفيذه وإرسال الرسل لذلك (١) .

ولم تكن المسيحية غريبة على المغول ، فقد كان المبشرون الذساطرة خاصة قد وصلوا بلادهم منذ زمن سابق ، ونجحوا في نشر تعاليمها بينهم حتى قيل ان بعض قبائلهم كانت على المسيحية مثل قبيلة كرايت ، كما ان سياسة جنكيز وأبنائه من بعده بالرغم من انها قامت على أساس من التسامح الديني مع الطوائف المختلفة التي خضعت لهم ، إلا أن المسيحية كانت موضع عطف ورعاية خاصة منهم لأسباب سياسية أكثر منها شخصية او عاطفية ، لذلك اتى رسول البابا اينوسنت الرابع المدعو كاريني الذي وصل في سنة ١٢٤٤هـ / ١٢٤٦ م حيث كان القوربلتاي المغولي منمقداً لاختيار كيوك للخانية ، لقي ترحيباً خاصاً من الخان الجديد الذي عرف بالعطف الشديد على المسيحية (٢) .

على أن للترتيب والاحترام الذي لقيه رسول البابا في بلاط كيوك لم يؤد الى

(١) مغول ايران ص ٦٢ .

Sykes . 2 . P . 92 .

ويضيف

Atiya : The Crusade in The Later Middle ages . P . 233.

هدفاً ثالثاً وهو ابعاد خطر المغول عن اوربا ، وهو ما اراه خلاصة لما سبق .

(٢) براون ج ٢ تاريخ الأدب في ايران ص ٥٧٤ ، المغول في التاريخ

ص ١٢٦ . كيرك - موجز تاريخ الشرق الاوسط ص ٧٦ ، الدولة الخوارزمية

ص ٢٤٥ - ٢٤٦ . وكان اسم الرسول چون دي بلانو كاريني .

تحقيق أهداف زيارته ، ذلك أن منطق التعامل الذي حمله هذا الرسول والرسول الذين أتوا من بعده (١) ، لم يكن مما يتفق وعقلية المغول في هذه الفترة التي لا تقبل من الآخرين سوى الطاعة والتبعية .

وكذلك كان الجواب الذي حصل عليه رسول ملك فرنسا لويس التاسع (٢)

(١) ارسل البابا بعد خروج سفيره الاول سفارة ثانية ضمت عدداً من الرهبان برئاسة اسليني ، ويظهر انها لم تجاوز منطقة اذربيجان حيث استوقفهم القائد المغولي بايجو وأعادهم بجواب على لسان جنكيز بوجوب حضور البابا بنفسه لتقديم الطاعة . على ان البابا بعدها لم يقطع الامل في استمرار المراسلات . انظر

Atiya . PP. 237 - 241 . Sykes . 2 . P. 92 - 93 .

(٢) كان لويس التاسع قد وصل قبرص سنة ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م على رأس حملة صليبية جديدة ، وانخدع بالاخبار التي حملها اليه بعض الرهبان عن اعتناق بعض خانات التتار المسيحية واستعدادهم للتحالف معه ، فأرسل رسوله الاول اندرو الذي فشل في مساعيه بسبب وفاة كيوك قبيل وصوله .

ولكنه بعد هزيمته في المنصورة سنة ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م احتاج الى ارسال سفارة ثانية تولاهها ولیم الرويريكى لعله يعوض بنجاحه ما فقده في الحرب . نظر مذكرات جوفانفيل عن حياة القديس لويس ص ٨٤ - ٨٥ في الاشارة الى اول اتصال بين التتار ولويس ، انظر ايضاً الحاشية رقم (٣) في التلخيص الذي قدمه مترجم الكتاب استاذنا حسن حبشي حول هذه العلاقة .

انظر ايضاً في تنمة العلاقة ص ٢١٧ - ٢١٩ من الكتاب المذكور والاشارة الى

ندم لويس على قيامه بهذا الاتصال معهم .

المدعو وليم الروبريكي الذي حظى بمقابلة منكوخان سنة ٦٥٢ هـ / ١٢٥٤ م (١) .
لكن هيثون ملك ارمينيا الصغرى الذي كانت بلاده واقعة بين شقي الرحي ،
وجد من مصالحته مخاطبة المغول بلسانهم فيقدم لهم الطاعة ويكسب بها حمايتهم
وآمالهم . فتوجه بنفسه سنة ٦٥٣ هـ / ١٢٥٥ م بعد ان كان أخوه سمباد قد سبقه
الى ذلك ومهد له الطريق ، توجه لتقديم الطاعة الى منكوخان الذي رحب به ووعدته
بحماية بلاده ما دام قد اعترف بتبعية لهم (٢) .

وعلى العكس مما يراه بعض المؤرخين (٣) الذين اعتبروا هذا التحالف بين هيثون
ومنكوخان العامل الرئيسي في إقناع منكوخان بتجهيز وإرسال حملة بغداد ، فاتي أرى
ان وجود الجيش الارمني برفقة هولاكو عند زحفه نحو بغداد كان أمراً طبيعياً
شأنه شأن الجيش الجورجي وغيره من جيوش الأمراء التابعين للمغول ، وان دور

(١) جوانفيل - حياة القديس لويس ص ٢١٧ - ٢١٩ ، الدعوة الى الاسلام
ص ٢٥٣ ، كيرك - موجز تاريخ الشرق الاوسط ص ٧٦ ، عاشور - الحركة الصليبية
ج ٢ ص ١٠٩٩ - ١١٠١ ، المغول في التاريخ ص ١٣١ - ١٣٢ .

Conder : The Latin Kingdom of Jerusalem . P. 370 - 374 .

(٢) كان هيثون قد اعترف بتبعية للمغول قبل هذا الوقت عندما وصل الزحف
المغولي الى آسيا الصغرى وأراحه من تهديد سلاجقة الروم ، وكان قد أرسل أخاه
سمباد لحضور احتفال جلوس كيوك قبل ذلك . انظر

Macler . Armenia . C . M . H . Vol . 4 . P . 175 .

Conder . P . 376 - 377 .

(٣) اشار الى ذلك خاصة ارتولد - الدعوة الى الاسلام ص ٢٥٢ الصياد - المغول

في التاريخ ص ١٣٢ - ١٣٣ .

هيثون وغيره في حملة بغداد لم يكن إلا لتنفيذ السياسة التي خطط لها المغول في زمن سابق على ذلك ، وإذا كان من فائدة لوجود الجيوش المسيحية في هذه الحملة بالإضافة الى دورهم العسكري في المعركة ، فإنه كان زيادة في تأمين الحماية للصناعات في بغداد خاصة ، وفي تقوية الوجود المسيحي كعامل مساعد لتنفيذ السياسة المغولية الامر الذي يستوجب من المغول زيادة الاهتمام به ورعايته .

وسار هولوكو بعد استقرار أمره ، على هدى هذه السياسة ، فاستعان بإسراء المسيحيين في الزحف الى الشام ، حتى انه عندما استدعى هيثون وجيوشه ، تواعد معه بأن يذهب الى بيت المقدس ويخلص الاراضي المقدسة من أيدي المسلمين ويسلمها للمسيحيين (١) .

ولعب مسيحيو الشام نفس دور اخوانهم في العراق في إضفاف معنويات الناس وإغرائهم بالاستسلام والترحيب بالفاتحين ، فحفظت لهم حياتهم وأبقيت عليهم كنائسهم وممكنوا من المسلمين وُسلطوا عليهم حتى أصبح المسلم غريباً في الشام خلال احتلالهم وفي الوقت الذي نجحت فيه السياسة الايلخانية في استغلال مسيحي الشرق على اختلاف طوائفهم كالتساطرة واليعاقبة والارمن ، للتعاون معهم فأصبحوا مادة لجيوشهم ، ودعاة لسياستهم ، تـمـذـر على هولوكو جر الامارات الصليبية الكاثوليكية في الشام للتعاون معه بالرغم من حاجة هذه الامارات الى هذا التعاون للخاص من آخر القوى الاسلامية الباقية ، يستثنى من هذه الامارات ، انطاكيا وطرابلس التي كان صاحبها الملك بوهيمند قد قبل هذا التعاون بحكم مصاعرته وارتباطه العائلي مع ملك ارمينيا

(١) عاشور - الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٢٣ .

ونال نتيجة لتعاونه ، نصيبه من غنائم هولانكو الذي أقطعه بعض البلاد المجاورة لاماراته مثل قلاع ديركوش ، وبلميس وشقيف وحارم (١) .

وليس من سبب يبرر هذا الموقف الانعزالي لهذه الامارات الصليبية التي رفضت التعاون بالرغم من معارضة ذلك لسياسة الكنيسة في روما صاحبة السيادة الاسمية عليهم ليس من مبرر لذلك إلا استطابة هؤلاء لحياة الاستقلال التي أصبحوا يتمتعون بها في إماراتهم الصغيرة بعيدين عن تدخل الكنيسة في شؤونهم ، وركونهم الى المعاهدات المحلية التي كانوا قد عقدوها مع الامارات الاسلامية المجاورة لهم ، وغلبت المنازعات الداخلية عليهم والتي قد تعود أكثر أسبابها الى المنافسة التجارية بينهم (٢) على انهم أضعوا بهذا الاهمال فرصة لم يجد الزمان بها نافية .

وفرضت الاحداث السياسية على هولانكو الاكتفاء بتحالفه مع الامارات المسيحية الشرقية مثل ارمينيا وجورجيا ، والعمل على تقوية هذا التحالف بدلا من القيام بعمل إيجابي ضد الامارات الصليبية التي لم يكن لها ان المغول لم يتحرشوا بمحودها خلال استيلائهم على الشام ، بل تجرأت على الاعتداء على بعض الكتاب المغولية ، وساعدت بشكل غير مباشر على هزيمة المغول في عيز جالوت عندما سمحت

(١) ابن الشحنة ابو الفضل : الدر المنتخب في تاريخ حلب ص ١٦٧ ، الحروبوطي مصر العربية الاسلامية ص ٢٨٩ ، الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٢٩ ،

Jacob de Huas . Hist . of palestine . P . 286 .

(٢) أورد بعض هذه الأسباب . عاشور - الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٢٩

لجيوش أعدائهم بالمرور في أراضيها (١) ، فكشفت بذلك عن قصر نظرها وجهلها بحقيقة الأوضاع السياسية واخلال موازين القوى التي استجبت في هذه المنطقة من العالم ، كما كشفت عن سوء تقديرها لمستقبل وجودها فيها .

وإذا كان هذا هو موقف الامارات الصليبية من المغول ، فان بابوات روما وأسراء اوربا لم يفقدوا الأمل في امكانية كسب المغول والتعاون معهم لتحقيق ما يرجون من أهداف ، فقد أرسل البابا اسكندر الرابع اكثر من رسالة الى هولاءكو كانت احداها مؤرخة سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م يشكره فيها على حسن رعايته للمسيحيين ويعلم له فرحته لما سمعه عن قرب اعتناقه المسيحية ، ثم يحببها له ويشرح له أهمية اعتناقها ويرجو أن يقوم بتعميده بنفسه (٢) .

ولكن هولاءكو كما يبدو لم يكن قادراً على الاعتماد على هذه الرسائل لتحقيق سياسته التي فرضتها عليه ظروفه الموضوعية ، وبالرغم من عدم وجود ما يدل على انه رفض هذا النوع من التعامل السياسي ، إلا أنه في هذه الفترة كل اكثر تطلماً الى كسب دولة مسيحية اخرى تحقق صداقتها له الكثير من أهدافه السياسية الآنية ، تلك هي الدولة البيزنطية التي جعل هولاءكو من خطبته لابنة ملكها سبيلا لجرها الى فلكه السياسي فيضمف بذلك من الطوق الذي كان أعداؤه من المماليك قد أقاموه حوله

(١) . D'ohsson . 3 . P . 394 - 395 . Howorth . 3 . P . 201 - 202 .

الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٣٢ - ١١٣٣ وهو يشير الى حماقات أمراء صيدا وعكا مع المغول .

(٢) مغول ايران ص ٧ ،

D'ohsson . 3 . P . 410 ، Sykes . 2 . P . 99 .

بتعاونهم مع بني عمه وخصمه بركة خان ، وكانت القسطنطينية محطة انتقال لرسول
الفربيين المتحالفين وحلقة الوصل بينهما .

وورث اباها هذه السياسة ، فتزوج من خطيبة ابيه التي توفي قبل وصولها الى
بلاطه ، ولكنه لم يستطع تحقيق أمنيته لان الامبراطور البيزنطي لم يكن قادراً على
الانضمام الى جانب المغول في هذه التكتلات السياسية والعسكرية ، لاسباب سياسية
تتعلق بطبيعة كيانه السياسي ، فاكتفى بعرض صداقته البريئة ، مفضلاً حياد بلاده
وفتحها أمام رسل الفربيين المتنازعين (١) .

وفرضت الضغوط السياسية والاضطراب العسكرية التي كانت تهدد اباها ، فرضت
عليه أن يلتوي في سياسته ويظهر خلاف ما يبطن ، فقد كان في سياسته الداخلية
شديد العطف على المسيحية حتى اتهم باعتناقها ، لكنه كان في نفس الوقت متدلاً في
موقفه من المسلمين ، لا يشجع على ائصال الاذى اليهم ، وفي الوقت الذي دعا فيه
المماليك الى الصلح ليتفرغ عسكرياً لمواجهة بني عمه (٢) ، كان رسوله يطرقون

(١) لم يكن الامبراطور البيزنطي قادراً على الارتباط كلياً بالمغول بسبب خوفه
من المماليك وحلفائهم مغول القبچاق من ناحية ، ولأن هولاء كانوا يسعى للتحاليف مع
أعدائه الصليبيين المتحالفين له بالمذهب والذين كانوا يحتلون بلاده الى وقت قريب ،
فاكتفى لذلك بموقف الحياديين العسكريين ، على انه كان يبذل الى احدهما كلما أحس
بقوته وخطره عليه .

(٢) المقصود هنا ببني عمه مغول القبچاق اصحاب بركة خان حلفاء المماليك الذين
كانوا يهاجمونهم من جهة الدربند في الشمال . ومغول ما وراء النهر من أبناء جفقتاي
واو كداهي الذين كانوا يهاجمونه من جهة الشرق - خراسان .

أبواب اوربا يدعونهم للتعاون معه على المماليك .

وحفلات سياسة اباقا في هذا المجال بالعديد من الرسائل والرسائل مع باباوات اوربا وملوكها لاهياء أهداف الكنيسة القديمة في استعادة بيت المقدس التي أخذت الآمال باستعادتها تضيف بسبب إهمال وتهاوي الامارات الصليبية أمام ضربات المماليك .

وبدأ اتصاله مع البابا كلمنت الرابع الذي كتب اليه رسالة بتاريخ ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م . وعندما تولى البابوية جريجوري العاشر عقد مجمع ليون ٦٧٣ هـ / ١٢٧٤ م لتقرير سياسة الكنيسة ، أرسل اباقا مندوبين عنه للمشاركة في هذا المؤتمر ، وبعد أن عمدا حسب التعاليم الكاثوليكية ، عرضا على المجتمعين دعوة الايلخان واستعداده للتعاون في حملة صليبية ، ولكن المجمع أنهى أعماله قبل أن يستطيع اتخاذ قرار بذلك . ويبدو أن نيقولا الثالث الذي تولى كرسي البابوية سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م كان أكثر نشاطاً لتحقيق فكرة التعاون من سلفه ، فقد أجاب على سفارة اباقا بسفارة مكونة من خمسة من الرهبان سنة ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م حملوا اليه تقدير البابا لاختلاصه ورغبته في إنقاذ البيت المقدس ووعده بالاهتمام برسالة هذه الحملة (١) .

وفي الوقت الذي كان اباقا يعالج تردد البابارات ويفريهم باستعداداته ، كان دعائه يحملون أيضاً رسائله الى ملوك اوربا وأسرائها يشجعهم فيها على قيادة الحملات الصليبية بأنفسهم ويتعهد لهم بتقديم جميع المساعدات اللازمة لانجاح حملاتهم ، من

(١) مغول ايران ص ٧ ، ٦٣ ، سرور - الظاهر بيبرس ص ٩٥ ، الحركة

الصليبية ج ٢ ص ١١٦٢ ، بارتولد - ترجمة المعارف الاسلامية م ١ - اباقا .

Howarth . 3 . P . 278 - 281 . Browne . 2 . P . 19 .

ذلك رسائله الى فيليب الثالث ملك فرنسا وأدورد الاول ملك انكلترا وغيرهم ، على أن الملاحظ عن هؤلاء الملوك انهم لا يصدرن إلا عن أمر البابا .

وكان اباقا قد استغل وصول أدورد الاول الى قبرص على رأس حملة صليبية جديدة سنة ٦٧٠ هـ / ١٢٧١ م قبل اعتلائه العرش ، فبادله الرسائل واتفق معه على الزحف سورية ، ومن المحتمل أن محاولة الزحف التي لم تتم والتي سمى اباقا للقيام بها سنة ٦٧٢ هـ عند وصوله بغداد وتوجهه نحو ضفاف الفرات (١) ، كانت تنفيذاً لهذا الاتفاق الذي انتظره أدورد في قبرص والذي بعد أن يئس من تحقيقه ، عاد أدراجه الى انكلترا حيث تولى عرشها (٢) ، وكان جوابه على رسالة اباقا التي حملها « الاخ دافيد » الى بلاطه سنة ٦٧٣ هـ / ١٢٧٤ م ان شكر الابلخان على حماسه لانقاذ البلاد المقدسة ورجاه تحقيق إنقاذها ووعده بالوصول على رأس الجيش متى ما قرر البابا ذلك (٣) .

وكرر اباقا دعوته وألح فيها خلال معركة الابلستين وفي اعقابها ، فوصل رسله

(١) مر علينا عند بحث الحملات الصغيرة ، وصول اباقا بغداد سنة ٦٧٢ هـ وعزمه على الزحف نحو الشام وقيام السلطان المملوكي بارسال امير العرب عيسى بن مهنا الذي وصل في توغله حتى الانبار وهاجم بعض الكتائب المغولية التي هربت أمامه ، فاعتقد المغول ان السلطان المملوكي وراء الحملة ، فعاد اباقا ادراجه .

(٢) الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٥٨ .

(٣) الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٦٢ ، مغول ايران ص ٦٤ وهو ينقل لنا

نص الرسالة ، انظر ايضاً .

Howorth . 3 . p . 280 ، Sykes . 2 . p . 100 .

الى اوربا للطواف على المسؤولين فيها يحملون نداهه ، وصرخات ملك ارمينيا ،
فاستقبلهم ملك فرنسا ثم ملك انكلترا واستجابوا لدعواتهم بعود كثيرة وآمال
عريضة حملوها معهم عند عودتهم بخفي حنين (١) .

ولم يكن اباقا حريصاً على استعادة البلاد المقدسة ولكنه كان يرمي ان يكون
هذا الحماس الذي يظهره في رسائله الى البابا وملوك اوربا ، عامل إغراء وإثارة لهم
لارسال الحملات التي سيؤدي وصولها حتماً الى اشغال المماليك فترة من الزمن فيخفف
ضغطهم العسكري عنه وعن حلفائه في الشام وآسيا الصغرى الذين أخذت قلاعهم تنقص
يوماً بعد يوم أمامهم ، ولكنه عندما أحس ان وعودهم له ليست إلا قبضة من الريح
وان البلاد أخذت تضيق عليه ، أمر جيوشه وجيوش حلفائه من الأرمن والجورجيين
وغيرهم ، فتوزعوا اطراف الشام للقيام بمحاولة انتحارية للانتقام من المماليك وتأديبهم
ولكن جموعه تحطمت على اطراف حمص سنة ٦٨٠ هـ / ١٢٨١ م فكانت القضية عليه .
على انه يمكن القول ان جهود اباقا لايقاظ اوربا وإثارة غيرتها الدينية لم تذهب
جميعاً هباءاً ، فقد وجدت صداها في قلوب بعض المسيحيين الذين سمعوا اللوصول الى
البلاد المقدسة للمشاركة في تحريرها ، او انتهاب خيراتها ، من ذلك ما اشار اليه
المقرئبي في سنة ٦٦٨ هـ من اتفاق بعض فرنج الساحل مع المغول للقيام ببعض الأعمال
العسكرية التي لم تحقق نجاحاً في منطقة الساجور ، إذ تفرقت حلماً صممت بخروج
المماليك اليها ، وكذلك ما أشار اليه من مراسلة بعض الفرنج للاباخان وخروجهم

(١) مغول ايران ص ٦٥ .

للتعاون معه ، ولكن سفنهم لقيت نهايتها في اعماق البحر قبل وصولها الى الساحل (١). كما سعى الملك جيمس الثاني ملك ارغونة لتحقيق دعوة الايلخان ، فواعده على تنفيذها وأعد لذلك حملة صليبية جديدة ولكن الرياح والعواصف لم تسمح لها بمواصلة السير فحطمت بعض سفنها وأرغمت الأخرى على العودة من حيث أتت (٢). وفي عهد تكودار توقفت هذه المراسلات وانقلبت سياسة المغول رأساً على عقب ، فقد دعا الايلخان الجديد بدافع من إسلامه ، دعا المماليك الى التسامح وإقامة الصلح والتعاون على أعداء الاسلام ، الأمر الذي أثار عليه ثائرة المغول الذين استعانوا بالمسيحيين للقيام عليه ، فكتب المؤرخ الارمني المعاصر هيثون رسالة الى الخاقان قوبيلاي يشرح له اسلام احمد تكودار وجهوده للقضاء على الديانة المغولية ، ويحذره من السكوت عليه ، فكان من نتيجة ذلك صدور التعاليم من الخاقان التي أدت فيما بعد الى القضاء على الايلخان بيد بني عمه (٣) .

وأعاد ارغون السياسة المغولية الى الطريق الذي سار عليه أبوه وجده من قبل ولكنه اختلف عنهم حينما أفرغ حقه على المسلمين في الداخل ، فحرم عليهم اشغال وظائف الدولة وأخذهم بالشك والتهمة ، لتشفع له هذه القسوة ، وينعكس صداها الى اوربا فتسرع للتعاون معه لتحقيق أهدافهما المشتركة ، وسارع بعد أن أعاد

(١) السلوك ج ١ ق ٢ ص ٥٨٥ ، الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٦١ .

(٢) مغول ايران ص ٦٥ ، ٧٣ .

Howorth . 3 . P . 279 - 280 .

(٣) نقل ذلك عن المؤرخ الارمني .

Howorth . 3 . P . 310 .

إعمار الكنائس التي أصابها الالهال او الخراب في عهد سلفه ، سارع الى فتح باب الاتصال ككرة اخرى مع اوربا لاحياء آمالها من جديد وليذكرها بالخدمات التي قدمها المغول لهم . وحفظت لنا دار الوثائق البابوية رسالته الاولى التي وجهها الى البابا هنوريوس الرابع والمؤرخة في ١٨ مايو ١٢٨٥ م أي بعد أقل من سنة من توليه (١) يعرض فيها شعوره وعواطفه نحو المسيحية ، ويمدد خدمات ابيه وجده لها ، ويعتذر عن انقطاع المراسلة بسبب سروق الابلخان السابق ، ثم يتمهد لهم اخيراً باستمداه للتعاون معهم على تحقيق أهداف الكنيسة في إنقاذ البلاد المقدسة (٢) .

وتكررت رسائل ارغون وسفاراته الى البابا وملوك اوربا ، وخاصة بعد تولي نيقولا الرابع كرسي البابوية سنة ٦٨٧ هـ / ١٢٨٨ م حتى أصبحت سنوية تقريباً ، كما تمددت أجوبة هؤلاء اليه ولكنها جميعاً لم تزد على مجرد وعود لم تحقق شيئاً من رغبات الابلخان .

ونلاحظ في رسائل الابلخان انه كان حريصاً على إغراء وإقناع هؤلاء لتجنيد الجيوش ، وانه سعى لسد الطريق على كافة الحجج التي كان الباباوات والملوك يعتذرون بها لتبرير تقاعسهم ، وساعد رسل الابلخان الكثيرون على تضخيم الاخبار التي كان الابلخان يرغب في إذاعتها على مسامع الاوربيين ، حتى تحولت مملكة الابلخان في نظر هؤلاء المستمعين الى جنة عامرة بالمسيحية والمسيحيين .

فقد أذاع الابلخان في رسائله عن تشجيعه للمسيحية بيز قومه ، ان اثنتين

(١) تولى ارغون العرش في جمادى الاولى ٦٨٣ هـ / اغسطس ١٢٨٤ م .

(٢) Howorth . 3 . P . 348 .

من زوجاته مسيحيات وان امة كانت مسيحية ، وان احد ابنائيه اعتنق المسيحية ،
وان الخاقان الكبير لا يعارض المسيحية ، وان عدداً كبيراً من رجال جيشه اعتنقوا
المسيحية ، ولكنه لا يستطيع اعتناقها الآن لوجود عدد من المسلمين في جيشه مما يؤثر
عليه ويمنعه .

وأشار في رسائله أيضاً الى أنه قد أتم الاستعداد لتحرير البلاد المقدسة ، وانه
ينتظر وصول الجيوش المسيحية لتساهم معه في التحرير ، ولكي تتولى بعد ذلك
مسؤولية الحكم في البلاد المقدسة .

ولكي يسهل على هذه الجيوش مهمة الانتقال فقد أعلن استعداده لتقديم جميع
التجهيزات التي يحتاجها عند وصوله ، كالخيول والماشية والحبوب ، حتى أنه أعد
عشرين الف رأس من الخيل سوف يضمها تحت تصرف هذه الجيوش بسعر زهيد ،
اراعتبارها هدية ان افتضى الأمر .

ثم أعلن استعداده أخيراً لاعتناق المسيحية ، ولكن ذلك يتم في البيت المقدس
بعد تحريره حيث تجري بعدها مراسم تعميده (١) .

ولكن نداءات الايلخان وصرخاته ان كانت قد وجدت لها أذناً صاغية ،
لكنها لم تجد عزماً صادقاً لتنفيذها وانجازها ، فقد كان قادة اوربا مشغولين بمشاغلهم
الخاصة عن الاستجابة والنحرك . فالبايا نيقولاً الرابع لم يكن يملك من السلطان إلا
اسمه فقط ، شأنه في ذلك شأن خلفاء بني العباس أيام سيطرة الدخلاء عليهم ، فهو

(١) موير ص ٥٨ ، مغول ايران ص ٦٦ ، الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٦٩ .

Howorth . 3 . P . 348 - 352 . ' D'ohsson . 4 . P . 74 - 76 .

يصدر الأوامر ، ولكن تنفيذها كان يتوقف على مصلحة الملوك في تنفيذ ما ينفعهم ، لذلك توجه البابا بحجزه من جهوده نحو الايلخان نفسه ، ولكن لغة البابا كانت بالرغم من رقتها هي نفسها التي تهامل بها البابوات السابقون مع الايلخانات السابقين ، لذلك لا غرابة إذا جاءت النتيجة واحدة بالرغم من مضي الزمن وتطور الأحداث .

ففي الرسائل الكثيرة التي وجهها البابا الى الايلخان وأفراد أسرته وأمراء دولته كان البابا يلف حول نقطة واحدة هي دعوة الايلخان الى اعتناق المسيحية أولاً ، ثم لتدليل على صحة إيمانه ، يذبحني عليه ان يسمى بنفسه لتحرير البلاد المقدسة باعتباره أقدر من غيره على تحقيق ذلك .

على ان البابا خلال ذلك كان يؤكد ان رسله يطوفون اوربا لاستنهاض هممها وإثارة حميتها ، وانه حول رسائله الى الملوك الذين سيعبرون البحر قريباً للوصول اليه (١) .

اما ملوك اوربا ، فكانت رسائل الايلخان اليهم واحدة ، يواصلهم بالهدايا ويحدثهم عما أعد لهم من اسباب النصر ، ويذكرهم بوعودهم السابقة ويحث عليهم ان يتقودوا بأنفسهم الجيوش حتى يضمن تحقيق النصر ، لكن هؤلاء الملوك كانوا بالرغم من حسن استقبالهم لرسله كانوا مشغولين عنه بشؤونهم الخاصة ، ذلك ان الحروب الاسكتلندية أشغلت ملك انكلترا عن الوفاء بالوعود التي قطعها على نفسه الايلخان بالرغم من رغبته الشديدة لمعاودة الكرة والرحف لتحرير البلاد المقدسة .

اما فيليب الرابع ملك فرنسا فكان يناور في وعوده ويضيع الوقت في مبادلة

(١) Howorth 3.P.943 ' 353 - 354 . D'ohsson . 4 . P.66-69 ' 77-81

Conder . The Latin Kingdom of Jerusalem . P . 377 378 .

الرسول للاتفاق على خطة موحدة للعمل ، في الوقت الذي كان يستغل ذلك في الداخل لجمع الأموال بحجة الاستعداد للحرب المقدسة ، حتى اضطر الايلخان لكي يضم حداً للوقت المضاع معه ، أن يحدد تاريخ يناير ١٢٩١ م موعداً لبدء الزحف المقدس بحيث يكون لقاء الجيشين على اسوار دمشق يوم ٢٠ فبراير (١) .

ولم يتحقق التعاون العسكري بين الايلخان واوربا ، ذلك ان الحماس الديني لاسترجاع البلاد المقدسة كان آخذاً بالضمف يوماً بعد يوم في نفوس الاوربيين ، كلما وصلتهم أنباء سقوط قلاع الصليبية وحصونها بيد المسلمين ، فضلاً عن الانقسامات الداخلية بين ملوك اوربا وأسرائها التي تحولت الى سلسلة من الحروب بينهم على الزمامة والسلطة ، بالإضافة الى غلبة الروح التجارية على المدن الايطالية التي كانت تسيطر على طرق المواصلات البحرية ، والتي كانت قد أقامت لها علاقات تجارية حتى مع المماليك أعداء اوربا .

كل هذه الأسباب كانت تمنع اتفاق الاوربيين وتحد من قدرتهم على القيام بعمل عسكري موحد يتفق مع الموعد الذي ضربه الايلخان لتحقيق الأهداف المشتركة . وجاءت أخيراً أنباء سقوط عكا آخر الحصون القوية للصليبيين في الشرق على يد السلطان الأشرف خليل ، لتقضي على كل أمل باستعادة البلاد المقدسة . ووصلت آخر أجوبة البابا على رسالة الايلخان الأخيرة ، في الوقت الذي كان فيه ارغون قد فارق الحياة ، وبالرغم من استمرار المراسلات بعد ذلك إلا أن

(١) مغول ايران ص ٦٥ - ٦٦ ، ٦٨ - ٧٠ .

كبيخاتو ويبدو لم يكونا بنفس الحماس الذي كان عليه ارغون لاحياء هذه العلاقات ، وذلك بسبب الفوضى التي خلفها الايلخان وراهه ، والتي لم تفته حتى زمن غازان . وكرر غازان محاولات أبيه لاقناع اوربا بالتعاون معه ، وباشر ذلك بمد استقرار أمره في الحكم حيث تفرغ لمواجهة أعداء المغول التقليديين الذين لم يحل اسلامه دون تغيير نظرتهم اليهم ، ودون استماتته بأعداء دينه على اخوته في الدين . ويلاحظ انه في خلال انشغال غازان بمشاكله الداخلية التي سبقت اتصاله ، تولى ملك ارمينيا مهمة الاستنجاد بأوربا وإثارة حميتها الدينية لانقاذه من هجمات الأشرف خليل الذي فرض عليه فيما بعد التنازل عن بعض القلاع والشغور ثمناً للسلام (١) . وغلب اليأس على اوربا بمد سقوط عكا وخروج الصليبيين من الشرق ، فلم تعد صرخات البابا نيقولا الرابع كافية لاعادة الحماس اليهم ورفع معنوياتهم ، الأمر الذي دفعه الى مطالبة الدول الاوربية بفرض المقاطعة الاقتصادية على المماليك ومنع التعامل التجاري معهم ، ما داموا غير قادرين على تجنيد الجيوش للقضاء عليهم (٢) .

ويبدو أن غازان أحس بهذا العجز واليأس ، فلم يعد ينتظر حتى إجاباتهم على رسائله او رسله فكيف بنجداتهم ؟ عندما قرر الزحف بنفسه على المماليك سنة ٦٩٩ هـ / ١٣٠٠ م مكتفياً بالاعتماد على اعوانه مسيحيي الشرق كالأرمن والجورجيين بالاضافة الى بقايا الفرسان الصليبيين الذين كانوا قد لجأوا الى الجزر القريبة وخاصة قبرص ،

(١) وهي قلاع بهسنا ومرعش وتل حمدون . انظر المقرئزي ج ١ ق ٣ ص ٧٨٤

سرور - دولة بني قلاون ص ٢٢٥ .

Howorth . 3 . P . 402 .

(٢) الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٠٣ .

والذين التحقوا بجيوشه وشاركوا في المعركة التي استولى فيها على الشام (١) .

وحاول غازان أن يدعم سلطانه على الشام بإيجاد قاعدة شعبية له فيها مرتبطة به فاستدعى ملك ارمينيا وأخبره بأنه يوافق على قيام الفرسان الصليبيين بإقامة قلاع لهم في الشام على أن يأتوا لسكنائها ، وانه أمر فائيه قتلوشاه بأن يقدم لهم كافة التجهيزات لبنائها (٢) .

واستيقظ ملوك اوربا على صوت النصر الذي أحرزه غازان ، واستبشروا به وأسرعوا لقطع ثماره ، فقد أسرع جيمس الثاني ملك ارغونة برسالة يعلمن فيها فرحته بهذا النصر ، واستعداده لتقديم مساعداته من سفن وجيوش وخيول لتتحقق النصر الأكبر ، ولكنه يشترط على الاياخان اعطائه خمس البلاد المقدسة ، وما يفتح من البلاد بعد ذلك .

اما ادورد الأول ملك انكلترا فلم يقطم الأمل بالمشاركة في الحملة الكبرى ، ولكنه احتج بالحروب الداخلية التي أخذت عليه وقته ، ثم علق أملاه اخيراً على موافقة البابا بونيفاس الثامن وقيامه بتكليف الملوك بهذا الزحف (٣) .

وعاود غازان الحملة على الشام في مطلع سنة ٧٠٠هـ / ١٣٠١م ليكون زحفه ثانية محفزاً لملوك اوربا على سرعة الالتحاق به ، وكان قد استدعى أعوانه من مسيحيي

(١) يوسف الديس - تاريخ سورية ج ٦ ص ٣١٤-٣١٦ في الاشارة الى انضمام

بقايا الصليبيين الى جيوشه .

(٢) نقل ذلك عن المؤرخ الارمني .

Howorth . 3 . P . 446 .

(٣) مغول ايران ص ٦٧ - ٦٩ ، موير ص ٧١ حاشية (١) .

الشرق ومن لحق بهم من الصليبيين للمشاركة معه ، ولكنه اضطر الى العودة عن الشام بسبب رداءة الأحوال الجوية .

وكان غازان حتى هذه الفترة يعتقد بأن جهوده في مهاجمة المماليك وإضعافهم سوف تلقى التقدير من ملوك اوربا الذين سيهبون لمعاونته على ذلك ، ولكنه أصيب باليأس وخيبة الأمل عندما وصلتته رسالة الملك ادورد الاول السالفة الذكر والمؤرخة في سنة ١٣٠١م / ١٣٠٢ م والتي يعلق فيها المشاركة على رغبة البابا ، بالإضافة الى وضعه المراقيل أمام تحقيقها ، فأضطر حينئذ الى تبديل سياسته مع المماليك وعول على إتامة الصلح معهم ، وان كان لم يحسن الطريق الى فتح بابه عندما أرسل اليهم عنجوبة المغول وغطرستهم في رسالته التي لقي جوابها من جنس نوعها (١) .

واقضى اولجايتو سياسة جده اباقا في المناورة والمراوغة ، عندما أرسل يهادن المماليك ويدعوهم الى اخوة الاسلام في الوقت الذي أرسل فيه سفراءه الى اوربا يستعديها عليهم ويفريهم بأنه قد أعد لهم من الامدادات الشيء الكثير ، وهو يأمل من وراء ذلك قطف جهود اخيه التي بذلها معهم لتحقيق التعاون العسكري ، فان الرسائل التي وجهها اليهم كانت مؤرخة في محرم ١٣٠٤م / ١٣٠٥ م .

واتبع اولجايتو في هذه السفارات كل وسائل الاغراء او الخداع التي سبق لأبيه ان لجأ اليها لآنجاح اغراضه ، فقد اشار الى انه قد أعد من الامدادات لاستقبال

(١) موير ص ٧١ ، علي ابراهيم - دراسات في تاريخ المماليك البحرية

ص ١٥٥ - ١٥٦ .

Howorth . 3 . P . 454 - 456 ' Macler . Armenia . C . M . H .

4 . p . 177 - 178 .

الجيش الصليبي ، من الخيل مائتي الف ، ومثلها من سمول الذرة لاعاشته ، وأعد من جيشه مائة الف جندي على قدم الاستعداد .

ولم يتردد رسوله توماس الدوشي من القول بأن الابلخان كان قد اعتنق المسيحية وجرى تعميده وفق الطقوس المسيحية (١) .

وأكد الابلخان في رسائله على ان الوحدة بين الأسر المغولية الحاكمة قد تحققت وهو ينصح ملوك اوربا وأسماءها ان يتحدوا مثلهم ويتعاونوا لإنجاح الأهداف المقدسة (٢) .

على ان هذه المناورات لم تفد في تحريك اوربا نحو الشرق ، إذ ان الأجوبة التي كتبها كل من فيليب الرابع وادورد الثاني لم تنعد الشكر على العواطف التي اظهرها الابلخان لهم وعلى العروض والخدمات التي وعد بتقديمها لجيوش المسيحية ، وتعد ادورد الثاني بالعمل على تحقيق رغبة الابلخان في إنجاز المشروع ، ثم توقع النهاية

(١) علي ابراهيم : دراسات في تاريخ الممالك البحرية ص ١٦٠ .

Atiya . pp. 256 - 257. D'ohson . 4 . n . 587 - 597 .

Howorth . 3 . p . 575 - 577 .

ويعتقد دوسون ان اشاعة مسيحية الابلخان ربما كانت دسيسة من الكنيسة الشرقية وخاصة الأرمن الذين كانوا يرغبون في مجيء حملة صليبية لتنتقم لهم من الممالك .

(٢) وردت هذه الاشارة في الرسالة الموجهة الى فيليب الرابع ملك فرنسا المحفوظة

في دار المحفوظات الفرنسية ، وعلق بارتولد عليها بأنها الوثيقة المغولية الوحيدة التي تشير الى قيام هذا الاتحاد . انظر في ذلك الترك في آسيا الوسطى ص ٢٠٢ ، موير ص ٨١ حاشية ٢ .

Howorth . 3 . P . 573 - 575 .

للمسلمين وگتابهم الذي سيختفي عند وصول جيش الصليب ، ووعد ايضاً في آخر رسالته بأنه سيرسل بعض رجال الدين النشيطين للقيام بتحويل رعية الايلخان الى الكاثوليكية .

ولم تزد رسالة البابا كلمنت الخامس المؤرخة في ٧٠٧ هـ / ١٣٠٨ م عما جاء في اجوبة الملوك ، وأضاف ان دعوة الايلخان وتمهدياته قد امدت الكنيسة بقوة روحية وبعثت فيها الامل مما يدل على انها نوع من الرعاية الربانية ، على انه بقي يتشكك في صحة مسيحية الايلخان وان كان أخذ يشرح له الاجر والثواب الذي سوف يربحه ان حقق تحرير البلاد المقدسة (١) .

واذا كان الايلخان لم يقبض من هذه الاجوبة سوى الوعود ، فانه كما يبدو لم يقنط من امكانية تحقيق ما فات ، لذلك فقد بقي يرعى المسيحية في بلاده ، ويواصل الباباوات برسائله حتى انه وافق في اواخر ايامه على منح البابا حق فتح اسقفية كاتوليكية في السلطانية لكنه لم ينتظر وصول الاسقف الجديد الذي صدر الامر البابوي بتعيينه في ٧١٨ هـ / ١٣١٨ م (٢) .

وبوفاة اولجايتو انتهت آخر محاولات الايلخانية لتعاون مع اوربا على المماليك فقد انعكست الحالة في عهد ابي سعيد الذي سلك منذ توليه وبفضل المشرفين على توجيهه ، سلك سياسة اسلامية تهدف الى ازالة روح العداة والجفاء مع جيرانه المماليك المسلمين ، وانقطعت السياسة الايلخانية في عهده عن الاتصال بأوربا وبابواتها في هذا الشأن الامر الذي جعل البابا جون الثاني والعشرين يلاحقه بالرسائل

Howorth . 3 . P . 575 - 577 . Sykes . 2 . P . 114 - 115 . (١)

Howorth . 3 . P . 603 .

(٢)

ويذكره بصلات آبائه وأجداده مهمهم ويوصيه بحسن معاملة المسيحيين ثم يدعوهم
اخيراً الى اعتناق المسيحية ويحببها اليه (١) .

ثالثاً : علاقة الايلخانية بالمغول :

كان طبيعياً أن لا تدوم وحدة الدولة المغولية التي أسسها جنكيزخان طويلاً
بعد خروج المغول من الصحراء ، وذلك بسبب تغير البيئة المناخية والحضارية عليهم
فضلاً عن سعة هذه الدولة التي أصبحت عليها في اواخر ايامه مما يصعب معه اخضاعها
لادارة مركزية .

ويبدو ان جنكيز توقع خضوع المغول لهذه المؤثرات او احس بها ، لذلك
وزع البلاد بين ابنائه وهو على قيد الحياة بحيث أصبح كل منهم مسؤولاً عن نصيبه
منها ، يباشره بنفسه او يوفد اليه من يتولى أمره بينما يقيم هو بجانب زعيم الاسرة
الذي يتولى السلطان ، ويشير بارتولد « الى انه بالرغم من التقسيم الذي احده
جنكيز في مملكته ، فانها ظلت بعد وفاته تعتبر مملكة واحدة كما كان الحال اثناء حياته
ووفقاً لفهم القبائل الرحل لقانون التملك ، كانت الدولة تعتبر ملكاً لاسرة الحاكم
بأسرها ، وكان اعضاؤها يعطون اجزاءاً منها للقيام بأوادمهم » (٢) .

وبدأت مظاهر الانقسام في اعقاب وفاة اوكتاي خان حيث لم يكن خليفته
كيوك علي وفاق مع بعض بني عمه ، فضلاً عن الشك الذي ساد بينهم في شرعية خانيته .

(١) Howorth . 30 P . 612 . D'ohsson . 4 . P . 660 - 663 .

(٢) بارتولد - ترجمة المعارف الاسلامية م ٣ - باتو - م ٧ - جغتاي .

ابن فضل الله العمري ج ٢ ق ٢ - مسالك الأبصار الورقة ٢٢٥ .

وبالرغم من قيام خانبة منكو على دماء بعض بني عمه الذين تأمرؤا عليه ، إلا ان سيادته الاسمية على الاقل كانت شاملة لجميع البلاد المغولية التي سرعان ما تمزقت وحدثها بعد وفاته مباشرة بسبب تمازع اخوته على الخانبية ، وتمحزب ابناء الاسرة بعضهم لبعض ، الامر الذي ادى الى انفصال وخروج الامراء المغوليين عن طاعة الخان المنتصر قبلاي ، لذلك يمكن القول ان سلطان قبلاي خان لم يكن يشمل جميع البلاد التي امتد اليها الاحتلال المغولي وانما اقتصر على بعض الاجزاء دون غيرها ، ومنها الحكومة الايلخانبية (١) .

١ - موقف الايلخانبية من الخاقان المغولي :

كنا اشرنا في الحديث عن قيام الايلخانبية ، ان هولاء كانوا في اول امره مجرد قائد مغولي انقذه اخوه الخاقان منكو لقيادة الحملة الغربية التي قررها القوريلتاي على انه بعد انتهائه من العمليات العسكرية التي قضت على الخلافة ، توج من قبل اخيه الخاقان ليكون حاكماً على البلاد التي حددت له ، وممنح لقب الايلخان تعبيراً عن نيابته لآخيه الخاقان في حكم هذه البلاد التي عرفت بالاييلخانبية .

وبالرغم من ان هولاء كانوا مستقلين في حكمها ، إلا أنه من الناحية النظرية

(١) تنافس اخوة منكو وهم قبلاي واريقبوقا على الخانبية بعد وفاته ، وقد انحاز هولاء كل الى جانب اخيه قبلاي بينما انحاز بركة بن جوجي الى جانب اريقبوقا ، اما ابناء اوكتاي وجغتاي فكلوا يحددون على الاثنان معاً ولكنهم انحازوا اول الامر الى جانب اريقبوقا حتى رجعت كفته ثم انقلبوا عليه لمصلحتهم فخدموا بذلك قبلاي الذي استرجع قوته وانتصر على اخيه .

كان مجرد نائب عن اخيه الخاقان صاحب السيادة على جميع البلاد المغولية .
على ان قيام النزاع على الخانية بعد وفاة منكو ووقوف هولاء كو بجانب اخيه
الكبير قبلاي ضد الاصغر اربقبقوقا ودوره في ترجيح كفته ، عزز من مكانة هولاء كو
وحقوقه في الحكم وحدد علاقته وأبناءه من بعده مع الخاقان الجديد .
ويمكن تلخيص هذه العلاقة بالنقاط التالية :

اعتراف الايلخانية بسيادة الخاقان قبلاي على البلاد ، بدل على ذلك ان اباقا
قبيل توليه أجاب على إلحاح الاسراء عليه بأن سيد البلاد هو قبلاي قا آن .
وكذلك كان رد الامير بوقا عند تولية ارغون حيث قال : إن الخاقان هو
صاحب السيادة المطلقة على الجميع وهو سيد اسرة جنكيز (١) .

وعلى ضوء هذا الاعتراف بالسيادة بالرغم من كونها اسمية ، فان تولي
الايلخانات لمناصبهم كان لا يعتبر شرعياً ما لم يصل القرمان الخاقاني به ، من ذلك
ما فعله الخاقان قبلاي بالنسبة لـ اخيه هولاء كو فإنه كان قد أصدر بعد انتصاره على
منافسه واستقرار أمره ، أصدر يرلينغا باسم اخيه هولاء كو بثبته في حكمه ويعطيه
السيادة على البلاد التي سبق ان تولي أمرها منذ زمن اخيه منكو ، كذلك كان شأن
الايلخانات الآخرين ، فان اباقا رفض ان يرتقي العرش ما لم تأت موافقة عمه الخاقان
اما ارغون فإنه انتظر وصول رسول الخاقان الذي حمله اليه فرمان جلوسه مع لقب

(١) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ١٠ ، ١١٧ - ١١٨ .

Howorth . 3 . P . 306 .

الخان الذي منحه له (١) .

ومن مظاهر هذا الاعتراف ايضاً ضرب اسم الخاقان على السكة المتداولة في البلاد ، وقد مر علينا الاشارة الى ذلك فيما سبق ؛ وان الايلخان غازان عندما تبرأ من تبعية الطاعة حذف اسم الخاقان من على السكة (٢) .

وكان للخاقان نصيب في واردات الايلخانية ، او فيما يفتحه جيشها ، فكان هولاء يرسل عادة سهمين من كل خمسة اسهم جرت العادة ان يقدمها منذ قيام حكمه وفقاً لتعليمات الخاقان ، اشار الى ذلك ما نقله صاحب عز الدين بن شداد عن علاء الدين علي البغدادي الذي كان قد أسر في وقعة بغداد وعاش بين المغول فترة من الزمن (٣) .

ويبدو ان هذا النصيب اصبح يقدم من واردات الدولة بعد انتهاء الفتوح ، على شكل هدايا سنوية تشمل مختلف منتجات البلاد وحيواناتها حتى بعد ان انتهت

(١) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ١١ ، ٥٥ ، ١٣٥ ، الشبكتاري - مجمع الانساب

الورقة ٣١٠ .

Howorth . 3 . P . 199 . Sykes . 2 . P . 100 .

(٢) انظر ملحق لوحات النقود المرفقة . نظر ايضاً كنموذج آخر ، موقف بركة خان الذي اعترف بخانية منكوكما تدل على ذلك السكة ، ثم تمرده على قبلاي واعترافه بخانية اريقبوقا . انظر في ذلك بارتولد - ترجمة المعارف الاسلامية م ٣ بركة خان .

Howorth . 3 . P . 111 - 112 .

(٣) نقل ذلك اليونيني ج ١ ص ٤٩٧ - ٤٩٨ . ابن ابي الفضائل ج ١ ص ١٠٢ .

علاقات التبعية بين الخاقان والايلاخان ونحوها الى نوع من الصداقة والمودة التي تربط بين أبناء الاسرة الواحدة ، يشير الى ذلك ما نقله « هورث » من ان ابا سعيد يرسل كل سنة من الحيوانات الحية ، النمر والجمال والصقور ، ومقداراً كبيراً من الجواهر الى الخاقان (١) .

ومقابل ذلك كان للايلاخانية نصيب في بعض منتجات الخانية وخاصة في انتاجها من حرير الصين ، ويبدو ان الايلاخانية لم تستلم نصيبها منذ زمن هولوكو ، لذلك فان من جملة الامور التي بحمتها فخر الدين احمد رسول غازان الذي توجه الى الخاقان تيمور (٢) سنة ٦٩٧ هـ / ١٢٩٨ م حاملاً هدايا الايلاخان ، بحث امر هذا النصيب حتى حصل عليه (٣) .

وكان للخاقان ممثل دائم يقيم في بلاط الايلاخان وله منزلة كبيرة بينهم حيث كان يستشار في كثير من الامور ، من ذلك ان كيخانو عندما قرر إصدار عمله الجوا واستشار ممثل الخاقان في بلاطه المدعو بولاد شنكسانك ، وان رشيد الدين عندما أمره غازان بتأليف تاريخه عن المغول استعان بهذا الممثل او السفير « فكان رشيد الدين يجاس

(١) نقل ذلك

Howorth . 3 . p . 630 .

عن مذكرات اسقف السلطانية التي سجلها سنة ٧٣٠ هـ / ١٣٣٠ م .
(٢) تيمور بن شنجكين بن قبلاي ويلقب بالجايتو ، وقد تولى الخانية بعد وفاة جده قبلاي سنة ٦٩٣ هـ / ١٢٩٤ م حتى توفي سنة ٧٠٦ هـ ، وخلفه ابن عمه خايسان .

(٣) وصاف م ٤ ص ٥٠٥ - ٥٠٦ ،

D'ohson . 4 . p . 320 - 321 . Howorth . 3 . p . 439 , 487 .

أمام السفير جلوس الشيخ مع المرید ، وكان السفير يحكي ورشيد الدين يدون « (١) .
على ان مكانته ضعفت في البلاط بعد انقطاع صلة التبعية ، حيث تحول بعدها الى مجرد
ممثل لصاحبه في البلاط شأنه شأن غيره من رسل الملوك الآخرين .

وبالإضافة الى وجود ممثل للخاقان في البلاط فان الايلخان وأمرء الاسرة كان
يلجأون الى الخاقان مباشرة يحتكمون اليه فيما يدب من خلاف او نزاع بينهم ، فيرفعون
اليه الشكوى ويتخذون من أوامره وتعليماته حجة لتبرير ما يقومون به من أعمال
ضد بعضهم .

فعمدما نافس ارغون عمه تكودار ، والتف حوله الأمراء رفعوا الشكوى عليه
بأنه قد اعتنق الاسلام ، وكتبوا اليه تقريراً يخوفونه على الديانة المغولية من ذلك ،
فأرسل الخاقان يهدد الايلخان ويدعوه الى ترك ما اعتقده ، ثم بارك بعدئذ جلوس
ارغون على أشلاء عمه . وكذلك فعمل عندما وصلته شكوى بايدو على ابن عمه
كبخاتو (٢) .

وكان الخاقان بدوره يلاحظ سرا كز القوى في الايلخانية ويعمل على التقرب
اليها وكسب صداقتها ليستغل ذلك في استمرار الطاعة له بفضلها ، من ذلك انه ساهم
في تكريم الامير بوغا الذي لعب الدور الاكبر في إزاحة الايلخان احمد تكودار

(١) انظر المقدمة التي كتبها يحيى الحشاب للترجمة العربية لجامع التواريخ م ٢
ج ١ ص «س ع» انظر ايضاً حاشية (٢) من ص ٢١٤ - ٢١٥ في التعريف بهذا السفير

Howorth . 3 . P . 208 ' 370 ' Malenkm . 1 . p . 270 .

(٢) نقل ذلك عن المؤرخ الارمني ، وعن مقيم ابن العبري .

Howorth . 3 . P . 297 ' 310 ' 373 .

وثنصيب ارغون ، فقد أمر بمنحه لقب چينكسانك - أي أمير الأمراء .
Chingsang .

الذي يعطيه كثيراً من الامتيازات على أقرانه .

وكذلك فإنه عندما أحس بالمكانة الكبيرة التي أشغلها الامير چوان في توجيه دولة أبي سعيد ، تقرب اليه بالهدايا والرسائل ليحافظ بذلك على بقية الصلات بين الحكومتين ، فقد استغل وصوله الى هرات في احدى حملاته العسكرية فأرسل اليه أحد رسله يحمله رسالة مليئة بالثناء والشكر على حسن إدارته ، كما حمل اليه رداه الشرف ولقب امير الامراء (١) .

ولم يهن على الخاقان تمرد بني عمه الايلخانيين على طاعته التي فعماها غازان بحكم اسلامه والذي جعل من نفسه صاحب السيادة الحقيقية على البلاد ، ومن المحتمل ان الثورات التي قام بها بعض أبناء الاسرة على غازان كانت بتحريض من الخاقان نفسه كما فعل بالنسبة لسابقه تكودار . كما ان خراسان تعرضت نتيجة لذلك لغزو مغول ماوراء النهر .

ولكن الخاقان كما يبدو لم يقنط بالرغم من فشل هذه المحاولات ، فقد استغل الحالة النفسية التي اصبح عليها غازان بعد فشل حملته الأخيرة على الشام والتي انقطع بعدها للتعب وخدمة الفقراء والدرائش ، فدبر محاولة لخلعه وإحلال الفرنك بن كيكخاتو محله . ولكن الوزير سعد الدين الساروجي كشف المؤامرة وقبض على سفير

(١) ابرو - ذيل جامع التواريخ ص ١٢١ - ١٢٣ ، رشيد الدين م ٢ ج ٢

ص ١٣٥ ،

Howorth . 3 . P . 320 ' 606 .

الخاقان في تبريز المدعو ناصر الدين وبقية اعوانه ، فأسقط في يد الخاقان (١) .
 على ان الخاقان بعد وفاة غازان سمى للتوفيق بين أبناء الاسرة الجنكيزية
 ليستعيد بذلك مكانته عليها ، فدعا زعماءها الى المصالحة وإقامة علاقات المودة بينهم
 ونجح في جمع كثير منهم وخاصة أبناء اوكتاي وجغتاي ، ثم أرسل وفداً يضم ممثلي
 أبناء الاسرة الى اولجايتو الذي استقبلهم في جمادى الاولى ٧٠٥ هـ في مراغة واحتفل
 بوصولهم احتفالاً كبيراً وأجاب الى دعوة المحبة والمصالحة بمشائها وتماهدوا جميعاً على
 ذلك وأرسل رسله بالهدايا الى الخاقان ، فاستقرت البلاد فترة من الزمن وانتقلت
 التجارة بينهم (٢) .

ثانياً : علاقة الايلخانية مع مغول القبجاق :

ويسمون أيضاً بمغول القبيلة الذهبية نسبة الى لون خيامهم الذهبي ، وهي الدولة
 التي أسسها باتو بن چوچی بن جنكيز خان المتوفى سنة ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م . والذي
 كان يمثل رأس الرمح في التوسع المغولي نحو روسيا وشرقي اوربا ، والذي استقر بعد
 وفاة اوكتاي خان ، على ضفاف نهر الفولغا السفلى حيث أقام عاصمته سراي عليها ،
 وكانت دولته تشمل جميع البلاد التي أمر بها جنكيز لابنه چوچی وما تمتد اليه جيوشهم

(١) علي ابراهيم - دراسات في تاريخ الممالك البحرية ص ١٥٩ - ١٦٠ .

Howorth . 3 . P . 480 ' 486 . Malcolm . 1 . P . 276 .

(٢) وصاف م ٤ ص ٤٧٥ - ٤٧٦ ، بارتولد - الترك في آسيا الوسطى ص ٢٠٢

Howorth . 3 . P . 536 . Browne . 3 . p . 49 .

Minorsky . Maracha . En . Isl .

نحو الغرب ، وكانت في اول أمرها تدبى بالطاعة للخاقان المقيم في قراقورم (١) .
ولعب باتو دوراً كبيراً في تقرير الـياسة المغولية بعد وفاة عمه اوكتاي خان
سنة ٦٣٩ هـ / ١٢٤١ م باعتباره اكبر أحفاد جنكيز خان ، وكان له الفضل المباشر في
نقل الخانية من بيت اوكتاي خان الى بيت عمه تولى وتولية ابنه منكو الخانية سنة
٦٤٩ هـ / ١٢٥١ م .

وكانت علاقة الايلخانية بهذه الدولة حسنة بحكم خضوعهما في اول الأمر الى
توجيه سياسي واحد ، وتعاونهما في عمل عسكري واحد ، ولكن الخلافات بينهما
بدأت بعد وفاة منكو خان مباشرة إذ اختلفت سياسة كل منهما في تفضيل وتأيد احد
الأخوين المتنافسين ، حتى تطور الخلاف بعدها الى صدام عسكري بينهما منقطع فيه
الكثير من المغول .

وتعددت أسباب النزاع بين الدولتين ، فمزاجها البعض الى الخلاف الديني الذي
فرق بين بركة خان المسلم (٢) وهولاكو الوثني واستنكار الاول لما فعله الثاني بالمسلمين

(١) وقد شملت هذه الدولة ، البلاد غرب نهر ارتش حتى أقصى ما وصلت اليه
جيوش باتو ، وكان منها الأراضي الزراعية المجاورة لحوارزم والاقاليم الفارسية المحيطة
بالشاطي الجنوبي لبحر قزوين وغيرها . انظر التاريخ الغازاني م ٤ الورقة ٦٦٤-٦٦٥ ،
٦٨٥ ، الترك في آسيا الوسطى ص ١٦٦ ، موسوعة تاريخ العالم ج ٢ - ترجمة زيادة
ص ٦٦٩ ، ٧١٥ ، بارتولد - ترجمة المعارف الاسلامية م ٣ « باتو » .

(٢) بركة خان بن چوجي بن جنكيز تولى حكم القبيلة الذهبية بعد وفاة أخيه
باتو وابنه سرتاق الذي كان في بلاط منكو عند وفاة ابيه فاستصدر له من الخاقان
مرسوماً بتعيينه بعد ابيه باتو ، لكنه توفي في نفس السنة في طريق عودته . وكان
بركة اول امير مغولي يعتنق الاسلام .

عند استيلائه على بغداد وقتله للخليفة والمسلمين .

وقديكون لهذا الصبب بعض الاعتبار في هذا النزاع خاصة إذا علمنا ان بركة خان كان حديث عهد بالاسلام ، وان تعلقه به كان حقيقة (١) ، ولكنني أعتقد ان العامل السياسي كان هو الأهم في ذلك ، فبينما ساند هولوكو أخاه الأكبر قبلاي في معركة العرش ، ساند بركة خان الاخ الاصغر اريقبوقا واعترف بخانيته وضرب اسمه على نقوده (٢) ، ولا بد أن لبركة أسباباً دفعته للمغامرة على الحصان الاصغر فقد يكون منها خوفه من طغيان شخصية قبلاي القوية على المكانة التي كان قد حصل عليها في الدولة المغولية منذ عهد سلفه منكو خان بسبب الدور الذي لعبه في اجلاسه ، وقد يكون منها ايضاً اعتبار هولوكو بلاد اذربيجان واران جزءاً من ايلخانيته في الوقت الذي يطالب بها بركة خان باعتبارها من البلاد الداخلة في نصيب ابيه چوجي . وقد يكون من هذه الاسباب ايضاً امتناع هولوكو عن تقديم خمس الغنائم التي يحصل عليها والتي كان جنكيز قد قررها لاسرة چوجي (٣) .

(١) لم تكن لبركة مصلحة في اعتناق الاسلام سوى قناعته بصحة تعاليمه ، وقام هو بنشره بين أصحابه وتحمل من اجل ذلك غضب اخيه باتو وكرامته لرؤية السفراء المسلمين في معسكره مما دفع بركة الى نقل معسكره الى الجانب الآخر من النهر .

Howorth . 3 . p . II3 .

(٢)

وهو يشير الى ان قبلاي بعد انتصاره لم يعترف بخانيته بركة لذلك حذف اسمه من قائمة خانات القبيلة الذهبية المحفوظة في بلاطه .

(٣) وصاف م ٤ ص ٣٩٨ ، اليونيني ج ١ ص ٤٩٧ - ٤٩٨ ، ج ٢ ص ٣٦٤ -

وأشغلت الحرب التي قامت بين الدولتين في السنين الاخيرة من حياة هولوكو حتى أنها منعتهم من الانتقام لهزيمة جيوشه في عين جالوت ، واضطرته بعدها الى التفتيش عن اعداء يستعين بهم أمام تحالف خصمه مع الظاهر بيبرس عدوه الآخر .

وكانت الحرب سجالاً بينهما ، انتصر هولوكو في أولها على بعض جيوش بركة خان ، ففره ذلك على ارسال ابنه اباقا للملاحقة خصمه والقضاء عليه ، فدارت الدائرة على اباقا الذي وقع في مصيدة بركة خان ، ولم يستطع سوى النجاة بقله من أصحابه بينما سقط الآخرون طعمة لسيوف بركة او غرقاً في نهر ترك الذي انهار جليده تحت أقدامهم من شدة هروبهم . ولم يتحمل هولوكو قسوة الهزيمة التي أثرت على معنوياته وجعلته يفرغ حقه في قتل جميع تجار عدوه الذين كانوا في بلده (١) .

وورث اباقا هذا النزاع الذي اضطره الى اتباع سياسة دفاعية مع المماليك لكي يستعمله . وانتهز بركة خان وفاة هولوكو فأرسل جيوشه بقيادة نوغاي الذي عبر الدربند وتوغل في اذربيجان في صفر ٦٦٤ هـ / ١٢٦٦ م ، لكنه تراجع جريماً أمام جيوش اباقا التي قادها أخوه يشموت ، ثم توسعت دائرة الحرب بعد ذلك عندما

١- ابن ابي الفضائل ج ١ ص ١٠١ - ١٠٤ ، ابن خلدون ج ٥ ص ٥٣٧ ، الرمزي م ١
تلفيق الأخبار ص ٤١٤ . انظر ايضاً تعليق زيادة في حاشية المقرئ ج ١ ق ٢
ص ٤٧٣ - ٤٧٤ . بارتولد - ترجمة المعارف الاسلامية م ٣ - بركة خان .
(١) رشيد الدين م ٢ ج ١ ص ٣٣٢-٣٣٥ ، بارتولد - ترجمة المعارف الاسلامية
م ٣ - بركة خان .

Bretschneider . 2 . P . 116 ' Howorth . 3 . P . 115 - 116 . '
Sykes . 2 . P . 101 .

زحف كل من اباقا وبركة نحو الآخر حتى حجز بينهما نهر « كر » عدة ايام ، ثم لم ينقذها من الاشتباك بعدها سوى مرض بركة وانسحابه ووفاته في طريق عودته سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م (١) .

وتحسنت علاقات اباقا مع منكو تيمور (٢) الذي خلف بركة على العرش والذي أحس بعجزه عن مواصلة سياسة الحرب مع جيرانه ، فساد السلام والاستقرار حدود البلدين ، حتى أن منكو تيمور أرسل رسوله الى اباقا سنة ٦٦٩ هـ / ١٢٧١ م حاملا انواع التحف والهدايا للإيلخان مع التهنئة بانتصاره على مغول ما وراء النهر (٣) . ويبدو أن الاحداث العسكرية بدأت ثانية في اواخر أيام اباقا ، ذلك ان منكو تيمور لم يكن قد قطع صلاته مع المماليك الذين يبادلونه الرسل ويحرضونه على الإيلخان ، فضلا عن استمرار انتشار الاسلام بين رعيته وتأثير ذلك في ترجيح الميل الى المسلمين مما أدى الى هذه الاحداث التي ورد بأخبارها القصاد على الملك قلاون سنة ٦٧٩ هـ / ١٢٨٠ م والتي أفادوا بأن « أولاد أخي بركة خان طلعوا على النتر وأخذوا بيوتهم وكسروهم مرتين وانهم معهم في أتعس الاحوال (٤) .

وفي عهد ارغون بقيت حوادث الحدود تعكر من صفو العلاقات بين الدولتين ،

(١) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ١٣ - ١٤ ، خواندمير م ٣ ج ١ ص ٦٢ .

(٢) منكو تيمور بن طغان بن باتو خلفه بركة وحكم من سنة ٦٦٥-٦٨١ هـ .

(٣) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ٥٦ .

(٤) البيهقي ج ٢ ص ٤٧٢ ، المقرئ ج ١ ق ٢ ص ٥٩٠ ، المقرئ الفيومي

ق ٢ - نثر الجمان - الورقة ١٣٨ ، ٢٢٣ .

في الثاني ٦٨٧ هـ / ١٢٨٨ م تعرضت منطقة الدربند الى هجمات بعض قواد القبجاق الذين نهبوا القوافل التجارية ثم ارتدوا عندما علموا بتوجه ارغون بنفسه اليهم ، ولكنهم كروا ذلك في سنة ٦٨٩ هـ / ١٢٩٠ م . عندما زحف خان القبجاق (١) بنفسه لمهاجمة الحدود في الوقت الذي عبر فيه قواده الدربند وتوغلوا داخل البلاد ، فتصدى لهم ارغون واختبكت جيوشه مع المغيرين فأوقعت بهم الهزيمة فولوا مدبرين (٢) .

وظهرت بوادر الصلح بين البلدين في عهد كيخاتو الذي استقبل في ربيع الثاني ٦٩٣ هـ / ١٢٩٤ م رسل توقتا خان القبجاق الجديد الذين قدموا للصلح والوفاق (٣) . وبالرغم من خلو عهد غازان من الحوادث التي تعكر السلام بين الدولتين ، إلا أن الاستقرار كان مهدداً في كل لحظة بسبب أطماع توقتا ومطالبته بمحقوق آباءه في بلاد الايلخانية إذ وصلت رسله غازان في جمادى الاولى سنة ٧٠٢ هـ / ١٣٠٣ م وهو في العراق ، يطالبه باعادة مملكة اران واذريجان ويهدده بالحرب ، ولما كان الايلخان يستعد للحرب مع المماليك فقد ألان في جوابه المرسل وأظهر لهم الاحترام

(١) كان الخان في هذه الفترة هو تلابغا بن منكو تيمور الذي تولى العرش عند تنازل أخيه تدان منكو الذي حكم بين سنة ٦٨١ - ٦٨٦ هـ . وقد قتل تلابغا سنة ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م بسبب اختلافه مع قائد الجيش نوغاي الذي اختار مكانة أخاه توقتا الذي حكم بين ٦٩٠ - ٧١٢ هـ .

(٢) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ١٣٨ ، ١٥٤ - ١٥٥ .

Howorth . 30 P . 320 - 322 335 .

(٣) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ١٨٠ .

وحملهم رسالة رقيقة الى توفتا دعاه فيها الى المسالمة والصفح وتناسي الاحقاد وإحلال الصفاء بين الدولتين (١) .

وتكررت المطالبة في عهد اوجايتو الذي استقبل الرسل في سنة ٧٠٤ هـ / ١٣٠٤م وتكرر التهديد بالحرب ، ولكن توفتا لم ينفذ بطائل (٢) .

وتوفرت أسباب الصلح بين الدولتين عندما تولى ازبك خان (٣) عرش القبيلة الذهبية في سنة ٧١٢ هـ الذي بدأ عهده بمراسلة الملوك المجاورين ومهاداتهم ، إذ يشير حافظ ابرو الى وصول كيخاتو رسول الملك ازبك الى السلطانية سنة ٧١٣ هـ / ١٣١٣م حاملا معه الهدايا (٤) .

ومن المحتمل ان المراسلات استمرت بعد ذلك ، إذ أن اوجايتو استجاب

(١) وصاف م ٤ ص ٣٩٨ .

D'ohsson . 4 . P . 317 - 319 .

Howorth . 3 . P . 537 . (٢)

وكان توفتا قد أرسل في نفس الوقت رسله الى الممالك يدعوهم للتعاون في حملة عسكرية وقد وصلت رسله بعد دعوة اوجايتو للصلح ، ثم كرر الدعوة ثانية فأجيب بأنه لا يصح نقض الصلح ، النويري ج ٣٠ ق ١ الورقة ١٠٥ ، ١٥٤ ، ابن ابيك ج ٩ ص ١٢٨ ، المقرزي ج ٢ ق ١ ص ٧ ، ١٢٧ .

(٣) ازبك خان بن طغرل بن منكوتيمور حكم بعد وفاة عمه توفتا من سنة

٧١٢ - ٧٤١ هـ .

(٤) ذيل جامع التواريخ ص ٥٥ . ويشير المقرزي ج ٢ ق ١ ص ١٢٢ الى

وصول رسل ازبك الى السلطان الناصر في نفس التاريخ ٧١٣ هـ .

لشكوى ازبك خان من اعتداءات بابا بهادر أحد قواده على منطقة خوارزم سنة ١٣١٥ هـ / ١٣١٥ م فأمر بقتله هو وابنه (١) .

على أن وفاة اولجايتو وصغر خلفه أبي سعيد كان مشجعاً لامراء المغول على انتهاز الفرصة واحتلال بعض بلاده ، فقد توغلت جيوش ازبك خان عبر الدر بند حتى وصلت منطقة موغان وهاجت جيوش الايلخانية التي هربت أمامها لولا ان ابا سعيد تصدى بنفسه لها ثم لحق به چوبان فاستطاع دحرها وملاحقتها حتى الحدود (٢) .

وكان قيام الصلح مع المماليك سنة ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م إنقاذاً لأبي سعيد من محاولات ازبك الجديدة للتحالف مع المماليك عليه (٣) وعلى العكس من ذلك فقد استغل ابو سعيد هذا الصلح للقيام بتأديب بني عمه حيث اوعز الى چوبان بمهاجمة ديارم سنة ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م الذي اخترق الدر بند حتى وصل نهر ترك ، الامر الذي أدى بعدها الى قيام مفاوضات الصلح بين الفريقين فاستقرت البلاد وساد السلام (٤) .

(١) مينورسكي - ترجمة المعارف الاسلامية م ٥ - تغايمور .

(٢) ابن خلدون ج ٥ ص ٥٤٩ ، خواندمير م ٣ ج ١ ص ١١٧ ، العيني -

الورقة ١٨٢ - ١٨٣ في حوادث سنة ٧١٩ هـ .

Price. 2. p. 654. D' Herbelot. p. 29.

(٣) كانت المراسلات بين الناصر وازبك مستمرة حتى أن الناصر تزوج من

احدى قريبات ازبك ليقوي التعاون بينهما على الايلخانية .

(٤) تاريخ كزيدة ص ٦٠٧ ، ابرو ص ١١٧ ، العيني الورقة ٣٦١ - ٣٦٢

في حوادث سنة ٧٢٣ هـ ، حسن ابراهيم - مصر في العصور الوسطى ص ٢٨٧ .

ولكن حبل السلام لم يطل كثيراً بأبي سعيد ، إذ أن الانباء وصلت في اواخر
يامه باعتمادات جيوش ازبك خان على بلاده فعزم على قيادة الجيش بنفسه ، وبينما
كان يستعد لذلك إذ أصابه المرض الذي أودى به فترك البلاد من بعده نهياً
لكل طالع (١) .

ثالثاً - علاقة الايلخانية مع مغول ما وراء النهر :

ويسمى الكيان السياسي الذي أنشأه المغول فيما وراء نهر جيحون عادة بمملكة
الجغتاي نسبة الى جغتاي الابن الثاني لجنكيز ، الذي كانت أراضيه تمتد من حدود
بلاد الايفور حتى سمرقند وبخارى (٢) .

على أن هذا الكيان لم يقتصر على أبناء الجغتاي فحسب وإنما شمل أبناء
اوكتاي ايضاً .

وبدأت علاقة الايلخانية بهم بعد استعادة وجودهم ثانية (٣) في اعقاب الصراع
على السلطة بين الأخوين قبلاي واريقبوقا ، فقد استغل براق (٤) حفيد جغتاي ثقة

(١) ابرو ص ١٤٣ - ١٤٤ ، ميخونند ج ٥ ص ١٧٨ ، الشبنكاري - مجمع
الأنساب الورقة ٣٤٣ .

Howorth . 3 . p . 623 .

(٢) بارتولد - الترك في آسيا الوسطى ص ١٨٤ .

(٣) كان أبناء البيتين قد تفرقوا وشردوا في اعقاب تأمرهم على بيعة منكوخان
سنة ٦٤٩ هـ / ١٢٥١ م .

(٤) تعدد الامراء الذين اختارهم قبلاي لزعامة بيت الجغتاي الذين كان يحاول
استغلالهم في صراعه مع اخيه اريقبوقا من ناحية ، وليقفوا ضد اطماع قايدو حفيد -

الخاقان الجديد قبلاي فمكن لنفسه في البلاد وتمالف مع قايدو حفيد اوكتاي الذي كان بطم في استمادة حقوق بيته في الخانية ، على الخاقان الجديد وعلى ابن اخيه اباقا . وبالرغم من تطور العلاقة بين الخليفين المتنافسين على زمامة المنطقة ، فقد اتفقا بعد سلاطة من الحروب على وضع حد للنزاع بينهما ، وإعادة توزيع البلاد بينهما وتوحيد قوانينهما لمصلحة البيتين ، وتقرر في الاجتماع الذي ضم زعماء البيتين سنة ٦٦٧ هـ / ١٢٦٩ م على إعادة تقسيم بلاد ما وراء النهر بينهما واقطاع جزء من البلاد الايلخانية لمصلحتهما (١) .

وغابت الحروب على علاقات الايلخانية بعمول الجغتاي حتى أصبحوا مصدر خطر دائم يهدد الايلخانات ويمتصهم من إجماع خططهم العسكرية مع خصومهم الآخرين ، بالإضافة الى احدائهم الحراب في منطقة خراسان ومازندران المجاورة لهم . وكان اول اتصال بين البلدين في سنة ٦٦٨ هـ / ١٢٧٠ م عندما وصل بلاط اباقا

– اوكتاي في الخانية ، فقد اختار أولاً ابيشكا بن يوري ، ثم اختار الغا الذي كان قد انشق على اريقبوقا ، ثم بعد وفاته سنة ٦٦٢ هـ اختار مبار كشا الذي كان قد اعتنق الاسلام فنقم عليه قبلاي ودس عليه براق الذي استطاع انتزاع الامارة منه لنفسه وأصبح حليفاً للخاقان . انظر فاميري - تاريخ بخارى ص ١٩٠ - ١٩٢ ، بارتولد - ترجمة المعارف الاسلامية م ٣ - براق .

(١) فاميري - تاريخ بخارى ص ١٩٣ ، بارتولد - ترجمة المعارف الاسلامية

م ٣ - براق .

Sykes . 2 . 101 .

الأمير مسعود (١) موفداً من قبل براق في مهمة ظاهرها المطالبة بتقديم حسابات املاكه الخاصة ، وباطنها التجسس لمعرفة قوة اباقا وطرق المواصلات في بلاده ، وانكشفت حقيقة مسعود بمد سفره بأيام عندما وصلت أنباء حشودهم على حدود خراسان .

ولم تفد محاولات اباقا لاقتناع براق بالصلح مقابل حصوله على مقاطعات غزنة وكرمان ، ذلك ان براق اعتقد انه قادر على هزيمة الالماخان بفضل الجيش الكبير الذي كان قد تجمع حوله ، ولكن ، وبفضل الحيلة التي لجأ اليها اباقا ، سقط براق في شر اعماله عندما وجد نفسه محاطاً بجيش الالماخانية ، وجبوشه تهرب من حوله ، فلم يجد غير الهزيمة سيلاً للنجاة ، ثم لم يطل به الأجل بمد ذلك إذ أصيب بمرض أقعده عن الحركة وتفرق اصحابه عنه (٢) .

وعزم اباقا بمد انتصاره الساحق على خصمه ، الفيام بمهاجمة بلاده وتأديب اعوانه لكيلا يماودوا المهجوم ثانية ، فأرسل جيوشه سنة ٦٧١ هـ / ١٢٧٣ م التي

(١) الأمير مسعود بن محمود يلواج الخوارزمي الحاكم الاداري لبلاد ما وراء النهر منذ زمن اوكتاي خان ، وكانت له مثل ابيه مكانة كبيرة بين زعماء المغول ، وهو الذي تولى اعمار البلاد واصلاحها ، وقد توارث ابناؤه مكانته من بعده .

(٢) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ١٨ - ٤٥ ، تاريخ كزبيدة ص ٥٨٢ ، تاريخ بخارى ص ١٩١ - ١٩٥ ، ويشير بارتولد - ترجمة المعارف الاسلامية م ٣ - براق - إلا ان قايدو هو الذي شجع براق على هذه الحملة لكي يخلص من وجوده معه .

Howorth . 3 . P . 228 - 238 . D'Herbelot . P . 2 .

عبرت نهر جيحون وهاجت بخارى وتركتها خراباً (١) .

وساد الهدوء حدود البلدين فترة طويلة من الزمن ، إلا من بعض أحداث حماية بسيطة كانت تمكر السلام ، من ذلك توغل بعض جيوش قايدو حتى نواحي باخ وصرى في سنة ٦٨٧ هـ / ١٢٨٨ م ثم انسحابهم بعد تخريبهم البلاد (٢) .

وعلى أثر الفوضى التي سادت البلاد الايلخانية عند انكشاف محارلة الأمير بوقا التخلص من الايلخان ارغون سنة ٦٨٧ هـ واتهام عدد من الأمراء بمشاركته ، خاف الأمير نوروز على نفسه وهرب الى مغول ما وراء النهر ، فرحب به قايدو واستغله في إرسال بعض الجيوش التي هاجت خراسان سنة ٦٨٨ هـ / ١٢٨٩ م وأرغمت الأمير غاران الذي كان يتولى مسؤولية خراسان ، أرغمته على التراجع والاستجداء بأبيه (٣) . وفي عهد غاران ، استمرت حوادث الحدود مقلقة للایلخانيز ووثيرة على خطط غازان اليماسية والعسكرية ، فقد اضطر مثلاً سنة ٦٩٩ هـ الى ترك دمشق قبل أن يستتب سلطانه عليها ويعود بسبب تعرض بلاد خراسان لهجوم جيوش الجغتاي الذين كان هدفهم الذهب والسلب ، وقد توغلوا في البلاد حتى وصلوا ضواحي شيراز

(١) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ٥٨ ، تاريخ بخارى ص ١٩٦ ، بارتولد - ترجمة

المعارف الاسلامية م ٣ - بخارى .

Sykes . 2 . P . 102 .

(٢) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ١٢٧ .

(٣) نفس المرجع ص ١٤٩ .

Howorth . 3 . P . 338 - 339 .

وخوزستان ثم عادوا ناركين وراهم الكثير مما غنموه بسبب كثرتة وعجزهم عن حملته (١).
 وصد اولجايتو خلال توليه مسؤولية خراسان سنة ٧٠٢هـ / ١٣٠٣ م هجوماً
 قامت به بعض هذه الجيوش وألحق الهزيمة بها (٢).
 وتمت أول مصالحة بين الايلخانيين ومغول ما وراء النهر في عهد اولجايتو الذي
 استقبل في بلاطه في جمادى الاولى سنة ٧٠٥هـ / ١٣٠٥ م رسل بني عمه جبار ودوا (٣).
 بالاضافة الى رسول الخاقان تيمور الدين دعوه الى إحلال المحبة والصفاء بين أبناء
 أسرة جنكيز فرحب اولجايتو بدعوتهم وحملهم بالهدايا والرسل لتأكيد ذلك (٤).
 على أن دعاة السلام لم يفتظروا جفاف مداده ، إذ تنازعوا فيما بينهم وأشهروا
 السلاح على بعضهم ، ثم استغل بعضهم توجه اولجايتو نحو الشام فعاتوا في خراسان
 فساداً وتركوا فيها الخراب ، الأمر الذي دفع الايلخان الى التمسجيل بالعودة عن
 الرحمة سنة ٧١٢هـ لملافة خطر هؤلاء الغزاة ، وقرر تأديبهم والانتقام منهم فتوجه

(١) علي ابراهيم - دراسات في تاريخ الممالك البحرية ص ١٥٥ .

Howorth . 3 . P . 446 . Sykes . 2 P . 111 - 112 .

(٢) التاريخ الغازاني م ٣ - الورقة ٥٣٤ - ٥٣٥ .

(٣) كان يتزعم اسرة اوكتاي في هذه الفترة جبار بن قايدو ، اما اسرة
 جغتاي فيرأسها دوا بن براق . ويشير بارتولد - الترك في آسيا الوسطى ص ٢٠٢ .
 إلا ان الخاقان الجغتاي دوا هو صاحب فكرة المصالحة بين ابناء الاسرة وهو الذي
 فاتح بها الخاقان تيمور .

(٤) وصاف م ٤ ص ١٧٥ ، الترك في آسيا الوسطى ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

Howorth . 3 . P . 536 .

بنفسه الى خراسان وأرسل جيوشه عبر جيحون لتقابل التخريب بالتخريب ، ثم رأى قبيل عودته عنها اختيار ابنه ابا سعيد لمسؤوليتها بعد أن أحاطه بالحاشية المدبرة ، ليكون وجوده فيها أمناً لأهلها ورادعاً لأعداء البلاد (١) .

ورحب اولجايتو بالنزاع الذي قام بين خصومه وشجع عليه عندما قبل لجوء الأمير يسار في بلاده وأقطمه المنطقة الممتدة من نهر جيحون حتى حدود مازندران ثم أمده بجيش ايرد به على ملاحقة ابن عمه كبك بن دوا (٢) الذي كان قد عبر جيحون وراه ، والذي فر عائداً الى بلاده بعد ذلك (٣) .

ويبدو أن اولجايتو استغل لجوء يساور ، فلم يكتف بالحاق الهزيمة بأعدائه بل أرسله على رأس الجيش سنة ٧١٦ هـ / ١٣١٦ م الى داخل البلاد حتى وصل بخارى وأجبر سكانها على الهجرة منها وتركها خراباً (٤) .

ولكن الأمير اللاجي لم يرع جميل اولجايتو وحمائته له عندما طعم بالاستقلال ببلاد خراسان بعد وفاة الايلخان ، مستغلاً صغر ابنه ابي سعيد ، وبالرغم من نجاحه في استمالة بعض أمراء خراسان وفرض سلطانه على معظم أقدامها مدعياً بأنّه يعمل لمصلحة الايلخان الصغير ، إلا أنه اضطر الى التراجع والاعتذار عندما وصلت جيوش

(١) وصاف م ٥ ص ٦١٠-٦١١ ، تاريخ كزبده ص ٥٩٨ ، ابرو ص ٥٣-٦١ .

(٢) كبك بن دوا بن براق ، تولى رئاسة الاسرة بعد اخيه ايسن بوقا من

سنة ٧١٨ - ٧٢٦ هـ .

(٣) وصاف م ٥ ص ٦١٣ ، ابرو ص ٦١ - ٦٥ .

Price . 2 . P . 640 - 641 .

(٤) پارتولد - ترجمة المعارف الاسلامية م ٣ - بخارى .

أبي سعيد خراسان لتقضي على فتنته .

على انه سرعان ما عاود الكرة ، مستغلا انقسام الامراء وتآمرهم على الأمير جوبان الذي كان قد تولى الوصاية على الابلخان القاصر ، فقام بفرض طاعته عليها وملاحقة معارضيه فيها ، ثم أرغم ثانية على الهرب أمام الجيوش التي زحفت للقضاء عليه والتي تعاونت مع جيوش الأمير الجغتاي كبك الذي تصدى له من ناحية بلاده فسقط بين الجديشين قتيلا في سنة ٥٧٢٠ / ١٣٢٠ م (١) .

ولم يؤد التعاون بين الجديشين في المعركة الأخيرة الى التوفيق والمصالحة بين الدوائين ، فقد طعم الأمير كبك بالاستيلاء على بلاد خراسان سنة ٥٧٢٢ / ١٣٢٢ م مفتحا فرصة تخليصه من عدوه يساور ، ولكن جوبان لم يسمح له بذلك عندما جعل معسكره الدائم فيها .

وكرر ترماشين (١) أخو كبك محاولة أخيه بعد وفاته سنة ٥٧٢٦ مهاجم غزنة وكابل ، لكنه تراجع هاربا أمام الجيوش التي قادها حسن بن جوبان (٣) .
وتكررت محاولات الاعتداء على خراسان بعد ذلك حيث استغل الغزاة حالة

(١) وصاف م ٥ ص ٦٢٠ - ٦٢٣ ، ابرو ص ٧١ ، ٧٤ - ٨٤ ، ٨٧ - ٩٦ ،

١٠٤ - ١١٣ ، ميرخوند ج ٥ ص ١٦٣ - ١٦٥ .

(٢) ترماشين بن درابن براق خلف اخاه كبك في زعامة الجغتاي سنة

٧٢٦ - ٨٧٣٥ .

(٣) العيني - الورقة ٣٤٢ - ٣٤٣ في حوادث سنة ٥٧٢٢ ، الترك في آسيا

لوسطى ٢٠٩ .

Howorth . 3 . p . 606 . Price . p . 662 .

الفوضى التي عمت البلاد بعد مقتل چوبان ، فكانوا يهاجمون البلاد ويسلبونها ثم يعودون قبل أن يشمر بهم أسراء البلاد ، ولم تخلص الاياخانية من هذه الاعتداءات إلا سنة ٧٣٥ هـ / ١٣٣٥ م عندما قتل الأمير ترماشين ، واشتبك خلفاؤه مع بعضهم في نزاع شغلهم عن البلاد الأخرى (١) .

(١) المقرئزي ج ٢ ق ٢ ص ٢٨٩ .

الباب الخامس

زوال الايلخانية

١ - العوامل غير المباشرة

٢ - العوامل المباشرة

الباب الخامس

نهاية الحكم الايلخاني بالصراف

لم يطل الزمن بالكيان الايلخاني كثيراً ، إذ انهار ولما يبلغ قرناً من العمر ، وكان ممكناً أن ينهار قبل ذلك لو وجدت الدولة القوية أمامه ، او لو استمرت الدولة المملوكية على قوتها التي انصفت بها حتى نهاية عهد قلاوون الأب .

وليس غريباً انهياره بهذه السرعة ، فتلك ظاهرة طبيعية تتصف بها الكيانات البدوية التي لا تملك من اسباب وجودها سوى القوة والبطش ، إذ ان هذه العوامل بقيت تطبع اعمالها حتى زوالها ، وبعد ان كانت موجبة نحو اخضاع الشعوب الاخرى عند قيام الحكم المغولي ؛ تحول استخدامها نحو المغول انفسهم بعد استقرار هذا الحكم واستسلام المحكومين لهم . ويمكن تمييز نوعين من العوامل أدت الى زوال هذا الكيان وهي :

اولا - العوامل غير المباشرة :

لم يكن سقوط هذا الكيان فجائياً بعد وفاة ابي سعيد بلاخلف ، وانما كانت عوامل الضعف قد بدأت مبكرة تنخر في كيانه ، ولم يكن يمكن من سقوطه قبل هذا

الوقت إلا ضعف القوى السياسية المجاورة له وانقسامها على نفسها من جهة (١) ،
وظهور شخصية غازان القوية الذي استطاع إعادة الشباب الموقت الى الدولة فمد من
عمرها حفنة من السنين ثم لم يلبث ان اصرع الهرم اليها بعد وفاته .

ويمكن اعتبار وفاة اباقا سنة ٦٨٠ هـ / ١٢٨١ م بداية لعمالية عوامل الضعف ،
إذ أن الصراع على السلطة الذي وقع بين ابناء الاسرة من بعده ، كان اول مغول
هدم في هذا الكيان ، على ان ذلك لم يكن الوحيد ، اذ تضافرت عوامل اخرى
نشأت عنه وساعدت على الاسراع في هدمه ، ويمكن تلخيص ذلك بالملاحظات التالية :

١ - عدم وجود قانون لتنظيم وراثية العرش : وكان فقدان المغول لمثل هذا
القانون سبباً لكثير من المشاكل التي أثرت على كيانهم ، فقد تعارف المغول منذ أن
كانوا في صحرائهم على مجموعة من العادات والتقاليد التي أملت عليها الحاجة لتنظيم
حياتهم ، فنمت مع نموهم وتطورت مع تطورهم ، وكان من هذه التقاليد مسؤولية
زعامة الاسرة او القبيلة التي كانت تناط عادة بالأقوى من الرجال سناً ورأياً وشجاعة ،
ليستطيع اثبات وجودها وقت الشدائد وحماية كيانها من الأخطار وكان جنكيز قد
قام بعد إخضاعه هذه القبائل وتوحيدها بتنظيم وتطوير هذه العادات والتقاليد بما
يتلاءم وحاجة الكيان السياسي الجديد حيث نسبت صورتها الجديدة اليه وعرفت باسم
(١) وأقصد بها الدول المجاورة وخاصة الملوكية ، اذ الملاحظ ان قلاون الأب

تفرغ بعد وفاة اباقا سنة ٦٨٠ هـ وانقسام الابلخانيين الداخلي ، تفرغ لتصفية الشام
من بقايا الجيوب الصليبية ، وكان محتملاً ان يتوجه نحو العراق لو طال به الزمن ،
ولكن وفاته سنة ٦٨٩ هـ وانقسام الامراء من بعده على ابنائه ، كان حماية للنظام
الابلخاني الذي كان في غاية الضعف والانقسام .

قوانين جنكيز خان او « الياسا » وبقيت هذه الياسا قوانين عرفية غير مدونة ، مفروضة للاضافة والتطوير تبعاً لاحساس منظمها جنكيز ، باعتباره مفكراً وشرعياً ، بحاجة المجتمع الجديد الى هذه الاضافة والتطوير ، ولكنه عند وفاته جدت هذه القوانين على الصورة التي بلغتها ، فحرص أبنائه من بعده على التمسك بها والاهتمام بتطبيق تعاليمها ، وحال قرب المغول من عهد جنكيز وسيطرة شخصيته القوية على المجتمعين في القوريلتاي الذي انمقد إثر وفاته ، حال دون اعتراضهم على تخطي جنكيز أبناءه الكبار ، فاحترموا رغبته في تقرير شرعية توليه ثالث أبنائه من بعده مع وجود اخيه الأكبر جغتاي ، وأخوة جنكيز انفسهم بين المجتمعين ، بالرغم من اعتذار المرشح عن قبول الترشيح وتأكيده على افضلية اخيه او احد اعمامه عليه (١) ، ونتيجة لذلك فقد أصبحت مسؤولية الرعامة وفق هذه القوانين للعرفية يتوارثها ارشد أبناء الزعيم او الخان المتوفى باعتباره كفوءاً لها ، إلا اذا نص على واحد من الابناء بمينته ، حيثئذ ، كان المفروض أن تؤخذ هذه التوصية بنظر الاعتبار عند اجتماع أبناء الاسرة الباقين ومن يجب ان يضمهم مجلس القوريلتاي الذي يجب أن يجتمع بهذه المناسبة لاجراء احتفالات الجلوس ولاضفاء صفة الشرعية على الابلخان الجديد .

ورث الابلخانيون هذه القوانين ، وكانوا بميددين عن الروح التي رافقت تطويرها فأصبحوا مقلدين في تطبيق احكامها الامر الذي قادم الي الاختلاف في تفسير تعاليمها ، ثم وسعت المصالح والرغبات الخاصة هذا الاختلاف حتى تحول الى نزاع بين

(١) الجويني - جهانكشاي ج ١ ص ١٤٣ - ١٤٧ ، التاريخ الغازاني م ٣ -

اصحابه ، وكل منهم يدعي الحرص على التمسك بتماميها ويتمم الآخرين بالخروج عليها فكانت الفتنة التي أصبحت أساساً لكل فتنة بعدها .

فقد تولى اباقا العرش بعد ابيه باعتباره اكبر الحاضرين من أبناء الاسرة سنأ وان أباه استخلفه من بعده بوصية سمعها الامراء منه ، فلم يقيم خلاف بين الامراء على شرعية جلوسه ، ولكنه عند وفاته ، اختلف الامراء ، فالاخبار لا تشير الى انه اختار وريثه ، فانفتحت اكثرية الامراء على اختيار اخيه تكودار باعتباره ارشد أبناء هولاء الاحياء ، معتمدين في ذلك على المفهوم العام لهذه القوانين وعلى سابقة دستورية من هذا النوع عند ترشيح باتو للخانية بعد وفاة كيوك (١) ، بينما تمسكت أقلية منهم بحق ارغون بورانة العرش باعتباره اكبر أبناء اباقا ، ولم تنجح احكام الياسا في فرض احترامها على المجتمعين لتقرير ايلخانية تكودار إلا لان ارغون لم يستطع استمالة القوة الى جانبه ، ولكنه استطاع ذلك بعد سقوط عمه قتيلا أمام اطماع الامراء في العرش ، إذ انقسم الامراء ثانية على انفسهم الى ثلاث مجموعات ، وبالرغم من وجود ابن ثالث لهولاءكو على قيد الحياة هو هولاجو الذي كان اكبر الحاضرين ، إلا ان القوة التي لعبت دورها خلال الاجتماعات ، استطاعت فرض تفسير الياسا بما يتفق وشرعية جلوس اضعف الثلاثة حجة وهو ارغون .

وأصبح العرش بعد ذلك ، ولفترة طويلة من الزمن ، من نصيب كل طامع

(١) كان القرار الذي اتخذته المجتمعون آنذاك الممثلون لجميع بيوت جنكيز هو

« لما كان باتو اكبر الأبناء سنأ وانه اصلح الجميع وأكفأهم فهو لذلك يجب ان يتولى

الخانية ، انظر الجويني ج ٣ ص ٧ - ٨ ، التاريخ الغازاني م ٤ الورقة ٨١٤ ،

الجوزجاني : سياسة الأمصار وتجربة الأعصار « در تاريخ آل جنكيز ، ص ٦١ ، ٦٣ .

فيه من ابناء الاسرة يستطيع امتلاك القوة التي تفرض التفصير الملائم لاحكام الياسا لتبرير استيلائه عليه ، تمثل ذلك في جلوس كيخاتو إثر وفاة أخيه ارغون باعتباره وارثاً له بالرغم من وجود ابن عمه بايدو الذي رشح للعرش قبله ، ثم في ارتقاء بايدو للعرش على جثة كيخاتو الذي انقلبت عليه القوة التي سبق لها أن رفعت مبررة عملها بخروجه على تعاليم الياسا وعدم احترامها لها ، ثم كان أخيراً سقوط بايدو بنفس الايدي التي آزرته لمصلحة غازان الذي برر خروجه عليه بأحقية بالعرش باعتباره وارثاً لابيه وعمه ، وبرر قتله للايلخان بأنه انتقام منه لقتله كيخاتو .

وصفا العرش لغازان ثم لآخيه من بعده بعد اختفاء المنافسين لهم الطامعين فيه حتى إذا جاء الدور الى ابي سعيد الطفل القاصر ، لم يكن هناك من ذرية هولاء من بلغ مبلغ الرجولة لينافسه عليه فتولاه طبقاً لاحكام الياسا باعتباره وارثاً له عن ابيه ، وباعتباره ارشد ابناء الاسرة .

نستخلص من ذلك ان الحكم الايلخاني لم يخضع لقاعدة معينة في تنظيم ولاية العرش ، فلا هو أخذ بنظام الوراثة الذي لم يتول العرش بموجبه إلا ايلخانان هما اباقا وابو سعيد ، ولا هو أخذ بالنظام القبلي الذي يعتمد على الكبر والكفاءة والذي نلمح بعضه في تولي تكودار واولجايتو الى حد ما . اما الباقيون من الايلخانات فقد فرضت شريعة الغاب وجودهم على العرش الذي اريقت للوصول اليه الكثير من الدماء .

٢ - ونشأ من جراء هذه الفوضى انتشار روح البغضاء والمداوة بين ابناء الاسرة وجرأة بعضهم على بعض وذلك بسبب حرص الايلخانات على عروشهم من ناحية ومزاحمة اخوتهم وبني عمهم لهم وطعمهم في الحلول محارمهم من ناحية اخرى . وبدأ

ذلك في عهد تكودار الذي تعرض لمنافسة ابن اخيه له ثم غدر اخوته به ومؤازرتهم لابن اخيه وشكواهم عليه عند الخاقان الذي أرسل يهدده بترك ما اعتنق من الاسلام ولم يكتفوا بذلك بل تأمر أخوه كنفرتاي مع اثنين من الحرس للقبض عليه خلال احد الاحتفالات ، فاضطر تكودار حينئذ الى قتله (١) فكان اول امير ايلخاني يلقى حتفه على يد أخيه بسبب الصراع على العرش .

وفتح تكودار بذلك الباب لابن اخيه ارغون الذي اقتدى به للتخلص من ابناء الاسرة الذين قد ينافسونه على العرش بعد ان امتلى جثة عمه للوصول اليه ، وبدأ ذلك بمد انكشاف محاولة نائبه بوقا للغدر به فان ارغون لم يكتف بما ازهقه من ارواح زعماء المغول الذين حامت الشبهات حولهم بمؤازرة بوقا ، بل توجه بشكك نحو بني عمه من امراء الاسرة الذين سبق لهم ان وقفوا معه ضد عمه الايلخان السابق ، والذين كشفوا له هذه المحاولة ، فلم يترك احداً منهم قد يطعم بمنافسته على العرش مستقبلاً حتى ان عدد الامراء الذين لقوا حتفهم نتيجة لهذا الشك بلغ ثلاثة عشر اميراً كان على رأسهم عمه هولاجو وابن عمه چوشكاب الذين كانوا قد نافسوه على العرش فيما مضى (٢) .

وتقطعت اواصر الرحمة والقراية بهذه المجزرة التي ارتكبتها ارغون في بني عمه حفاظاً على عرشه ، واصبح ابناء الاسرة بعدها يحذرون على انفسهم من الوقوع في

(١) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ٩٣ .

Howorth . 3 . p . 298 . *Malcolm* . 1 . P . 267 .

(٢) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ١٤٨ - ١٤٩ .

Browne . *Lit* . *Hist* . *of* . *Pers* . 3 . P . 34 .

طائلة الشك ويتربصون ببني عمهم الدوائر ، فلم يتردد بايدو وقد نجا من قبضة ابن عمه كيخاتو أن يتربص به ويتحالف عليه ثم يرتقي العرش على جثته ، ولكنه لم يلبث إلا قليلا حتى هوى من فوقه قتيلا بيد غازان .

وبرهن غازان بعد اعتلائه العرش على انه ليس اقل جرأة من ابيه على سفك دم بني عمه الذين تجاوزوا سن الطفولة خلال المرحلة التي مضت منذ مجزرة ابيه فيهم وأصبحوا الآن خطراً على عرشه .

ومما يلاحظ على اسراء الاسرة في عهده انهم لم يكونوا مؤتفلين عليه ، وانما كانوا مفرقي الحكامة لا يتردد احدهم بالوشاية على اخيه لديه لكي يتقربوا منه ، ويضمنوا بذلك أمنهم وسلامتهم ، وان كان الخوف يجهمهم جميعاً منه ، فعندما تحالف كل من سوكاي بن يشموت وايسنتمور بن كنفرتاي اللطاحة بغازان واعوانه ووضعوا الخطة لذلك ، قرروا مفاجئة ابن عمهم الثالث تايجو بن منكوتيمور ايشار كهم في الانتقام من الايلخان ، ولكن تايجو تظاهر بتأييدهم ثم وشى بهم لدى نوروز ناسياً أن عمه چوشكاب كان قد كشف مؤامرة بوقا فيما مضى لكنه لم يخلص من تهمة المشاركة ، وكان من نتيجة وشايته هذه حصاد خمسة من الاسراء (١) سقطوا صرعاً تحت عرش غازان الذي لم تروه دماؤهم بل دفعه الشك الى مراقبة الباقين من بني عمه الذين أحسوا بالرغبة تحوم من حولهم ففضلوا الابتعاد عن بلاطه والامتناع عن حضور دعوانه وانتهاز الفرصة للاقيام عليه قبل أن يسقطوا بين يديه ، فعل ذلك الامير بالتو ابن تيشين الذي احتفى بمسكركه البعيد ببلاد الروم عن بلاط الايلخان والاعتذار

(١) خواندمير م ٣ ج ١ ص ٨٥ - ٨٧ ، ميرخوند ج ٥ ص ١٣١ - ١٣٤ .

صرات وصرات عن إجابة دهواته ، ثم استغل غدر الايلخان بأعوانه من زعماء المغول وخاصة نوروز ، وخلق بلاد الروم منهم بمسد مقتل طغاجار اويان ، فأعلن ثورته وانفصاله عن طاعة الايلخان الذي وجه اليه ابن عمه الآخر سلامش ليضربه به وهو يرمي الى التخلص من أحدهما ، فسقط بالتو أولاً ، ثم اعقبه سلامش نفسه الذي لم تحمه بعد ثورته وانفصاله جيوش السلطان المملوكي التي قدمت لنجدته (١) .

ويبدو أن غازان عند وفاته لم يكن قد ترك احداً من ابناء الاسرة بزاحم اخاه اولجايتو على العرش سوى الصبي الفرتك بن عمه كيخاتو الذي عفا عنه بالرغم من احتمال بعض المتأخرين من اعوان الخاقان المغولي وراء اسمه ، وقد تركه تحت رقابة اخيه في خراسان .

ونقل بقاء هذا الصبي حياً على اولجايتو الذي أجهز عليه عندما وصله نعي اخيه قبل ان يطول به العمر فينأفسه على ملكه ثم غادر خراسان مطعماً (٢) .

ويحدثنا رشيد الدين في تمهيدته لجلوس اولجايتو ومقارنة ذلك بجلوس الايلخانات الذين سبقوه ، عن الصراع الذي دار حول العرش والدماء التي اريقته في سبيله بقوله (٣) : « وإذا كان بعض هذه الاقاليم قد آل الى اصحابه عن طريق الارث ،

(١) وصاف م ٣ ص ٣٤٥ ، ابو الفداء ج ٤ ص ٣٩ ، المقرئ ج ١ ص ٣

ص ٨٧٤ - ٨٧٨ .

Howorth . 3 . p . 404 - 405 ' 427 - 428 .

D'ohsson . 4 . 155 - 156 .

(٢) وصاف م ٤ ص ٤٦١ ، ابرو - ذيل جامع التواريخ ص ٣ - ٦ .

(٣) مقدمة وشيد الدين لجامع التواريخ م ٢ ج ١ ص ١٩٠ .

فانه لا يستقر في أيديهم دون منازع أو مخاصم ، هذا ما لوحظ بوجه خاص في العصر المغولي ، فقد ثبت بالتجربة والمشاهدة للجميع مدى ما كان يحدث في كل انقلاب من اضطرابات وثورات ومبالم ما اطاح به من الرؤوس التي كانت تطير في الهواء . . . وقد استمرت الحال على هذا المنوال الى ان جلس السلطان « اولجايتو » على العرش ، فقد ظلت قواعد ذلك الامر متزلزلة لمدة طويلة ، وفي كل يوم كانت تحدث حادثة موجبة للتشويش والتفرقة ، ولم تكن توجد حالة استقرار وهدوء ، فلما وصل دور السلطنة الى عهده المبارك وأيام دولته المديدة ، وجدت رقعة الممالك العريضة الواسعة إلا من جيم المخاوف والممالك « على ان رشيد الدين لم يذكر أن خلو عهد اولجايتو من هذه المنافسات كان بسبب خلو البلاد من اسراء الاسرة الذين عدهوا قبل توليه ، لذلك فقد وقعت الايلخانية عند وفاته في ازمة لعدم وجود المرشحين لها البالغين سن الرجولة ، إذ أن ولديه الكبيرين بسطام ويزيد كانا قد توفيا خلال حياته ، وكذلك نالهما طيفور ، فلم يترك اولجايتو خلفاً له سوى طفله القاصر ابا سعيد الذي اصبح المرشح الوحيد للايلخانية والذي تم تتويجه من قبل خواتين الاسرة وبناتها .

٣ - تدخل زعماء المغول في شؤون الايلخانية وأثره في إضعافها : —

لعب أسراء المغول دوراً كبيراً في احداث الفوضى التي رافقت تطور الايلخانية وكانت اطماهم الشخصية سبباً مباشراً لقيام الفتنة في اواخر ايامها ومن ثم انهيارها . وقد أشرت في حديثي عن منصب نائب الايلخانية الى بداية وتطور مكانة هؤلاء الاسراء في كيان الايلخانية بحكم توليهم قيادة الجيش ثم النيابة عن الايلخان بعد ذلك .

وشجعهم انقسام امراء الاسرة وتنافسهم على العرش ، على التحزب لبعض
الامراء على البعض الآخر ، وعلى التدخل في تقرير شؤون الابلخانية ، وكان اول
مظاهر لفعالياتهم هذه بعد وفاة اباقا واختلاف امراء الاسرة على اختيار خالف له من
بينهم ، فقد تحزب بعض الامراء الذين كانوا من المقربين لأباقا ، تحزبوا لابنه ارغون
وأعلنوا أفضليته للعرش على غيره (١) .

وبالرغم من عدم نجاحهم الموهلة الاولى ، إلا أن دور بوقا « أبرز هؤلاء
الزعماء » كان حاسماً في اسقاط تكودار بما أشاعه في صفوف امراء الاسرة وزعماء
المغول عن عزم الابلخان للقضاء عليهم جميعاً ووضع نهاية لأسرة جنكيز خان بتأثير
محبهته للإسلام والمسلمين ، الأمر الذي جعل اخوه الابلخان ينقضون من حوله
ويتحالفون عليه (٢) .

ورسخت مكانة هؤلاء الزعماء بين امراء الاسرة بعد هذا الانتصار ، وأصبحوا
ملاجأ يستعين بهم الامراء لتحقيق رغباتهم وأطماعهم في العرش ، فقد توزع امراء
الاسرة هؤلاء الزعماء واتخذوا منهم دعاة لأنفسهم وقوة لارهاب منافسيهم ،
واستطاع اعوان ارغون منهم فرضه على العرش بقوة السلاح الذي هدد به بوقا
وتحدى الآخرين .

وقد رارغون لهؤلاء الزعماء فضلهم في ايصاله الى العرش فمكثهم من الحكم
ووزعهم على البلاد وسلمهم مقاليد الامور ، وجمع بوقا بفضل هذا التكريم من

(١) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ٩١ .

(٢) المرجع السابق ص ١١٣ - ١١٥ .

الاييلخان ، جم بين مناصبي النيابة والوزارة لأول مرة ، وأصبح الحاكم الحقيقي للبلاد ، وكانت الامتيازات التي منحها الايلخان له ، والتي أكدها الخاقان قبلاي عندما منحه لقب امير الامراء ، قد جعلته بمنجاة 'من العقاب' ، وجعلت يده فوق كل يد حتى أصبحت أوامر الايلخان لا تنفذ إلا بعد مرورها تحت ختمه الاحمر ، الأمر الذي بعث القرور في نفسه والحقد في نفوس حاسديه من الزعماء الآخرين وامراء الاسرة ، وكان ذلك إيذانا بسقوطه (١) . إذ صحا ارغون على نفسه وعزم على استعادة السطة وممارستها بنفسه فتخلص من بوقا الذي كان يدبر عليه آئذ وساق أبناءه واخوته واعوانه الى المقصلة ، حتى لم ينج من بطشه الصغار منهم ، إلا انه لم يأخذ العبرة من ذلك عندما اعاد تسليم السطة ثانية الى الوزير اليهودي ، بينما أبعده الامراء الذين نجوا من شكه ورييته ، أبعدهم عن التدخل في شؤون الحكم .

وأحص هؤلاء الامراء بالعزلة وفقدان كثير من الامتيازات والنعمة التي كانوا يحصلون عليها قبل ذلك ، أمام الاحتياطات التي اتخذها الوزير اليهودي لتجريدهم من السلطان ، فتحالفوا عليه وتربصوا به واستغلوا حالة الغيبوبة التي سقط فيها الايلخان قبيل وفاته فتخلصوا منه ومن اعوانه وجعلوا من انفسهم أشبه ما نسميه بمجلس الوصاية لمباشرة شؤون الحكم حتى توفي الايلخان او كما اشيع انهم عجلوا به (٢) .

(١) المرجع السابق ص ١٤٠ - ١٤٢ .

Howorth . 3 . P . 322 - 323 .

(٢) كان من المسائل التي حاسب كينخاتو عليها الامراء بعد توليه ، هي رغبته في معرفة كيفية وفاة اخيه بما يدل على وجود شك في طبيعة وفاته . انظر رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ١٧٣ .

وأصبح هؤلاء الامراء هم الحكام الحقيقيون للبلاد طيلة الفترة التي اغتبت ذلك وحتى تسلم غازان العرش ، فهم الذين اختاروا كيخاتو بعد اخيه ، وهم الذين سلموه لابن عمه بايدو ، ثم لم يلبثوا أن مالوا عن بايدو وسلموه لغازان عندما أحسوا بقوة حزبه بينهم وخطر معارضته .

وحتى غازان ، فقد قضى السنتين الاوليتين من حكمه تحت وصاية هؤلاء الامراء الذين اصبح يتزعمهم نوروز ، ولكن غازان كان قوي الهمة بعيد النظر ، فانه ما ان تخلص بهم من الأخطار التي هددت عرشه بسبب منافسة بني عمه له ومن شايهم من امراء المغول الآخرين الذين قتل منهم قرابة اربعين اميراً (١) ، حتى انقلب على امراءه فتدحرج عليهم وقبل فيهم الوشاية ثم قضى عليهم جميعاً متعظاً بذلك ببعض عبر الحياة (٢) .

وصفاً الحكم لغازان بعد ذلك من مضايقة او معارضة زعماء المغول الذين بلغ من سطوته عليهم انه امر بجلدهم وإلباسهم ثياب النساء بسبب هزيمتهم أمام المماليك عام ٧٠٢ هـ دون أن يذسوا بيئت شفه سوى الاعتذار والتماس عفوه (٣) .

(١) خواندمير م ٣ ج ١ ص ٨٥ - ٨٧ .

Howorth . 3 . p . 41 .

(٢) فقد حكى بعضهم عن نزاع قام بين اثنين من المتنافسين على العرش فلما انتصر احدهم واستقر في العرش امر بقتل الامير الذي آواه عند هروبه معللاً ذلك بأنه لم يكن مخلصاً لسيدته ، فهو لن يخلص ايضاً .

Howorth . 3 . P . 404 - 405 .

(٣) وصاف م ٤ ص ٤١٢ - ٤١٤ .

Howorth . 3 . P . 475 .

وبالرغم من التفاوت الكبير بين سطوة غازان وسماحة اخيه اولجايتو، فان هؤلاء الامراء لم يستعيدوا مكانتهم السابقة في توجيه شؤون الحكم إلا في عهد طفله ابي سعيد الذي تأخر توليه العرش عدة اشهر بسبب تناقضهم على اقتسام مراكز السطة في الوضع الجديد .

وتولى چوبان مقاليد الحكم نيابة عن الايلخان الصغير اكثر من عشر سنوات ، انفرد خلالها بتصريف شؤونه حتى أنه حجز على الايلخان عندما شب عن الطوق وأشغله برحلات الصيد في المواسم ومجالس الطرب والنساء في اوقات اخرى . ولكنه لم يسلم ايضاً من حسد ونقمة زملائه الامراء الآخرين الذين ساءمهم أن يتنعم بالسلطان والجاه وحده ويحرمون ، فتحالفوا عليه وأوشكوا أن يحققوا بفتيتهم فيه لولا أن وقف الايلخان مضطراً (١) بتأثير وزيره عليشاه الى جانبه ، فكانت حصيلة ذلك مقتل اكثر من ثلاثين اميراً منهم .

وبالرغم من تخلص ابي سعيد بعد ذلك من چوبان ، إلا انه لم يتخلص من استئثار الامراء له واستهانتهم به ، فقد سلم مقاليد الامور بيد وزيره غياث الدين محمد بن الرشيد الذي أدار دفة الحكم بكفاءة ابيه الأمر الذي أدى الى حرمان بقية الامراء الذين ساءموا في القضاء على چوبان من احتلال منزلته ، فنقموا على الوزير وسعوا للخلاص من سيطرته ، وبلغ من جرأتهم مرة على الايلخان انهم حاصروا قصره للقبض على احد اعوانه المحتمين به فأوشك الايلخان الاستسلام لمطالبيهم خوفاً على

(١) تاريخ كزیده ص ٦٠٤ - ٦٠٥ ، ابرو ص ٩٦ - ١٠٤ ، النويري - نهاية

الإرب ج ٣٠ ق ٣ الورقة ٤٢٤ - ٤٢٩ .

حياته لولا أن وصلته نجدة في الوقت المناسب (١) .

ولعب هؤلاء الامراء دوراً في تمزيق الايلخانية بعد وفاة ابي سعيد واستئثارهم ببعض اجزائها مما سوف نتحدث عنه في فصل قادم ان شاء الله .

٤ - التأثير الحضاري على المغول وأثر ذلك في تحلل الايلخانات وانصرافهم الى اللهو وتركهم شؤون الحكم بيد المتنفذين .

ورث الايلخانات بعد استقرار أمرهم ، الكثير من العادات والتقاليد التي اقتبسها المغول عند احتكاكهم بالحضارات التي خضعت شعوبها لهم .

فقد أشرت الى أن المغول كانوا شعباً بدائياً فقيراً في ارضاقه ضميماً في تكوينه الحضاري ، فلما رفعت القوة التي تكونت لديه فجأة ، الى مكان السيطرة على شعوب هذه الحضارات المتقدمة كثيراً بالنسبة لتصوره ، لم يتالكوا انفسهم في تمخير طاقاتها واستغلالها لرفع مستواهم الحضاري ، وانما اندفعوا بمواطنهم المحرومة نحو استنزاف ما فيها من خيرات مادية ، بينما تركوا أهم ما فيها من تراث علمي وقيم روحية ، بأيدي ابنائها معتمدين على امكانية استغلالهم لهم .

ونشأ من جراء ذلك ان ارتفع المستوى المادي للمغول عامة ، بينما بقي تكوينهم الحضاري على ضعفه لم يرتفع إلا قليلاً ، وبقيت شريعة الصحراء التي لا تعرف غير النهب والتخريب وسفك الدماء تتحكم في علاقاتهم مع بعضهم بالرغم من مضي الزمن ، كما تتحكم في علاقاتهم مع الآخرين .

(١) مقدمة جامع التواريخ م ٢ ج ١ ص ٦١ - ٦٤ ، الشواربي - حافظ

الشپرازي ص ٦١ - ٦٣ ، ٦٤ .

وإنشأ من جراء ذلك أيضاً انه لم يذبغ من بين المغول طيلة فترة تسلطهم على هذه البلاد عالم واحد في اي علم من العلوم سوى الحرب ، إذ أنهم بقوا عائلة على ابناء البلاد في كل ما يتمتع اسماعهم ويرضي غرورهم .

واقصر اقتباسهم من هذه الحضارات على اسباب المتعة فقط بحكم تيسرها لهم وقربها من نفوسهم ، فانصرفوا اليها وانغمسوا في تذوق افانيتها ومغرياتها ، ساعدهم على ذلك تحول بيئاتهم من حياة الشظف والحرامان الى حالة الاقراط في الرضاء ، وانتقالهم من حياة الجد والنشاط الى حياة الكسل والفراغ حتى اصبح الكأس والجلس رفيقاً لهم في حلهم وترحالهم ، تمثل ذلك في ابناء جنكيز أولاً ، حتى اصبح احدهم لا يكاد يصحو على نفسه إلا ليعاود الشرب ثانية ، وحتى اضطر جغتاي « الابن الثاني لجنكيز » مثلاً الى تعيين شحنة على اخيه الخاقان اوكتاي ليقبل من شربه الخمر فلم يقدر حتى توفي من كثرته (١) .

اما الابلخانات فلم يكونوا بأحسن حال من سابقيهم ، فقد توفي اباقا بمرض هذيان السكراري ، وكان من الأسباب الرئيسية لمقتل كيمخاتو أنه كان اباحياً لا يتورع عن الاعتداء على نساء وبنات وابناء اقرب الناس اليه ، حتى اضطر زعماء المغول الى ابعاد هؤلاء عن البلاط خوفاً من رؤية الابلخان لهم .

اما اولجايتو فقد بنى داراً في عاصمته الجديدة سماها الفردوس ووضع فيها اربعين بنتاً من البنات الحسانوات وشاهن من العلماء لكي يقضي بينهم وطره .

(١) التاريخ الغازاني ق ٣ - الورقة ٥٩٥ - ٥٩٨ ، تاريخ كزبده ص ٥٧٥ ،

فاميري - تاريخ بخارى ص ١٨٤ ، ١٨٩ .

Sykes . 2 . P . 98 .

اما ابو سعيد ، فلم يگفه العشرات من النساء اللواتي كان يتمتع بهن حتى زاحم احد اقربائه من امرائه على زوجته بغداد خاتون واكرهه على طلاقها بحكم تعاليم الياسا التي تبيح للايلخان انتهاك أعراض رعيته (١) .

ونشأ من جراء اسراف الياخشانات في هذه المبادل وإفراطهم فيها (٢) ان تأثرت صحتهم نتيجة لذلك ، فلم يكن أحدهم يشفي من المرض إلا ليعاود التمهيد له بإفراطه في مباشرة النساء .

وبان هذا التأثير في قصر أعمار الياخشانات عامة ، فقد توفي جدهم جنكيز مثلاً وقد جاوز السبعين من العمر ، لكن أحداً من ابنائه لم يبلغ هذا السن ابداً ، اما أحفاده الياخشانات فكانوا دون ذلك بكثير .

ويبدو كأن نسبة الانخفاض في أعمارهم تمازلية كلما توغلوا بعداً عن تأثير الحياة في الصحراء ، وانغمراً في هذا النمط من الحياة الجديدة التي اختاروها لأنفسهم . فقد بلغ اولهم هولاء الثامنة والأربعين من العمر ، وكذلك كان شأن ابنه اباقا ، اما آخرهم ابو سعيد فقد توفي ولم يكن قد جاوز الثانية والثلاثين من العمر ،

(١) وصاف م ٣ ص ٢٧٥ - ٢٧٦ ، م ٤ ص ٥٤١ - ٥٤٢ ، ميرخوند ج ٥ ص ١٢٥ - ١٢٦ ، العزاوي - تاريخ العراق بين احتلالين ج ١ ص ٣٠٠ ، ٣٦٣ ، ٤٤٥ - ٤٤٦ .

(٢) يصف ابن العبري في تاريخ مختصر الدول ص ٢٨١ ، قبلاي خان بالاعتدال في هذه الناحية حيث يقول فيه : « وقيل عنه انه كان قليل المباشرة للنساء بل باعتدال ومتوسط التدبير بالشهوات والشراب واللذات واللهو بخلاف باقي طوائف المغول » .

واختار بقية الايلخانات أعمارهم وسطاً بين هذين وان كان أغلبهم لم يجاوز الأربعين ، فأولجايتو بلغ السادسة والثلاثين ، وغازان الثالثة والثلاثين ، وبايدو الأربعين وكيغاتو الثلاثين .

على اني أرى ان حياة الميوعة والتحلل هذه ليست هي السبب الوحيد فقط لقصر أعمارهم ، وإنما يضاف الى ذلك عجزهم عن تحمل مسؤوليات الحكم ومشاكله الكثيرة التي أرهقتهم ، فان حياة الترف التي نشأوا في احضانها منذ صغرهم لم تدع لهم فرصة الشعور بمشاق الحياة ومعاناة التفكير الطويل في حل مشاكلها ، وبالرغم من ان اغلبهم تولى كثيراً من مسؤوليات السلطة في صغره وقبل توليه العرش ، إلا أن ذلك في الحقيقة لم يكن ليمطئهم التدريب والاختيار اللازمين مع وجود الأتابك او الامراء الآخرين الذين يباشرون الحكم نيابة عنهم ، لذلك فوجدوا عند توليهم الحكم بحقيقة مشاكله وأحسوا بحياة الخوف والقلق التي تفتابهم عند تمرد احد الامراء او مهاجمة الآخرين ، وتعودوا على رؤية الدماء التي يجب أن يسفكوها ليحتفظوا بالعرش لأنفسهم ، كل هذه الأحداث كانت تؤثر فيهم وتؤرق مضجعتهم وتمنع عنهم راحة الفكر ، حتى قيل ان من الاسباب المباشرة لوفاة هولاء هو تأثير هزيمة جيوشه الساحقة عليه أمام ابن عمه بركة خان ، ثم غدر ربيبه جلال الدين بن الدويدار الصغير والتحاقه بالشام .

وكذلك القول في هزيمة جيوش اباقا التي قادها اخوه منكوتيمور ، وهزيمة جيوش غازان وتأثيرها المباشر على صحة الايلخانيين المذكورين .

وكان من الطبيعي أن يعجز الايلخانات وهم بهذا المستوى من الادراك لمسؤولية الحكم ، على تفاوت ادراكهم وقدراتهم ، أن يعجزوا عن التوفيق بين حياة اللهو

التي غلبت على تفكيرهم وبين تصريف شؤون الدولة ، لذلك لا غرابة إذا رأينا أغلبهم ممن منحت لهم الفرصة ، مالوا الى امتاع انفسهم تاركين مقاليد الامور بأيدي اعوانهم يصرفونها بوحى من انفسهم وبوحى من التأثيرات الاخرى التي قد يكون لها شأن في توجيه دفة الحكم .

على اننا نلاحظ نوعين من القوى او الاشخاص الذين أشرفوا على تصريف امور الايلخانية ، مر ذكر اولهما المتمثل في نواب الايلخانات الذين فرضوا انفسهم على الحكم بقوة نفوذهم وتطور الأحداث لصالحهم واستسلام او استماتة الايلخانات بهم قبل ذلك ، فجاوزوا الحد في استقلال السلطنة وتسخير موارد البلاد لأنفسهم وذويهم ، ثم كانت نهايتهم على أسنة الرماح كما هو الحال بالنسبة لبوقامع ارغون ، ونوروز مع غازان ، وجوبان مع ابي سعيد .

اما النوع الثاني منهم الوزراء ، وكانوا من أبناء الشعوب الخاضعة وخاصة الفرس ، الذين فرضتهم على الحكم كغنائمهم وخبرتهم في شؤون الادارة من ناحية ، وجهل الايلخانات وحاجتهم من ناحية اخرى .

واختلفت تأثيرات هؤلاء الوزراء على سياسة الايلخانية وخاصة في مجالها الداخلي وذلك بالنسبة لشخصية الوزراء والايلخانات في وقت واحد .

فبالرغم مما عرف عن اباقا من حزم وقوة ، فان الوزير الجويني شمس الدين محمد استطاع التأثير على السياسة العامة للايلخانية في عهده وخاصة من ناحية موقف المنول من المسلمين والاهتمام باعمار العراق .

وفي عهد ارغون ، تحكم الوزير اليهودي سعد الدولة في السياسة الداخلية للايلخانية حتى غلب في ذلك على الايلخان الذي استسلم له ومكثه من الحكم .

وحالت المشاركة في الوزارة بين رشيد الدين وسعد الدين الساجي في عهد
اولجايتوخات دون طغيان الوزيرين على الايلخان الذي كان مستسلماً لهما بسبب
تنافس الوزيرين مع بعضهما ومحاولة كل منهما الايقاع بالثاني .

وإذا كان الوزير عليشاه قد وجد مصلحته في التعاون مع چوبان الوصي على
ابي سعيد فضمن بذلك شيئاً من السلطان لنفسه ، فان خلفه غياث الدين محمد بن
الرشيد انفرد بالسلطان كله مستفيداً من تعاونه مع بغداد خاتون التي كانت مسيطرة
على زوجها ابي سعيد ، حتى أصبح الموجه الحقيقي لشؤون الايلخانية طيلة عهد
ابي سعيد ، ثم لعب بعد ذلك دوراً كبيراً في تقرير السياسة الايلخانية بعد وفاته .
وبالرغم من الفارق الكبير بين موقف هاتين المجموعتين ونظرتهم نحو الايلخان ،
إلا أن نهايتهم كانت واحدة ايضاً ، فقد راح الوزراء ايضاً ضحية الحسد والوشاية
والغدر فلم ينج من بين جميع الذين تولوا مسؤولية الوزارة الايلخانية سوى وزير
واحد توفي حتف انفه هو عليشاه .

٥ - انزال المغول عن الشعوب الخاضعة لهم وتكوينهم طبقة عسكرية حاكمة :
سيطر المغول على البلاد الاسلامية وأخضعوا شعوبها لسلطانهم ولكنهم طيلة
فترة حكمهم لم يستطيعوا كسب ثقة المحكومين ليرضوا بهم ، بالرغم من استكانتهم
لطاغتهم واستسلامهم لأوامرهم ، إذ بقيت الكراهة وروح العداوة حاضرة بينهما .
وليست أسباب المعجز هذه ناشئة عن رفض المسلمين فحسب ، وإنما يعود بعضها
الى المغول انفسهم ايضاً ، فالسلمون لا شك رفضوا الخضوع والرضا بالحكم المغولي
لسبب أساسي وهو وثنية الحاكمين التي لا تبيح للمسلمين موالاتهم فضلاً عن التفاوت
الحضاري بين الطرفين .

اما المغول فقد منعمهم من السعي لتحقيق ذلك سببان ، اولهما : المنجبية
وعقدة الغرور التي سيطرت على تفكيرهم بعد انتصارهم للساحق على جيم الشعوب التي
زحفوا نحوها ، والتي جعلتهم يمتقدون بأنهم يملكون من الطاقات والمزايا التي رفعتهم
فوق مستوى الآخرين من البشر ، وقد عبروا عن ذلك في رسائلهم الي حكام البلاد
التي يطالبونها بالخضوع لهم ، فوصفوا انفسهم بأنهم غضب الله ، وسوطه ، وعنايته
وإرادته ...

وعزز من هذه العقدة في نفوسهم ما رأوه من تهالك بعض المتزعمين من ابناء
البلاد الخاضعة لهم الذين صدقوا او تظاهروا بتصديق هذه الصفات فيهم ، وعملوا
على نشرها وتأكيدها بين الناس مستغلين مكانتهم الاجتماعية او العلمية في ذلك ، وقد
مر علينا ما فعله النصير الطوسي وأعوانه من تبرير لأعمال المغول وإيجاد مكان لها في
تفسيرات خاصة لبعض ما ورد في الكتاب العزيز (١) .

وماحاوله الوزير اليهودي سعدالدولة في عهد ارغون من إغراء الايلخان باعلان
نبوة جنكيز خان ودعوة الناس الى عبادته باعتباره من أبناءه (٢) .

وثانیهما التفاوت الحضاري الكبير بين بداوة الحاكين ومدنية المحكومين
وانعكاس ذلك على سلوك كل منهما في حياته وعلاقاته الأمر الذي كان يُشعر المغول
(١) انظر في ذلك مثلاً رسالته لأهل بغداد سنة ٦٦١ هـ التي أوردتها ابن الفوطي
في تلخيص مجمع الآداب ج ٤ ق ٣ ص ٥٥٦ - ٥٥٧ . انظر ايضاً ملحق الباب الثالث
رسالة الطوسي الى اهل بغداد .

(٢) وصاف م ٢ ص ٢٤٠ - ٢٤١ ، خواندمير م ٣ ج ١ ص ٧٦ - ٧٧ .

Howorth, 3. P. 340 - 341 .

بمجزهم عن مجاراة المحكومين فيما اذا اختلطوا بهم وتبادلوا معهم التعاون في الحياة ، فكانوا يهتمون وراء سيطرتهم وتعاليمهم على الشعوب لمداراة هذا المعجز وإبقاء عقدة التسلط حاجزة بينهم سرهبة لاتباعهم .

ونشأ نتيجة لذلك أن بقي المغول يمثلون طبقة عسكرية حاكمة منمذلة في كل بيئة تعيش فيها عن المحكومين الذين لا يهمها منهم سوى الطاعة ودفع الضريبة . ولم يكن هذا التمايز الطبقي الذي ظهر به المغول طارئاً عليهم ، فُصد به ارهاب المحكومين وإخافتهم ليحبل إخضاعهم ، وإنما كان سائداً بينهم قبل خروجهم من الصحراء ، إذ أن جنكيز عندما أقام كيانه السياسي ، أقامه على أساس طبقي أيضاً ، فقد جعل لأفراد أسرته في مجتمعه المغولي ليس حق السيادة عليهم فقط ، بل حق الاستعباد لهم بحكم الوسيلة التي أخضعهم فيها لطاعته ، على أن علاقة العبودية هذه أخذت في الضعف بعد قيام الإلخانية وازدياد احتكاك المغول بالشعوب الأخرى وخاصة بعد انقسام امراء الاسرة على انفسهم وحاجة كل منهم الى تأييد ومؤازرة زعماء المغول الآخرين .

ونلمس بقية علاقات العبودية كنموذج على ذلك في المحاوراة التي دارت بين اعوان الأمير الجغتاي براق خلال صراعه مع اباقا ، وسأكتفي بنقل وجهة نظر امراء الاسرة نحو بقية المغول كما جاءت على لسان أحدهم المدعو قبجاق الذي كان يرد على أحد كبار قواد المغول المدعو جلايرتاي :

قال قبجاق : من أنت حتى تتدخل بيننا نحن افراد الاسرة الواحدة .
وقال أيضاً : متى كان لأفاق أن يناقش أسرة جنكيز حتى يكون لك ايها اللجباب

أن تخاطبني بغير أدب (١) .

ومع ذلك فإن المغول كانوا يظهرون أمام الشعوب الخاضعة لهم كأنهم طبقة واحدة ليفرضوا سطوتهم عليهم ، وبقيت معاملتهم لهذه الشعوب قائمة على هذا الأساس بالرغم من ارتباط عدد من أبناء هذه الشعوب بهم في مجالات الخدمة ، وحتى أولئك الذين قدموا خدمات شخصية للإيلخانات ، بقوا في نظرهم مجرد إيرانيين غرباء عن المغول ، يدل على ذلك المركز الكبير الذي حصل عليه مجد الملك اليزدي عندما أصدر اباقا فرماناً بتميينه مشرفاً على جميع البلاد و رقيباً على الوزير شمس الدين الجويني ، فقد كان تمليق الخواتين وأسراء الاسرة وزعماء المغول على هذا فرمان عند قراءته أمامهم « بأنه لم يسبق مطلقاً للملك المغول أن أعطوا إيرانياً ، مثل هذا فرمان » (٢) .

ولم يؤد إسلام المغول ايضاً الى إزالة هذه النظرة وإذابة الفوارق بين الحاكمين والمحكومين وان كان قد أضعف منها كثيراً وخاصة في عهد اولجايتو الذي كان بلاطه اوسم باباً من بلاط اخيه غازان بفضل حالة الاستقرار النسبي التي سادت البلاد في عهده من ناحية ، وتقلبه المذهبي وحاجته الى الاستئناس بشروح علماء المذهب الجديد من ناحية اخرى .

(١) انظر تفصيل المحاوره في رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ٢٧ ، انظر ايضاً ص ٣١ في التعبير عن وجهة نظر احد القواد نحو أفراد الأسرة كما وردت على لسان القائد تازيك قوله : « إن جبات أمير وأنا من الرعية فكيف يكون لي أن أحاربه » .

(٢) رشيد الدين م ٢ ج ٢ ص ٨٠ .

على أن زعماء المغول لم يمن عليهم هذا الاختلاط مع المحكومين بالرغم من اعتناقهم الاسلام لأن ذلك قد يؤدي بهم الى فقدان كثير من الامتيازات التي يحصلون عليها باعتبارهم حاكين ، يدل على ذلك الحديث الذي دار بين الأمير جوبان وايرنجين حول تمكن الوزير عليشاه من اوجلايتو وسهولة وصوله اليه ، قال ايرنجين : كان اذا اراد احد الفرس أن يتقدم برجاء الى السلطان في عهد هولاكو واباقا لم يجزأ على تقديمه إلا إذا كان قد كلم فيه عدداً من الامراء اما اليوم فقد انقلب الامر رأساً على عقب حتى أصبح في وسع احد الفرس أن يذهب الى السلطان في منتصف الليل ويطلب منه مقابلة سرية لهدم في لحظة واحدة كل ما فعلناه او قلناه (١) .

ونشأ من جراء هذه العزلة بين المغول والشعوب الخاضعة لهم ، ان بقيت نظرة المحكومين نحوهم نظرة عدم رضى او ارتياح ، فلم يشار كورهم في نشاطاتهم وخططهم المختلفة السياسية منها خاصة ، بل وقفوا من ذلك موقف اللامبالاة إن لم يكن موقف الشامت .

وانعكس تأثير ذلك على المغول فكان سبباً لفشلهم في تحقيق كثير من اهدافهم السياسية من ذلك في المجال الخارجي مثلاً وقعت هذه الشعوب وخاصة في العراق من نزاعهم مع المماليك موقف المعادي لسياساتهم المؤازرة لأعدائهم ، فلم يكفهم انهم لم يساهموا بشرياً في حملاتهم على الشام ، بل جعلوا من انفسهم رقباة على تحركات الجيوش المغوية ينقلون أخبارها الى المماليك ، فضلاً عن حمايتهم لاعوانهم ورسولهم . وأدى هذا الانعزال بالمغول ايضاً الى اعتمادهم على انفسهم في تجهيز الجيوش

(١) مقدمة رشيد الدين م ٢ ج ١ ص ٤٤ .

للقيام بالمهام العسكرية الخارجية منها والداخلية التي كانت تستهلك عدداً منهم في كل مهمة مما أدى الى تناقص اعدادهم يوماً بعد يوم ، ولولا ان الامارات المسيحية التابعة لهم كانت تدعم مجيوشها في حملاتهم على الشام ، لعجزوا عن القيام بكثير من هذه الحملات او لضعفت قدراتهم فيها .

وجاء انقضاءهم على انفسهم وما نشأ عنهم من نزاع دموي بينهم ليزيد من تناقص اعدادهم يوماً بعد يوم ، ويكفي أن نأخذ دليلاً على ذلك اسرة الابلخانات انفسهم التي لم يبق من رجالها احد يتولى العرش الشاعر بعد وفاة ابي سعيد فاضطروا الى الاستمانة بالنساء للقيام بذلك ، وقد ينطبق هذا القول على كثير من الاسر المغولية التي كانت تباد عن بكرة ابيها خلال هذه الانقسامات .

كل هذه العوامل ساعدت على إضعاف وجودهم في البلاد ، وسهلت على الطامعين من زعمائهم للقيام بعمليات الانفصال بعد ذلك .

ثانياً : العوامل المباشرة لزوال الابلخانية :

ونشأ من جراء الاحداث السالفة الذكر التي أكل الابلخانيون خلالها بعضهم بعضاً حتى تناقصت اعدادهم فلم يبق ظاهراً من ابناء الاسرة غير ابو سعيد الذي كان دون البلوغ عند توليه العرش والذي أصيب بالمعقم بعد رجولته (١) ، فلم يخلف وراءه

(١) اشار البعض الى ان زوجته داشاد خاتون بنت دمشق خواجا بن چوبان كانت حاملاً منه عند هروبها الى علي بادشاه ثم لم يظهر حملها أثر ، وقيل ايضاً انها ولدت بنتاً . وقد سبق ان اشرت الى احتمال تدخل الدوافع السياسية لعلي بادشاه وراء افتعال هذا الحمل الذي ليس له نصيب من الصحة خاصة اذا علمنا ان ابا سعيد عاشر عدداً من النساء غير من تزوجهن فلم يترك في إحداهن أثراً لحيويته بما يدل على عقبه .

من يحمل اسمه ، لذلك كانت وفاته نهاية حقيقية للحكم الایلخاني .

وظهرت ازمة السقوط بعد وفاته الفجائية وهو يستعد لحرب اوزبك خان القبچاق إذ لم يكن هناك من المرشحين رسمياً لولاية العهد احد من ابناء الاسرة ، فضلاً عن أن وفاته لم تكن متوقعة وهو في مثل هذا السن ، الامر الذي ادى الى تسابق المتنفذين لاستغلال الفرصة في تثبيت سلطانهم وامتيازاتهم وذلك بالاختفاء وراء بعض المرشحين للعرش من بقايا ابناء الاسرة الایلخانية الذين كان آباؤهم قد اختفوا في اوساط الناس خوفاً من بطش الایلخانات بهم ، فنشأ ابناءؤهم مغمورين بين العامة لا تُعرف انسابهم لثلاثين عليهم ، قد امتهنوا مهناً مختلفة يكسبون بها ارزاقهم بعد أن حرّموا انفسهم من حق الانتساب للأسرة الحاكمة (١) .

ایلخانية اوبا خان : وبدأ ذلك بقيام الوزير غياث الدين محمد باسناد العرش

(١) يشكك ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار ج٢ ق٢ الورقة ٢٢٧-٢٢٨ في صحة انساب هؤلاء بقوله : وسألت ابن الحكيم والشريف محمد بن حيدرة الشيرازي عما يعلمانه ممن بقي من اولاد هولاء ، فقال كل منهما ، لم يبق احد يحقق النسب إلا ما قيل عن محمد المنسوب الى عنبرچي على كثرة اختلاف فيه .

وقال لي نظام الدين الحكيم : ان اهل هذا البيت تفانوا بعضهم على يد بعض لحوف القايم منهم على ملكه حتى ان كثيراً من ابناء ملوكهم كانوا يتخوفون من الملك القايم ، حتى ان بعضهم كان يخلد الى الحرف والمهانات لتسقط همته فيتترك ، ويجعل هذا سبيله للخلاص وطلباً للسلامة ، حتى ان بعضهم كان قد عمل نساجاً وبعضهم عمل في الادم وبعضهم باع الشعير علفاً ، ومن هذا قال ويقال في انساب كل منتسب منهم لكثرة التخليط من الامهات ونحاطة آباؤهم للعوام حتى خفت انسابهم فجهلت احوالهم .

الى ارباخان (١) في اليوم التالي لوفاة ابي سعيد بحكم سيطرته على توجيه دولة ابي سعيد
معملاً ذلك بأن الابلخان كان قد زكاه لامرئ قبيل وفاته باعتباره من احفاد اسرة
جنكيز خان وانه يصلح للعرش (٢) .

وحاول الوزير ومن يحيط به من الامراء أن يعطوا لعملية تتويج المرشح
الجديد نفس المظاهر والاهتمامات المتبعة سابقاً في مثل هذه المناسبة ليضمنوا بذلك
صفة الشرعية لجلوسه وطاعة الامراء الآخرين المنتهزين له ، فدعوا الى اجتماع
القوريلتاي لتقرير ذلك ، ولما لم يكن قد بقي احد من ابناء الاسرة على قيد الحياة
فقد تولت الخواتم وبنات الاسرة والاصهار مهمة التمثيل في القوريلتاي بالاضافة الى
الوزير وزعماء المغول المتعاونين معه ، « وقاموا باجلاس المرشح على سرير الملك في
مواجهة الشمس ووضعوا على رأسه القلنسوة المرصعة » (٣) .

وأشار المؤرخون الى قيامه بحضور صلاة الجمعة وخطبته في الناس ودعوتهم الى
تأييده ووعدهم بالخير ، ثم تلقب بلقب معز الدنيا والدين ، ولكن النقود التي وجدت
له على قلنتها تشير الى انه حمل لقب السلطان الاعظم (٤) .

وبالرغم من هذه المظاهر التي احاط بها الوزير عملية التتويج ، إلا أن سلطان

(١) اورد ابرو ص ١٤٥ نسبه بأنه من احفاد اربقوباق بن تولي بن جنكيز وقد

توج في اليوم التالي لوفاة ابي سعيد في ١٣ ربيع الثاني ٧٣٦ هـ .

(٢) ابرو ص ١٤٥ - ١٤٦ ، ميخونند ج ٥ ص ١٧٩ .

(٣) ابرو ص ١٤٥ - ١٤٦ ، خواندمير م ٣ ج ١ ص ١٢٦ .

(٤) وجاء اللقب فيها السلطان الاعظم ارباخان انظر

Lanc - Poole . 10 . P . 114 . N . 279 K .

الاييلخان الجديد لم يصد جميع بلاد الايلخانية فضلاً عن تلكو عدد من الامراء بتقديم الطاعة له ، على اننا نستطيع القول ايضاً ان هذا القوريلتاي كان آخر قوريلتاي عقد لتمام عمليات التتويج .

ويبدو أن احساس الحكم الجديد بالمعجز عن إجراء التنظيمات الادارية بين المسؤولين عن الحكم في اطراف البلاد ، جعل الايلخان يعمرح باقتدائه بسياسة سلفه واحتفاظه بجميع موظفيه في مناطق عملهم ، إلا انه لم يستطع السيطرة على نساء سلفه اللواتي أعلن استخفافهن بايلخانيته فهربت الاولى دلشاد خاتون بينما سيقت عمتهما بغداد خاتون الى الموت بتهم اختلف المؤرخون في نسيجها (١) .

وكان أول عمل ينتظره بعد انتهائه من مظاهر الاحتفالات ، هو الخروج الى العدو الذي كان يهدد البلاد من جهة الشمال ، وخدمت الظروف الايلخان الجديد فحصل على نصر عسكري سريع على العدو الذي تفرقت كلمته قبل لقائه فانسحب الى بلاده قبل وقوعه في الكمين الذي كان قد أعد له (٢) .

وعزز هذا النصر من مكانة الايلخان الذي تزوج بعد عودته من اخت سلفه المسماة ساتي بيك (٣) أرملة چوبان لكي يجمع بها بقية الامراء المتعلقين بأسرة

(١) هربت دلشاد خاتون الى ديار بكر محتمية بحال زوجها علي بادشاه بينما اتهمت بغداد خاتون بأنها تسببت في قتل زوجها ، كما اتهمت بمراسلتها لاوزبك خان .

(٢) ابرو ص ١٤٦ - ١٤٧ ، مجمل فصيحى حوادث سنة ٧٢٦ هـ .

(٣) ساتي بيك بنت اوجاييتو وكان قد تزوجها الامير چوبان في ايام سلطانه

علي اخيها ابي سعيد ولها منه ولد هو سيورغان .

هولاكو حوله (١) .

على أن العرور والحرص ركبته بعد ذلك لحماية عرشه من منافسة المنافسين فسلك نفس سياسة الايلخانات في التخلص ممن يشك فيهم بأنهم من ابناء الاسرة الايلخانية ، وملاحقة زعماء المغول الذين كانت لهم مكانة كبيرة في البلاد بالرغم من تقديمهم الطاعة له ، خوفاً من انقلابهم عليه بعد ذلك ، فأمر بقتل الامير تو كالفنغ من احفاد اوكتاي خان مع ولديه ، وكان قد لجأ يطلب الحماية خوفاً من بني عمه مغول ما وراء النهر ، وقتل ايضاً بعض المنتسبين الى اسرة هولاكو ومعهم الأمير محمود شاه اينجو أحد كبار الأغنياء بدعوى أنه يحميمهم اينافسوه على العرش فيما بعد (٢) .

وقد أثار عمله الريبة في قلوب الامراء الذين أحسوا بما يبغيه من وراء ذلك فهرب بعضهم الى اطراف البلاد يشجعون امراءها للقيام عليه ، بينما بات آخرون على حذر يترقبون ساعة التخلص منه ، على أن الايلخان كان مستمراً في تنفيذ سياسته بالرغم من معارضة وزيره غياث الدين محمد لذلك .

وفتح علي بادشاه (٣) خال ابي سعيد باب المنافسة على العرش مستغلاً انضمام بعض هؤلاء الامراء اليه ، فادعى بأن اخته والدة ابي سعيد أكرهت علي البيعة ،

(١) ميرخوند ج ٥ ص ١٧٩ .

Prise . 2 . P . 674 - 675 .

(٢) ابرو ص ١٤٧ .

Howorth . 3 . P . 635 .

(٣) وكان يتولى الحكم على ولايات العراق العربي وديار بكر منذ عهد ابن اخته

ابي سعيد .

كما أعلن ان زوجة الایلخان دلشاد خاتون حامل منه ، وان الوليد المنتظر هو صاحب الحق الشرعي بالعرش ، وخلص البادشاه من ذلك الى عدم الاعتراف بايلخانيمه الایلخان القائم ، وانه لم يشرح لها احد ابناه هولاکو وهو موسى بن علي بن بايدو . وكشف البادشاه عن حقيقة دوافعه من وراء هذه الاعمال ، بأن الجديد لم يعطه المكانة التي يستحقها كقريب للایلخان المتوفى ، وذلك عندما ساوم علي منصب أمير الامراء ليرجم عن معارضته ويقدم طاعته للایلخان ، وهنا جانب التوفيق سياسة الوزير غياث الدين محمد الذي كانت بيده مقاليد السلام عندما رفض العرض وأصر على إخضاع الامير الثائر بالحرب ، فزحفت الجيوش على الجيوش في منتصف رمضان سنة ٧٣٦ هـ ، وانتهز الامراء الناقمون المترقبون الفرصة فمالوا عن الایلخان ووزيره الى جانب عدوه ، فلم يمكث الایلخان حينئذ في الميدان إلا قليلا أطلق ساقيه بعدها للريح مفضلا النجاة برأسه بينما سقط الوزير أسيراً بيد اعدائه الذين لم يبقوا عليه بالرغم من محاولات علي بادشاه الحفاظ على حياته للاستفادة من خبرته ومكانته ، ولم يُنجز الهرب الایلخان من الموت إذ سقط بيد مطارديه بعد اسبوع من مقتل وزيره وحوكم علي قتله للامراء ثم أعدم في اول شوال ٧٣٦ هـ بعد أن حكم مدة تقل عن ستة شهور (١) لم تسمح له الاضطرابات والمطامع خلالها من القيام بمباشرة أي نوع من الاصلاح .

(١) ابرو ص ١٤٨ - ١٥١ ، خواندمير م ٣ ج ١ ص ١٢٧ ، ابن حجر ج ١

الدرر الكامنة ص ٣٤٨ ، المقرئبي ج ٢ ق ٢ ص ٤٠٦ .

Browne . 3 . P . 59 . Price . 2 . P . 675 - 677 .

ایلخانیه موسی خان : وصفت السلطة لعلي بادشاه الذي كان قد اتخذ من موسى صليمة له على العرش واختار له نجم الدين محمود بن تاج الدين علي الشيرواني وزيراً وضرب اسمه على النقود (١) ، ولكن الاستقرار لم يتوفر للبلاد إلا لفترة قصيرة جداً بالرغم من محاولات الوزير ذلك ، إذ أن الفتنة التي اوقد نارها علي بادشاه لا زالت مشتتة ، يزيد منها استبداد البادشاه نفسه الذي كان كما يبدو بدوياً غليظ الطباع وقد سلط أتباعه من قبيلة الاويرات المغولية على شؤون الحكم ومصائر الامراء ، بالإضافة الى استمرار اطماع الامراء الآخرين الذين كانت قد استحكمت في نفوسهم الرغبة بالاستقلال بما في أيديهم من البلاد التي أصبحت ملكيتها تخضع لشريعة القوة (٢) .

وتوجهت انظار الامراء نحو الشيخ حسن حاكم بلاد الروم الذي كان قد انضم اليه بعض الامراء الهاربين من ارباخان ، وانضم اليهم الآن الذين نقموا على البادشاه انفراده بالسلطان دونهم ، وكان علي رأسهم طغاي بن سوتاي صاحب دياربكر ، فأغروه بمنافسة علي بادشاه وبأحقية الزعامة الايلخانية باعتباره من عظم الايلخان من جهة النساء (٣) .

(١) عثر له على بعض القطع النحاسية التي جاء لقبه عليها « السلطان الاعظم » انظر

Lane - Poole . 10 . P . 115 . N . 179 qq . bb .

(٢) ابرو ص ١٥٢-١٥٣ ، ميخوند ج ٥ ص ١٨٠ ، العزاوي ج ١ ص ٥٣٠ .

Price - 2 . P . 677 .

(٣) كان والده حسين كوركان بن اقبوغا بن ايلسكانيان الجليري قد تزوج من

ابنة الايلخان ارغون فهو لذلك ابن عمه ابي سعيد ، وأفاده هذا النسب عندما اتهم -

ولم يكن الشيخ حسن زاهداً بالحكم ، لكنه كان ينتظر الفرصة التي جاءت بانضمام هؤلاء الامراء اليه فخرج بهم وأعلن عن معارضته لايلاخانية موسى وتسايط البادشاه ، واستدعى احد المنتسبين للأسرة الايلاخانية وهو محمد (١) فجعل منه ايلاخاناً محمدى به غريمه البادشاه وصفيعته ، وأخذ له وزيراً من ابناء اسرة رشيدالدين وهو شمس الدين محمد بن زكريا (٢) ، ثم زحف بجمعه نحو تبريز لغرض إرادته وتحقيق أغراضه .

وحاول البادشاه قبل اللقاء الذي تم في ذي الحجة ٧٣٦ هـ ، حاول الانفاق على حل لمنع إراقة الدماء بين المسلمين ودعاه الى ترك الصفيعيتين يقتتلان ، وطاعة المنتصر منهما ، وكاد الشيخ حسن يضيع الجهود التي بذها بسبب موافقته على هذا الحل الذي رجح كفة غريمه ، لو لم يلجأ الى الخديعة والغدر فيهاجم اعداءه على حين غفلة ويقضي على البادشاه بينما هرب موسى من المعركة ناجياً بنفسه (٣) .

وفقد موسى نعيم الايلاخانية الذي تمتع به قرابة ثلاثة اشهر بعد مقتل علي بادشاه وأصبح ينتقل هارباً من مكان الى آخر مع بقية أنصار سيده يناقش له عن انصار آخرين ، بينما استقر غريمه محمد في الايلاخانية متخذاً لنفسه ألقاباً عديدة جمع

— براسلة زوجته بغداد خاتون التي كان ابو سعيد قد اكرهه على طلاقها ليتزوج منها ، فلم يأمر بقتله بل اكتفى بنفيه ثم ارسله حاكماً على بلاد الروم بعد ذلك .

- (١) وهو محمد بولقتلغ بن انبارجي بن منكوتيسور بن هولكو .
- (٢) وهو ابن بنت رشيد الدين وزوج ابنة خاله الوزير غياث الدين .
- (٣) ابرو ص ١٥٣ - ١٥٤ ، خواندمير م ٣ ج ١ ص ١٢٨ - ١٢٩ .

Howorth . 3 . P . 637 - 638 .

فيها بين العادل والعالم الأعظم (١) .

وأعاد الشيخ حسن تنظيم الوزارة فجعلها مشاركة بين متواليها السابق ومسمود ابن محمود شاه اينجو ، ثم استقر بتبريز وتزوج من دلشاد خاتون أرملة ابي سعيد رداً على ما كان الايلخان قد فعله به من قبل (٢) .

وتحرك الامراء ثانية حسداً منهم للشيخ حسن الذي استقرت البلاد تحت طاعته وانفرد بالسلطان دون منافس ، إذ وجدوا في الحزم والاستقرار الذي اتصف به الحكم الجديد خطراً على مصالحهم ومكانتهم ، فتفرقوا عنه وتوزعوا في البلاد وتوجه بعضهم نحو خراسان للاتحاق بأمرها طغاي تيمور الذي كان يعتبر من امراء الاسرة (٣) . وأغروه بأحقية بالزعامة والسلطنة فخرج بهم للمنافسة عليها ، وازدادت قوته عندما التحق به الايلخان الهارب موسى بعد اتفائه معه على تقسيم البلاد ، وتوجهها سوية نحو السلطانية في شعبان ٧٣٧ هـ حيث تصدى لهم الشيخ حسن من تبريز بعد أن وثق

(١) وجاءت ألقابه : السلطان العالم ، السلطان العادل ، السلطان الاعظم .
انظر مسكوكات قديمة اسلامية قتالوغي ق ٣ ص ١٥٥ رقم ٣٠٢ ، مجلة المجمع العلمي المصري م ٣٤ سنة ١٩٥١ - ١٩٥٢ ص ١٠٠ - ١٠١ .

Lane - Poole . 4 . P . 94 . N . 280 , 281 .

Burn : Coins of The Ilkhanis of Pers . P . 842 . Jras . 1933 .

(٢) ابرو ص ١٥٣ - ١٥٤ ميرخوند ج ٥ ص ١٨١ ، الشواربي - حافظ الشيرازي ص ١٠٢ .

Price . 2 . p . 679 - 680 .

(٣) اذ يعود نسبه الى احد اخوة جنكيز .

صلاته بالأميرة سائى نيك أرملة چوبان وارباخان واسماها الى جانبه لمصاحبة ابنها
صبورغان بن چوبان .

وفي خلال المعركة التي دارت قرب مراغة في ذي القعدة ٧٣٧ هـ / يونيو ١٣٣٧ م
نحلى طغاي تيمور عن حليفه عائداً الى خراسان بينما سقط موسى أسيراً حيث قتل
بعدها في ذي الحجة (١) . وأصبح الشيخ حسن وصفيته محمد بعد هذا الانتصار
أبرز الممثلين للحكم الايلخاني والناطقين باسمه بعد اختفاء الكثير من الطامنين فيه ،
ولكن الاستقرار مع ذلك لم يتوفر للبلاد ، إذ كانت الأقدار تنجيء للشيخ حسن
منافساً عنيداً آخر امتاز بالمكر والخديعة اكثر من القوة ذلك هو حسن بن تيمورتاش
ابن چوبان (٢) الذي اصبح خلال الصراع يعرف بالصغير تمييزاً له عن الشيخ حسن
الذي اصبح يعرف خلال ذلك بالكبير .

آمن الصغير بشعار الغاية تبرر الوسطة ، واتبع لتحقيق ذلك كل الوسائل
والاساليب التي تحقق له الوصول الى السلطة ، فقد تاجر باسم ابيه تيمورتاش عندما
ادعى بأنه لا زال على قيد الحياة (٣) ، وعمد لتبرير ذلك الى احد العبيد المدعو

(١) ابرو ص ١٥٤ - ١٥٦ ، خواندمير م ٣ ج ١ ص ١٢٨ ، الصفدي ج ٧
ق ٢ اعيان العصر - الورقة ٢١٢ ، مينورسكي ترجمة المعارف الاسلامية م ٥ -
تغاي تيمور .

D'ohsson . 4 . p . 723 - 727 .

(٢) كان حسن الصغير قد اختفى منذ اكثر من عشرين سنوات خوفاً من ملاحقة
ابي سعيد الذي كان يبطش بأبناء الاسرة الجوبانية بعد قتله لچوبان .
(٣) كان تيمورتاش بن چوبان قد لجأ الى السلطان المملوكي الناصر محمد خوفاً -

قراجر الذي كان قريب الشبه من ابيه فادعى أنه هو ، واستعان بأحد رجال ابيه على تأكيد صحة ذلك أمام الناس ، ولكي يقطع الشك عليهم فقد زوجه من أمه ووقف في خدمته موقف الابن المطيع فكسب بذلك انضمام أبناء الجوبانية وكثير من أنصارها حوله ، حتى أن الاميرة ساتي بيك تخلت عن تأييدها للشيخ حسن متأثرة بهذه الدعايات (١) .

وأفلق ظهور الصغير الشيخ الكبير الذي بدأ يحس بتمرب الامراء من حوله للاتحاق بالفرسيم الجديد الذي زحف لفرض وجوده على الحكم ، وتلاقى الحسانان في ذي الحجة ١٢٣٨ هـ / ١٢٣٨ م حيث دارت المعركة بينهما ولكن الكبير منهما ترك الميدان ناجياً بنفسه بعد أن شك في ولاء بعض قواده له والذين انضم بعضهم الى خصمه خلال المعركة ، تاركاً صنيعته الاياخان محمد ياتي مصرعه فيها (٢) .

وخلت البلاد بعد هذه المعركة من اياخان قائم ، إذ أن الشيخ حسن كان قد التجأ الى تبريز ليسترد انفاسه من المعركة ، بينما هرب غريمه الصغير جريماً ليحتدي بالاميرة ساتي بيك بعد أن انقلب عليه ابوه المزيف وحاول اغتياله لكي ينفرد وحده

— من ابي سعيد الذي كان قد قتل ابيه واخوته ، ولكن الناصر غدر به وقتله تقرباً الى ابي سعيد .

(١) ابرو ص ١٥٦ ، ميرخوند ج ٥ ص ١٨٢ ، مورتمان - ترجمة المعارف

الاسلامية م ٧ - « حسن الصغير » .

Howorth . 3 . p . 640 - 641 .

(٢) ابرو ص ١٥٧ - ١٥٨ ، خواندمير م ٣ ج ١ ص ١٢٩ .

D'ohsson . 4 . p . 727 - 728 .

بالسلطنة ، ولكي يزحف بعد ذلك نحو تبريز كي يتخذها قاعدة له ولكنه اتى الهزيمة على يد الشيخ حسن الذي كان اصحابه قد تجمعوا حوله فاستماد بهم شيئاً من قوته .
ايلخانية ساتي بيك : والتف الصغير ومعه عدد من افراد الاسرة الجوبانية حول الاميرة ساتي بيك وأعلنوا تنويجها ايلخانة على البلاد ما دام لم يدق رجل من ذرية هولوكو وخطبوا لها على المنابر وجعلوا وزارتها مشاركة بين ركن الدين شيخي الرشيدى وغيث الدين محمد ايدشاهى وذلك سنة ٧٣٩ هـ (١) . وجاءت ألقابها على النمود « السلطنة العادلة » (٢) .

ولم يكن ظهور حسن الصغير بأبيه المزيف مقلماً للشيخ الكبير فحسب ، بل كان مفزعاً للسلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون ايضاً ، الذي صعد لدعوى بقاء تيمور تاش حياً ، وأحس ، ان صحت هذه الدعوة ، بخطرها على مستقبل السياسة المملوكية مع المغول ، الأمر الذي دفعه الى اتخاذ مواقف اكثر جدية مما كانت قبل ذلك ، ودخول المماليك بعدها كقوة سياسية ناشئة ، كادت تتحول الى قوة عسكرية في احداث الصراع الدائر بين انقاض الايلخانية .

موقف السلطنة المملوكية من الأحداث : فقد كان موقف المماليك قبل ذلك من هذه الأحداث التي بدأت بعد وفاة ابي سعيد مباشرة ، موقف المتفرج الذي يتظاهر بالحرص على استمرار العلاقة الحسنة مع القوة السياسية التي بيدها مقاييد الحاكم

(١) ابرو ص ١٥٨ - ١٥٩ ، ميرخوند ج ٥ ص ١٨٢ - ١٨٣ .

Hcworth . 3 . P . 643 . Price . 2 . p . 683 - 684 .

(٢) مسكوكات قديمة اسلامية قتالوغي ق ٣ ص ١٦٥ ، رقم ٣١٦ .

Lane - Poole . 4 . p . 103 ' N . 301 .

في البلاد لا يضيرها أن تتغير هذه القوة كل يوم لكي يغير من موقفه منها ايضاً ، ولو ملكت السياسة المملوكية شيئاً من الجرأة والذكاء خلال احداث الصراع هذه لكان من المحتمل جداً أن تنجح في إحداث تغير في التقسيمات السياسية للبلاد وبالتالي في تحرير العراق من السيطرة المغولية وإحاقه بالركب المملوكي .

وتشير الأخبار المتواترة التي ضمتها المراجع العربية المعاصرة الى اطلاع المماليك على التفاصيل الدقيقة لأحداث هذا الصراع الذي كانت تصلهم أخباره بسرعة فائقة بمد وقوعه بفضل الأعوان الكثيرين المنتشرين في البلاد الايلخانية ، وكان هذا الاطلاع كفيلاً بالنجاح أغراض السياسة المملوكية لاستغلاله لو تحركت قليلاً في هذا المجال .

وعلى ضوء ما أورده ابن الجزري (١) ، فإن السياسة المملوكية حددت موقفها المهادي لاربا خان عندما اعتقلت رسوله الذي وصل دمشق قبل شهر رمضان ٧٣٦ هـ ، وقام نائب السلطنة بالشام خلال ذلك باعلان النفير العسكري واستدعاء شيوخ العشائر نظراً لقرب توجه الركب السلطاني الى الشام بجميع الجيوش .

ويبدو أن هذا الاستعداد بطل عندما وصلت أخبار مقتل اربا خان ووزيره التي حملها اليهم احد عيون المماليك المدعو عمر الكردي الذي وصل دمشق في شوال ، وأكد من صحتها وصول اول رسول للحاكم المنتصر علي بادشاه وصديقه موسى الى دمشق في ٢٤ منه (٢) .

(١) تاريخ ابن الجزري م ٣ الورقة ٤٥٩ .

(٢) تاريخ ابن الجزري م ٣ الورقة ٤٦١ ، زيترستين - ص ١٩٢ .

ولم يكن قدوم هذا الرسول لحمل بشرى انتصار مرسله واستيلائه على الحكم فحسب ، وإنما جاء يعرض على السلطان المملوكي تعاوناً عسكرياً بين المملكتين ضد بعض اسراء المغول الذين رفضوا الخضوع لطاعته وهم اولاد سوتاي (١) صاحب ديار بكر « وبمده مقابل ذلك أن يسلم اليه بغداد ويكون نائباً عنه بها » ففرح السلطان بذلك ، على أنه سرعان ما اتخذ لنفسه موقف الحرياء عندما وصلته رسالة الشيخ حسن « يرغبه في نصرته على بادشاه ويمت اليه بقرابته من أمه » ولا بد أنه وعده بما رجح مكانته على غيره ، فاكثفت السلطان باجراء بعض التنقلات في قطعاته العسكرية في الشام وسوق بعضها لمهاجرة ارمينيا الصغرى التي كان صاحبها قد انقطع عن تقديم الطاعة ، وهو يوم الفريقين المتنازعين انه مع كل منهما على الآخر (٢) . ولم يكف السلطان بعد ذلك عن هذه السياسة بالرغم من عمله بمقتل البادشاه وهروب موسى واستيلاءه الشيخ حسن وصنيعته محمد ، فقد بقي يستقبل رسل الفريقين ويتظاهر بتأييد كليهما حتى أنه في منتصف ربيع الاول ٧٣٧ هـ استقبل رسول محمدخان ثم استقبل في نهايته رسول موسى قبل أن يغادر الرسول الاول القاهرة (٣) .

كما استقبل في مطلع سنة ٧٣٨ هـ اعوان موسى الذين لجأوا الى الشام بعد مقتله وعلى رأسهم وزيره نجم الدين محمود وبقية موظفي ديوانه (٤) .

(١) مر علينا أنه طغاي ، وسوف يتردد ذكره كثيراً .

(٢) المقرئزي ج ٢ ق ٢ ص ٢٩٧ - ٣٩٨ ، ٤١٧ - ٤١٨ .

(٣) المقرئزي ج ٢ ق ٢ ص ٤١٠ ، زيتروستين - تاريخ سلاطين المماليك ص ١٩٣

(٤) تاريخ الجزري ٣م الورقة ٥٨١ ، زيتروستين ص ١٩٥ - ١٩٧ ، المقرئزي

ج ٢ ق ٢ ص ٤٢٧ - ٤٣٨ ، مجهول المؤلف - تاريخ الانبياء وملوك الاسلام -

الورقة ١٢٦ .

ويبدو أن الشيخ حسن لم ينفذ وعده للسلطان بعد انفراده بالحكم واختفاء المنافسين له ، لذلك غضب عليه واستدعى المجد السلامي التاجر السفار ومثله في البلاط الايلخاني منذ زمن ابي سعيد ، ويشير المقرئزي الى أن الشيخ حسن استعان به لكي يقوم بالصلح بينه وبين السلطان وجهزته هدية جليلة وذلك في سنة ٧٣٨ هـ (١) . ولكن هذا الموقف الذي يتصف بالامبالاة والتمتع من جانب السلطان بشأن احداث الصراع المار الذكر بين زعماء المغول انقلب رأساً على عقب عند ظهور حسن الصغير الجوباني وأبيه المزعوم ، فقد أسرع السلطان فزعاً يتأكد من صحة الخبر بعد أن توفي جميع الذين عاصروا اعدامه في القاهرة ، فأرسل رسوله احمد الناصري الى صاحب ديار بكر طغاي بن سوتاي يستفتيه بصحة الاشاعة ويعرض عليه تحالفاً يكون ضمانه زواج ابنته من ابته ، وكرر السلطان الطلب ثانية بالرغم من جواب طغاي الذي نفى صحة الأب المزعوم واعتذر عن الزواج لعدم ملائمة الوقت ، ثم أخبر عن تحالفه مع الشيخ حسن الكبير للوقوف في وجه الصغير ، والنفس في آخر اعتذاره من السلطان ارسال بعض كتائبه الى حلب لكي تساعد عند الضرورة (٢) .

وفي الوقت الذي قرر فيه السلطان التدخل في الشؤون الداخلية للايلخانية كطرف ثالث ، دفعاً منه لخطر مرتقب ، متخذاً من صاحب ديار بكر ركيزة له ، ساعياً لتجميم ودعم القوى للوقوف في وجه حسن الصغير الذي اصبح بالرغم من انكشاف زيف دعواه يمثل خطراً على مستقبل السياسة المملوكية فيما لو نجح في تثبيت سلطانه

(١) السلوك ج ٢ ق ٢ ص ٤٤٦ .

(٢) زيتوستين ص ١٩٨ .

على البلاد الايلخانية ، كان الشيخ حسن الكبير متوجهاً خلال ذلك بكايته نحو مصارعة الصغير الذي انتصر عليه في الجولة الاولى ، وكان قد استعاد بعض قوته ونجح في دفع الأب المزيف عن تبريز ، ثم خرج بعد ذلك ليهاجم التحالف الذي أقامه الصغير مع الأميرة ساتي بيك والذي جعل منها ايلخانه على البلاد ، ويبدو أن الأميرة الايلخانية استطاعت التأثير على الشيخ الكبير الذي استجاب لمساعي الصالح والاعتراف بشرعية زعامتها على البلاد ومصالحه غريمه الصغير .

وقرر الحسنان بعد ذلك التعاون على إحياء الايلخانية في شخص الأميرة وذلك بالعودة الى عقد اجتماع للقوريلتاي في الربيع القادم ليكون تولىها شرعياً ، وافترقا على ذلك (١) .

ولكن القلوب لم تكن خالصة النية بهذا الاتفاق ، إذ أن الكبير لم يكن يثق بعود الصغير فضلاً عن أن الوضع الجديد الذي اتفقا عليه يعطي للكان الأكبر للصغير بحكم علاقته الشديدة بالاييلخانة المنتظرة ، مما قد يؤدي الى القضاء عليه بعد استقرار الحكم ، لذلك فضل الشيخ حسن التفتيش عن دمية اخرى يرتكز عليها للتحال من هذا الاتفاق ، ووجد ذلك في شخص طغاي تيمور الذي كان مستقلاً بحكم خراسان ومازندران والذي سبق له أن نافس على الايلخانية متحالفاً مع موسى ثم فشل في الحصول عليها بعد هزيمته أمامه . وطرق الشيخ حسن باب طغاي تيمور بما في نفسه ودعاه للاندوم الى السلطانية لتحقيق أمنيته القديمة ، فأسرع اليها في سنة ٧٣٩ هـ .

(١) ابرو ص ١٥٩ ، ميرخوند ج ٥ ص ١٨٣ .

ولكن الشيخ حسن سرعان ما اندم على سوء اختياره ، إذ وجد فيه العوبة بيد وزيره علاه الدين لا يحرك ساكناً ، ومع ذلك فقد قرر أن يقابل به ريثما تتغير الظروف . وأحسن الصغير بما يدبره له الكبير ، فعمد الى الخديعة ليفرق بينهما ، ولم يتردد بالتجارة بأرملة جده الايلخانة المرتقبة ، وابنة عمه لتحقيق أغراضه كما تاجر بسمة أبيه وأمه من قبل ، ففتح باب الاتصال خفية مع طغاي تيمور . ظهرآ له الاحترام العميق ، ومذكراً إياه بالعلاقة بين جده جوبان وأبيه ، محذراً له من مخادعة حسن الكبير ، مؤكداً له بأنه أصلح من يتولى الايلخانية في هذا الطرف ، ثم أصال لعابه عندما أعلن له أن أبناء الأسرة الجوبانية لا يمانعون من زواجه من أرملة جدهم ساتي بيك ، وابنة عمهم دلشاد خاتون بعد القضاء على زوجها حسن الكبير ، لتحقيق وحدة البيت الجنكيزي .

وضرب حسن الصغير ضربته عندما أرسل الى غريمه الكبير الوثيقة التي أملاها ووقعها بنفسه حليفه طغاي تيمور للقضاء عليه (١) .

ولما انكشفت الخدعة التي جازت على الاثنين ، لم يتمالك طغاي تيمور نفسه خجلاً مما فعل ، إلا الانسحاب في نفس الليلة عائداً الى خراسان ، بينما تراجع الشيخ الكبير الى بغداد ليفتش عن صنيعة اخرى يدافع بها عن نفسه ، فوجدها في شخص جيهان تيمور بن الفرنك بن كيخاتو فولاه الايلخانية وجعل من وزيره محمدخان الساق

(١) خواندمير م ٣ ج ١ ص ١٣٠ ، مورتمان - ترجمة المعارف الاسلامية م ٧

حسن الكبير .

Howorth . 3 . p . 643 - 645 ' price . 2 . p . 684 - 686 .

شمس الدين زكريا وزيراً له وضرب النقود باسمه (١) .

وبادر الصغير الى الاقتداء به حيث اعلن عن تزويج سليمان خان (٢) في اوجان في اواخر سنة ٧٣٩ هـ بعد أن زوجه من ساتي بيك بدعوى انها لا تستطيع وحدها إدارة الايلخانية ، وجاءت نقوده تحمل لقب السلطان العادل (٣) .

وتجدد الصراع بين الحسين ثانياً ، كل يتستر وراء صنيعة له من ابناء الأميرة الايلخانية ، وقرر الكبير منهما أن يتوجه ثانياً الى السلطان المملوكي يلتمس منه تجديد تحالفه السابق معه ، وكان كما يبدو على علم بالمساعي التي بذها السلطان لاضعاف جبهة غريمه (٤) فطلب منه أولاً التوفيق بينه وبين طغاي صاحب ديار بكر لكي تتوحد صفوفهما أمام العدو ، ثم إرسال جيش يتسلم بغداد والموصل والبلاد الاخرى لكي يخطب له فيها (٥) .

(١) وجاء لقبه عليها « السلطان الاعظم » مسكوكات قديمة اسلامية قتالوغي

ق ٣ ص ١٦٣ رقم ٣١٥ .

(٢) وهو سليمان بن محمد سانكا بن يشموت بن هولانكو .

(٣) مسكوكات قديمة اسلامية قتالوغي ق ٣ ص ١٧١ رقم ٣٢٨ .

Lane - Poole . 40 p . 107 .

(٤) كان السلطان المملوكي بالاضافة الى تقوية علاقته بصاحب ديار بكر قد استطاع سحب حافظ الدين أخو علي بادشاه الى جانبه بعد أن كان متعلقاً بالاسرة الجوبانية ، انظر : زيتستين ص ١٩٨ ، ٢٠٢ .

Howorth . 30 P . 642 .

(٥) المقريري ج ٢ ق ٢ ص ٤٨٩ ، وقد أرسل السلطان المملوكي رسوله احمد الناصري الى ديار بكر حيث نجح في إزالة اسباب الخلاف بين طغاي والشيخ حسن انظر ص ٤٩١ منه .

ثم رأى الشيخ حسن خلال ذلك أن يجرب قوته ثانية مع خصمه الصغير ، فزحف بجيشه نحو اذربيجان مصطحباً معه ايلخانة جيهاانتيمور ، ولكنه فشل ككرة اخرى وعاد مهزوماً الى بغداد في اواخر ذي الحجة ٧٤٠ هـ حيث قرر إنهاء الايلخانية التي أقامها وخلع الايلخان الدمية واعلان استقلاله بالبلاد التي شملها سلطانه وهي العراق العربي وخوزستان وديار بكر (١) .

وبالرغم من أن هذا الاستقلال يعني بداية لتأسيس الحكم الجديد للأسرة الجلالتية التي اصبح الشيخ حسن الحاكم الحقيقي والرسمي له ، إلا أن الشيخ المذكور كان كما يبدو ، يفضل أن ينقل ولائه الى السلطان المملوكي في سبيل الحصول على تأييده للقضاء على خصمه العنيد ، لذلك نراه يلحف بالسؤال من السلطان لإنجاز العروض المقترحة ، وتنقل رسله عدة مرات خلال فترة قصيرة من الزمن بين القاهرة وبغداد لتحقيق وحدة البلدين تحت التاج المملوكي (٢) ، ولكن السلطان كان لا يريد أن يتخدد ثانية من هذه الوعود ، لذلك فهو يرض بأنائه وجيوشه التي يقترح الشيخ الكبير إرسالها ، يرضن بها أن تتعرض للخدمة والغدر ، قبل أن يأخذ الحذر لذلك . فاعتذر بصغر انائه عن قيادة الجيوش ، وانه هو نفسه مستعد لقيادتها والزحف بها نحو العراق وتبريز ، ولكن بعد تقديم الضمانات اللازمة التي يدل تنفيذها على صدق النية بالتعاون .

(١) ميرخوند ج ٥ ص ١٨٣ - ١٨٤ ، الشواربي - حافظ الشيرازي ص ٧٥ .

D'ohsson . 4 . p . 732 - 733 ' Price . 2 . P . 686 688 .

(٢) زيتريستين ص ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

Howorth . 3 . P . 646 .

وكانت الشروط التي وضعها السلطان هي القسم على الولاء والطاعة من قبل زعماء البلاد وأعيانها وعلى رأسهم الشيخ حسن وطغاي بن سوتاي وحافظ الدين أخو علي بادشاه ، ثم تقديم رهائن من ابنائهم يقيموا عند السلطان بالإضافة الى الخطبة والسكة (١) .

ونفذ الشيخ حسن واصحابه شروط السلطان ، فقد وصل القاهرة في يوم الثلاثاء ٥ ذي الحجة ١٧٤١ هـ ، ويوم الاربعاء ٦ منه ، وصل كل من ابراهيم شاه ابن اخي الشيخ حسن ، وبرهسين بن طغاي ورفقتهم قاضي بغداد ، وقاضي الموصل ، وقاضي ديار بكر وعدد من الفرسان ، وقد أحضروا بعد صلاة الجمعة ٨ منه بين يدي السلطان فقدموا له نسخة إيمانها وإيمان عامة اهل بلادهم من الأسراء والأجناد وأرباب المعاش بالطاعة ، وانهم من جندة ومقاتلة من عاداه ، وقدموا صورة الخطبة التي كُتبت له بها في البلاد والدرام التي ضربت ببغداد وعليها اسمه ، فخلع السلطان عليهم جميعاً وأعلمهم بأنه قد أمر بتجهيز الجند (٢) .

وجرب الشيخ حسن ثلاثة منازل خصمه بعد أن أرسل رهائنه الى السلطان ، فزحف في ربيع ١٧٤١ هـ بجيوش من العرب والترك نحو اذربيجان حيث وصلها في ذي الحجة . ولكن عقدة الفشل المتكرر أمام خصمه كانت قد سيطرت على تفكيره ،

(١) المقرئزي ج ٢ ق ٢ ص ٥١٧ ، زيترستين ص ٢٢٢ ، العيني الورقة ٣٤

في حوادث سنة ١٧٣٩ هـ .

Howorth . 3 . p . 646 .

(٢) المقرئزي ج ٢ ق ٢ ص ٥١٩ - ٥٢٠ ، زيترستين ص ٢٢١ - ٢٢٢

العيني الورقة ٤٢ في حوادث سنة ١٧٤١ هـ .

فلم يعد يتصور أنه قادر على تحقيق الانتصار بمفرده ، لذلك فعالمًا ظهرت آثار غبار
كثيف بالقرب من معسكره حتى توهم أنه سينجلى عن جيوش عدوه للكثيرة ، فلم
يتمالك أمره حتى قرر التراجع قبل اللقاء لئلا تتكرر هزيمته (١) .

ولم يصل السلطان العراق ، كما لم تصل جيوشه التي قررها بالرغم من أنه كان
قد جند أربعة آلاف من الفرسان واختار قوادهم ، وكتب بتجهيز عساكر حلب
ودمشق وأمراء التركمان والعربان للخروج معه في حملة تبريز (٢) ، ذلك ان صاحب
ماردين (٣) وهو احمد الموالين له سرأ أرسل يخبره بوقوع الصلح بين الحسينين ،
واتفاقهم على العبور الى بلاد الشام ، فتوقف السلطان وأرسل يستوضح الأخبار
بالرغم من طعن الرهائن بصاحب ماردين (٤) .

وبالرغم من أن المراجع العربية أخذت بصحة هذا الخبر معتمدة في ذلك على

(١) وكانت هذه الجيوش لأحمد امراء الاسرة الجوبانية الذي كان مفارقاً
لسليمان خان ، بينما كان حسن الصغير غائباً في خراسان حيث كان يهاجم طغاي تيمور
انظر : خواندمير م ٣ ج ١ ص ١٣٠ - ١٣١ .

Price . 2 . p . 687 - 688 .

(٢) المقرئزي ج ٢ ق ٢ ص ٥١٨ - ٥١٩ ، زبوتستين ص ٢٢٢ .

(٣) كان صاحب ماردين في هذه الفترة هو الملك الصالح شمس الدين بن المنصور
غازي ، وقد تولى العرش بعد وفاة ابيه واخيه علي في ربيع ٧١٢ هـ وحكم أربعة
وخمسين سنة وقد توفى سنة ٧٦٦ هـ ، ابوالفداء ج ٤ ص ٦٩ ، الذيل لابن العراقي -
البوقة ٦٠ - ٦١ في وفيات سنة ٧٦٦ هـ .

(٤) المقرئزي ج ٢ ق ٢ ص ٥٢١ .

ولاء صاحب ماردين ، وان تواتره قد أزعج السلطان الناصر فأصابه بأسهال دموي أدى الى وفاته في ثاني يوم عيد الاضحى ١١ ذي الحجة ٧٤٩ هـ (١) ، إلا ان وقائع الأحداث تنفي وقوع الصلح وتؤكد استمرار الحرب ، خاصة وان الشيخ حسن كان خلال هذه الفترة قد رجم مهزوماً من محاولته الثالثة للصدام مع غريمه الصغير .

وقد شجع فشل التعاون العسكري بين الشيخ حسن والسلطان المملوكي بسبب وشاية صاحب ماردين (٢) و وفاة السلطان ، شجع حسن الصغير الذي طاد من حملته على خراسان ، على مهاجمة اعدائه ، فقاد بنفسه الجيش لمهاجمة ديار بكر التي هرب صاحبها طغاي الى مدينة موش في ارمينيا محتتماً بصاحبها ابراهيم أخوعلي بادشاه الذي غدر به وقتله سنة ٧٤٣ هـ . في الوقت الذي طاش فيه الصغير فساداً في بلاد ديار بكر وموش في وقت واحد ، حتى عسكر في ماردين التي كان صاحبها قد أعلن الدخول في طاعته ، ثم زحف منها نحو غريمه الكبير فلقى الهزيمة أمام جيوشه التي قادها قائدها قرة حسين وعلي جعفر ، فقفل راجعاً الى بلاد الروم يفرغ فيها نار هزيمته فتتلا وتخریباً حتى لم تسلم المساجد من نهبه وتخریبه (٣) .

(١) المرجع السابق ص ٥٢٢ .

(٢) وعلى ضوء التناقض بين وشاية صاحب ماردين وواقع الأحداث يمكن القول ان الملك الصالح كان يعمل لحساب حسن الصغير خوفاً منه مثلما كان يعمل لحساب السلطان المملوكي ، وان قيامه بهذه الاخبار الكاذبة قد يكون مدبراً مع حسن الصغير لتحقيق منافع فشله كما قد حصل .

(٣) الشواربي - حافظ الشيرازي ص ٧٦ .

Howorth . 3 . P . 647.

على ان الوضع لم يستقم بعد ذلك للصغير الذي اختلف مع اخيه الأشرف وعمه ،
ياغي باستي الذين احتميا بالشيخ حسن ثم انسحبا منه خوفاً من مكر الصغير وحياله ،
كما اختلف الصغير ايضاً مع بعض قواده بسبب فشلهم في بعض الحملات على بلاد الروم
الأمر الذي ادى بهؤلاء الى الانفاق على التخلص منه بالتعاون مع زوجته عزت ملك
وذلك في رجب ٧٤٤ هـ ، فكان مقتله إيذاناً بانتهاء الايلخانية نفسها بعد ان عجز
صفيعته سليمان من الاستمرار بها بعده أمام مظالم ابناء الاسرة الجوبانية الذين
نازعوه الحكم وقد اختفى بعده بقليل خلال هروبه الى ديار بكر حيث لم يثر له على
خبر بعد ذلك (١) .

اما الشيخ حسن فقد استقر ببغداد وقطم الخطبة للناصر بعد وفاته ، وجاء
انتصار قائديه وإلحاقهم الهزيمة بفرعيه الصغير سنة ٧٤٣ هـ معزراً لمكانته في البلاد التي
رسخت كذلك بفضل انقسام امراء الاسرة الجوبانية على انفسهم وانشغالهم ببعضهم
عن مهاجمة العراق الذي اصبح منذ وفاة السلطان الناصر محمد يحكم من قبل الاسرة
الجلائرية التي اصبح الشيخ حسن مؤسساً لها والتي ظهرت اهميتها في الميدان الأدبي
اكثر منه في المجال السياسي (٢) .

ثم بعون الله وحمله

(١) ميرخوند ج ٥ ص ١٨٥ ، الشواربي - حافظ الشيرازي ص ٧٧ - ٧٨ .

Howorth . 3 . P . 647 - 649 .

Browne . 3 . p . 59 - 60 .

(٢)

ملخص المراسم

ملاحق الباب الأول :

رسالة الطوسي في فتح بغداد

ملاحق الباب الثاني :

رسالة هولاءكو الى الناصر الأيوبي صاحب الشام

ملاحق الباب الثالث :

١ - رسالة احمد تكودار الى اهل بغداد

٢ - رسالة احمد تكودار الى السلطان قلاون

٣ - جواب السلطان قلاون

٤ - رسالة تكودار الثانية الى قلاون

ملاحق الباب الرابع :

١ - رسالة هولاءكو الى الناصر الأيوبي صاحب الشام

٢ - رسالة غازان الى الناصر محمد بن قلاون

٣ - جواب الناصر محمد على رسالة غازان

٤ - رسالة الناصر محمد الثانية الى غازان بعد انتصاره عليه في مرج الصفر

٥ - صورة امان وجهها غازان الى اهل دمشق

٦ - مرسوم غازان في تعيين الامير قبچق المنصوري لولاية الشام

رسالة نصير الدين الطوسي

في فتح المغول لبغداد

قال العلامة نصير الدين الطوسي رحمه الله :

ولما عزم السلطان (هولاكو خان) على ان يلج بلاد الملاحدة (الباطنية) سير من قبله مندوباً الى الخليفة (١) لطاب النجدة منه حتى يستأصل بذلك شأفتهم ويعحو سطوتهم فيبلغ الرسول الخليفة فحوى السفارة بقوله يقول السلطان : « إننا بعاداتنا البدوية وأسسنا القومية نستنجد بموالينا على اعدائنا وبالنظر الى الحب والولاء القائم بيني وبينك ارجو معونتنا بخيلك وامدادنا برجالك حتى ندرأ شر هذه الفئة الباغية التي أريقت بكيدها الدماء وأرهقت بنجرها ارواح الأبرياء » فاختلى الخليفة بحاشيته واتفق مع اصحابه فأجابته الجمل من الجنود والامراء بأن «هولاكو» يريد بهذه الحيلة إخلاء بغداد من العدد والعدة لتصبح في وجهه مفتحة الأبواب خالية من الخيل والركاب فيستولي آتئذ على المدينة بلا توجس خوف وارتياح ونحن على ما فعلنا نادمين فانصاع الخليفة لرأي المجلساء وتوانى في إمداد السلطان ورجم الرسول الى سيده بخفي حنين ولما ان فرغ السلطان من فتح بلاد الملاحدة عتاباً صراً وأنذره إنذاراً أليماً فارتأى الخليفة أن يستشير وزيره - الملقبي - فأشار عليه هذا أن يحمل ما في دار الخلافة من فاخر الأثاث وزخرف الرياش على البغال المسرج والخيل الملمجة ويقدمها هدية للسلطان وينجو بهذه الوسطة فما يوشك أن يحدث في ملكه من الندمير والهوان فقبل الخليفة ما أشار الوزير اليه وأمر بتسجيل ما يلزم انتقاؤه من الاشياء وعين لايصالها نقرأ من ار كان دولته لعرض المعذرة عند تقديم الهدية فاجتمع

(١) وكان الخليفة حينئذ المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين ببغداد .

أحد الأمراء المدعو (الدوان دار الصغير) مع عدة من صحبه وقال لهم : إن هذه
مكيدة أراد بها الوزير قتل أعواننا ونهب أموالنا فإذا جيء بالأموال إلى ظاهر البلد
ننقض عليها برمتنا ونستنفذها لتكون ذخراً ليوم شدتنا فنحن الخبير إلى الخليفة
واضطر على إبدال الكثير بالقليل والوافر بالمدر فأغتاظ السلطان لذلك وأرسل إليه أن
يحضر بنفسه أو يبعث إليه أحد الذوات الثلاثة أي الوزير أو الكاتب أو سليمان شاه
فتوانى الخليفة في إنجاز ما أراد الملك أيضاً فتهيجت من أجله سورة غضب السلطان
وعقد النية على فتح بغداد فأرسل الخليفة الأزبكي غير مرة وابن الجوزي بن محبي الدين
مرة فارتدا خائبين لأن السيل قد بلغ الزبي وحان الوقت الذي لا ينفع فيه الندم .

ففي شهر شوال من سنة ٦٥٥ هـ نهض السلطان - هولوكو - من همدان مولياً
وجهه شطر قاعدة الخلافة العباسية على أن الأمير (صوغنجاك) والسردار (تايجونين)
كانا قد ذهبا مع مقدمة الجيش الأيمن على الميمنة مما يلي أربيل عن طريق جبال
(شهرزور) كما أن القائد (دقوق) وزميليه (كبديوقائين) و (انكتانومين) كانوا
على الجناح الأيسر في الميسرة التي زحفت إلى تكريت وبيان وكان فياق القلب من
الجند السلطاني تحت امرته الشخصية يسير من كرمانشاه وحلوان إلى بغداد . هذا
وقد سار (الدوان دار) من بغداد بجيش الخليفة وأتى إلى بمقوبة فتحجم بجوارها
أما السلطان فكان قد أوعز إلى أحد قواده المدعو (تايجورا) أن يمر دجلة ويدخل
بغداد من جانبها الغربي وقد تخلى هو عن رحله وسراذقه عندما وصل حلوان وخرج
منها بتجريد عن جيشه وأول حادثة حدثت هي أن طلابيم الجيش الملكي اسرت طليعة
من جند الخلافة ولما مثلوا بين يدي السلطان أقسموا الأيمان المغلظة على أن يخلصوا
الخدمة من يومهم للملك ويؤدوا ما يجب عليهم من الصدق والأمانة وولاء وكان في
جملتهم أمير من بقايا الملوك الخوارزمشاهية فأرسل هذا كتاباً من قبله إلى المعسكر
العباسي مخاطباً به (فراسنقور) أحد أمراء جيش الخلافة بالمباراة التالية : « انني

وإياكم من جنسية واحدة أديت الطاعة وائصلت بالخدمة فعمرت من المكرمين فإذا اردتم ان تبروا انفسكم وتشفقوا على ارواحكم فاعتصموا بحبل الطاعة وتمسكوا بذيل العبودية لاني لكم من الناصحين .

وبعدما قرأ (قراسنقور) الكتاب اجاب الامير المذكور بما يلي :

« متى صارت لهولاً كوتلك المكاانة التي يتمكن بواسطتها بلوغ هذه الغايات ولعمري ان هذه الدولة (العباسية) قد شاهدت كثيراً من امثاله واقرانه هذا وان مجيئه بهذه الصورة الي بلاد الخليفة وتدميرها به — هذه الصفة لدليل على انه يريد في الارض علواً او فساداً وان اراد غفران ذنوبه وقبول اعذاره فليرجم الي همدان حتى استشفع له بواسطة (الدوان دار) لدى الخليفة ويعفوله عما سلف . وبعدما وقف السلطان على فحوى رسالة (قراسنقور) ضحك ضحكة التهمك وقال : « نعم ان الأمر بيد الله وانه فعال لما يشاء » وبعدما عبر القائندان (صوغنجاك) و (تايحونوئين) دجلة ظن البغداديون ان هذه الجيوش والعساكر ما قطعت النهر إلا تحت قيادة هولاء كوخان الخاصة ونمى الخبر الي (الدوان دار) فقفل راجعاً من بعقوبة الي بغداد وعبر دجلة فالتقى (بصوغنجاك) الذي كان في مقدمة الجيش المغولي ووقعت بينهما معركة انكسرت فيها عساكر (صوغنجاك) والتجأ بالأخير الي الفرار .

ولكن الذي حصل لعسكر (الدوان دار) عند اشتباكه بالحرب مع (تايحونوئين) القائد الثاني دعا لضباع النتيجة وتضايقت عليه الأحوال فأب (الدوان دار) راجعاً بجمعه المتفرق الي بغداد .

اما السلطان فامتطى جواده وعبر (ديالى) مع جمع من عسكره الي ان بلغ ظاهر بغداد في منتصف شهر محرم سنة ست مائة وست وخمسين وأرسل (بوقا تيمور) مع جيشه ليهيئ بغداد في جانبها الغربي وأمر أن يقيم الجند حائطاً محتضن المدينة من كل الجهات ثم نصبت عليه المجانيق وهيئت المؤن والمعدات اللازمة للحرب والقتال .

ولما احس الخليفة بذلك اجتمع بأصحابه ليتشاوروا في الخطب فقال بعضهم :
اذا اردنا ان نقدم لهم الهدايا الفاخرة نفتدي المدينة بالدرهم والدينار فعمى ان يحملوا
فعلتنا هذه دليلا على الخوف والهوان والأصلح ايفاد الوزير و (صاحب الديوان) م
(ابن الدربوس) بقليل من التحف والرياش فاستحسن الجميع قوله فلم احضر صاحب
الديوان وزميلاه الى السلطان قال : لماذا لم يحضر عندنا (سليمان شاه) و(الدوان دار)
فأجيب بأن السلطان كان قد كتب للخليفة ان يبعث واحداً من هؤلاء الثلاثة فأرسل
الخليفة الوزير الذي هو اكبرهم فقال السلطان : نعم واكني اردت ذلك في همدان
وما اناذا في بغداد هذا وبعد اخذ ورد ظهرت بوادر القتال ظهوراً تدريجياً وابتدأت
المساكر المغولية بالحرب في ٢٢ من شهر محرم وحمل السلطان بنفسه على بغداد من
جانبها الشرقي تجاه برج المعجم وحاربت عساكر (كبه بوق) بالسهم والنشاب وكان
القائمان (بلغاي) و(سناي) يتقاتلان في الجانب الأيمن للمدينة واما بوقا تيمور
فانه انهال بجيشه على بغداد من الجانب الغربي في ارض كانت تعرف حينذاك
بـ (روضة النقل) اما (تايجونوئين) و(صوغنجاك) فقد احتوشا المدينة وزحفا
عليها مما يلي المارستان المضدي ودام القتال الشديد لمدة ستة ايام بلياليها وامر
السلطان ان ترسل ستة رسائل بواسطة النشاب لجماعة السادة والعلماء والأركان والمشايخ
وغيرهم ليفهموهم بأن الجيش المغولي لا يتحرض بهم ان ألقوا سلاحهم وكانوا في حياد .
وما بزغت شمس يوم الثامن والعشرين من شهر محرم إلا وتمكن العسكر المغولي
من الاستيلاء على برج المعجم وقبيل صلاة الظهر في ذلك اليوم تم النصر للمغول بانحدار
البغداديين اندحاراً عظيماً ووقوع المدينة في قبضة التتر وكان قد ارسل السلطان
بوحداث من جيشه للحراسة على دجلة من اعلاها الى ادناها وللقبض على الذين يريدون
الفرار واتفق ان صادفوا ثلاث سفن تحمل اثاث (الدوان دار) وشيئاً كثيراً من
امواله وسلاحه وغير واحد من رجاله وصحبه من جملةهم نقيب الملوين فأوقفوها من

السير برشاشات النفط النارية التي كانت تلقى عليهم من المجانبق فملك من فيها من الناس حتى النقيب العلوي وصدورت جميع ما فيها من المحمولات . هذا وقد أمر السلطان اهل بغداد على ان يشتركوا جميعهم بهدم السور الذي يحيط بالبلد وبعدها اعلن السلطان العفو العام استأذن الخليفة السلطان للخروج من بغداد لانه تحقق من نفسه وجيشه الضعف الكامل وانه باء بالفشل المبين والخلاصة ان الخليفة قابل الملك في (باب كلواذ) بحجم غفير من السادة والأئمة والمشايخ والأركان وهذه المقابلة التي كانت تعد آخر يوم من ايام الخلافة العباسية .

ثم صدرت أوامر السلطان في أن يبادر الجند بنهب المدينة وغزو ما فيها من الاموال وفي يوم الاحد الموافق الرابع شهر صفر سنة ٦٥٦ هـ دخل السلطان المدينة وولج القصر العباسي ثم دخل الغرفة التي كانت معدة لجلوس الخليفة عندما يريد القراءة والمطالعة وكان الخليفة حاضراً هناك مع نفر غير قليل من العلماء والاشراف فتقابل السلطان معهم وتكلم بعمد ذلك مع الخليفة وقال له : اين الهدايا التي يجب تقديمها (للدركاه) ؟ فأحضرت له الهدايا وقسمها السلطان بين رؤساء الجند وقادة الجيش ووضع السلطان طبقاً ملؤه الذهب الابريز أمام الخليفة وقال له : تقدم وكله لسد جوعك فقال الخليفة : ليس هذا مما يتمكن الانسان من اكله فقال السلطان : اذن ماضرك لو تكن تقسمه على اعوانك وجيشك ليكون وسيلة لقوة أمرك وداعياً لنصرك ولم لم تخلم هذه الحدايد التي غلفت بها هذه الابواب ليصنعوا فيها سهاماً تنعم عبور اعدائك في الجيحون (دجلة) ؟ فأجاب الخليفة كل ذلك كائن بتقدير الله فقال له السلطان : نعم وان الذي سيجري عليك يكون بتقديره ايضاً ثم امر السلطان ان تدخل النساء اللواتي باشرهن الخليفة او ولده بقصر دار الخلافة وأذن بدخول الوصائف والخدم ايضاً وأحصيت فكانت (٧٠٠) امرأة و (١٣٠٠) وصيف وخادمة وبعده اسبوع اعلن الأمن العام وجمعت الغنائم والأسلاب .

وفي اليوم الرابع عشر من صفر خرج السلطان من المدينة وأمر بإحضار الخليفة
بظاها فأحضر مع ابنة الأوسط وخمس أوست من خدمه الخصوصيين فوقعت الواقعة
وصار ما صار وانتهت آخر أيام عمر الخليفة العباسي في ذلك اليوم وفي اليوم التالي قتل
نجل الخليفة الأكبر وشدت بعد ذلك شمل الحرم والنساء فتفرقوا الأيدي سباً ثم أمر
السلطان بعد ذلك بتعمير بغداد ودفن اجساد البشر والحيوانات التي كانت مطروحة
في الطرقات بعدما نصب الوزير - العلقمي - للوزارة وصاحب الديوان لديوانه اعطى
امارة الجيش لابن الدربوس وسلم ادارة الشرطة في بغداد لرجل آخر يدعى (استوبها)
وبعد ذلك رحل من بغداد الى حيث يريد محفوفاً بها له من النصر . وكان السلطان
قبل رحلته من بغداد وقد سير (بوقا تيمور) بحملة اخرى لاختضاع الحلة والواسط
فخضمتا له وتوجه (بوقا تيمور) بعد ذلك نحو مدينة (تستر الأهواز) بقصد
الاستيلاء عليها ورافقه شرف الدين بن الجوزي الى هنالك (١) .

واما الكوفة والبصرة فانهما اظهرتا الخضوع والطاعة بلا ادنى حرب او مقاومة.

ملحق الباب الثاني :

رسائل هولاءكو

رسالة هولاءكو الى السلطان الناصر صاحب الشام

« يعلم الملك الناصر اننا نزلنا بغداد في سنة ست وخمسين وستائه وفتحناها
بسيف الله تعالى وأحضرنا ما لكها وسألناه مسألتين فلم يجب لسؤالنا فلذلك استوجب
منا العذاب كما قال في قرآنكم : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

(١) مجلة المرشد البغدادية مجلد الرابع الجزء الاول سنة ١٩٢٩ ترجعها محمد صادق
الحسيني عن الاصل الفارسي الذي قام بتحقيقه رسول النخشي ونشره في مجلة التقدم
الفارسية الصادرة بطهران في عددها السابع سنة ١٩٢٨ م .

وصان المال فال الدهر به الى ما آل واستبدل النفوس النفيسة بنقوش معدنية خسيسة وكان ذلك ظاهر قوله تعالى : وجدوا ما عملوا حاضراً . لاننا قد بلغنا بقوة الله الارادة ونحن بعمونة الله تعالى في الزيادة ولاشك أن نحن عندالله في ارضه خلقنا وسلطنا على من حل عليه غضبه فليكن لكم في ما مضى معتبر وبما ذكرناه وقلناه مزدجر فالحصون بين ايدينا لا تمنع والمساكر للقائنا لا تضر ولا تنفع ودعاؤكم علينا لا يستجاب ولا يسمع فاتعظوا بغيركم وسلموا اليها اموركم قبل أن ينكشف الغطاء ويحل عليكم الخطأ فنحن لا نرحم من شكنا ولا ندق لمن بكى . لقد أخرجنا البلاد وأضينا البلاد وأيتنا الأولاد وتركنا في الارض الفساد ، فعليكم بالهروب وعلينا بالطلب فما لكم من سيوفنا الخلاص ، ولا من سيوفنا مناص ، فخيولنا سوابق وسهامنا خوارق وسيوفنا صواعق وعقولنا كالجبال وعددنا كالرمال ، فمن طلب منا الأمان سلم ومن طالب الحرب ندم فان انتم اطعتم أمرنا وقبلتم شرطنا كان لكم ما لنا وعليكم ما علينا وان انتم خالفتم أمرنا في غيركم فماديتهم فلا تلومونا بل لوموا انفسكم فآله عليكم ياظالمين فهبثوا للبلايا جلبابا وللزايا اترابنا فقد اعذر من انذر وأنصف من حذر لانكم اكلتم الحرام وختم بالايمان واظهرتم البدع واستعنتم الفسق بالصبيان فابشروا بالذل والهوان ، فاليوم تجدون ما كنتم تعملون ، وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون . فقد ثبت عندكم اننا كفرة وثبت عندنا انكم فجرة وسلطنا عليكم من بيده الامور مقدره ، والاحكام مدبرة فعزيزكم عندنا ذليل وغنيكم لدينا فقير ونحن مالكون الارض شرقاً وغرباً . واصحاب الاموال نهياً وسلباً وأخذنا كل سفينة غصباً فميزوا بعقواكم طارق الصواب قبل ان تضرهم نارها وترمي بشرارها فلا تبقى منكم باقية ، وتبقى الارض منكم خالية فقد ايقظناكم فسارعوا اليها برد الجواب به . قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم تعلمون .

ابن العبري - تاريخ مختصر الدول

ص ٢٧٧ - ٢٧٨

رسالة تكودار الى أهل بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم ، لا إله إلا الله ، محمد رسول الله . وإنا جلسنا على كرسي الملك ، ونحن مسلمون . فيتلقون اهل بغداد هذه البشري ، ويعتمدون في المدارس والوقوف وجميع وجوه ما كان يعتمد في أيام الخلفاء العباسيين ، ويرجم كل ذي حق الى حقه في اوقاف المساجد والمدارس ، ولا يخرجون عن القواعد الاسلامية وانتقم يا اهل بغداد مسلمون . وسمعنا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : لا تبرح هذه العصابة الاسلامية مستظهرة الى يوم القيامة . وقد عرفنا ان هذا الخبر خبر صحيح ورسول صحيح ، ورب واحد ، أحد فرد صمد فتطيبون قلوبكم وتكتبون الى البلاد جميعها .

انظر ابن عبد الظاهر

تشریف الامام والمصور في سيرة الملك المنصور

ص ٥

رسالة تكودار الى السلطان قلاون

بسم الله الرحمن الرحيم ، بقوة الله تعالى ، باقبال قان ، فرمان احمد الى سلطان مصر : اما بعد ، فان الله سبحانه وتعالى بصابق عنايته ، ونور هدايته قد كان ارشدنا في عنقوان الصبا وريمان الحدائنة ، الى الاقرار بربوبيته ، والاعتراف بوحدانيته ، والشهادة بمحمد عليه افضل الصلوات والسلام ، بصدق نبوته ، وحسن الاعتقاد في اوليائه الصالحين من عبادته في بريته . « فمن ير دالله ان يهديه يشرح صدره للاسلام » فلم نزل نعمل الى املاء كلمة الدين ، وإصلاح امور الاسلام والمسلمين ، الى ان أفضى بعد أبيدنا الجيد وأخينا الكبير نوبة الملك الينا ، فأفاض من جلايب الطافه ولطائفه ،

ما حقق به آمالنا في جزيل آلائه وعوارفه ، وجلا هذي المملكة علينا . وأهدى عقيلتها
الينا . فاجتمع عندنا في قوريلتالي المبارك - وهو المجمع الذي تنقدح فيه الآراء -
جميع الاخوان والأولاد والامراء الكبار ومقدمو المساكر وزعماء البلاد . واتفقت
كلمتهم على تنفيذ ما سبق به حكم أخيننا الكبير ، في انقاذ الجم الغفير من عساكرنا التي
ضاقت الارض برحبها من كثرتها ، وامتلات الارض رعباً لعظيم صوتها ، وشديد
بطشتهم الى تلك الجبهة ، بهمة تخضع لها شم الاطواد وعزيمة تلين لها صم الصلاد .
ففكرنا فيما تمخضت زبدة عزائمهم عنه . واجتمعت اهاوؤهم وآراؤهم عليه . فوجدناه
مخالفاً لما كان في ضميرنا من اقتناء الخير العام ، الذي هو عبارة عن تقوية شعار
الاسلام وألا يصدر عن اوامرنا - ما امكنا - إلا ما يوجب حقن الدماء ، وتسكين
الدهاء ، وتجزى به في الاقطار وخاء نسائم الأمن والأمان ، ويستريح به المسلمون في
سائر الامصار في مهاد الشفقة والاحسان ، تعظيماً لأمر الله ، ومنته على خالق الله ،
أهمننا الله تعالى - اطفاء تلك النائرة ، وتسكين الفتن الثائرة - واعلام من اشار بذلك
الرأي بما أُرشدنا اليه : من تقديم ما يرجي به شفاء مزاج العالم من الادواء وتأخير
ما يجب أن يكون آخر الدواء ، واننا لا نحب المسارعة الى هذا النضال للنضال ، إلا
بعد ايضاح المحجة ، ولا نأذن لها إلا بعد تبين الحق وتركيب الحججة وقوى عزمنا على
ما رأيناه من دواعي الصلاح . وتنفيذ ما ظهر لنا به وجه النجاح . اذ كان شيخ
الاسلام قدوة العارفين كمال الدين ، عبدالرحمن الذي هو نعم العون لنا في امور الدين
فأصدرناه رحمة من الله لمن دعاه . ونعمة على من اعرض عنه وعصاه وانفدنا اقضى
القضاء قطب الملة والدين ، والأتابك بهاء الدين اللذين هما من ثقات هذه الدولة الزاهرة
ليعرفاهم طريقتنا .

ويتحقق عندهم ما تنطوي عليه لعموم المسلمين جميلة نيتنا . وبيينا لهم أننا من
الله على بصيرة ، وان الاسلام يجب ما قبله ، وانه تعالى التي في قلبنا ان نتبع الحق واهله

وإشاهدون عظيم نعمة الله على الكافة بما دعانا إليه : من تقديم اسباب الاحسان ،
 ولا يجرمونها بالنظر الى سالف الاحوال فكل يوم هو في شأن . فان تطلعت نفوسهم
 الى دليل تحتكم بسببه دواعي الاعتماد ، وحجة يشقون بها من بلوغ المراد ، فينظروا
 الى ما ظهر من مآثرنا ، مما اشتهر خبرة ، وعم أثره فاننا ابتدأنا - بتوفيق الله تعالى -
 باعلاء اعلام الدين وإظهاره ، في ايراد كل أمر وإصداره تقدماً ، وإقامة نوايس
 الشرع المحمدي على مقتضى قانون العدل الأحدي إجلالا وتعظيماً . وأدخلنا السرور
 على قلوب الجمهور وعفونا عن كل من اجترح سيئة او اقترف ، وقابلناه بالصفح وقلنا
 عفا الله عما سلف . وتقدمنا باصلاح امور اوقاف المسلمين من المساجد والمدارس ،
 وعمارة بقاع البر والربط الدوارس ، وإيصال معالمها بموجب عوائدها القديمة الى
 مستحقيها لشروط واقفيها ومنعنا أن يلمس شيء مما استحدث عليها ، وألا يغير أحد
 مما قرر أولاً فيها . وأمرنا بتعظيم أمر الحاج ونجيز وفدها ، وتأمين سبلها وتسيير
 قوافلها . وأنا أطلقنا سبيل التجار المتردين الى تلك البلاد ليسافروا بحسب اختيارهم
 على احسن قواعدهم ، وحررنا على المساك والقراغول والشحاني في الاطراف التعرض
 بهم في مصادرهم ومواردهم ، وقد كان صادف قراغولنا جاسوساً في زي الفقراء كان
 سبيل مثله أن يهلك ، فلم يهرق دمه لحمة ما حرمه الله تعالى ، وأعدناه اليهم ولا يخفى
 عنهم ما كان في انفاذ الجواسيس من الضرر العام للمسلمين ، فان عساكرنا طالما رأوهم
 في زي الفقراء والذسالك وأهل الصلاح فساءت ظنونهم في تلك الطوائف ، فقتلوا منهم
 من قتلوا ، وفعلوا بهم ما فعلوا ، وارتفعت الحاجة بحمد الله تعالى الى ذلك بما صدر
 أذنا به من فتح الطريق وتردد التجار وغيرهم فاذا أمعنوا الفكر في هذه الامور
 وأمثالها لا يخفى عنهم انها اخلاق جبلية طبيعية وعن شوائب التكلف والتصنع عربية
 وإذا كانت الحال على ذلك فقد ارتفعت دواعي الحضرة التي كانت موجبة المخالفة ،
 فانها كانت بطريق الدين ، والذب عن حوزة المسلمين : فقد ظهر بفضل الله تعالى في

دولتنا النور المبين وان كانت لما سبق من الأسباب فمن شجى الآن طريق الصواب ، فان له عندنا الزنى وحسن قاب . وقد رفعنا الحجاب ، وأتينا بفصل الخطاب وعرفناهم ما عزمنا عليه بنية خالصة لله تعالى على استئناها ، وحررنا على جميع عساكرنا العمل بخلافها ، لترضى بها الله والرسول ، وتلوح على صفحاتها آثار الاقبال والقبول . وتستريح من اختلاف الكلمة هذه الامة ، وتنجلي بنور الائتلاف ظلمة الاختلاف والغمة . فتسكن في سابع ظلمة البوادي والحواضر ، وتفر القلوب التي بلغت من الجهد الحناجر ، وبعض عن سالف الهنات والجرائر ، فان رفق الله سلطان مصر لاختبار ما فيه صلاح العالم ، وانتظام امور بني آدم ، فقد وجب عليه التمسك بالمرورة الوثقى ، وسلوك الطريقة المثلى بفتح ابواب الطاعة والاتحاد ، وبذل الاخلاص بحيث تغمر تلك الممالك والبلاد ، وتسكن الفتنة الثائرة ، وتضمد السيوف الباترة ، وتحمل الكانة ارض الهوى وروخى الهدون وتخلص رقاب المسلمين من اغلال الذل والهون وان غاب سوء الظن بما تفضل به واهب الرحمة ، ومنع عن معرفة قدر هذه النعمة ، فقد شكر الله مساعينا وابلى عذرنا ، وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ، والله الموفق للرشاد والسداد ، وهو المهيم على البلاد والعباد ، وحسبنا الله وحده .

تشرىف الأيام والمصور

ص ٦ - ١٠



جواب قلاون إلى تكودار

بسم الله الرحمن الرحيم ، بقوة الله تعالى باقبال دولة السلطان الملك المنصور :

كلام قلاون الى السلطان احمد :

اما بعد محمد الله الذي اوضح بنا ولنا للاحق منهاجا ، وجاء بنا فجاه نصر الله

والفتح ودخل الناس في دين الله أفواجا ، والصلاة على سيدنا ونبينا محمد الذي فضله الله على كل نبي ، فجيء به امته ، وعلى كل نبي ناجي ، صلاة تنير ما دجا وتنير من داجي . وفقد وصل الكتاب الكريم المتأق بالتكريم ، المشتمل على النبأ العظيم ، من دخوله في الدين ، وخروجه عن خلف من العشيرة والاقربين . ولما فتح هذا الكتاب فأخ بهذا الخبر للمعلم المعلم . والحديث الذي صحح اهل الاسلام اسلامه ، وأصح الحديث ما روي عن مسلم ، وتوجهت الوجوه بالدعاء الى الله سبحانه في ان يثبتته على ذلك بالقول الثابت ، وان يثبت حب هذا الدين في قلبه كما انبت احسن النبات من اخشن المنابت .

وحصل التأمل للفصل المبتدأ بذكره من حديث اخلاصه النية في اول العمر ، وعنفوان الصبا الى الاقرار بالوحدانية ، ودخوله في الملة المحمدية ، بالقول والعمل والنية ، فالحمد لله على أن شرح صدره للاسلام ، وأهله شريف هذا الالهام ، كحمدنا لله على أن جعلنا من السابقين الاولين الى هذا المقال والمقام ، وثبت أقدامنا في كل موقف اجتهاد وجهاد تنزل دونه الأقدام ، واما افضاء النوبة في الملك وميراثه بمد والده وأخيه الكبير اليه ، وافاضة جلايب هذه المواهب العظيمة عليه ، وتوقله الاسرة التي طهرها إيمانه وأظهرها سلطانه فلقد اورثها الله من اصطفاه من عباده ، وصدق المبشرات له من كرامة أولياء الله وعباده ، واما حكاية اجتماع الاخوان والأولاد والأمراء الكبار ومقدمي المساكر وزعماء البلاد في مجمع قوريلتاي الذي تتقدم فيه زبدة الآراء ، وان كلمتهم قد اتفقت على ما سبقت به كلمة أخيه الكبير في انفاذ المساكر الى هذا الجانب ، وانه فكر فيما اجتمعت عليه آراؤهم ، وانتهت اليه اهواؤهم فوجده مخالفاً لما في ضميره ، إذ قصده الصلاح ورأيه الاصلاح ، وانه أطفأ تلك الغائرة وسكن تلك الثائرة فهذا فعل الملك المتقي ، المشفق من قومه على من بقي ، المفكر في العواقب ، بالرأي الثاقب ، وإلا فلو تركوا وآراءهم حتى تحملهم العزة ، لكانت

تكون هذه الكرة هي الكرة ، لكن هو كن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، ولم يوافق قول من خبل ولا فعل من غوى . واما القول منه : انه لا يحب المسارعة الى المقارعة إلا بعد ايضاح المحجة ، وتركيب الحججة ، فبانتظامه في سلك الايمان صارت حججتنا وحجته المترتبة . على من غدت طواعيته عن سلوك هذه المحجة متتكبة فان الله تعالى والناس كافة قد علموا أن قيامنا انما هو لنصرة هذه الملة وجهادنا واجتهادنا انما هو على الحقيقة لله . وحيث قد دخل معنا في الدين هذا الدخول فقد ذهبت الأحقاد وزالت الذخول ، وبارتفاع المنافرة تحصل المضافرة ، فالايان كالبنيان يشد بعضه ببعض ومن اقام منارة مله اهل بأهله في كل مكان وجيران بجيران في كل ارض ، واما ما ترتب هذه القواعد الجمة على اذكار شيخ الاسلام ، قدوة العارفين كمال الدين عبدالرحمن - اعاد الله من بركاته - فلم تر لولي قبله كرامة كهذه الكرامة والرجاء ببركته وبركة الصالحين أن تصبح كل دار للاسلام دار اقامة ، حتى تتم شرائط الايمان ، ويعود شمل الاسلام مجتمعاً كأحسن مما كان . ولا ينكر لمن لكرامته ابتداء هذا التمكن في الوجود . ان كل حق ببركته الى نصابه يعود .

واما نفاذ افضى القضاة قطب الملة والدين والأنايب بهاء الدين الموثوق بنقاها ما في ابلاغ رسائل هذه البلاغة ، فقد حضرا واعادا كل قول حسن من حوالي احواله وخطرات خاطرة ومنتظرات ناظرة . ومن كل ما يشكر ويحمد ، ويصنعن حديثهما فيه عن مسند احمد .

واما الاشارة الى النفوس ان كانت لها تطلم الى اقامة دليل ، تستحکم بسببه دواعي الود الجميل فليتنظر الى ما ظهر من آثاره ، في موارد الأمر ومصادره ، ومن العدل والاحسان بالقلب والالسان ، والتقدم . باصلاح الأوقاف والمساجد والربط وتسهيل السبل للحجج الى غير ذلك . فهذه صفات من يريد للملكة الدوام . فلما ملك عدل ولم يجل الى لؤم من عدا ولا لوم من عدل . على انها وان كانت من الافعال الحسنبة

والثوبات التي تستنطق بالدعاء الألسنة فهي واجبات تؤدي ، وقربات يمثلها يدي ، وهو أكبر من أنه باجراء أجر غيره يفتخروا عليه يقتصر ، اوله يدخر . بل انما تنخر الملوك الأكبر برد ممالك على ملوكها ونظمها على ما كانت عليه في سلوكها . وقد كان والده فعل شيئاً مع الملوك السلاجوقية وغيرهم وما كان احد منهم يدينه بدين ، ولا دخل معه في دين . وأقرهم في ملكهم وما زحزحهم عن ملكهم ويجب عليه ألا يرى حقاً مقتصباً ويأبى إلا رده . ولا باعاً ممتداً بالظلم ويرضى إلا صده . حتى ان اسباب ملكه تقوى ، وأيامه تتزين بامغال التقوى .

واما تحريمه على المساكر والقراغولات والشحاني بالأطراف التعرض الي أحد بالأذى واصفاً موارد الواردين والصادرين من شوائب القذى فمن حين بلغنا تقدمه بمثل ذلك تقدمنا ايضاً بمثله الي سائر نوابنا بالرحبة والبيرة وعيقتاب والى مقدي المساكر بأطراف تلك الممالك واذا اتحد الايمان وانعمدت الايمان تحتم هذا الأحكام وترتب عليه جميع الاحكام .

واما الجاسوس الفقير الذي أمسك وأطلق وان بسبب من تزيان من الجواسيس يزي الفقراء قتل جماعة من الفقراء الصالحاء رجماً بالظن فهذا باب من تلقاء ذلك الجانب كان فتحه ، وزند من ذلك الطرف كان قدحه ، وكم من قذى بفقير من ذلك الجانب سيره والى الاطلاع على الامور سوده . وأظفر الله منهم بجماعة كبيرة فرفع عنهم السيف ، ولم يكشف ماغطوه بخرقه الفقر بلم ولا كيف . واما الاشارة الي ان باتفاق الحكمة تنجلي ظلم الاختلاف ، وتريها من الخيرات الاخلاف ، ويكون بها صلاح العالم ، وانتظام شمل بني آدم ، فلا راد لمن فتح أبواب الاتحاد وجنح الي السلم وما جاد ولا حاد ومن ثنى عنائه عن المكافحة كان كمن مديد المصالحة . والصلاح وان كان سيد الأحكام فلا بد من امور تبنى عليه قواعده ، ويمام من مدلوله فوائده . فالامور المسطورة في كتابه هي كليات لازمة يعمر بها كل مفن ومعلم ، ان تهيأ

صلح او لم . وثم امور لا بد وان تحكم ، وفي سلكها عقود اليهود تنظم . قد تحملها بلسان المتأفة التي اذا اوردت أقبلت إن شاء الله عليها النفوس ، وأحرزتها صدور الرسائل كأحسن ما تحرزها سطور الطروس . واما الاشارة الى الاستشهاد بقوله تعالى: « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » فما على هذا النسق من الود تفسح ولا على هذا السبيل ينهج بل لفضل المتقدم في الدين ونصرة عهود ترعى وافادات تستدعى . ولما برح الفضل للأولية وان تناهى العدد للواحد الأول ، ولو تأمل مورد هذه الآية في غير مكانها لتروى وتؤول .

وعندما انتهينا الى جواب ما لعله يجب عنه الجواب من فصول الكتاب ، سمعنا المشافهة التي على لسان اقضى القضاء قطب الدين فكان منها ما يناسب ما في هذا الكتاب من دخوله في الدين ، وانتظام عقده بسلك المؤمنين وما بسطه من معدله وإحسان مشكوره بلسان كل انسان فآلمة لله عليه في ذلك فلا يبثها منه بامتتان وقد انزل الله على رسوله في حق من آمن باسلامه « قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هذاكم للايمان » .

ومن المشافهة ان الله قد اعطاه من العطاء ، ما اغناه عن امتداد الطرف الى ما في يد غيره من ارض وماء ، فان حصلت الرغبة في الاتفاق على ذلك فالأمر حاصل . فالجواب ان ثم اموراً متى حصلت عليها الموافقة ، ابنتى على ذلك حكم المصاحبة والمصادقة ورأى الله والناس كيف يكون تصافينا ، وإذلال عدونا وإعزاز مصافينا فكم من صاحب وجد حيث لا يوجد الأب والأخ والقرابة ، وما تم أمر هذا الدين واستحكم في صدر الاسلام إلا بمضاهرة الصحابة . فان كانت له رغبة معروفة الى الاتحاد وحسن الوداد ، وجبيل الاعتضاد ، وكبت الاعداء والأضداد والاستناد الى من يشتد الأمر به عند الاستناد فالرأي اليه في ذلك .

ومن المشافهة انه ان كانت الرغبة ممتدة الأمل الى ما في يده من ارض وماء

فلا حاجة الى انقاذ المغيرين الذين يؤذون المسلمين بغير فائدة تعود . فالجواب عن ذلك أنه اذا كف العدوان وترك المسلمين وما لهم من ممالك سكنت الدهاء وحققت الدماء وما أحقه بأن لا ينهى عن خلق ويأني فعله ، ولا يأمر ببر وينسى فعله ، وقد نفر لحاي بالروم ، وهي بلاد في ايديكم ، وخراجها يحجي اليكم ، وقد سفك فيها وقتل ، وسبى وهتك وباع الأحرار ، وأبى إلا التماسي على الاضرار والاصرار .

ومن المشافهة انه حصل التصميم على أن لا تبطل هذه الغارات ولا نفتق عن هذه الاثارات ، فيعين مكاناً يكون فيه اللقاء ، ويعطي الله النصر لمن يشاء ، فالجواب عن ذلك ان الأماكن التي اتفق فيها ملتقى الجمين صرة وصرة قد عان مواردها من سلام من اولئك القوم ، وخاف ان يعاودها فيعاوده مصرع ذلك اليوم . فوقت اللقاء علمه عند الله فلا يقدر وما النصر إلا من عند الله لمن اقدر لا لمن قدر ولا نحن ممن ينتظر فلتة ، ولا بمن له الى غير ذلك لفتة وأمر ساعة النصر إلا كالساعة لا تأتي إلا بفتة . والله الموفق لما فيه صلاح هذه الامة والقادر على اتمام كل خير ونعمة .

تشریف الأيام والمصور

ص ١٠ - ١٦



رسالة تكودار الثانية الى قلاون

بسم الله الرحمن الرحيم ، بقوة الله تعالى باقبال :

فا آن . فرمان احمد . الى سلطان مصر . اما بعد فلندي يجب على العاقل بهذا الجهد وترك الاهمال والتواني ، واستنفاد الوسم في اقتناء الذكر الباقي هو العمر الثاني وقد انحصر الثناء الجميل والثواب الجزيل في التعظيم لأمر الله ، والشفقة على خلق الله ، واستعمال العدل والنصفة المندوب اليها . وأي عدل ونصفة اعظم قدراً ، وأعلى ذكراً في سائر الاصطعاع والماليك من إنقاذ الأنفس بجرعة الذقن من المهالك وإطفاء نائرة

اكباد حرى ، وقلوب جرحى . ومن أحيائها فكأنما أحياء . ولم لم يكن لنا بفضل الله العظيم ، وإحسانه الجسيم ، افتقار ولا بقية ، ولم يبق في ضميرنا إرادة ولا منية ، سوى رفاهية العالم ، وطمأنينة بني آدم خصوصاً الطائفة الاسلامية ، واهل الملة الخنقية انفذنا الابلجية الى اخواننا ، نوقاي اقا وتودامنكو وغيرها ، ونبهناهم على ان الملك العقيم الذي ادخره لنا جدنا جمكيزخان وآباؤنا الكرام بعد الصبر على المشقة في تحصيله والمقاساة وتحمل أعباء الشدائد والمعاناة ، بمجرد النزاع والخصام وخلاف الوفاق واختلاف الكلام قد أشرف على شحوب بهجته وبهايم ، وتكدير رونق صفاء مائه .

والآن آن ان نستبدل وحشة النزاع بأنس الصالح وتعرض عن غيهب ليلة الغفار والتقار تباشير الصبح وتعمد السيوف البواتر التي استلمت من الأغعاد ، وبعض أثر الهرج والمرج وتعرض عن الاعراض والاحقاد ويتفق الجميع على القيام بواجب كوقان وخدمته ، والالتزام بواجب طاعته والاشتمال على ما ينفوط بمصلحته وحيث تأملوا ذلك بعين البصيرة ، ورأى من حنكة دوران الفلك والتجربة تبين لهم ان هذا الرأي محض شور لا يشوبه غش ولا مدهانة ، وخالص تنبيه لا يغادره ، سوى زبدة المناصحة فقالوا : ان الذي وقع من الخلاف كان بين من قضى نحبه من الآباء والاسلاف ولم تجر بيننا مخاشنة ، ولا وقع خلف ولا مشاحنة فعدنا الى ما كان عليه آباؤنا القدماء الكرام ، من الاتفاق والائتلاف وحفظ العهد والذمام والتزمنا أن لا ينحل عقد هذا النظام . والله الموفق للرشاد ، والمهادي الى السداد ، ولما يفرغ البال من اصلاح ذات البين ، واستحكمت صرائر الائتلاف بين الجهتين ، انفذنا الابلجية بعد النية الخالصة لله والرسول تسكناً للفتن الثائرة وإطفاء لهيب تلك النائرة ، وحقناً لدماء المسلمين ، وسداً لثلمة الدين . فكانت خلاصة جوابه وزبدة خطابه عند وقوفه على ما كتب به اليه انه لو انفذ ابونا شيخ الاسلام قدوة العارفين كمال الدين عبدالرحمن لكنت اسكن الى امانته واخذ الى ديانته واسمع منه ما لم يحتمل ايداعه الكتب واشهافه بما عندي

من المصالح واخطبه بما ينطوي عليه ضميري للمسلمين من النصائح . هذا وغيره خاف انه
 يعز علينا بماده ، ويوحشنا بينه وفراقه . وربما اتصل به ما نستفيد منه من حسن
 معاشرته ، وجميل مصاحبته اسعافاً لمقترحه ، وجملناه في اتخاذ المهدي والنجيب ، بدلا
 عن شمالنا والنجيب ، ولم يكن بين كلامنا وكلامه بون ، اذ هولنا في امور الدين عم العرب
 والتزمنا بكل ما عساه يسنده الينا ، وبما يرى ثقة بأنه الناصح الذي لا ينطق عن الهوى
 وربما شردمة من الجهال (من الجهتين) من اهل الشقاق والمفاق ، لا تجتمع كلمتهم
 على الوفاق ، تنافي طبعاً منهم الصلح والاتفاق ، يريدون ليطلقوا نور الله بأفواههم
 والله متم نوره ، لاختلاف ملتهم وطمعاً في ادراك بفتيتهم . فالواجب ألا تسمع اقوالهم
 وتترك افعالهم . اولئك الذين حبست اعمالهم ، ومن المعلوم ان كل امر يمكن اعتماده
 على الوجه الجميل ، بحيث تفسح فيه مواد القال والقال ، لا ينبغي أن تكون الحال
 فيه بالضد ، خصوصاً في الخطب الألد والأمر الجدد .

« الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله » وكتب في

اوائل ربيع الاول سنة اثنين وثمانين وستمائة بمقام تبريز .

والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

تشریف الايام والمصور

ص ٦٩ - ٧١



رسالة غازان إلى الناصر

بسم الله الرحمن الرحيم

ونتهي بمد السلام اليه ان الله عز وجل جعلنا وإياكم اهل ملة واحدة وشرفنا
 بدين الاسلام وأيدنا ، وندبنا لاقامة مناره وسددنا ، وكان بيننا وبينكم ما كان بقضاء

الله وقدره ، وما كان ذلك إلا بما كسبت ايديكم ، وما الله بظلام للعبيد ! وسبب ذلك ان بعض عساكركم اغاروا على ماردین وبلادها في شهر رمضان المعظم قدره ، الذي لم تنزل الامم يعظموه في سائر الاقطار وفيه تغل الشياطين وتغلق ابواب النيران فطرقوا البلاد على حين غفلة من اهلها وقتلوا وسبوا وفسقوا وهتكوا محارم الله بسرعة في غير مهلة ، وأكلوا الحرام وارتكبوا الآثام وفعلوا ما لم تفعله عباد الأصنام ، فأتونا أهل ماردین صارخين مسارعين ملهوفين مستغيثين بالأطفال والحريم ، وقد استولى عليهم الشقاء بعد النعيم ، فلاذوا بجنابنا وتعلقوا بأسبابنا ، ووقفوا موقف المستجير الخائف ببابنا ، فهزتنا نحوه الكرام ، وحركتنا حمية الاسلام ، فركبنا على الفور بمن كان معنا ولم يسمعنا بعد هذا المقام ، ودخلنا البلاد وقدمنا النية ، وعاهدنا الله تعالى على ما يرضيه عند بلوغ الامنية ، وعلمنا ان الله تعالى لا يرضى لعباده الكفر بأن يسموا في الارض فساداً « والله لا يحب الفساد » وانه يغضب لهتك الحريم وسبي الأولاد فما كان إلا ان لقيناكم بنية صادقة ، وقلوب على الحمية للدين موافقة ، فمزقناكم كل ممزق ، والذي ساقنا اليكم ، هو الذي نصرنا عليكم ، وما كان مثلكم إلا كمثل قرية كانت آمنة مطمئنة ، الآية . فوليتهم الأدبار ، واعتصمتم من سيوفنا بالفرار ، فحفونا عنكم بعد اقتدار ، ودفعنا عنكم حكم السيف البتار وتقدمنا الى جيوشنا ألا يسموا في الارض كما سميت وان ينشروا من العفو والمغاف ما طويتم ولو قدرتم ما عفوتم ولا عففتم ولم تقلدكم منة بذلك ، بل حكم الاسلام في قتال البغاة كذلك ، وكان جيم ما جرى في سالف القدم ، ومن قبل كونه جرى به في اللوح القلم ، ثم لما رأينا الرعية تضرروا بمقامنا في الشام لمشاركتنا لهم في الشراب والطعام ، وما حصل في قلوب الرعية من الرعب ، عند معاينة جيوشنا التي هي كطبقات السحب ، فأردنا ان نلصق نخوفهم بعودتنا من ارضهم بالنصر والتأييد ، والعلو والمزيد ، فتركنا عندهم بعض جيوشنا بحيث تتوانس بهم ، وتعود في أمرها اليهم ، ويحرسونهم من تعدي بعضهم على بعض ، بحيث انكم

ضاقتم بكم الارض ، الى ان يستقر جأشكم ، وتبصروا رشدكم ، وتسيروا الى الشام من يحفظه من اعدائكم المتقدمين واكرادكم المتعربين ، وتقدمنا الى مقدي طوامين جيوشنا انهم متى سمعوا بقدم أحد منكم الى الشام ان يمدوا اليها بسلام ، فمادوا اليها بالنصر المبين ، والحمد لله رب العالمين . والآن فأنا وإياكم لم نزل على كلمة الاسلام مجتمعين ، وما بيننا ما يفرق كلمتنا إلا ما كان من فعلكم بأهل ماردین ، وقد أخذنا منكم القصاص ، وهو جزاء كل عاص ، فترجم الآن في اصلاح الرعايا ، ونجتهد نحن وإياكم على العدل في سائر القضايا فقد انضرت بيننا وبينكم حال البلاد وسكانها ، ومنعها الخوف من القرار في اوطانها ، وتمذر سفر التجار ، وتوقف حال المعاش لا لقطع البضائع والسفار ، ونحن نعلم أننا نسأل عن ذلك ونحاسب عليه وان الله عز وجل لا يخفي عليه شيء في الارض ولا في السماء ، وان جميع ما كان وما يكون في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . وانت تعلم ايها الملك الجليل اني وانت مطالبون بالحقير والجليل واننا مسؤولون عما جناه ، أقل من ويناها ، وان مصيرنا الى الله وانا معتقدون الاسلام قولاً وعملاً ونية ، عاملون بفروضه في كل وصية « وقد حملنا قاضي القضاة علامة الوقت حجة الاسلام بقرينة الصاف كمال الدين موسى بن محمد ابا عبدالله ، أعزه الله تعالى ، مشافهة يميدها على سمع الملك والعمدة عليها ، فأعاد من الملك الجواب فليسير لنا هدية الديار المصرية ، لنعلم بارسالها أن قد حصل منكم في اجابتنا للصلح صدق النية ، ونهدي اليكم من بلادنا ما يليق أن نهديه اليكم .

والسلام الطيب منا عليكم . ان شاء الله تعالى .

النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٣٦ - ١٣٩



جواب الناصر على رسالة غازان

بسم الله الرحمن الرحيم :

علمنا ما اشار الملك اليه ، وهول في قوله (وفعله) عليه ، فأما قول الملك : قد جمعنا واياكم كلمة الاسلام ، وانه لم يطرق بلادنا ولا قصدها إلا لما سبق به القضاء المحتوم ، فهذا الأمر غير مجهول (بل) هو عندنا معلوم ، وان السبب في ذلك غارة بعض جيوشنا على ماردين ، وانهم قتلوا وسبوا وهتكوا الحرم وفعلوا فعل من لاله دين ، فالملك يعلم ان غارتنا ما برحت في بلادكم ، مستمرة من عهد آبائكم واجدادكم وان من فعل ما فعل من الفساد لم يكن برأينا ولا من امرائنا ولا الأجناد ، بل من الاطراف الطامعة ممن لا يؤبه اليه ، ويعول في فعل ولا قول عليه ، وان معظم جيشنا كان في تلك الغارة اذا لم يجدوا ما يشترونه للقتل صاموا اثلا يأكلوا ما فيه شبهة او حرام ، وانهم اكثر ليلاهم سجد ونهارهم صيام .

وأما قول الملك ابن الملك الذي هو من اعظم القان فيقول قولاً يقع عليه الرد من قريب ، ويزعم ان جميع ما هو عليه من علمنا ساعة واحدة يغيب ، ولو يعلم انه لو تقلب في مضجعه من جانب الى جانب ، او خرج من منزله راجلاً او راكباً ، كان عندنا علم من ذلك في الوقت القريب ، « ويتحقق أن اقرب بطائنه اليه ، هو العين لنا عليه ، وان اكثر ذلك لديه » ونحن نحققنا ان الملك بقى عامين يجمع الجموع ، ويقتصر بالتابع والمتبوع ، وحشد وجمع من كل بلد واعتضد بالنصارى والكرج والأرمن ، واستنجد بكل من ركب فرساً من فصيح والكن ، وطلب من المسومات خيولاً وركاب ، وكثير سواداً وعدد طلاب ، ثم انه لما رأى انه ليس له بجيشنا قبل في المجال ، عاد الى قول الزور والمحال ، والخديعة والاحتيال ، وأظهر بدين الاسلام ، واشتهر به في الخاص والعام ، والباطن بخلاف ذلك ، حتى ظن جيوشنا وابطالنا ان

الأمر كذلك ، فلما (التقينا معه) كان معظم جيشنا يمتنع من قتاله ، ويبعد عن نزاله ويقول : لا يجوز لنا قتال المسلمين ، ولا يحل قتل من يتظاهر بهذا الدين ، فلماذا حصل منهم الفشل ، وبتأخرهم عن قتالكم حصل ما حصل ، وانت تعلم ان الدائرة كانت عليك . وليس يرى من اصحابك إلا من هو نادم او باكي ، او فاقد عزيز عنده او شاكى ، والحرب سجال يوم لك ، ويوم عليك ، وليس ذلك مما تعاب به الجيوش ولا تقهر ، وهذا بقضاء الله وقدره المقدر .

واما قول الملك انه لما التقي بجيشنا مزقهم كل ممزق ، فمثل هذا القول ما كان يليق بالملك ان يقوله ، ويتكلم به ، وهو يعلم وان كان ما رأى بل يسأل كبراء دولته وأمرء عساكره عن وقائع جيوشنا ومراثم سيوفنا في رقاب آباءه وأجداده وهي الى الآن تقطر من دمائهم ، وان كنت نصرت مرة فقد كسرت آباؤك مزاراً ، وان كان جيشك قد داس ارضنا مرة فبلادكم لغارتنا مقام ولجيوشنا قرار وكما تدين تدان . وما قول الملك : انه ومن معه اعتقدوا الاسلام قولاً وفعلاً وعملاً ونية ، فهذا الذي فعلته ما فعله من هو متوجه الى هذه البنية ، اعني الكعبة المضية فان الذي جرى بظاهر دمشق وجبل الصالحية ليس بخفي عنك ولا مكتوم ، وليس هذا هو فعل المسلمين ولا من هو متمسك بهذا الدين ، فأين وكيف وما الحجة ، وحرم البيت المقدس تشرب فيه الخمر ، وتهتك الستور ، وتفترض البكور ، ويقتل فيه المجاورون ، وينأسر خطباؤه (والمؤذنون) ثم على رأس خليل الرحمن ، تعاق الصليبان ، وتهتك النسوان ، ويدخل فيه الكافر سكران ، فان كان هذا عن علمك ورضاك ، فوا خبيتك في دنياك وآخراك ويا وبلك في مبدئك ومعادك ، وعن قليل يؤذن بخراب عمرك وبلادك ، وهلاك جيشك وأجنادك ، وان كنت لم تعلم بذلك فقد اعلمناك فاستدرك ما فات فليس مطلوباً من سواك ، وان كنت كما زعمت انك على دين الاسلام وانت في قولك صادق في الكلام ، وفي عقدك صحيح النظام ، فاقتل الطوامين الذين فعلوا هذه الفعالي ،

وأوقع بهم أعظم النكال ، لنعلم انك على بيضاء المحجة ، وكان فملك وقولك أبلغ حجة ، ولما وصلت جيوشنا الى القاهرة المحروسة وتحققوا انكم تظاهرتم بكلمة الاخلاص وخذعتهم باليمين والايان ، وانتصرتم على قتالهم بمعدة الصلبان ، اجتمعوا وتأهبوا وخرجوا بمزمارات محمدية وقلوب بدرية ، وهم عليه ، عند الله مرضية ، وحدوا السير في البلاد ، يشفوا منكم غليل الصدور والأكباد ، فما وسم جيشكم إلا الفرار وما كان لهم على اللقاء صبر ولا قرار ، فاندفعت عساكرنا المنصورة مثل امواج البحر الزخار الى الشام ، يقصدون دخول بلادكم ليظفروا بنيل المرام ، فخشينا على رعيتكم تهلك ، وانتم تهربون ولا تجدون الى النجاة مسلك ، فأمرناهم بالمقام ولزوم الأهبة والاهتمام ، ليقتضي الله أمراً كان مفعولاً .

واما ما نحمله قاضي القضاة من المشافهة ، فانا سمعناه ووعيناه وتحققنا تضمنته مشافهة ونحن نعلم علمه ونسكه ودينه وفضله المشهور ، وزهده في دار العُور ، ولكن قاضي القضاة غريب عنكم بعيد منكم ، لم يطلع على بواطن قضاياكم واموركم ، ولا يكاد يظار له خفي مستوركم ، فان كنتم تريدون الصالح والاصلاح وبواطنكم كظواهركم متتابعة في الصلاح ، وانتم أيها الملك طالب الصالح على التحقيق وليس في قولك مين ولا يشوبه تنميق ، فنحن نقلدك (سيف) البغي ، ومن سل سيف البغي قتل به ، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله ، فيرسل اليها من خواص دولتك رجل يكون منكم ممن اذا قطع بأمر وقفتم عنه ، او فصل حكماً انتهيتم اليه او جزم أمراً عولتم عليه ، يكون له في اول دولتكم حكم وتمكين ، وهو فيما يمولى عليه ثقة امين لمتكلم معه فيما فيه الصلاح لذات البين ، وان ام يكن كذلك عاد بخفي حنين .

واما ما طلبه الملك من الهدية من الديار المصرية فليس نبخل عليه ومقداره عندنا أجل مقدار وجميع ما يهدى اليه دون قدره ، وانما الواجب أن يهدى أولاً من استهدى ، لتقابل هديته بأضعاها ، ونتحقق صدق نيته واخلاص سريرته ، ونفعل

ما يكون فيه رضا الله عز وجل ورضا رسوله في الدنيا والآخرة ولعل صفقتنا رابحة
في معادنا غير خاسرة والله تعالى الموفق للصواب . انتهى .

ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٤٢ - ١٤٦

رسالة الناصر الثانية الى غازان في أعقاب هزيمته

في مرج الصفور

الحمد لله على ما جدد لنا من النعمة التامة وسمح به من الكرامة العامة ، حين
اعاد البدر الى كماله والسرور الى أتم احواله وبعد ، فليعلم الملك الجليل محمود ، جامع
الجيوش وحاشد الجنود ، انه تظاهر بدين الاسلام واشتهر ذلك بين الأنام وتظاهر
بالباطل وللاحق ستر ، ثم فعل ما قدره الله عز وجل وما حكم به القدر فحملنا ذلك على
انه من ربنا تقدير وأن ليس لأحد مما أراد الله نذير ، فما لبث الملك إلا ايسر مدة ،
ثم ارسل رسله الينا مجدة يطلب الصلح ويحض عليه ، ويذكر الاسلام ويندب اليه ،
ويزعم انه ليس يختار الفساد في الارض وان الواجب علينا وعليه اصلاح ذات البين ،
وان ذلك فرض ، فعلمنا مقصوده في مقاله ، ويستره منا بستر صلح يلوح لنا وجه
البدر من خلاله ، فأكرمنا رسله اكراماً يليق بمجبل فعالنا ، وسمعنا رسالتهم
وجاوبناهم على مقتضى حالهم لا على حالنا وأعدناهم اليه ، وقلدناه ما كان مضمراً عليه
فعاد رسوله يطلب منا رسولا يسمم كلامه ولم يخف عنه مقصده ولا حرامه ، فأرسلنا
اليه ما طلب فما كان إلا عند وصول رسلنا اليه ، جهز عسكريه وأظهر من القدر ما كان
مضمراً عليه ، وحرصهم بما عاد وباله عليهم ربما رأوه حاضر لديهم ، ثم تمدوا وعدى
بهم الفرات وجهزم ورجع وما علم ان السلامة من ورائه فما كان إلا أن دخلوا البلاد
وعملوا ما أمرهم به من الفساد ، وتفرقت جيوشهم في الأوساط والاطراف وقطعوا
ايدي الاشجار وأرجل الزرع من خلان ، ونزلوا بالغرب من حلب وشنوا من الغارات

وجدوا في الطلب ، وجيوشنا الشامية له بالمرصاد ، وقد اخلصوا الله عز وجل وقدموا نية الجهاد ، ونحن نتقدم اليهم في كل وقت وأوان أن يظهروا لهم الضعف والتأخير ليتوسطوا البلاد ويقم هناك التدبير فأعاد منهم طومانين الى القريتين ، فتجهز من جيشنا اليهم الفان ، فوجدوهم قد اخذوا غنائم التركمان ، فوافوهم بالقرب من عرض فكانوا كغفسي رهان ، فمالبثوا الباغين إلا ساعة من النهار وعجل الله بأرواحهم الى النار وبقيت أجسامهم ملقاة بأرض عرض الى يوم العرض ... واخذوا منهم اسارى ، ارمن وكرج ونصارى ثم ساروا وهم طالبين الغوطة ولم يعلموا ان من حولها رماحاً مركززة وجياداً مربوطة . . فلما عينوا دمشق ظنوا انهم يدخلون بأسرون . . . فعبدوا عليها وطلعوا على جبل يعرف بالمانع وتأملوا جيوشنا فأخذهم الرعب في قلوبهم بالمجامع ... فلم تغب الشمس حتى فرشنا بهم اديم الارض والوعر والسهل ، والتجأ من بقي منهم الى جبل ليعصمهم من القتل .. ونادى لسان حالهم ، وقد قصرت آمالهم ، اعتقنا ايها الملك الرحيم ، واعف عنا في هذا الشهر العظيم ، فانا جميعاً مسلمون ... فأمرنا جيوشنا ان يفتحوا لهم باباً ليذهبوا ... ففروا فر الشاة من الأسد ولم يلتفت منهم والد على ولد ، فلو رأيت ايها الملك ذلك اليوم لبقيت زماناً سرعوباً في النوم ولم تلق من اصحابك إلا قتيلاً وأسيراً ...

فبادر ايها الملك الى حمد الله تعالى الذي لم تر بعينك الخطب الجسيم .. وقد نصحتك ايها الملك فما ارعويت ... فمن أجل ذلك صار كل حي من جيشك ميت . فبدل الميل بالايمان ودع ما سول لك الشيطان ... وانت تزعم أن الاسلام معك وبه تدين ، نقف نحن وانت على الكتاب المبين ، ولا تعثوا في الأرض مفسدين ، ونخرج نحن وانت من بغداد والعراق ، ونعيدها الى خليفة رسول الله بالاطلاق ، ونقبض نحن وأنت اراسره ... ومن يفعل غير ذلك فعليه اللعنة الى يوم الدين ، وان سولت لك نفسك خلاف ذلك ، فأنت لا محالة هالك ، وعن قريب يخلو منك العراق والحجم ،

وتبدل وجودك بالعدم ، فقد اوضحنا لك الحق فلا تميل ، وهديناك الى اقدم السبيل
 ثم نتقدم برسالة رسلنا المسيرة اليك في أتم الكرامة وتسير معهم من يوصلهم الى الشام
 في أتم السلامة وترحل فيمن بقي من جيشك الى خراسان ، ودع ما سول لك الشيطان
 فقد بلغنا ان خيلك ورجالك تعبر الديار المصرية ، فقد صدقوا في القول لكن غلطوا في
 القضية ، اما الخيل فقد عبرت مجنونة ، وأما الرجال ففي رقابهم طبول وبأيديهم
 السناجق مقلوبة ، فأختر لنفسك ، اما الدخول الى خراسان سريعا واما الخروج عن
 الروم والعراق جميعا ، وعن قريب نأتيك بجيوشنا تميل بجني الارض وتزحف ، وتروى
 ما يهولك ولو على قعود تزحف ، وقد أعذر من أعذر ، والسلام على من اتبع الهدى ،
 تاريخ سلاطين المماليك ص ١١٨ - ١٢١



كتاب الامان الذي أعطاه غازان لاهل الشام

بقوة الله تعالى ليعلم اسراء التومان والالوف والمائة وعموم عساكرنا المنصورة
 ان الله لما نور قلوبنا بنور الاسلام ، وهدانا الى ملة النبي عليه افضل الصلاة والسلام
 « أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ، فويل للقاسية قلوبهم من
 ذكر الله اولئك في ضلال مبين » .

ولما أن سمعنا أن حكام مصر والشام خارجون عن طريق الدين ، غير متمسكين
 بأحكام الاسلام ، ناقضون لعهودهم حالفون بالآيمان الفاجرة ليس لديهم وفاء ولا ذمام
 ولا لأموالهم الشام ولا انتظام وكان احدهم اذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها
 ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد . وشاع من شعارهم الحيف على الرعية
 ومد الأيدي العادية الى حريمهم وأموالهم ، والتخطي عن جادة العدل والانصاف
 وارتكابهم الجور والاعساف ، حملتنا الحمية الدينية والحفيظة الاسلامية على أن توجهنا
 الى تلك البلاد لازالة هذا العدوان واماطة هذا الطغيان ، مستصحبين الجم الغفير من

المساكِر ، ونذرنا على أنفسنا ان وفقنا الله ثعالى بفتح تلك البلاد ، أزلنا العدوان
 والفساد وبسطنا العدل والاحسان في كافة العباد ممتثلا للأمر الالهي « ان الله يأمر
 بالعدل والاحسان وابتاء ذي القربى واليتامى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم
 لعلكم تذكرون » وإجابة لما نذب اليه الرسول صلى الله عليه وسلم : ان المقسطين عندالله
 على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلنا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وماولوا.
 وحيث كانت طويقتنا ممتثلة على هذه المقاصد الحميدة والنذور الأكيده ، من الله
 علينا بتبليج تباشير النصر المبين والفتح المستبين وأتم علينا نعمته وأنزل علينا سكينته فقهرنا
 العدو الطاغية والجيوش الباغية وفرقتهم أيدي سبا ، ومزقتهم كل ممزق حتى جاء الحق
 وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فازدادت صدورنا انشراحاً للإسلام ، وقويت
 نفوسنا بحقيقة الأحكام منخرطين في زمرة من حبيب اليهم الايمان وزينه في قلوبهم
 وكره اليهم الكفر والسوق والعصيان ، اولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة. فوجب
 علينا رعاية تلك اليهود الموثقة والنذور المؤكدة فصدرت مراسيمنا العالمة ألا يتعرض
 احد من المساكِر المذكورة على اختلاف طبقاتها لدمشق واعمالها وسائر البلاد الشامية
 الاسلامية وان يكفوا اظهار التعدي عن انفسهم واموالهم وحرهم ولا يحوموا حول
 حمام بوجه من الوجوه حتى يشتغلوا بصدور مشروحة وآمال مفسوحة بعمارة البلاد
 وبما هو كل واحد بصدده من تجارة وزراعة وغير ذلك . وكان هذا الهرج العظيم
 وكثرة المساكِر فتعرض بعض نفر يسير من السلاحية وغيرهم الى نهب بعض الرعايا
 واسرهم ، فقتلناهم ليعتبر الباؤون ويقطعوا أطعاهم عن الذهب والأسر وغير ذلك من
 الفساد ، وليعلموا انا لا نسمح بعد هذا الأمر البليغ البتة ولا يتعرضوا لأحد من اهل
 الأديان على اختلاف أديانهم من اليهود والنصارى والصابئة ، فانهم انما يبذلون الجزية
 عنهم من الوظائف الشرعية ، لقول علي عليه السلام : انما يبذلون الجزية لتكون أموالهم
 كأموالنا ودماؤهم كدمائنا ، والسلاطين موصون على اهل الذمة المطيعين كما هم موصون

على المسلمين ، فانهم من جملة الرعايا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الامام الذي على الناس راع عليهم وكل راع مسؤول عن رعيته . فسبيل القضاة والخطباء والمشايخ والعلماء والشرفاء والأكابر والمشاهير وعامة الرعايا الاستبشار بهذا النصر الهني والفتح السني وأخذ الحظ الوافر من السرور والنصيب الأكبر من البهجة والحبور مقبلين على الدعاء لهذه الدولة والمملكة الطاهرة آناه الليل وأطراف النهار .

نقلا عن سرور - دولة بني قلاون ص ١٧٩ - ١٨١



مرسوم غازان بولاية قبحق على الشام

بقوة الله تعالى وميثاق الملة المحمدية فرمان السلطان محمود غازان . الحمد لله الذي أيدنا بالنصر العزيز الفتح المبين ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنظمتنا في سلك الخالصين . ونشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وعلى آله صلاة تصله الى يوم الدين .

أما بعد فإن الله تعالى لما ملكنا البلاد وفوض الينا النظر في امور العباد ووجب علينا أن فنظر في مصالحهم وأن نهتم بنصائحهم ، وأن نقيم عليهم نائماً يتخاق بأخلاقنا في كرم السجايا وبلغنا الاغراض في مصالح الرعايا فأجلنا الفكر فيمن نقلده الامور وأنعمنا النظر فيمن نفوض اليه مصالح الجمهور واخترنا لها من يحفظ نظامها المستقيم يقول فيسهم مقاله ويفعل فتقتني أفعاله يكون أمره من أمرنا وحكمه من حكمنا وطاعته من طاعتنا ومحبه من الطريق الى محبتنا ، فرأينا أن الجناب العالي الأوحدي المؤيدي المضدي النصيري العالمي العادلي الذخري الكفيلي السبني سيف الدين ملك الامراء في العالمين ظهير الملوك والسلاطين قبحق هذا المخصوص بهذه الصفات الجميلة والمحتوي على هذه السمات الجميلة وله حرمة المهاجرة الى ابوابنا ووسيلة القصد الى ركابنا ، فعرفنا له هذه

الحرمة وقابلناه بهذه النعمة ورأينا انه لهذا المنصب حفيظ قمين قوي أمين وانه يبلغنا الغرض من حفظ الرعايا، فأقمناه مقامنا في العدل والقضايا، فلذلك رسمنا أن نفوض اليه نيابة السلطان الشريفة بالممالك الدمشقية والبلبلكية والحصية والساحلية والجبلية والمجلونية والرحبية من العريش الى سلمية ، نيابة تامة عامة كاملة شاملة ، يؤتمر فيها بأمره ويزدجر فيها بزجره ويطاع في أوامره ونواهيه ولا يخرج احد عن حكمه ولا يعصيه له الامر التام والمظر العام وحسن التدبير وجميل التأثير الاحسان الشامل لأهل البلاد واستجلاب الغزاة والقواد وتأمين من يطلب الأمان والطاعة والامتنان متفقاً في الاستخدام والنأمين مع ملك الامراء ناصر الدين . فان اجتماع الآراء بركة والههم تؤثر اذا كانت مشتركة وكل من أمناه فانه أمامنا اجريناه على قلهما ولسانها وقد أنعمنا عليه بالسيف والشنق الشريف والكوس والبايزة الذهب برأس السبع ورسمنا له بألف فارس من المغل يركبون لركوبه وينزلون لنزوله وليكونوا تحت حكمه ، رفعة لقدره وتنويهاً باسمه . وسبيل الأمراء والمقدمين وأمرء العربان والتركان والأكراد والدواوين والصدور والأعيان والجمهور أن يتحققوا انه نائمينا في السلطنة الشريفة وأن له المنزلة المنيفة وليطيعوه طاعة تزلفهم لديه تقويهم اليه ، ويحصل لهم بها رضاه عنهم وإقباله عليهم ، وقربهم منه ، ويلزموا عنده الأدب في الخدمة كما يجب وليكونوا معه في الطاعة الموافقة على ما يجب وعلى ملك الأمراء سيف الدين بتقوى الله في احكامه وخشيته في نقضه وإبرامه وتمظيم الشرع وحكامه وتنفيذ أفضية كل قاض على قول إمامه وليعتمد الجلوس للعدل والانصاف وأخذ حق المشروف من الاشراف وليقيم الحدود والقصاص على كل من وجبت عليه وليكف الكف العادية عن كل من يتعدى اليه .

نقلا عن سرور - دولة بني قلاون ص ١٨٢ - ١٨٣

الخاقانات العظام

- ١ - جنكيزخان (تموجين) ٦٠٣ - ٦٢٤
- ٢ - اوكتاي بن جنكيز ٦٢٤ - ٦٣٩
- ٣ - كيوك بن اوكتاي ٦٤٤ - ٦٤٦ بمد وصاية امه للفترة السابقة
- ٤ - منكو بن تولي بن جنكيز ٦١٨ - ٦٥٨ بمد فترة انقسام واختلاف على الترشيح
- ٥ - قبلاي بن تولي بن جنكيز ٦٥٩ - ٦٩٣
- ٦ - اولجايتو بن جينغيسكين بن قبلاي ٦٩٣ - ٧٠٦
- ٧ - كولوك ٧٠٦ - ٧١٠
- ٨ - بويانتو ٧١٠ - ٧٢٠
- ٩ - كه كن ٧٢٠ - ٧٢٣
- ١٠ - يسون تيمور ٧٢٣
- ١١ - راجي بقا ٧٢٣ - ٧٢٩
- ١٢ - كوشالا ٧٢٩
- ١٣ - كياغانو ٧٢٩ - ٧٣٢
- ١٤ - رينجين بال ٧٣٢
- ١٥ - طوغان تيمور ٧٣٢

زامباور - معجم الانساب والاسرات الخاكة

ج ٢ ص ٣٦٠

الوزراء الايخانيون

- ١ - سيف الدين البيتكجي وزراء هولابكو: قتله هولابكو سنة ٦٦١ هـ
- ٢ - شمس الدين محمد الجويني

- وزراء اباقا : ١ - شمس الدين محمد الجويني
 وزراء تكودار : ١ - شمس الدين محمد الجويني قتله ارغون سنة ٦٨٤ هـ
 وزراء ارغون : ١ - الأمير بوقاچم بين النياية والوزارة قتله ارغون سنة ٦٨٧ هـ
 ٢ - سعد الدولة اليهودي قتله الأمراء سنة ٦٩٠ هـ
 وزراء كيخانو : ١ - صدر الدين احمد الخالدي الزنجاني الملقب بصدر جهان
 وزراء بايدو : ١ - جمال الدين الدستجرداني
 وزراء غازان : ١ - صدر الدين الخالدي الوزارة الثانية
 ٢ - جمال الدين الدستجرداني « « قتله غازان سنة ٦٩٦ هـ
 ٣ - صدر الدين الخالدي الوزارة الثالثة قتله غازان سنة ٦٩٧ هـ
 ٤ - رشيد الدين الهمداني مشاركة مع
 ٥ - سعد الدين الساجي
 وزراء اولجايتو : ١ - رشيد الدين الهمداني مشاركة مع
 ٢ - سعد الدين الساجي قتله اولجايتو سنة ٧١١ هـ
 وزراء ابوسعيد : ١ - رشيد الدين الهمداني مشاركة مع قتله ابوسعيد سنة ٧١٨ هـ
 ٢ - ايلشاه التبريزي توفي حنق انه سنة ٧٢٤ هـ
 ٣ - ركن الدين صائغ قتله چوبان سنة ٧٢٧ هـ
 ٤ - دمشق خواجه قتله ابوسعيد سنة ٧٢٧ هـ
 ٥ - غياث الدين محمد بن رشيد الدين
 وزراء أربا خان : غياث الدين محمد بن الرشيد قتل في الحرب مع علي بادشاه
 موسى خان جمال الدين محمود بن علي الشيرواني
 لجأ الى الديار المصرية وتولى الوزارة فيها

محمد خان

- ١- شمس الدين محمد بن زكريا مشاركة مع
٢- مسمود بن محمود شاه اينجو
سافي بيك :
١- ركن الدين شيخبي مشاركة مع
٢- غياث الدين محمد المليشاهي
جيهان تيمور : شمس الدين محمد بن زكريا الوزارة الثامنة
سليمان خان :

ايلخانات فارس

- ١ - هولاکو بن تولي بن جنکيز خان ٦٥٦ هـ - ٦٦٣ هـ
٢ - اباقا بن هولاکو ٦٦٣ - ٦٨٠
٣ - احمد تکودار بن هولاکو ٦٨٠ - ٦٨٣
٤ - ارغون بن اباقا ٦٨٣ - ٦٩٠
٥ - کيخاتو ايرنجين تورجي بن اباقا ٦٩٠ - ٦٩٣
٦ - بايدو بن طرغاي بن هولاکو ٦٩٣ - ٦٩٤
٧ - غازان بن ارغون ٦٩٤ - ٧٠٣
٨ - اولجايتو خدا بندا ٧٠٣ - ٦١٧
٩ - ابو سعيد بن اولجايتو ٦١٧ - ٧٣٦
الايخانات الدمى :
١٠ - اربا خان من احفاد اريقبوقا بن تولي بن جنکيز
نصبه الوزير غياث الدين محمد بن رشيد الدين في سنة ٧٣٦ - ٧٣٦ هـ
١١ - موسى خان بن علي بن بايدو نصبه الامير علي بادشاه ٧٣٦ - ٧٣٧ هـ
١٢ - محمدخان بن يول قتلغ بن ايسهتيمور بن انبارجي بن منکوتيمور بن هولاکو

٧٣٩ - ٧٣٨ هـ وقد نصبه الشيخ حسن الكبير الجلائري

١٣ - س. آي بيك بنت اولجايتو ٧٣٨ وقد نصبها الشيخ حسن الصغير بن

تيمور تاش بن چوبان

١٤ - جهانتيمور بن الفرنك بن كيخاتو ٧٣٩ - ٧٣٩ هـ وقد نصبه الشيخ حسن الكبير

١٥ - سليمان بن محمد بن سانكا بن يشموت بن هولاکو ٧٣٩ - ٧٤٤ وقد نصبه

الشيخ حسن الصغير وزوجه من سآي بيك

زامباور - معجم الأنساب والأسرات الحاكمة

ج ٢ ص ٣٦٢ - ٣٦٣

لين بول - الأسر المحمدية ص ٢٢٠

فهرست موضوعات البحث

الباب الاول :

ص ١ - ١٢٠

ص ٢ - ٢٤

ص ٢٥ - ٤٤

ص ٤٥ - ٦٧

ص ٦٨ - ٩٦

ص ٧٢ - ٧٤

ص ٧٤ - ٧٨

ص ٧٩ - ٨٥

ص ٨٥ - ٩٢

ص ٩٢ - ٩٦

ص ٩٧ - ١٢٠

من ص ١٢٢ - ٢٧٣

ص ١٢٤ - ٢١٦

١ - ظهور المغول وسقوط بغداد

٢ - تعرض جنكيز خان للمبلاد الاسلامية

٣ - مواصلة الأبناء سياسة ابيهم

٤ - موقف العالم الاسلامي من الغزو المغولي

أ - اماره اربيل

ب- اماره الموصل

ج- اماره سلاجقة الروم

د - اماره الأيوبيين

هـ - موقف الخلافة

٥ - زحف هولاكو وسقوط بغداد

الباب الثاني : نظم الحكم

١ - النظام السياسي

أ - قيام الحكم الايلخاني

ب- مراسيم التولية

ج- تنظيماته الادارية

د - الشؤون المالية

هـ - الأحداث العسكرية الداخلية

و - اصلاحات الايلخانات وولاية العهد

ز - اعوان الايلخان - نائب الايلخان - الوزير الايلخاني

او صاحب ديوان الممالك

ص ٢١٦ - ٢٤١

٢ - النظام الاداري

ص ٢١٦ - ٢١٨

أ - حكومة بغداد
١ - السلطة المدنية
٢ - السلطة العسكرية

ص ٢١٨ - ٢٢٣

ص ٢٢٤ - ٢٤١

ب - ولاية عطا ملك الجويني واصلاحاته

ص ٢٤١ - ٢٥٢

٣ - النظام الحربي

ص ٢٧٣ - ٢٥٢

٤ - النظام المالي

ص ٢٧٥ - ٣٦٧

الباب الثالث : السياسة الداخلية

ص ٢٧٦ - ٢٧٥

١ - موقف الايلخانات من طوائف الشعب المختلفة

ص ٢٧٦ - ٣٠٦

أ - موقفهم من المسلمين وتطور ذلك

ص ٣٢٦ - ٣٠٦

ب - موقفهم من اهل الذمة وتطور ذلك

ص ٣٤٣ - ٣٢٦

ج - موقفهم من القبائل العربية

٢ - العلاقات الداخلية :

ص ٣٥٩ - ٣٤٣

موقف الايلخانات من الامارات الداخلية

ص ٣٦٧ - ٣٥٩

امارة الموصل

ص ٣٦٩ - ٤٦٣

الباب الرابع : السياسة الخارجية

ص ٣٧١ - ٤١٩

١ - علاقة الايلخانية مع المماليك

ص ٤٢٠ - ٤٤١

٢ - علاقة الايلخانية مع اوربا - والباباوات والملوك

ص ٤٤١ - ٤٦٣

٣ - علاقة الايلخانية مع المغول

أ - موقف الايلخانية من الخاقان المغولي

ب - علاقة الايلخانية مع مغول القبچاق

ج - علاقة الايلخانية مع مغول ما وراء النهر

ص ٤٦٥ - ٥١٠

الباب الخامس : نهاية الحكم الايلخاني

ص ٤٨٨ - ٤٦٥

١ - العوامل غير المباشرة

ص ٤٨٨ - ٥١٠

٢ - العوامل المباشرة

ملاحق البحث
فهارس الأعلام والشعوب
فهارس الأمكنة والبلدان
مصادر البحث
جدول الخطأ والصواب
لوحات النقود
خارطة الدولة الإيلخانية

فهرست الاعراب والشعوب

أباقا بن هولانكو (الاييلخان) : ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ،
 ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ،
 ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٢٥ ، ٢٢٩ ، ٢٣٨ ،
 ٢٤٣ ، ٢٤٩ ، ٢٥٤ ، ٢٦١ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٩١ ، ٣١٢ ، ٣١٥ ، ٣١٧ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ،
 ٣٤٦ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٦ ،
 ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٤٣ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٦٦ ، ٤٦٨ ، ٤٧٤ ، ٤٧٩ ،
 أبو سعيد بن اوجلايتو (الاييلخان) : ١٣٧ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٦٩ ،
 ١٧١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٩ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٤١ ، ٢٤٠ ،
 ٢٥١ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٧ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٦ ،
 ٣٣٤ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤٣ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٨٤ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٦ ،
 ٣٩٩ ، ٤٤٥ ، ٤٤٧ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٥ ، ٤٦٩ ، ٤٧٣ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٨٠ .
 أتابكة الموصل : ٢ ، ٧١ .

ارغون بن اباقا (الاييلخان) : ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٧ ،
 ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٨ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ،
 ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٨ ، ٢١١ ، ٢٢٩ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٥٧ ، ٢٦٤ ،
 ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ،
 ٣٢١ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ،
 ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ .

اريقبوقا بن تولي بن جنكيز : ١٢٩ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٣٥٠ .
 الاسماعيلية : ٥٠ ، ٥٦ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٥٥ ،
 ١٧٣ ، ١٧٤ ، ٣٩٨ .

الأشرف الأيوبي : موسى بن العادل ابو بكر : ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ .

اولجايتو محمد خدا بنده (خرينده) بن ارغون : (الاييلخان) : ١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٤١ ،

١٤٩ ، ١٥١ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٥ .

١٩٨ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٤٠ ، ٢٥٢ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ،

٢٦١ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٩٢ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠ ، ٣٠٣ ، ٣٢٤ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ،

٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٨١ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٤ ،

٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٨ ، ٤٤٨ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٦١ ، ٤٦٩ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٧ ، ٤٧٩ .

اوكتاي خان بن جنگيز (الخاقان) : ٣١ ، ٣٦ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٢ ، ٥٣ ،

٥٤ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٢ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ١٢٣ ، ١٥٩ ، ٢٥٦ ، ٤٤١ ، ٤٤٨ ، ٤٥٦ ،

٤٥٧ ، ٤٧٩ .

اونك خان : ١١ ، ١٢ ، ٢٥٦ .

الأويرات - قبائل : ٥ ، ١٣ .

الايغور - قبائل : ٥ ، ٢١ ، ٣٠ ، ٤٥٦ .

الأنكوت - التتار البيض - قبائل : ١٤ .

الاييلخان : - ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٦ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٧ ،

١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٨ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ،

١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ،

٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٨ ، ٢١١ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٢٣١ ،

٢٣٥ ، ٢٤٢ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٦٦ ، ٢٧٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٧ ، ٢٩٠ ، ٢٩٣ ، ٣٠٠ ،

٣٠٢ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٨٣ ، ٣٩٠ ، ٣٩٨ ، ٤٠٢ ، ٤٠٥ ، ٤٤٢ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٥٢ ،

٤٥٨ ، ٤٦٢ .

اينال خان : ٢٦ ، ٣١ .

باتو بن چوچي بن جنگيز : ٤٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ،
٤٥٠ ، ٤٦٨ .

بايدو بن طرغاي بن هولاکو (الاييلخان) : ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ،
١٥١ ، ١٦٢ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٨ ، ٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٦٤ ، ٢٨٠ ،
٢٩١ ، ٣١٤ ، ٣٢٢ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٨٩ ، ٤٤٦ ، ٤٦٩ ، ٤٧١ ، ٤٧٦ .

بدر الدين لؤلؤ : ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٩٠ ، ٩١ ، ١٠٥ ، ٣٥٢ ، ٣٥٧ ، ٣٦٠ ،
٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٧ .

برکة خان بن چوچي بن جنگيز : ٥٩ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٥٣ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ،
٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ .

بغداد خاتون بنت چوبان : ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢٠٦ ، ٤٨٠ .
بوقا - القائد والوزير المغولي : ١٧٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٨ ، ٢١١ ، ٢٣٣ ،
٢٣٥ ، ٢٤٧ ، ٤٤٣ ، ٤٤٦ ، ٤٥٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ .

بويرق : ١٤ ، ٢١ .

التاجيك : ٣٣ .

التانجوت - الکاشرين - قبائل : ١١ ، ١٤ ، ٤٠ ، ٤١ .

تايانک خان : ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ٢١ .

التتر : ٥ ، ٦ ، ١٣ ، ٢٢ ، ٦٤ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٣ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ،
٩٢ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١١٣ ، ١٥٣ ، ٣٩٣ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٤٠٤ ، ٤٥٢ .

الترك : ٣ ، ٨ ، ٣٣ .

تکودار بن هولاکو (الاييلخان احمد) : ١٠٩ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٥٧ ،
١٧٦ ، ١٧٧ ، ٢٢٣ ، ٢٤٣ ، ٢٥٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٨٥ ، ٢٨٧ ، ٣٠٤ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ،
٣٤٨ ، ٣٥٠ ، ٣٥٦ ، ٤٠٢ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٦٨ ، ٤٧٠ ، ٤٧٤ .

تموجين بن يسوکاي (جنگيز خان) : ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ .

تتولي خان بن جنگيز : ۳۲، ۳۷، ۴۲، ۴۳، ۵۷، ۶۲، ۴۴۹ .

چغتاي خان بن جنگيز : ۳۱، ۳۶، ۴۲، ۴۶، ۵۸، ۶۲، ۶۳، ۱۵۴، ۴۴۸ .

. ۴۵۶، ۴۵۷، ۴۵۹، ۴۶۲، ۴۶۷، ۴۷۹ .

جلال الدين الخوارزمي : ۳۸، ۳۹، ۴۰، ۴۷، ۴۸، ۴۹، ۵۰، ۵۱، ۶۳ .

. ۶۴، ۶۹، ۷۰، ۷۳، ۸۰، ۸۸، ۸۹، ۹۳ .

جلالير - قبائل : ۸ .

جنگيز خان : ۱، ۶، ۷، ۸، ۹، ۱۰، ۱۳، ۱۵، ۱۶، ۱۷، ۱۸، ۱۹، ۲۰،

۲۱، ۲۲، ۲۳، ۲۴، ۲۵، ۲۶، ۲۷، ۲۸، ۲۹، ۳۰، ۳۱، ۳۲، ۳۳، ۳۴، ۳۵، ۳۶،

۳۷، ۳۸، ۳۹، ۴۰، ۴۱، ۴۳، ۴۴، ۴۵، ۵۳، ۵۸، ۵۹، ۶۰، ۶۲، ۶۳، ۱۱۵،

۱۱۷، ۱۲۲، ۱۲۳، ۱۳۵، ۱۹۵، ۱۹۶، ۲۰۷، ۲۴۰، ۲۴۷، ۲۵۶، ۲۸۹، ۳۰۱،

. ۳۰۶، ۳۷۳، ۴۴۰، ۴۴۳، ۴۴۹، ۴۵۰، ۴۶۰، ۴۶۶، ۴۷۹ .

جويان : ۱۵۱، ۱۶۹، ۱۷۰، ۱۹۱، ۱۹۲، ۲۰۴، ۲۰۵، ۲۱۰، ۲۱۱، ۲۱۳،

۲۱۴، ۲۵۱، ۲۵۲، ۲۹۵، ۳۰۴، ۳۰۶، ۳۳۷، ۳۸۴، ۳۹۱، ۴۴۷، ۴۵۵، ۴۶۲،

. ۴۶۳، ۴۷۷ .

چوچي خان بن جنگيز : ۳۲، ۳۷، ۴۲، ۴۳، ۴۶، ۵۷، ۴۴۸، ۴۵۰ .

چور ماغون : ۴۷، ۵۰، ۵۲، ۷۳، ۷۷، ۲۴۹، ۲۵۶ .

جوشکاب بن جمقور بن هولاکو : ۱۴۹، ۱۵۸، ۱۵۹، ۱۹۹، ۲۰۱، ۲۳۳،

. ۴۷۰، ۴۷۱ .

حسن جلاير (الشيخ حسن الكبير) : ۱۹۳، ۳۴۳ .

الخانان (القان آن) : ۱۵، ۵۵، ۱۱۷، ۱۱۸، ۱۲۷، ۱۲۹، ۱۳۱، ۱۷۳،

۲۰۵، ۲۴۵، ۲۸۲، ۲۸۷، ۲۹۵، ۳۱۹، ۳۷۰، ۴۴۲، ۴۴۳، ۴۴۴، ۴۴۵، ۴۴۷،

. ۴۵۷، ۴۶۰، ۴۷۰، ۴۷۲، ۴۷۵، ۴۷۹ .

خوارزمشاه : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧ ،
٦٩ ، ٧٢ ، ٨٨ .

خورشاه (ركن الدين الاسماعيلي) : ٦٥ ، ٦٦ .

دلشاد خاتون : ١٩٤ .

الدويدار الصغير : ٩٩ ، ٣٨٧ .

ركن الدين السلجوقي : ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ .

رشيد الدين فضل الله : ٢٠٩ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٢ ، ٣٨٥ ،

٤٤٥ ، ٤٤٦ .

زنكي (عماد الدين) : ٧٢ ، ٧٤ .

ساتي بيك بنت اوجايتمو (الايلخانة) : ١٣٧ ، ٢٠٥ .

سالحيموت (قبائل) : ١٣ .

سلاجقة الروم : ٢ ، ٥٠ ، ٥٦ ، ٦٥ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ٣٥١ ، ٣٥٣ ،

٣٥٩ ، ٤٠٠ .

السلطان : ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ .

سعد الدولة (اليهودي - الوزير) : ١٥١ ، ١٦٠ ، ٢١١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٦٧ ،

٢٦٨ ، ٢٧٣ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٣١٩ .

أسرة سنك : ٢٢ ، ٤١ .

شمس الدين محمد الجويني - الوزير : ١٤٦ ، ١٥٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٥ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ ،

٢٢٢ ، ٢٣٣ ، ٢٦٨ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٨ ، ٣٥٦ .

الشيرازي (قطب الدين محمود) : ١٧٥ ، ١٧٨ .

شيركوه (اسد الدين الأيوبي) : ٨٥ ، ٨٦ .

الصالح اسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ : ٧٨ ، ١٢٨ ، ١٥٣ ، ٣٣٣ ، ٣٤٦ ، ٣٥٢ ،

٣٥٧ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٧١ .

- صلاخ الدين الأيوبي : ٢ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ٩١ .
- ابن الصلايا (الشريف تاج الدين محمد العلوي) : ٧٧ ، ٩٥ ، ١٠٥ .
- الطوسي (نصير الدين أبو الحسن محمد) : ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٨٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ .
- الظاهر بأمر الله أبو نصر محمد (الخليفة العباسي) : ٤٩ .
- الظاهر بيبرس (السلطان المملوكي) : ١١٠ ، ١٥٣ ، ٣٣٢ ، ٣٥٧ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ .
- ٣٦٧ ، ٣٧٨ ، ٣٩٦ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠٢ ، ٤٥١ .
- عز الدين السلجوقي : ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٥ .
- علاء الدين محمد الاسماعيلي : ٦٥ .
- علاء الدين محمد الخوارزمي : ٢٥ ، ٣٠ ، ٦٩ ، ٧٣ ، ٨٨ .
- علاء الدين كيقباد السلجوقي : ٨٠ ، ٨١ .
- علاء الدين عطا ملك الجويني : ٢١٤ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٣ ، ٢٣٤ ، ٢٥٧ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٧١ ، ٢٨٣ ، ٣٤٢ .
- علي بهادر الخراساني (الشحنة) : ٢١٨ ، ٢٢٤ .
- أبن العلقمي (مؤيد الدين الوزير العباسي) : ٢١٧ ، ٢١٩ .
- عمر بن محمد القزويني (عماد الدين) : ٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ .
- عيسى بن مهنا : ٣٣٣ .
- عيسى بن العادل (المعظم الأيوبي) : ٤٩ ، ٦٩ .
- غازان محمود بن ارغون (الايلخان) : ١١٠ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٥١ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨ ، ٢٦٤ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤ .

، ٣٨٩ ، ٣٨٤ ، ٣٨١ ، ٣٧٠ ، ٣٥٨ ، ٣٥٥ ، ٣٥٤ ، ٣٥٣ ، ٣٤٩ ، ٣٤٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥
، ٤٦٦ ، ٤٥٩ ، ٤٥٣ ، ٤٤٧ ، ٤٤٤ ، ٤٠٨ ، ٤٠٦ ، ٤٠٥ ، ٤٠٣ ، ٣٩٨ ، ٣٩٣ ، ٣٩١
. ٤٧٧ ، ٢٧٢ ، ٤٧١ ، ٤٦٩

. غازي (سيف الدين الأتابكي) : ٧٤ .

. غازي (شهاب الدين الأيوبي) : ٩١ .

. غياث الدين كيخسرو (السلجوقي) : ٨١ .

، غياث الدين محمد بن رشيد الدين (الوزير) : ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٠٦ ، ٢٠٩ ،

. ٤٧٧ ، ٢٥٢ ، ٢١٤

. القآن (الخاقان) : ٤٦ ، ٥٣ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٩٢ .

. القبچاق : ٥ ، ٥٣ .

. قرابوقا : ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢٥ .

. القره خطاي (قبائل) : ٢١ ، ٢٤ ، ٢٥ .

. قطز (السلطان المملوكي) المظفر : ٣٥٧ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٧٣ ، ٣٧٩ ، ٤٠٠ .

، قلاون (السلطان المملوكي) : ١٣٨ ، ٢٨٥ ، ٣٨٠ ، ٣٩٧ ، ٤٠٢ ، ٤٠٤ ،

. ٤٥٢ ، ٤٠٥

. القنغورات (قبائل) : ١٣ .

، قوبلاي خان بن تولي بن جنكيز (الخاقان) : ٦٠ ، ١١٧ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ،

. ٤٧٥ ، ٤٥٧ ، ٤٥٦ ، ٤٥٠ ، ٤٤٣ ، ٤٤٢ ، ٢٨٧ ، ١٩٩ ، ١٦٦ ، ١٣٢ ، ١٣٠

. قيات (قبائل) : ١٠ .

. الكارلوك (قبائل) : ٣٠ .

. الكامل محمد بن العادل الأيوبي : ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ .

. الكرايت (قبائل) : ١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ٢٠ ، ٢١ .

. كشلوخان : ١٤ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٥ .

كورخان : ١٦ ، ٢١ .

كوكبرى (مظفر الدين) : ٧٢ ، ٧٣ ، ٩٣ .

كن (اسرة) : ٧ ، ١٠ ، ٢٢ ، ٢٣ .

كيتويوقا (كتبغا) : ٦٤ ، ٢٤٦ ، ٣٧٣ .

كيماتو بن ارغون (الايلخان) : ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ .

١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٦ ، ١٧٩ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ،

٢٣٧ ، ٢٤٤ ، ٢٥٤ ، ٢٥٨ ، ٢٦٤ ، ٢٦٨ ، ٢٧١ ، ٢٩١ ، ٣٤٢ ، ٣٥٨ ، ٣٩٥ ، ٣٩٧ ،

٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٦٩ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٦ ، ٤٧٩ .

المستعصم بالله ابو احمد عبدالله (الخليفة العباسي) : ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٩ ، ٢٧٧ ،

٣٠٨ ، ٣١٣ .

المستنصر بالله ابو جعفر المنصور (الخليفة العباسي) : ٤٩ ، ٩٣ .

المكرايت (قبائل) : ٢٤ .

منكوخان بن تولي بن جنكيز : ٢٠ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٨٢ ،

٨٣ ، ٨٤ ، ١١٧ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٧٣ ، ٢٥٦ ، ٣٠٧ ، ٣١٤ ، ٣٤٦ ، ٣٧٦ ، ٤٤٢ ،

٤٤٣ ، ٤٥٠ .

مهنا بن عيسى : ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٩٤ ، ٤٠٤ .

النايمان (قبائل) : ٥ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٤ .

الناصر لدين الله (ابو العباس احمد الخليفة العباسي) : ٤٧ ، ٤٩ ، ٦٩ ، ٩٢ ،

٢٥٤ ، ٣٠٩ .

الناصر - محمد بن قلاون (السلطان المملوكي) : ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ،

٣٤٩ ، ٣٩١ ، ٣٩٤ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٤ ، ٤٠٦ .

الناصر (يوسف الأيوبي صاحب حلب) : ٩١ ، ٩٢ ، ٣٤٤ ، ٣٧٢ .

نور الدين محمود الأتابكي : ٧٥ ، ٨٥ ، ٨٦ .

نوروز : ۱۴۹ ، ۱۵۱ ، ۱۵۹ ، ۱۶۱ ، ۱۶۲ ، ۱۶۳ ، ۱۶۴ ، ۱۶۵ ، ۱۸۰ ، ۱۸۱ ،
۲۰۳ ، ۲۰۴ ، ۲۱۰ ، ۲۱۲ ، ۲۳۶ ، ۲۳۷ ، ۲۴۴ ، ۲۴۵ ، ۲۶۴ ، ۲۹۲ ، ۳۲۲ ، ۳۲۴ ،
۳۲۵ ، ۳۵۹ ، ۳۸۵ ، ۴۷۱ ، ۴۷۶ .

النبيون : ۱ - ۱۰ .

هولاكو بن تولي بن جنگيز (الايلخان) : ۱۰ ، ۴۳ ، ۶۲ ، ۶۳ ، ۶۴ ، ۶۵ ،
۶۶ ، ۶۷ ، ۶۸ ، ۶۹ ، ۷۱ ، ۹۲ ، ۹۶ ، ۹۷ ، ۹۸ ، ۹۹ ، ۱۰۰ ، ۱۰۱ ، ۱۰۳ ، ۱۰۴ ،
۱۰۵ ، ۱۰۶ ، ۱۰۷ ، ۱۱۵ ، ۱۱۷ ، ۱۱۸ ، ۱۲۴ ، ۱۲۵ ، ۱۲۶ ، ۱۲۷ ، ۱۳۰ ، ۱۳۱ ،
۱۳۴ ، ۱۳۸ ، ۱۴۲ ، ۱۴۳ ، ۱۴۴ ، ۱۴۶ ، ۱۴۷ ، ۱۵۲ ، ۱۵۳ ، ۱۷۱ ، ۱۷۲ ، ۱۷۳ ،
۱۷۴ ، ۱۷۹ ، ۱۹۵ ، ۱۹۷ ، ۲۰۱ ، ۲۰۷ ، ۲۱۶ ، ۲۱۷ ، ۲۱۹ ، ۲۲۱ ، ۲۲۳ ، ۲۲۴ ،
۲۴۳ ، ۲۴۵ ، ۲۴۸ ، ۲۴۹ ، ۲۵۰ ، ۲۵۶ ، ۲۵۷ ، ۲۶۶ ، ۲۶۹ ، ۲۷۷ ، ۲۷۹ ، ۲۸۰ ،
۲۸۱ ، ۲۸۶ ، ۳۰۷ ، ۳۱۰ ، ۳۱۱ ، ۳۱۴ ، ۳۱۶ ، ۳۳۲ ، ۳۳۳ ، ۳۴۴ ، ۳۴۶ ، ۳۵۲ ،
۳۵۷ ، ۳۶۱ ، ۳۶۳ ، ۳۷۱ ، ۳۷۶ ، ۳۸۲ ، ۳۸۸ ، ۳۹۵ ، ۴۰۰ ، ۴۴۳ ، ۴۴۵ ، ۴۵۱ ،
۴۶۸ ، ۴۶۹ ، ۴۸۰ .

الياسا : ۱۷ ، ۱۸ ، ۵۶ ، ۵۷ ، ۵۸ ، ۱۰۶ ، ۱۲۲ ، ۱۳۰ ، ۱۳۴ ، ۱۳۵ ، ۱۳۷ ،
۱۳۸ ، ۱۴۹ ، ۱۷۵ ، ۱۹۳ ، ۱۹۹ ، ۴۶۷ ، ۴۶۸ ، ۴۶۹ ، ۴۸۰ .

بشموت بن هولاكو : ۱۳۰ ، ۱۴۵ ، ۱۵۳ ، ۱۶۳ ، ۴۵۱ .

فهرست الاماكن والبلدان

- أترار : ٢٦، ٢٧، ٣٠، ٣١، ٣٣ .
- اذريجان : ٤٩، ٥٦، ١٠٤، ١٢٥، ١٤٥، ٣٠٢، ٣١٨، ٣٥٩، ٤٥٠ ،
- . ٤٥٣، ٤٥١
- اران : ١٣٣، ١٤٤، ١٥٥، ٤٥٣، ٤٥٠ .
- اربيل : ٥٢، ٦٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٦، ٧٧، ٩٣، ٩٥، ١٠٥، ١٦٩ ،
- . ٢٨٤، ٣١٧، ٣١٨، ٣٦١ .
- الارغونية : ١٧٧، ١٨٨ .
- ارمينيا : ٨١، ٣٢٥، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٥، ٣٨٤، ٤٠٠، ٤٠٥ .
- اصفهان : ٤٩، ١٤٨، ١٦٠، ٣٠٢، ٣٥٨ .
- آمد : ٥١، ٥٢، ٨٠، ٨١، ٩٠، ٢٦١، ٣٦٢، ٣٨٤ .
- الأنبار : ٣٣٣، ٣٣٧ .
- اوركانج (خوارزم) : ٣٦، ٣٧، ٣٨، ١٥٥ .
- اورمية : ١٧٢، ٢٧١ .
- بخارى : ٣٢، ٣٤، ٣٥، ٣٧، ١١١، ١٥٥، ٢٤٣، ٤٥٦، ٤٥٩، ٤٦١ .
- بسطام : ٣٥، ٦٥، ١٤١ .
- البصرة : ٢١٩، ٢٣٠، ٢٦٧، ٢٧٩، ٣٢٣، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٧،
- . ٣٤١، ٣٤٠
- بعلبك : ٩١ .

بغداد : ١ ، ٢ ، ٣٥ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٨ ، ٩٠ ،
٩١ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١٣ ،
١١٥ ، ١١٨ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٣٣ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٤٩ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٧١ ، ١٧٤ ،
١٨٢ ، ٢٠٧ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ ،
٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٧١ ،
٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٤ ، ٢٩٨ ، ٣٠٢ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣١٣ ،
٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٢٣ ، ٣٢٨ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٤٤ ، ٣٥٦ ، ٣٦٠ ، ٣٦٦ ، ٣٧٢ ، ٣٨٦ ،
٣٨٨ ، ٣٩٣ ، ٣٩٥ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٤٠٢ .

بکین : ٢٣ .

بلخ : ٣٧ ، ١٥٨ ، ٤٥٩ .

تبریز : ١٠٧ ، ١٣٣ ، ١٤٥ ، ١٦١ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢٥٦ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ،
٢٧١ ، ٢٧٣ .

ترمذ : ٣٧ .

تستر : ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٧١ .

تفليس : ١٥٣ ، ٢٦٣ ، ٢٨٨ .

الجزيرة : ٩٠ ، ٥٢ ، ٩٠ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٦٢ ، ٤٠٠ .

جورجيا : ٣٢٥ .

جيجون : ٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٦٥ ، ١١٧ ، ١٢٥ ، ١٤٤ ، ٢٠٣ ، ٢٠٨ ، ٤٥٦ ،
٤٦١ ، ٤٥٩ .

حران : ٥٢ ، ٧٠ ، ٧٦ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٤٠٠ .

حلب : ٥٦ ، ٧٤ ، ٩٠ ، ٣٤٥ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٧١ ،
٣٩٥ ، ٣٩٧ ، ٤٠٠ ، ٤٠٢ ، ٤٠٤ ، ٤٠٧ .

الحلة : ١١٢ ، ٢١٩ ، ٢٦٦ ، ٢٧٩ ، ٢٨٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٩ ، ٣٢٦ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ .

حلوان : ١١٥ .

حمام : ٤٠٨، ٤٠٧، ٤٠٢ .

حمص : ٤٠٦، ٤٠٥ .

خابور : ٧٠، ٦٠ .

خالص : ١١٩، ١١٥ .

خازقين : ٢١٩، ١١٥ .

خراسان : ٣٤، ٣٨، ٥٣، ٧٠، ٩٧، ١٢٣، ١٣٠، ١٤٤، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠،

١٥٩، ١٦٠، ١٦٣، ١٦٦، ١٦٨، ١٧٠، ١٨٠، ١٨٤، ٢٠٣، ٢٠٩، ٢٤٤، ٢٤٥،

٢٥٠، ٢٥٢، ٢٦٥، ٢٧٠، ٢٧٣، ٣٠٢، ٣٥١، ٤٤٧، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠،

٤٦١، ٤٧٢ .

خلاط : ٨١، ٩٠ .

خوي : ١٧٢، ٢٧٢ .

داقوق : ٥٢، ٧١، ٧٣ .

دجلة : ٩٠، ٩٩، ١٠٧، ١١٢، ٢٢٧، ٣١٧، ٣٢٦، ٣٢٨ .

دجيل : ٩٩، ٢١٩ .

دمياط : ٦١ .

ديار بكر : ٥٢، ٥٣، ١٤٥، ١٤٩، ١٥٠، ٢٢٤، ٢٣٣، ٢٦١، ٣٣٥، ٣٥٥،

٣٨٤، ٣٩٤ .

ديار ربيعة : ١٤٥، ١٥٠، ٣٢٨، ٣٥٥ .

الرحبة : ١٦٨، ٢٤٥، ٣٢٧، ٣٣٦، ٣٣٨، ٣٦٦، ٤٠١، ٤٠٣، ٤٠٥، ٤٠٧،

٤٠٨، ٤٦٠ .

الري : ٣٥، ٦٠، ١٤٩ .

سلمية : ٣٩٣، ٤٠٦ .

- السلطانية : ١٨٨ ، ١٩١ ، ٢٧١ ، ٢٩٨ ، ٣٢٥ ، ٣٣٧ ، ٤٥٤ .
- سنجار : ٧٦ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ١٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٣٦٠ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٨٩ ، ٣٩٤ .
- السند : ٣٩ ، ١١٧ .
- سمرقند : ٢٤ ، ٣٢ ، ٧٠ ، ١١١ ، ٢٤٣ ، ٤٥٦ .
- سيحون : ٣ ، ٢٥٦ .
- سيواس : ٨١ ، ٨٣ .
- شاهو : ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ .
- شروبان : ١٧٧ .
- شيراز : ١٥٣ ، ١٥٦ ، ٢٧٣ ، ٣٠٢ ، ٣٢٣ ، ٣٤٧ ، ٣٥٨ ، ٣٧٦ ، ٣٨٧ ، ٤٥٩ .
- شهزور : ٧٣ ، ٩٥ .
- الطالقان : ٣٧ .
- طوس : ٦٥ .
- عانة : ٣٣٧ ، ٣٣٨ .
- عين جالوت : ١٥٣ ، ٢٢٤ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ .
- ٤٠٠ ، ٤٥٠ .
- غزنة : ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٥٨ ، ٤٦٢ .
- غنجة : ٦٤ .
- فارس : ٤٩ ، ٥٦ ، ٦١ ، ٦٥ ، ١٤٥ ، ١٥٦ ، ١٦٥ ، ١٧١ ، ٣٢٣ ، ٣٠٢ ، ٣٢٣ ، ٣٤٧ ، ٣٥٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦٤ ، ٣٨٧ .
- الفرات : ١١٧ ، ١٤٥ ، ١٦٦ ، ١٨٣ ، ٢٠٣ ، ٢٢٩ ، ٢٣٧ ، ٢٧٢ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٨٧ ، ٣٩٣ ، ٤٠٢ ، ٤٠٧ .
- قبرص : ٦١ .
- القدس : ٢ ، ٨٧ ، ٨٨ .

قراقورم : ١٧ ، ٢٣ ، ٤٠ ، ٥٣ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٩١ ، ١١٧ ،

١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ٤٤٩ .

قزوين : ١٤٨ ، ٣٠٢ .

قونية : ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٩ ، ٣٥٣ .

قيسارية : ٨١ ، ٨٣ .

كاشغر : ٢٤ .

كربلاء : ١٨٣ ، ٢٧٢ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ .

كرمان : ٣٥٩ ، ٤٥٨ .

كرمنشاه : ٩٢ .

كش : ٦٥ ، ٩٧ ، ١٥٥ .

كلزار : ٤٦ .

الكوفة : ١١٢ ، ٢٢٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٩ ، ٢٩٨ ، ٣٢٧ ، ٣٣٠ .

ماردين : ٣٤٤ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٨ ، ٣٨٣ ، ٣٩٣ .

مازندران : ٣٥ ، ١٣٠ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٩ ، ٤٥٧ ، ٤٦١ .

مراغة : ١١٣ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٣ ، ١٤٣ ، ١٧١ ، ١٨٦ ، ١٨٩ ،

٣٢٥ ، ٣٩٤ ، ٤٤٨ .

مرو : ٣٧ ، ١٥٩ ، ٤٥٩ .

مكة : ١٨٢ ، ٢٧٣ .

ملاطية : ٩١ .

منغوليا : ٤ ، ٨ ، ٤٠ ، ١٢٣ .

الموصل : ٢ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٢٤٣ ،

٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٨٠ ، ٣١٦ ، ٣٢٣ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٣ ، ٣٤٦ ، ٣٤٨ ،

٣٥٩ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٧١ ، ٣٧٦ .

- مياخار قين : ٣٦٢، ١٥٢، ٩١، ٥٢، ٥٠ .
النجف : ٣٤١، ٢٩٧، ٢٩٦، ٢٧٢ .
نخشب : ١٥٥ .
نسا : ٣٧ .
نصيبين : ٣٦٠، ٣٣٥، ٧٠، ٦٠ .
نيسابور : ٣٧، ٣٥ .
النهر وان : ١١٥ .
واسط : ٣٤٣، ٣٤٢، ٣٢٩، ٢٨٦، ٢٣٦، ٢٣٠، ٢٢٨، ٢١٩، ١٨٣ .
هرات : ٣٤٦، ١٧٠، ١٦٨، ١٦٧، ١٦٥، ١٦٣، ١٢٣، ١١١، ٦٥، ٤٠، ٣٩ .
٤٤٧، ٣٥٩، ٣٥٥، ٣٥٤، ٣٥١، ٣٤٩ .
همدان : ٣٩٤، ٩٦ .
هيت : ٣٣٧ .

مصادر البحث مرتبة حسب أحرف الهجاء لأسماء المؤلفين :

أولاً : المصادر الفارسية والتركية :

- ابرو - حافظ عبدالله بن لطف الله بن عبدالرشيد .
- ١ - ذيل جامع التواريخ ، وقد اعتمدت في اغلبه على ترجمة طهران ١٣١٧
خاصة للدكتور فؤاد الصياد .
- البديسي - شرف خان .
- ٢ - الشرفنامه - تعريب الملا جميل بندي الروزياني بغداد ١٩٥٣
الجوزجاني : ابو عمر منهاج الدين بن عثمان بن سراج الدين .
- ٣ - سياسة الامصار في تجربة الاعصار (در تاريخ آل جنگيز)
تحقيق محمد ميرزا محمد .
- ٤ - طبقات ناصري ، استعارة خاصة مما استنسخه لنفسه الدكتور
فؤاد الصياد .
- الجويني : علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد ت ٢٨١ هـ .
- ٥ - تاريخ جهانكشاي الأول والثاني تحقيق محمد ليدن ١٩١٦/١٢
عبدالوهاب القزويني .
- ٦ - تاريخ جهانكشاي الثالث تحقيق دنس روز . لندن ١٩٣١
خوندمير : غياث الدين محمد بن همام الدين .
- ٧ - حبيب السير في اخبار افراد البشر . بمبي ١٢٧٣ هـ
دولت شاه : امير دولت شاه بن علاء الدولة بخنشاہ غازي السمرقندي .
- ٨ - تذكرة الشعراء تصحيح وتعليق محمد اقبال . لاهور ١٩٢٤ م
القرآوندي : محمد بن علي بن سليمان .

- ٩ - راحة الصدور وآية السرور، تعريب الشواربي وحسين القاهرة ١٩٦٠
والصياد .
- رشيد الدين فضل الله بن عماد الدولة ابي الخير ت ٧١٨ هـ .
- ١٠ - جامع التواريخ المجلد الثاني تعريب نشأت . هنداوي القاهرة ١٩٦٠
والصياد .
- الشبنكاري : محمد بن علي بن محمد .
- ١١ - مجمع الأنساب استعارة خاصة مما استنسخه لنفسه
الدكتور فؤاد الصياد عن مخطوطة نفيسي .
- خواني : مصيحي ت ٨٤٥ هـ .
- ١٢ - مجمل فصيحى - ألفه على السنين استعارة خاصة مما استنسخه
لنفسه الدكتور فؤاد الصياد .
- القزويني حمد الله بن ابي بكر المتوفى ٧٥٠ هـ :
- ١٣ -- تاريخ كزبده تحقيق ونشر براون . لندن ١٣٢٨ هـ
- ١٤ -- نزهة القلوب تحقيق ونشر ليسترنج
ميرخوند : حميد الدين محمد بن خداوند شاه بن محمود ت ٩٠٣ هـ .
- ١٥ -- روضة الصفا سبعة اجزاء في ثلاث مجلدات .
نصير الدين الطوسي محمد بن محمد بن الحسن ٦٧٢ هـ .
- ١٦ -- رسالة في فتح بغداد ترجمة محمد صادق الحسيني .
وصاف الحضرة اديب شرف الدين عبدالله بن فضل الله الشيرازي .
- ١٧ -- تاريخ وصاف المسمى تجربة الامصار وتزجية الاعصار . بمبي ١٢٦٩ هـ
ابو الغازي بهادر خان بن عرب بن محمد خان ت ١٠٧٤ .
- ١٨ -- شجرة تورك طبع في استانبول .
منجم باشي -- درويش احمد ترجم الى التركية .
- ١٩ -- صحائف الاخبار لمؤلفه نديم احمد .
استانبول ١٢٨٥ هـ

ثانياً : المراجع العربية المخطوطة :

- ٧٣٩ هـ ابن الجزري دمشقي ، شمس الدين ابو عبدالله محمد بن ابي اسحاق ابراهيم .
٢٠ - تاريخ ابن الجزري .
- ٧٧٩ هـ ابن حبيب الشافعي نور الدين الحسن بن عمر .
٢١ - درة الاسلاك في دولة الأتراك .
- ٨٥٢ هـ ابن حجر . شيخ الاسلام احمد بن علي بن محمد .
٢٢ - اتحاف اخوان الصفا بنمذ من اخبار الخلفاء .
- ٨٠٩ هـ ابن دقماق . ابراهيم بن محمد بن اميرمر .
٢٣ - نزهة الأنام في تاريخ الاسلام .
- ٢٤ -- الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين .
الدواداري . ركن الدين بييرس المنصوري .
- ٧٢٥ هـ ٢٥ -- زبدة الفكرة وتاريخ الهجرة .
الذهبي : شمس الدين ابو عبدالله .
- ٧٤٨ هـ ٢٦ -- تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام .
رشيد الدين ، فضل الله بن عماد الدولة ابي الخير .
- ٧١٨ هـ ٢٧ -- التاريخ الغازاني .
- ٧٩٤ هـ الزركشي : بدر الدين .
- ٢٨ -- عقود الجمان . ذيل على وفيات الأعيان .
ابن شاكر الكلمي . فخر الدين محمد بن احمد .
- ٧٦٤ هـ ٢٩ -- عيون التواريخ .
- ٧٦٤ هـ الصفدي ، الشيخ ابو الصفا صلاح الدين خليل بن ابيك .
٣٠ -- الوافي بالوفيات .

- ٣١ .. اعيان العصر واعوان النصر .
- الطيب أبو محمد بن عبدالله بن أحمد بن أبي مخزومة .
- ٣٢ .. قلادة النجر في وفيات اعيان الدهر .
- ٨٢٦ هـ ابن العراقي : ولي الدين أحمد أبو زرعة بن عبد الرحيم .
- ٣٣ .. الذيل على ذيل تاريخ الاسلام .
- ٧٥٥ هـ العيني : بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى .
- ٣٤ - عقد الجمان في تاريخ اهل الأزمان .
- الغياثي : عبدالله بن فتح الله البغدادي .
- ٣٥ - التاريخ الغياثي .
- ٨٠٧ هـ ابن الفرات : محمد بن عبد الرحيم .
- ٣٦ - تاريخ الدول والملوك .
- ٧٤٢ هـ ابن فضل الله العمري : شهاب الدين أحمد بن يحيى .
- ٣٧ - مسالك الأبصار في ممالك الأمصار .
- ٨٥١ هـ ابن قاضي شيبه : أبو بكر أحمد بن محمد .
- ٣٨ - الاعلام بتاريخ اهل الاسلام .
- ٨٧٤ هـ أبو المحاسن : جمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي .
- ٣٩ - المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي .
- ٧٧٠ هـ المقري القيومي : أحمد بن محمد بن علي .
- ٤٠ - نثر الجمان في تراجم الأعيان .
- المؤمني بن بهادر محمد بن محمد .
- ٤١ - فتوح النصر في تاريخ مصر .
- ٧٣٢ هـ النويري : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب .
- ٤٢ - نهاية الأرب في فنون الأدب .

- ابن واصل جمال الدين محمد بن سالم .
 ٤٣ - تاريخ الواصلين او مفرج الكروب .
 وصيف شاه - ابراهيم .
 ٤٤ - جواهر البحور ووقايح الامور وعجايب الدهور .
 ٤٥ - مجهول المؤلف : تاريخ الأنبياء وملوك الاسلام .
 ٤٦ - مجهول المؤلف : انسان العيون في مشاهير سادس القرون .
 ٤٧ - بدر : مصطفى طه ابران في عهد غازان رسالة دكتوراه .
 ٤٨ - القزاز - محمد صالح داود - الحياة السياسية في العراق في العصر
 العباسي الأخير . رسالة ماجستير .

المراجع العربية المطبوعة :

- ابن الأثير : علي بن احمد بن ابي الكرم ت ٦٣٠ هـ .
 ٤٩ - الكامل في التاريخ ٩ اجزاء مطبعة الاستقامة بالقاهرة .
 ٥٠ - التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية . تحقيق عبدالقادر القاهرة ١٩٦٣ م
 طليمات ، ابن ابي الفضائل . المفضل ت ٦٧٢ هـ .
 ٥١ - النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد باريس ١٩١٢ م
 نشر بلوشيد ، ابن اياس : ابوالبركات محمد بن احمد ت ٩٣٠ هـ .
 ٥٢ - تاريخ مصر المعروف ببداية الزهور في وقائع الدهور . القاهرة ١٣١٢ هـ
 الاصطخري : ابواسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي
 المعروف بالكوفي .
 ٥٣ - المسالك والممالك تحقيق محمد جابر ومراجعة شفيق غربال . القاهرة ١٩٦١ م
 ابن بختر : صالح بن يحيى بن صالح من علماء القرن التاسع الهجري .
 ٥٤ - تاريخ بيروت واخبار الأمراء الباحثين من بني المغرب بيروت ١٩٢٦ م
 تحقيق لويس شيخو .

- ابن بطوطة ؛ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي ت ٧٧٩ هـ .
- ٥٥ - رحلته المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار . القاهرة ١٩٦٤ م .
وعجائب الأسفار جزءان .
- بنيامين ؛ ابن بونة التطيلي الأندلسي .
- ٥٦ - رحلة بنيامين تعريب عزرا حداد . بغداد ١٩٤٥ م .
بيشوف ؛
- ٥٧ - تحف الأنباء في تاريخ حلب الشهباء . بيروت ١٨٨٠ م .
- ابن جبير ؛ محمد بن أحمد الأندلسي ت ٦١٤ هـ .
- ٥٨ - رحلة ابن جبير تحقيق حسين نصار . القاهرة ١٩٥٥ م .
جوانفيل ؛
- ٥٩ - القديس لويس ترجمة وتعليق حسن حبشي . القاهرة ١٩٦٨ م .
ابن الجوزي ؛ أبو الفرج عبد الرحمن .
- ٦٠ - المنتظم في تاريخ الملوك والأهمل من الجزء الخامس للعاشر حيدرآباد ١٣٥٨ هـ .
ابن حجر ؛ شيخ الإسلام أحمد بن علي بن محمد ت ٨٥٢ هـ .
- ٦١ - الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة ٤ اجزاء . حيدرآباد ١٣٤٨ هـ .
تحقق سالم الكرنكوي .
- الخطيب البغدادي ؛ أبو بكر أحمد بن علي ت ٤٦٣ هـ .
- ٦٢ - تاريخ بغداد ١٤ جزء . القاهرة
- ابن خلدون ؛ عبد الرحمن بن محمد بن محمد ت ٨٠٨ هـ .
- ٦٣ - العبر وديوان المبتدأ والخبر ٧ اجزاء . بولاق ١٢٨٤ هـ .
خليل ؛ سليمان بن خليل بن بطرس .
- ٦٤ - التحفة السنوية في تاريخ القسطنطينية . بيروت ١٨٧٣ م .
ابن ابيك الدوادار ؛ أبو بكر عبد الله بن ابيك كان حياً سنة ٧٣٥ هـ .

- ٦٥ - الدرر الفاخرة في سيرة الملك الناصر وهو الجزء التاسع القاهرة ٦٠
من كنز الدرر تحقيق هانس .
الديار بكري : حسين بن محمد بن الحسن سنة ٩٦٦ هـ .
- ٦٦ - الخميس في احوال انفس نفيس :
القاهرة ١٢٨٣ هـ
الذهبي : شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان ت ٧٤٦ هـ .
- ٦٧ - دول الاسلام في التاريخ جزءان .
حيدرآباد ١٣٣٧ هـ
- ٦٨ - تذييل دول الاسلام ملحق به ومطبوع معه .
الرازي : محمد بن ابي بكر بن عبدالقادر .
- ٦٩ - مختار الصحاح : تبويب محمود خاطر .
القاهرة ١٩٢٢ م
ابن رجب البغدادي - عبدالرحمن بن احمد الحنبلي ت ٧٩٥ هـ .
- ٧٠ - الذيل على طبقات الحنابلة .
القاهرة ١٣٧٣ هـ
الرمزي . م . م . م .
- ٧١ - تلميح الأخبار وتلقيح الآثار .
اورنبورع ١٩٠٨ م
زيترسنين - حقق ونشر .
- ٧٢ - تاريخ سلاطين المماليك .
ليدن ١٩١٩ م
ابن الساعي ! علي بن انجب ت ٦٧٤ هـ .
- ٧٣ - الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير وهو الجزء
التاسع فقط حققه مصطفى جواد بغداد ١٩٣٤ م .
- سبط ابن الجوزي : شمس الدين ابو المظفر يوسف ت ٦٥٤ هـ . بغداد ١٩٣٤ م
- ٧٤ - مرآة الزمان في تاريخ الأعيان الجزء الثامن فقط .
حيدرآباد ١٣٧٠ هـ
السبكي : تاج الدين ابو نصر عبدالوهاب بن علي ت ٧٧١ هـ .
- ٧٥ - طبقات الشافعية ٦ اجزاء .
القاهرة ١٣٢٤ هـ
السخاوي :

- ٧٦ - الاعلان بالتوبيخ عن ذم التاريخ نشر القدسي ١٣٤٩ هـ
السيوطي : جلال الدين عبدالرحمن ت ٩١١ هـ .
- ٧٧ - تاريخ الخلفاء امراء المؤمنين . القاهرة ١٩٦٤ م
- ٧٨ - حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة جزءان . القاهرة ١٣٢٧ هـ
- ٧٩ - نظم العقيمان في اعيان الأعيان تحقيق فيليب حتى . نيويورك ١٩٢٧ م
- السلامي : محمد بن رافع ت ٧٧٤ هـ .
- ٨٠ - تاريخ علماء بغداد المسمى منتخب المختار تحقيق عباس العزاوي . بغداد ١٩٣٨ م
- ابن شاکر الکتبي : فخر الدين محمد بن احمد ت ٨٦٤ م .
- ٨١ - فوات الوفيات . جزءان تحقيق محيي الدين عبدالحميد . القاهرة ١٩٥١ م
- ابوشامة شهاب الدين ابو محمد عبدالرحمن بن اسماعيل ت ٦٦٥ هـ .
- ٨٢ - الروضتين في اخبار الدولتين جزءان . القاهرة ١٢٨٧ هـ
- ٨٣ - ذيل الروضتين تحقيق محمد زاهر الكوثرى . القاهرة ١٣٦٦ هـ
- ابن شداد : بهاء الدين ت ٦٣٢ هـ .
- ٨٤ - المحاسن اليوسفية او سيرة صلاح الدين . القاهرة ١٣١٧ هـ
- ابن شداد - عز الدين ابو عبدالله محمد بن علي بن ابراهيم الحلبي ت ٦٨٤ هـ .
- ٨٥ - الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة تحقيق دمشق ١٩٦٢ م
سامي الدهان .
- ابن الشحنة ابو الفضل محمد ت ٨٧٧ هـ .
- ٨٦ - الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب . بيروت ١٩٠٩ م
- الشوكانى : علي بن محمد ت ١٢٥٠ هـ .
- ٨٧ - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع . القاهرة ١٣٤٨ هـ
- الصابوني : جمال الدين ابو حامد محمد بن علي ت ٦٨٠ هـ .

- ٨٨ - تكملة اكمال الاكمال تحقيق مصطفى جواد . ط بغداد ١٩٥٧ م
الصفدي ؛ الشيخ ابوالصفاء صلاح الدين خليل بن ايبك ت ٧٢٤ هـ .
- ٨٩ - الوافي بالوفيات طبع منه ثلاثة اجزاء فقط . استانبول ودمشق ١٩٣١/٥٣
٩٠ - نكت الهميان في نكت العميان . القاهرة
- صفى الدين : عبدالمؤمن بن عبدالحق ت ٧٣٩ هـ .
- ٩١ - مرصد الاطلاع على اسماء الأمكنة والبقاع تحقيق جوينول . ليدن ١٨٥٤ م
ضيا احمد .
- ٩٢ - مسكوكات اسلامية توقويمي . القسطنطينية ١٣٢٨ هـ
الطنجي ؛ محمد بن تاويت .
- ٩٣ - التعريف بابن خلدون . القاهرة ١٩٥١ م
ابن الطقطقي ؛ محمد بن علي بن طباطبا ألفه سنة ٧٠١ هـ .
- ٩٤ - الفخري في الآداب السلطانية . القاهرة ١٣١٧ هـ
الظاهري ؛ خليل بن شاهين ت ٨٧٢ هـ .
- ٩٥ - زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك . باريس ١٨٩١ م
ابن العبري ؛ ابو الفرج غريغورس بن هرون ت ٦٨٤ هـ .
- ٩٦ - تاريخ مختصر الدول . بيروت ١٩٥٨ م
ابن العماد الحنبلي ؛ ابو الفلاح عبدالحفي ت ١٠٨٩ هـ .
- ٩٧ - شذرات الذهب في اخبار من ذهب ٨ اجزاء . القاهرة ١٣٥١ هـ
ابن عبدالظاهر محيي الدين عبدالله ت ٦٩٢ هـ .
- ٩٨ - تشرىف الأيام والعصور بسيرة الملك المنصور تحقيق القاهرة ١٩٦١ م
مراد كامل .
- ٩٩ - الألفاظ الخفية من السيرة الشريفة السلطانية تحقيق ط ١٩٠٢ هـ
اكسل مويرج .

- ابن عنبة : محمد بن علي بن الحسيني ت ٨٢٨ هـ .
- ١٠٠ - عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب .
بمبي ١٣١٨ هـ .
- ابو الفداء : اسماعيل بن علي ت ٧٣٢ .
- ١٠١ - المختصر في اخبار البشر اربعة اجزاء .
القسطنطينية ١٢٨٦ هـ
- ١٠٢ - تقويم البلدان : تحقيق رينود وديسلان .
باريس ١٨١٥ م
- ابن الفرات : محمد بن عبد الرحيم ت ٨٠٧ هـ .
- ١٠٣ - تاريخ الدول والملوك : حقق قسطنطين زريق
بيروت ٣٦ / ١٩٤٢ م
بعض اجزائه .
- ابن فضلان : احمد بن فضلان بن العباس قام برحلته سنة ٣٠٩ هـ .
- ١٠٤ - رسالة ابن فضلان في وصف رحلته الى بلاد الترك دمشق ١٩٥٩ م
والخزر تحقيق سامي الدهان .
- ابن فضل الله العمري : شهاب الدين ابو العباس احمد بن يحيى ت ٧٤٢ .
- ١٠٥ - التعريف بالمصطلح الشريف .
القاهرة ١٣١٢ هـ
- ابن الفوطي : عبدالرازق بن احمد ت ٧٢٣ هـ .
- ١٠٦ - تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب حقق دمشق ٦٢ : ١٩٦٥ م
مصطفى جواد الجزء الرابع فقط .
- ١٠٧ - الحوادث الجامعة في المائة السابعة تحقيق مصطفى جواد . بغداد ١٣٥١ هـ
القرماني : ابو العباس احمد بن يوسف ت ١٠١٩ هـ .
- ١٠٨ - تاج التراجم في طبقات الحنفية تحقيق هرمان بروخي . لايبزك ١٨٦٢ م
القلقشندي : شهاب الدين ابو العباس احمد بن علي بن احمد ت ٨٢١ هـ .
- ١٠٩ - نهاية الأرب في معرفة انساب العرب تحقيق القاهرة ١٩٥٩ م
ابراهيم الايباري .
- ١١٠ - قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان القاهرة ١٩٦٣ م
بتحقيق الايباري .

- ابن الكازروني : ظهير الدين ت ٦٩٧ هـ .
- ١١١ - مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية تحقيق بغداد ١٩٦٢ م
كور كيس وميخائيل عواد .
- ابن كثير : عماد الدين اسماعيل بن عمر ت ٧٧٤ هـ .
- ١١٢ - البداية والنهاية . القاهرة ١٣٥٦ هـ
مبارك : محمد .
- ١١٣ - مسكوكات قديمة اسلامية قتالوغي القسم الثالث . القسطنطينية ١٣١٨ هـ
ابو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي ت ٨٧٤ هـ .
- ١١٤ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . القاهرة ١٩٢٥ م
- ١١٥ - المنيل الصافي والمستوفي بعد الوافي حقق بعض اجزائه القاهرة ١٩٥٦ م
يوسف نجاتي .
- المخزومي : محمد بن سراج الدين ت ٨٨٥ هـ .
- ١١٦ - الصحاح الأخبار في نسب السادة الفاطمية الأخيار . القاهرة ١٣٠٦ هـ
المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي ت ٨٤٥ هـ .
- ١١٧ - السلوك في معرفة دول الملوك تحقيق مصطفى زيادة . القاهرة ١٩٣٤ م
- ١١٨ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار . القاهرة ١٢٧٠ هـ
النسوي ؛ محمد بن أحمد بن علي المنشئ انتهى من تأليفه سنة ٦٣٩ هـ .
- ١١٩ - سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي تحقيق حافظ حمدي القاهرة ١٩٥٣ م
ابن الوردي عمر بن مظفر الدين ت ٧٤٩ هـ .
- ١٢٠ - تنمة المختصر في اخبار البشر جزءان . القاهرة ١٩٣٩ م
- ١٢١ - خريدة العجائب : طبع ضمن مجموعة جمعها محمد مبارك . القاهرة ١٣١٦ هـ
اليافعي : ابو عبدالله محمد بن اسعد بن علي ت ٧٦٨ هـ .
- ١٢٢ - مرآة الجنان ٤ اجزاء . حيدرآباد ١٣٣٧ هـ .

- ياقوت : شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت الرومي ت ٦٢٦ هـ .
 ١٢٣ - معجم البلدان ٦ اجزاء : طهران ١٩٦٥ م
 اليونيني : قطب الدين موسى بن محمد بن أحمد ت ٧٢٦ هـ .
 ١٢٤ - ذيل مرآة الزمان . حيدرآباد ١٣٧٤ هـ

المراجع العربية الحديثة :

- ارنولد توماس .
 ١٢٥ - الدعوة الى الاسلام ترجمة حسن ابراهيم وعبدالمجيد القاهرة ١٩٥٧ م
 عابدين واسماعيل النجراوي .
 بار تولد .
 ١٢٦ - تاريخ الترك في آسيا الوسطى تعريب احمد السيد سلمان القاهرة ١٩٥٨ م
 الباشا حسن الباشا محمود .
 ١٢٧ - الألقاب الاسلامية . القاهرة ١٣٧٧ هـ
 بدر : مصطفى طه .
 ١٢٨ - محنة الاسلام الكبرى اوزوال الخلافة العباسية في بغداد . القاهرة ١٩٤٦ م
 ١٢٩ - مغول ايران بين المسيحية والاسلام : القاهرة
 بابو اسحاق : رفائيل .
 ١٣٠ - تاريخ نصارى العراق . براون - أدورد .
 براون - أدورد .
 ١٣١ - تاريخ الأدب في ايران من المعز دوسي الى السعدي القاهرة ١٩٥٤ م
 ترجمة الشواربي .
 حتي : فيليب وآخرون .
 ١٣٢ - تاريخ العرب المطول . بيروت ١٩٥٠ م
 ١٣٣ - لبنان في التاريخ ترجمة ومراجعة فريحة ونقولا زيادة . بيروت ١٩٥٩ م

- حسن علي ابراهيم .
- ١٣٤ - دراسات في تاريخ المماليك البحرية . القاهرة ١٩٤٤ م
- ١٣٥ - مصر في العصور الوسطى . القاهرة ١٩٤٩ م
- حسنيين : عبد النعيم محمد .
- ١٣٦ - سلاجقة ايران والعراق . القاهرة ١٩٥٩ م
- الحسني : محمد باقر كاظم .
- ١٣٧ - العملة الاسلامية في العهد الأتابكي . بغداد ١٩٦٦ م
- حمدي : حافظ احمد .
- ١٣٨ - الدولة الخوارزمية والمغول . القاهرة ١٩٤٩ م
- ١٣٩ - الشرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي . القاهرة ١٩٥٠ م
- الخربوطلي : علي حسن .
- ١٤٠ - مصر العربية الاسلامية . القاهرة ١٩٦٣ م
- الدبس : يوسف الياس .
- ١٤١ - تاريخ سورية ٧ اجزاء . بيروت ١٩٠٢ م
- الدوري : عبدالعزيز .
- ١٤٢ - النظم الاسلامية . بغداد ١٩٥٠ م
- زامباور :
- ١٤٣ - معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي .
عربه زكي محمد حسن .
- وحسن احمد محمود . القاهرة ١٩٥١ م
- ١٤٤ - تاريخ آداب اللغة العربية ٤ اجزاء . القاهرة ١٩٣١ م
- سرور : محمد جمال الدين .
- ١٤٥ - دولة الظاهر بيبرس في مصر . القاهرة ١٩٦٠ م

- ١٤٦ - دولة بني قلاوون في مصر .
الشبيبي : محمد رضا .
- ١٤٧ - مؤرخ العراق ابن الفوطي صدر منه جزءان .
الشواربي : ابراهيم امين .
- ١٤٨ - حافظ الشيرازي .
الشيال : محمد جال الدين .
- ١٤٩ - تاريخ مصر الاسلامية الجزء الثاني العصران
الأيوبي والمملوكي .
الصدفي ؛ رزق الله منقريوس .
- ١٥٠ - تاريخ دول الاسلام ٣ اجزاء .
الصياد : فؤاد عبدالمعطي .
- ١٥١ - المغول في التاريخ .
١٥٢ - مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمداني .
الصائغ : القس سليمان .
- ١٥٣ - تاريخ الموصل . جزءان .
عاشور ؛ سعيد عبدالفتاح .
- ١٥٤ - الحركة الصليبية . الجزء الثاني .
١٥٥ - العصر المماليكي في مصر والشام .
العاملي ؛ محسن الأمين الحسيني .
- ١٥٦ - اعيان الشيعة ٣٦ مجلد .
عبدالباقي ؛ محمد فؤاد .
- ١٥٧ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .
العزاوي ؛ عباس .
- القاهرة ١٩٤٧ م
- بغداد ١٩٥٨ م
- القاهرة ١٩٤٤ م
- القاهرة ١٩٦٧ م
- القاهرة ١٩٠٧ م
- القاهرة ١٩٦٠ م
- القاهرة ١٩٦٧ م
- بيروت ١٩٢٨ م
- القاهرة ١٩٦٣ م
- القاهرة ١٩٦٥ م
- دمشق ١٩٣٩ م
- القاهرة ١٣٧٨ هـ

- ١٥٨ - تاريخ العراق بين احتلالين . الجزء الأول . بغداد ١٩٣٥ م
- ١٥٩ - التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتر كمان . بغداد ١٩٥٧ م
غنيمة : يوسف رزق الله .
- ١٦٠ - نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق . بغداد ١٩٢٤ م
فامبري : أرمنيوس .
- ١٦١ - تاريخ بخارى تعريب حمد محمود الساداتي . القاهرة ١٩٦٥ م
كيرك : جورج .
- ١٦٢ - موجز تاريخ الشرق الأوسط تعريب عمر السكندري . القاهرة ١٩٥٧ م
لسترنج :
- ١٦٣ - بلدان الخلافة الشرقية تعريب بشير فرنسيس بغداد ١٩٥٤ م
وكوركيس عواد .
- ١٦٤ - بغداد في عهد الخلافة العباسية : بشير فرنسيس . ١٩٣٦ م
الماريني : نابليون بن ميخائيل بن يوسف .
- ١٦٥ - تنزه العباد في مدينة بغداد . بيروت ١٨٨٧ م
موير : ولیم .
- ١٦٦ - تاريخ دولة المماليك تعريب محمود عابدين وسليم حسن . القاهرة ١٩٢٤ م
- ١٦٧ - مورد اللطافة : ابوالمحاسن تغري بردي الأتابكي .

بحوث ومقالات عربية أو معربة :

- خصبك : جعفر حسين .
- ١ - الادارة الايلخانية في العراق مجلة كلية الآداب بغداد م ١ يونيو /
حزيران ١٥٩٩ .
- ٢ - احوال العراق الاقتصادية في عهد الايلخانيين المغول مجلة كلية الآداب
بغداد م ٤ اغسطس ١٩٦١ م .

- الجلبي : داود .
- ٣ - ألفاظ مغولية في اللغة العربية . مجلة المجمع العلمي العراقي ج ١
بغداد ١٩٥٠ .
- حسن : حسن ابراهيم .
- ٤ - الفرق بين كلمة تتر ومغول مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة م ١٩٤٤ ٧ .
- الشواربي : ابراهيم امين .
- ٥ - مصادر فارسية في التاريخ الاسلامي . مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة
م ٧ ١٩٤٤ م .
- ظاهر : سليمان .
- ٦ - نصير الدين الطوسي مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (المجمع العلمي
سابقاً) م ٣٦ ١٩٦١ م .
- البيطار : محمد بهجت .
- ٧ - شيخ الاسلام ابن تيمية : مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق م ٢٧ ١٩٥٢ م .
- الكاشف : سيد اسماعيل .
- ٨ - دراسات في النقود الاسلامية . مجلة التاريخ المصرية م ١٢ ١٩٦٤/١٩٦٥
لطفي مهاب درويش .
- ٩ - الألقاب على المسكوكات الايلخانية مجلة سومر م ٢١ بغداد ١٩٦٥ م .
- ١٠ - العملة الاسلامية في العهد الايلخاني » » م ٢٢ » ١٩٦٦ م .
- آل ياسين : محمد حسن .
- ١١ - المشهد الكاظمي من بدء الاحتلال المغولي مجلة سومر م ١٩ بغداد ١٩٦٣ م .
- وليم لانجر .
- ١٢ - موسوعة تاريخ العالم الاسلامي ترجمة محمد مصطفى زيادة القاهرة ١٩٦٢
ديورانت .

١٣ - قصة الحضارة ترجمة محمد بدران .
هامرتن .

١٤ - تاريخ العالم : ترجمه باشراف وزارة التعليم العالي . القاهرة

مقالات عربت عن دائرة المعارف الاسلامية :

- ١٥ - بارتولد : اباقا م ١ .
- ١٦ - بارتولد : ابو سعيد م ١ .
- ١٧ - بارتولد : ارغون م ١ .
- ١٨ - بارتولد : الايلخانية م ٣ .
- ١٩ - بارتولد : باتوم م ٣ .
- ٢٠ - بارتولد : بايدو خان م ٣ .
- ٢١ - بارتولد : بخارى م ٣ .
- ٢٢ - بارتولد : براق خان م ٣ .
- ٢٣ - بارتولد : بركة خان م ٣ .
- ٢٤ - بارتولد : بيش بالق م ٤ .
- ٢٥ - بارتولد : احمد تكودار م ٥ .
- ٢٦ -- جغتاي م ٧ .
- ٢٧ -- بارتولد : جلاير م ٧ .
- ٢٨ -- بارتولد : جنگيز خان م ٧ .
- ٢٩ -- بارتولد : آل الجويني شمس الدين وعلاء الدين م ٧ .
- ٣٠ -- بلرلمتز : رشيد الدين م ١٠ .
- ٣١ -- كرامرز : الجايتو خدابنده م ٢ .
- ٣٢ -- مينورسكي : تبريز م ٤ .
- ٣٣ -- مينورسكي : تغاتيمور م ٥ .

- ٣٤ .. مورتمان : شيخ حسن الكبير م ٧ .
٣٥ .. مورتمان : شيخ حسن الصغير م ٧ .
٣٦ .. هارتمان : بلخ م ٤ .
٣٧ .. هيوار : بغداد م ٤ .

Foreign Sources :

- 1 — ADLER : Museum Cufium Brogianum Velitris . 2 . Vols .
- 2 — ATIYA , A . S ; Crusade . in The Later Middle Ages . London 1938 .
- 3 — BARTHOLD : Turkestan Down To The Mongol Invasion , London 1928 .
- 4 — BRETSCHNEIDER : - Mediaval Researches From Eastern Asiatic Sources . London 1910 .
- 5 — BROWNE . E . G : Aliterary History of Persia Vol . 3 . Cambridge . 1928 .
- 6 — BROWNE . E . G : Abridged in English , The Tarikhi — Guzida Of Hamdullah Mustawfi Qazwini . Leyden 1913 .
- 7 — COMBE : Repertoire Chronologique D'epigraphie Arabe . Le . Caire .
- 8 — CONDER . C . R : The Latin Kingdom of Jerusalem . London 1897 .
- 9 — COKE — RICHARD : Bachdad The City of Peace . London . 1935 .
- 10 — DOZY . A : Supplement Aux Dictionnaires Arabes . Paris . 1927 .
- 11 — ELLIOT . H . M : Bibliographical Index to The Historians

Of Muhammedan — India .

Colcutta . 1849 .

- 12 —AL -- FEEL . M . R : The Historical Geography of Iraq
Between The Mongolian And Ottoman Conguest . Nejad . 1965 .
- 13 — HAAS . JACOB DE : History of Palestine . New York .
1934 .
- 14 — D'HERBELOT : Bibliotheque . Oriental . Amestricht . 1776 .
- 15 — HOWORTH . H . H : Histry of The . Mongols . Part . 3 .
London . 1888 .
- 16 — LANE — POOLE . S : Catalogue of Oriental Coins In The
British Museum , The Coins of The Mongols . Vol . 6 , 10 .
London . 1881 , 1890 .
- 17 — LANE — POOLE . S : The Mohammedan Dynasties . Paris .
1925 .
- 18 — LANE — POOLE . S : History of Egypt In The Middle Ages .
London . 1901 .
- 19 — LE STRANGE . G : Translated To English The Nuzhat -- AL --
Qulub of Hamdallah . Leyden . 1919 .
- 20 — MALCOLM . J : The History of Persia . Two Vols . London .
1829 .
- 21 — MARCO — POLO : Travels . Translated To English By Alodo
Ricci . London . 1931 .

- 22 — MAX VAN BERCHEM : Materiaux Pour Un Corpus Inscripti-
- ionm Arabicarum . Le Caire . 1917 .
- 23 — MILES . G . C : The Numismatic Histoy of Rafy New York
1937 .
- 24 — MUIR . W : The Caliphate , Its Rise , Decline , And Fall .
EdinBurgh . 1924 .
- 25 — D'OHSSON . M : Histoire Des Mongols Depuis Tchinguis
Khan Jusq'a Timour Bay ou Tamerlan 4 . Vols Lahaye . 1834
— 1838 .
- 26 — OSBORN . R . D : Islam Under The Khalif of Baghdad .
London . 1877 .
- 27 — PEARSON . J . O : Index Islamicus . Cambridge . 1958 .
- 28 — PEARSON . J . O : Index Islamicus Supplement . Cambridge
1962 .
- 29 — PRICE . D : Mohommedan History , Chronological Retrospect
Or Memoiries On The Principal Event of Mahommedan History
3 . Vols . London . 1811 .
- 30 — STEINGASS . F : Persian -- English Dictionary London .
- 31 — SYKES . P : A History of Persia -- 2 . Vol Second Addition .
London . 1921 .

ESSAYS FROM ENCYCLOPAEDIN OF ISLAM

- 32 — BARTHOLD : -- Hulagu . Enc . Isl .
- 33 — BARTHOLD : -- Ghazan . Enc . Isl .
- 34 — HONIGMANN : -- Mosul . Enc Isl .
- 35 — MINORSKY : -- MARAGHA . Enc . Isl .
- 36 — TAESCHNER : -- AL -- Nasir Enc . Isl .
- 37 — ZETTERSTEEN : -- AL -- Mustansir . Enc . Isl .

ESSAYS . FROM ENCYCLOPAEDIA BRITANNICA .

- 38 — AVERY . P . W : Hulagu Enc . Br .
- 39 — BAXTON . D : Mongolia . Enc . Br .
- 40 — DOUGAS . R . K : Mongols . Enc . Br .
- 41 — FRANK . H : Kublai . Enc . Br .
- 42 — HART . L : Mongol . Enc . Br .
- 43 — LATTIMORE . O : Genghis Enc . Br .
- 44 — LATTIMORE . O : Ogodai . Enc . Br .

ESSAYS FROM CAMBRIDGE MEDIAEVAL HISTORY VOL . 4

- 45 — LOEWE . H : The Mongols . C . M . H . Vol . 4 .
- 46 — MACLER . F : Armenia . C . M . H . Vol . 4 .

**ESSAYS FROM THE JOURNAL OF THE ROYAL ASIATIC
SOCIETY . “ JRAS ”**

- 47 — BURN . R : Coins of The Elkhanis of Persia . Jras . 1933 .
- 48 — FISCHER . W . J : On The Iranian Paper Currency “ AL --
-- CHAW ” of The Mongol Period . Jras . 1933 .
- 49 — KURDIAN . H : An Important Armenian . . MS . From A . D .
1330 . Jras . 1939 .
- 50 — ARNOLD . T . H . W : Muslim Civilization During The Abbasid
Period . C . M . H . Vol . 1v .
- 51 — LAVOIX . M . H : Catalogue Des Mennaies Musulmanes .
Paris . 1887 .

جدول الخطأ والصواب

ص	السطر	الخطأ	الصواب	ص	السطر	الخطأ	الصواب
٨٣	٣	قونين	قونية	٢	٢	اراضيه السلية التي كانت خطأ	
٩١	٤	مصان	مصاف	٥	٥	اراضيه السلية من ايدي الصليبية التي كانت ورد الرقم ٢٨٦ في الحاشية ٣ خطأ فيرجى حذفه .	
٩٤	٢٠	Rstccn	Zetterstccn	١١	١١	الحاشية . Fowe خطأ والصواب	
١٠١	١٣	Thecaliphate	The caliphate.	-	-	Lowe . op . cit . P . 633 . ووردت في كثير من	
١٠٤	٤	التخلف	التخلص	١٢	٨	الحواشي بصورة مختلطة مع بعضها كأنها كلمة واحدة فضلا عن استبدال حرف P . بحرف F . فيرجى الانتباه لذلك .	بأبنائه
١٠٥	٨	التحريف	التحريض	١٥	١	أوما معناه تحذف هذه الجملة	بأبنائه
١٠٧	٢	هؤلاء	هولاكو	٢٧	٤	ما اشار ابن الاثير ما اشار اليه ابن الاثير	١٧ ابن
١١٩	١٥	تتخلف	تتخلص	٣٥	١٧	ابنه	١٧ ابن
١٢١	٢	العباسي	السياسي	٣٩	١	وسوء	١٧ ابن
١٢٨	١١	٥٦٧	٦٥٧	٤٢	٧،٢	الحانية	٧،٢ الحانين
١٢٩	٣	العلامة	العلاقة	٤٩	٨	عيسى الدين	٨ عيسى
١٢٩	١٩	جانق	جانب	٤٩	١٤	الظاهر بالله	١٤ الظاهر بالله
١٣٢	٥	٣٦٣ هـ	٦٦٣ هـ	٦٩	١٥	عبر	١٥ عبر
١٤١	٤	النقود	النقوش	٧٥	٧	نوايا	نوايه
١٤٤	٣	وحتى	وهي	Enc. Isl. Encyafgclam الاخير			
١٥٣	٨	يشحوت	يشموت				
١٦٠	١٥	ضمن	خمن				
١٦١	١٠	حكم بها	قام بها				
١٦١	١٥	عمولتها	عملتها				
١٦٥	٧	نوايا	نوايه				

جدول اخطاء والصواب

ص السطر	الخطأ	الصواب	ص السطر	الخطأ	الصواب
١٦٥	٨	داموق	٢٧١	١٠	ابن
١٦٦	٣	عوتهم	٢٧٩	٢	واستلم
١٦٦	١٢	اعتقد	٢٩٠	٣	سعد الدولة
١٦٦	١٤	كانت يد	٢٩٢	٧	عد في
١٧١	٢٠	ذلك عند	٣٠٣	٥	يترفون
١٨٩	١٢	كالمغول	٣٠٦	٥	ففعل
١٩٩	٨	اصر	٣٠٩	١٢	عليه عهد
٢٠٠	٧	ارغون	٣١٢	١١	ونحى
٢٠٣	٢	بكلاء بيكي	٣٢٤	٩	اما
٢٠٥	٣	ابي سعيد	٣٣٦	٦	بالبريد
٢٠٧	١٩	هنا	٣٤٠	٧	ضجت
٢١٠	١٣	صباين	٣٤٦	١٤	بفعل
٢١٣	٥	من كان	٣٦٦	١٠	اخرج
٢١٦	٣	للتحسن	٣٨١	٤	يعتبر هذا
٢١٧	١٢، ١١	ولقد هولاء كو والصواب	٣٩٠	١	حتى
		ولقد كان هولاء كو	٣٩٤	١١	او قدموا
٢٣٤	١٢	على جيبان	٤٠٤	٦	امسوا
٢٢٧	١٢	تنجل	٤٠٥	١	فقصور
٢٥١	٧	يفتح	٤٠٦	٣	سلجية
٢٥٦	١٩، ١٨	المتحول	٤٠٧	٤	عقوبة

مراجع لوحات النقود الايلخانية :

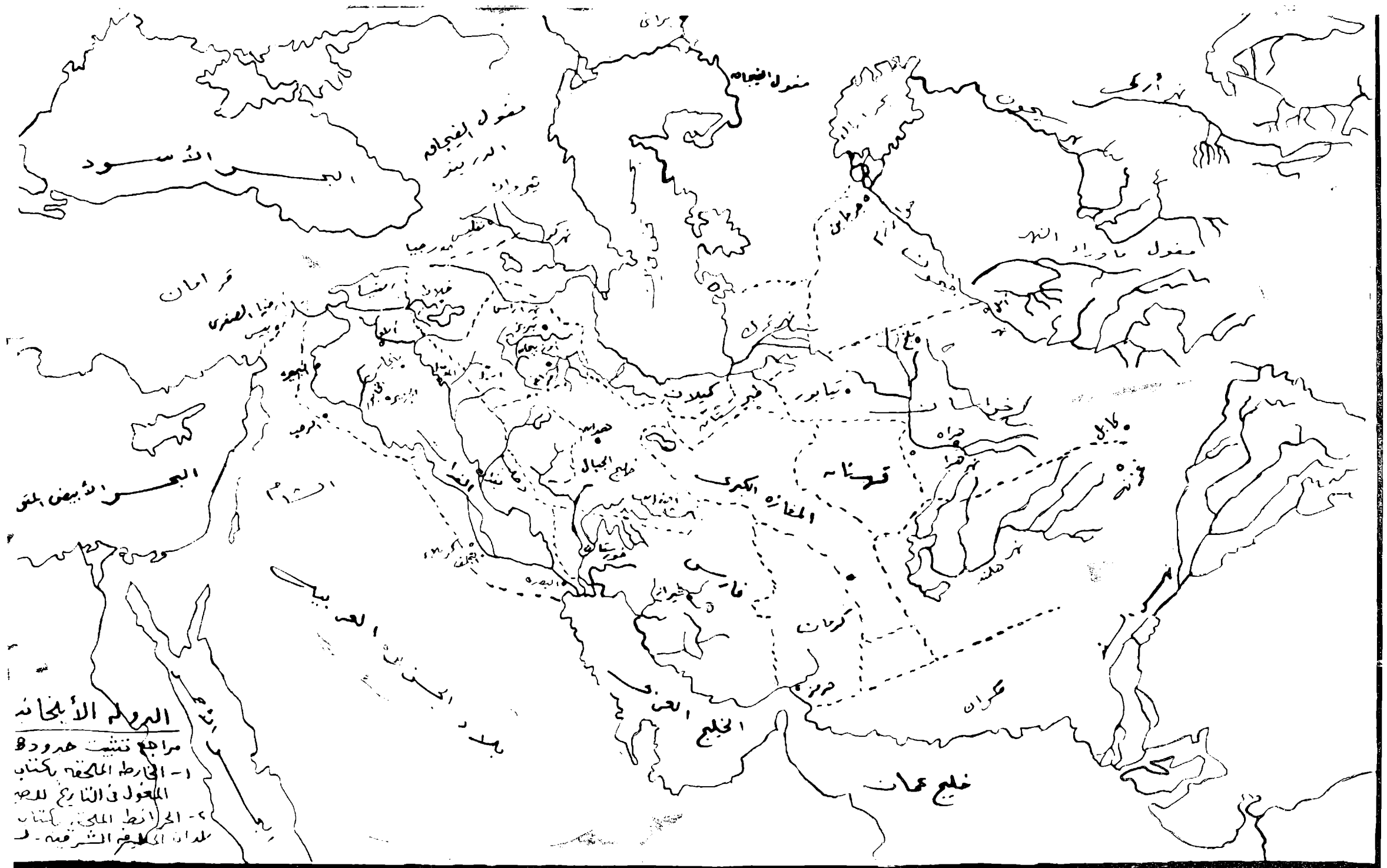


١ - نقود ابا قافا - منكو خان
سجل المتحف الاسلامي بالقاهرة
رقم ١٧٢٤٥ خ ٣ / ٣٨

٢ - نقود غازان محمود
سجل المتحف الاسلامي بالقاهرة
رقم ١٧٢٤٧ خ ٣ / ٣٨

٣ - نقود اولجايتو محمد خدابنده
سجل المتحف الاسلامي بالقاهرة
رقم ١٧٢٤٦ خ ٣ / ٣٨

٤ - نقود ابي سعيد
سجل المتحف الاسلامي بالقاهرة
رقم ١٧٢٦٠ / ٣ خ ٣ / ٣٩



الدولة الأتمانية

مراجع تفتت حدود
 ١- الخارطة الملتصقة بكتاب
 المعول في التاريخ للصدر
 ٢- الخارطة الملتصقة بكتاب
 بلدان الخلافة الشرقية - د